

مَعْرِفَةٌ

أَهْلُ الْبَيْتِ عليهم السلام

فِي ضَوْءِ

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

(دراسة وتحليل)

تأليف

السيد راضي الحسيني

الجزء الأول

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

معرفة

أهل البيت (ع)

في ضوء الكتاب والسنة

دراسة وتحليل

الجزء الأول

تأليف

السيد راضي الحسيني

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





حقوق المطبع والنشر محفوظة

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

اسم الكتاب: معرفة أهل البيت (ع) في ضوء الكتاب والسنة
تأليف: السيد راضي الحسيني
الناشر: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر
المطبعة: شريعت
عدد النسخ: (٢٠٠٠) نسخة
الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

لبنان / بيروت / الغبيري ص - ب ٢٧٨ / ٢٥

قم / ايران / ٥٩٨ - ٣٧١٨٥ - هاتف: ٧٧٣٥٦٤٦ - ٧٧٤٦٥٤٦

info@Omalqora.net

شابك: ٠-١٩-٤-٩٩٠-٩٦٤

الأقرباء

أهدي هذا الجهد المتواضع:

إلى الأرواح الطاهرة للصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس أهل
البيت وطهرهم تطهيراً.

وإلى روح الوالدة الحنونة التي ربّتنا على محبتهم وفاضت روحها
الطاهرة إلى بارئها وهي في مجالس ذكرهم.

راجياً رضا ربّنا، وقبول العمل، وأن ينفعنا في يوم نشرنا وحشرنا.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

بيت الحج وبه نستعين حلم

منهج البحث:

الأساتذة الأعزاء ...

منهج الدراسة لهذا الكتاب ، اعتمد الرؤية الإسلامية المحايدة ، واتسم البحث بالموضوعية في الدراسة والتقييم للأحداث والمواقف ، رائدي في ذلك هو المعرفة ، وإمادة اللثام عن الدسائس والشبهات ، وكشف الحقيقة ، لمعرفة الواقع على ما هو عليه ، ليتسنى لنا تحقيق معرفة كافية بأهل بيت النبي ﷺ بمدى واسع ، يؤهلنا لإثبات مرجعيتهم العلمية والسياسية ، بعد تجاوز عقدة التعصب الأعمى ، والسماح للفكر بالانعتاق والموضوعية ، لنقف على الحقيقة كما هي .

إنّ في دراستنا للتأريخ وصنّاعه ، لا نريد محاكمة رجال تلك الحقبة الزمنية ، وإصدار أحكام القضاء بحقهم ، كلاً ، وإنما نريد الاعتبار بالماضي ، لنحیی مستقبل الأمة ، وننسج خيوط الانتصار الحضاري والثقافي بشكل متماسك ، يحقّق لنا الريادة على الأمم ، من خلال إدراك معالم هذه المدرسة الناصعة التي تخرّج منها أجيال من كبار علماء الإسلام وأئمّة المذاهب ، ليقترّب المسلمون بعضهم من بعض ، بعيداً عن الفرقة والخلاف وروح الطائفية الفقهية والسياسية والتاريخية المقيتة . لذا اعتمدت في هذه الدراسة - في الأغلب - على مصادر علماء الجمهور في التفسير والحديث والجرح والتعديل ؛ لنحقّق المقبولية التامة لنتائج هذا البحث .

وقد قسّمت البحث إلى مقدمة ، وفصول ، وخاتمة ، ملتزماً بالبيان البسيط ، ومبتعداً عن تعقيد العبارات وجزالة الألفاظ ، ليتمكن القارئ العزيز من فهمها دون

تكلف ومعاناة.

أما المقدمة: ضمّنتها أهداف المشروع والخطوط العامة لأصول هذا البحث .

وأما الفصول: فقد توفّر منها خمسة فقط ، وهي كما يلي :

الفصل الأول: فقد جاء بعنوان (أهل البيت عليهم السلام في المصطلح القرآني) ولذا

تركّز البحث حول هذا المصطلح ، مبتدئاً بتبيان مفردة (أهل) لغوياً ، واستعمالاتها في القرآن الكريم ، وقد ظهر من كلّ ذلك أنّ (الزوجة) غير مشمولة المعنى لمفردة (أهل) ، إلاّ بنحو من التجوّز والكناية ، وبذلك تبدّدت شبهة ، ربّما ارتكزت في الأذهان ، بكونها من معانيها .

الفصل الثاني: وقد تركّز البحث فيه بتبيان دلالات (آية التطهير) ، ومدى

اختصاصها بأهل البيت عليهم السلام ، مستعيناً بالروايات المفسّرة ، وبسيرة النّبّي الأكرم صلى الله عليه وآله ضمن خطّته الإعلامية المكثّفة التي قام بها من أجل أنّ يركّز هذا المصطلح في ذهن أبناء الأمة ، كي لا تختلط الأوراق مستقبلاً ، ويجذّر هذا المعنى في النفوس ليصبح المعنى متعيّناً فيهم دون سواهم ، ويتعرّف المسلمون على منزلتهم عند الله تعالى ، وعند رسوله .

الفصل الثالث: استعرضت فيه الآراء المعارضة - لما تمّ الاستدلال عليه في

الفصل الثاني - مع تبيان أدلّتها ، ثمّ الإجابة عنها والرد عليها بشكل تفصيلي ، وبحياديّة تامّة ، معتمداً في ذلك على ما ذهب إليه المفسّرون والمحدّثون ، والرجاليون من أئمّة الجرح والتعديل ، لعلماء الجمهور ، مع الإشارة إلى المصادر ، كي تتحقّق القناعة الكافية بنتائج البحث ، لمن أراد أن يتعرّف على الحقيقة .

الفصل الرابع: فقد استعرضت الآيات القرآنيّة التي تضمّنت عناوين (أهل

البيت عليهم السلام) ، وصفاتهم ، وذلك من خلال الاستشهاد بشأن النّزول ، والذي هو في حقيقته ، مادة غزيرة يمكن الاستدلال بها لتعيين مراد الله عزّ وجلّ من تلك الآية ،

كما توضّح الظروف المحيطة بالآية حين نزولها ، ولكن هذه المادة الغزيرة ، كثيراً ما يحصل فيها التفاوت الكبير والتضارب في الآراء المختلفة ، لذلك بذلت جهداً واسعاً في توخّي الصحيح منها من السقيم ، مستعيناً بعدة أساليب ، منها التثبّت من وثاقة الراوي ، معتمداً فيه على أقوال وتقييم أئمة الجرح والتعديل من علماء الجمهور ، وكذا مدى مقبولية الرأي من النواحي الأصولية والقواعد اللغوية والمنطقية وغيرها . فلذا استخلصت نتائج طيبة من خلال تلك الآيات الشريفة التي تناولتها في المقام ، هذا ، وقد تمّ التركيز على اختيار الآيات الشريفة التي تدلّنا ، وتنفعنا في إثبات المرجعية العلمية ، والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام دون سواهم .

والفصل الخامس : تضمّن آيات قرآنية نزلت بحقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وهي

كثيرة جداً ، ولكنني اقتصرت على ذكر ما اتفق عليه ، من جهة ، وما يسهم في تمتين وتعزيد موضوع البحث ، من جهة أخرى ، مستعرضاً النصوص المفسّرة والوقائع المؤيِّدة ، مراعيّاً في ذلك الاختصار ، فلذا اخترت خمس آيات منها فقط مؤجّلاً البحث في بقية الآيات لمناسبات أخرى إن شاء الله تعالى .

وأما الخاتمة : فقد عنونتها بـ (مسك الختام) ، وفيها خلاصة النتائج للبحوث

التي تناولتها ، ليرتكز ذهن القارئ فيما عنيته من البحث ، وهو إثبات المرجعية العلمية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام .

وفي الختام أقدم شكري الجزيل لكلّ الذين قدّموا إرشاداتهم ونصحهم لي في مجال إعداد هذه الدراسة المتواضعة ، وساهموا في تصحيحها وتدقيقها سائلاً المولى القدير ، أن يوفّقهم لكلّ خير ، إنّه نعم المولى ونعم النصير .

راضي الحسيني

الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم المشرفة

المحرّم / ١٤٢٥ هجرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

فقيه

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا والحبیب إلى قلوبنا
أبي القاسم المصطفى محمّد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين .

اتّسمت الرسالة الإسلامية الخاتمة بسمات الأخلاق والعلم والمعرفة ، إذ قال
النبي ﷺ : « إِنَّمَا بَعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » ، فعاش النبي ﷺ بين أبناء أمّته وهو
يحمل لهم مشعل الهداية والمعرفة ، لينقذهم من الضلال والجهل ، فأوضّح لهم
الطريق ، وأضاء لهم الدرب ، ورسم لهم المنهج ، طالباً من أبناء أمّته ومن الأجيال
المتعاقبة اتباع تعاليمه والتزام وصاياه ، وقد نطق القرآن الكريم بذلك ، بقوله تعالى :
﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(١) . إذ رسم منهجاً قيماً للتغيير ،
فتأثرت به القبائل العربية المتنازعة أيّما تأثر ، واتّحدت من حوله بفعل أخلاقه
وتواضعه وسموّ القيم التي جاء بها ، وإزاء هذا ، وقف بوجهه من تضرّرت مصالحه
المادية وفقدَ مقامه الوهمي المصطنع ، وبذا فقدَ هيمنته وسطوته على أبناء جلدته ،
فواجه عليه الصلاة والسلام تيارات الشرك المختلفة ، مجتمعة ومنفردة ، وحاولوا
القضاء على الدين الجديد ولكن أبى الله تعالى إلا أن ينصر دينه ويعزّز رسالته .

ووفاءً منا لنبيّ الرسالة الإسلامية واحتراماً لجهوده العظيمة التي بذلها والمشاق

التي تحمّلها ، وما تحمّله الصّحابة الأوائل معه من مشاق ومعاناة ، من أجل توطيد النفوس على الإيمان ، وتسخير العقول والقلوب لاتباع هذا الدين الحنيف ، وفاءً ممّا له ، لا بدّ لنا من أن نسير على ضوء المنهج الذي رسمه والتعاليم التي أتى بها ، بل لا خيار لنا غير ذلك .

وأما الانقسامات الحادة التي انقسمت بها الأمة إلى طوائف وفرق وجماعات جرّاء الاختلاف في الفهم ومعرفة مستوى الدليل ، يمكن أن نحوّل ذلك إلى حالة إيجابية ، وذلك من خلال الحوار والكلمة الطيبة والأسلوب المتحضّر ، فإنّ اختلاف الآراء لا خطر فيه ، بل الخطورة تكمن في عدائيّة الاختلاف ، وما ينتج عنها من تكفير شريحة من المسلمين والافتراء عليهم وتشويه صورتهم بين المسلمين ، مما يخلق البغضاء والحواجز النفسيّة بين المسلمين ويصدّع وحدتهم .

إنّ توحيد المسلمين لا يقتضي انصهار المذاهب ، أو ذوبان بعضها ببعض الآخر ، ولا يعني إزالة الفوارق بينها ، فهذا مطلب بعيد المنال ، بل يقتضي الاعتراف بالآخر ضمن إطار الإسلام الجامع ، ولا يقتضي حجر الفكر عن معرفة الحقيقة ومجريات التاريخ . فالوحدة لا تكون بإلغاء الفوارق ، بل ببناء الإطار الجامع من عناصر الالتقاء ، وما أكثرها بين مذاهب الأمة الإسلامية ! وإنّ الجماعة التي لا يحتمل جمهورها بين أظهرهم أصحاب الرأي الآخر إنّما تعاني من خلل في البنية النفسيّة وهي بالتالي حاصدة للبوارج ، كما أنّ الفرد الذي يضيق صدره حرجاً من تحمّل الاطلاع على الرأي الآخر فإنّه فاقد للسويّة في بنيته النفسيّة والفكريّة .

وتأسيساً على ما تقدّم فلا بدّ لنا من فتح الصدر أمام المعرفة للاطلاع على الحقيقة والاستبصار بها ، وتبنيها عن قناعة وطيب نفس حيث يقول تعالى : ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١) .

وأهل البيت - موضوع البحث - عنوان مضيء في حياة الإنسانية وفي حركة التاريخ وحركة الواقع ، وموضوع معرفتهم من الموضوعات المهمة التي ينبغي للمسلمين التعرف عليه وتحديد الموقف إزاءه ، باعتباره يدخل في صميم عقيدة الأمة الإسلامية . أهل البيت عليهم السلام الذين نطق بهم الوحي المقدس ، ونزل بهم آي من القرآن الكريم ، وهم وصية نبينا محمد صلى الله عليه وآله ، ذكّرهم في أحاديث كثيرة ، وحديثه الموسوم بحديث الثقلين الذي تواتر نقله في كتب الفريقين ، داعياً الأمة الإسلامية إلى التمسك بهما والتزامهما وعدم التّقدم عليهما أو التأخر عنهما .

وموضوع معرفتهم بداية الطريق نحو الخير والصلاح في الدين والدنيا ، فقد روى أبو قدامة الفدائي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « مَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِمَعْرِفَةِ أَهْلِ بَيْتِي وَوَلَايَتِهِمْ فَقَدْ حَمَعَ اللهُ لَهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ »^(١) .

وأيضاً ، قد روى المقداد بن الأسود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « معرفة آل محمد براءة من النار ، وحب آل محمد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمد أمان من العذاب »^(٢) .

ولكن للأسف الشديد - وأقولها بمرارة - قد تعرّض تاريخهم لمزيد من التشويه والتحريف ، وتعرّضوا - أنفسهم - لمزيد من الظلم والاضطهاد والقتل بسبب مواقفهم المبدئية ، ودفاعهم عن الدين الحنيف ورسالة النبي صلى الله عليه وآله حتى استبيحت دماؤهم وسُلبت حقوقهم وجرى عليهم ما جرى .

إذن لابد لكل مسلم أن يعرف : مَنْ هم أهل البيت عليهم السلام ؟ وما هي حقوقهم على

(١) أمالي الشيخ الصدوق ، مسنداً : ٥٦٠/٧٥١/٩ ، المجلس الثاني والسبعون .

(٢) ينابيع المودة ، للقندوزي الحنفي ، مسنداً : ١٦/٧٧/١ . فرائد السمطين ، للجويني :

٥٢٥/٢٥٦/٢ . الصواعق المحرقة ، لابن حجر : ٦٦٣/٢ . جواهر العقدين ، للسهمودي :

٣٣٤ ، من دون إسناد . استجلاب ارتقاء الغرف ، للحافظ السخاوي : ١٥٣/٤٢٧/١ ،

من دون إسناد أيضاً .

الأمة الإسلامية؟ وماهي منزلتهم عند الله تعالى؟ وماهي المميزات والخصائص التي اختصوا بها دون سواهم؟ ولماذا كثرت عداوتهم؟ ولماذا واجهتهم السلطات الحاكمة آنذاك وأقصتهم عن المسرح السياسي، وحاولوا تهميش دورهم في المجتمع؟ ذلك ما ينبغي معرفته.

من هذه المنطلقات، كان هدفنا من البحث، الذي توخيت فيه توضيح نزر مما يحتاجه جيل الشباب الواعد، من المعرفة بأهل البيت عليهم السلام، لإثبات مرجعيتهم العلمية والسياسية، وسيكون البحث في هذا الجزء عن المعرفة في ضوء الكتاب، أملين من المولى القدير أن يوفقني لإكمال البحث عن معرفتهم في ضوء السنة المطهرة. وسيتسم البحث بالموضوعية التامة من أجل تثبيت الحقيقة، والدفاع عنها، وتبنيها عندئذ.

راجياً من الله تعالى التسديد والصواب، وهو تعالى من وراء القصد وهو ولي التوفيق.

وأستغفر الله تعالى الغفار لنفسي ولإخواني المؤمنين إنه هو الغفور الرحيم.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾^(١).

المؤلف



الفصل الأول

أهل البيت عليهم السلام
في المصطلح القرآني



الدين

ورد مصطلح (أهل البيت) في موارد كثيرة من أحاديث النبي الأكرم محمد ﷺ مشيراً فيه إلى جماعة معينة، لهم خصائص وصفات تميزوا بها عن غيرهم، ولهم منزلة عظيمة عند الله تعالى، ومقامات عالية، نالوا بها رضوانه عز وجل، فأوجب لهم حقوقاً كثيرة على الأمة، وبذا تكون مسؤولة عن أداء تلك الحقوق، فعليه لا بد من معرفتها، بل معرفتهم أولاً، كي لا نحيد عن خطهم وعمّا أوصى النبي ﷺ بشأنهم.

ولقد تعددت الآراء والنظريات - كما سنرى إن شاء الله تعالى - في تشخيص هويتهم ومعرفة شخوصهم فضلاً عن منزلتهم. فعلى هذا لا بد لنا من وضع النقاط على الحروف وإرشاد من أراد الرشاد وتعطش لمعرفة الحقيقة لتبنيها والدفاع عنها عندئذٍ.

ولقد أوضح الرسول الأكرم ﷺ وبصورة جلية لا تقبل الشك في مورد شأن نزول أي من القرآن الكريم بحقهم - كما نقله الصحابة عنه عليه الصلاة والسلام - امعاناً في تشخيصهم وتحديد هويتهم لتكون الأمة مسؤولة حينئذٍ عن اتباعهم والأخذ بتعاليمهم.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أخذ يكرّره ويشيره في مناسبات عديدة لتوعية الأمة على حبهم واتباع منهجهم، الذي هو منهجه بالذات.

ولكن - للأسف الشديد - رغم كل ذلك تصدّى جماعة لإبراز تفاسير ومعان ونظريات أخرى ، إمّا لتشويه الحقيقة وخذاع الأجيال بها ، وإمّا لقصور في الفهم ، أو رغبة في جرّ النار إلى قرصهم ، أو غيرها من الأسباب .

ولكي نعمّق البحث ، لا بدّ لنا من مراجعة المصادر اللغوية ، والمعاجم التخصّصية لخواص المفردات اللغوية ، ومراجعة القرآن الكريم ، وتبيان آراء المفسّرين والروايات الواردة عن النبي صلّى الله عليه وآله .

هذا ما سنتناوله بموضوعيّة في السطور التالية :

القسم الأول : ما معنى كلمة (أهل) ؟

أولاً: المعاجم اللغوية :

بحث أهل اللغة عن مفردة (الأهل) ، وأكدوا على أنّ الأصل فيه الأبناء والقراة والعشيرة . ومن المجاز (الأهل) للرجل زوجته .

وإليك كلمات بعضهم :

ما ورد في لسان العرب

قال ابن منظور: «الأهل : أهل الرجل وأهل الدار، أهل الرجل : عشيرته وذوو قرياه والجمع أهلون وفي الحديث : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته أي حَفَظَةَ القرآن العاملون به هم أولياء الله والمختصون به اختصاص أهل الإنسان وأهل المذهب من يدين به ، وأهل الرجل أخص الناس به .»

وأضاف ابن منظور: «وقالت طائفة : الآل والأهل واحد ، واحتجوا بأن الآل إذا صُغِرَ قِيلَ أَهَيْلٌ فَكَأَنَّ الهمزة هاء .»

وسئل الراوي عن قول النبي صلى الله عليه وآله : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ : مَنْ

آل مُحَمَّدٍ ؟ فقال : قال قائل : آله : أهله وأزواجه ، كأنه ذهب إلى أنّ الرجل تقول له :

ألك أهل ؟ فيقول : لا وإنما يعني أنه ليس له زوجة ، قال : وهذا معنى يحتمله

اللسان ، ولكنه معنى كلام لا يُعرف إلا أن يكون له سبب كلام يدل عليه ، وذلك أن

يقال للرجل : تزوّجت ؟ فيقول : ما تأهّلت ، فيُعرف بأوّل الكلام أنه أراد ما تزوجت ،

أو يقول الرجل : أجنبت من أهلي فيعرف أنّ الجنابة إنما تكون من الزوجة ، فأما أن

يبدأ الرجل فيقول أهلي ببلد كذا ، فأنا أزور أهلي ، وأنا كريم الأهل ، فإنما يذهب الناس في هذا إلى أهل البيت»^(١).

المصباح المنير

قال الفيومي : «الأهل : الأصل فيه القرابة وقد أُطلق على الأتباع . وأهل البلد من استوطنه وأهل العلم من اتصف به والجمع الأهلون»^(٢).

قاموس تاج العروس

قال الزبيدي : «الأهل : أهل الرجل : عشيرته وذوو قرياه ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾^(٣) وفي المثل : الأهل إلى الأهل أسرع من السيل إلى السهل ، والجمع أهلون» .

ثم قال : «ومن المجاز الأهل للرجل زوجته ويدخل فيه الأولاد»^(٤).

مجمع البحرين

قال : «أهل الرجل : آله وهم أشياعه وأتباعه وأهل ملته ، ثم كثر استعمال الأهل والآل حتى سُمي بها أهل بيت الرجل لأنه أكثر من يتبعه»^(٥).

هذا حال أهل اللغة ، وقد تبين مما تقدم أن لفظة (الأهل) تطلق على خاصة الرجل وذو قرياه . وعشيرته على نحو الحقيقة . ولا تطلق على الزوجة إلا بنحو من التجوز.

(١) لسان العرب : ٢٥٣/١ ، مادة (أهل) و : ٢٦٨/١ ، مادة (آل) .

(٢) المصباح المنير ، للفيومي : ١١ .

(٣) النساء : ٣٥ .

(٤) تاج العروس ، للزبيدي الحنفي : ٣٦/١٤ .

(٥) مجمع البحرين ، للشيخ الطريحي : ٩٤/١ .

ثانياً: القرآن الكريم

أمّا ما ورد من آيات شريفة في القرآن الكريم والتي تعرضت إلى ذكر (الأهل) فكثيرة جداً. وسوف نستعرض بعضاً من هذه الآيات الشريفة مع الإشارة إلى تفسير ما يحتاج إلى التفسير.

وإليك نماذج من هذه الآيات:

١- قال تعالى: ﴿ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبِرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾^(١).

الآية الشريفة قد بينت أن لوطاً عليه السلام قد أمر بالسير بأهله ليلاً، ولكن من هم أهله؟ هل زوجته من أهله؟ كلا، وإنما أهله بنتاه، وقد صرح المفسرون بذلك.

قال السدي: «لم يؤمن بلوط إلا ابنتاه»^(٢).

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره هذا الرأي أيضاً عن ابن عباس^(٣).

وكذلك الإمام البخاري حيث قال: «والأهل هم بنتاه، فلم يخرج من القرية إلا هو وبنتاه فقط»^(٤).

ومن الواضح أن زوجة لوط عليه السلام لم تكن معه، بل كانت من الخائنين له، ولم يستثنها القرآن الكريم في هذه الآية من الأهل؛ لأنها ليست من أهله. ومن العجب أن يذكر بعض المفسرين أن المراد من الأهل في الآية الأتباع، والحال أننا نعلم أنه لم يؤمن بلوط عليه السلام أحد من قومه، وقد صرح القرآن الكريم بذلك. حيث قال

(١) الحجر: ٦٥.

(٢) نقلاً عن مجمع البيان: ٢٤٠/٥.

(٣) انظر التفسير الكبير: م٧/١٤/١٧٨، مورد تفسير الآية ٨٣ / الأعراف.

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن: ٢٢٢/٦، مورد تفسير الآية ٨١ / هود.

تعالى : ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

والقصة التالية توضح هذا المطلب أيضاً:

الملائكة والحوار الإبراهيمي:

« قيل : إنه لما سمع إبراهيم عليه السلام قول الملائكة : ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ

الْقَرْيَةِ...﴾ الآية^(٢) - أي قوم لوط - فخطبهم قائلاً:

أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا .

قال : فأربعون؟ قالوا: لا .

قال : فعشرون؟ قالوا: لا .

قال : فعشرة؟ قالوا: لا .

قال : فخمسة؟ قالوا: لا .

قال : فواحد؟ قالوا: لا .

قال : إن فيها لوطاً؟ قالوا: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ...﴾ الآية^(٣).

أقول: إنما اقتصرْتُ في الشاهد بالآية الأولى ، لوضوحه فيها ، حيث لم تستثن

الزوجة من الأهل - كما اطلعت عليه - . نعم ، قد ذكرت زوجة لوط في آيات أخرى

مستثناة ، ولكن اختلف المفسرون في الاستثناء ، هل هو استثناء من الأهل؟ أم من

النهي؟ وهل هو متصل أم منقطع؟ فصل ذلك الفخر الرازي ، وقوي عنده احتمال

كون الاستثناء منقطعاً ، بمعنى أنها ليست مستثناة من الأهل^(٤) . ولكن الآية التي

(١) الذاريات : ٣٦ .

(٢) العنكبوت : ٣١ .

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن ، للإمام البخاري القنوجي : ٢١٦/٦ .

(٤) انظر تفسير الفخر الرازي : ٣٧/١٨/٦م ، مورد تفسير الآية ٨١ / هود .

ذكرناها شاهد قوي لما ذهبنا إليه .

٢- ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...﴾^(١) .

يتضح المعنى المراد من (الأهل) في الآية الشريفة من خلال الروايات التي ذكرها المفسرون من الفريقين في تفسيرهم لها. فيكون المعنى: وأمر يا محمد صلى الله عليه وآله أهل بيتك بالصلاة .

فقد روى أبو سعيد الخدري ، قال: «لما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب فاطمة وعلي عليه السلام تسعة أشهر عند كل صلاة فيقول: الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»^(٢) .

ورواه ابن عقدة بإسناده من طرق كثيرة عن أهل البيت وعن غيرهم مثل أبي برزة وأبي رافع^(٣) .

ويقول الفخر الرازي: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد نزول هذه الآية يذهب إلى فاطمة وعلي عليه السلام كل صباح ويقول: الصلاة، وكان يفعل ذلك شهراً»^(٤) .

وقد أورد السيوطي في التفسير، الرواية التالية: أخرج ابن مردويه وابن عساكر وابن النجار عن أبي سعيد الخدري قال: «لما نزلت الآية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ...﴾ كان النبي صلى الله عليه وآله يجيء إلى باب (علي) صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول: الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»^(٥) .

ونقل الشوكاني في تفسيره (فتح القدير) مثله، وأضاف: «وأخرج ابن مردويه

(١) طه: ١٣٢ .

(٢) الأحزاب: ٣٣ .

(٣) سياأتي بيانه مفصلاً، فلاحظ .

(٤) التفسير الكبير: ١١/٢٢/١٣٧ و ١٣٨ .

(٥) الدر المنثور: ٥٣٨/٥ .

عن أبي الحمراء مثله»^(١).

نعم ، أورد السيوطي أيضاً : « أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ... ﴾ قال : قومك »^(٢).

ولكن هذا الرأي ضعيف ؛ إذ ليس فيه شاهد من فعل النبي صلى الله عليه وآله ، كما هو الحال في الروايات السابقة ، ومع ذلك ، فلم يرد من بين الآراء كون المراد من الأهل هنا هو الأزواج ، فلاحظ .

٣ - قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾^(٣).

النبي إسماعيل عليه السلام كان يأمر قومه وعترته وعشيرته بالصلاة . وقد ذكر هذا المعنى أبو حيان الأندلسي عن الحسن ، فقال ما نصّه : « قال الحسن : أهله : قومه وأُمَّته ، وفي مصحف عبدالله - أي ابن مسعود - وكان يأمر قومه »^(٤).

والى هذا المعنى ذهب الثعلبي أيضاً ، فقال : « يعني قومه ، وكذلك هو في حرف ابن مسعود »^(٥).

والى هذا المعنى أشار الشوكاني أيضاً^(٦).

٤ - قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا

(١) فتح القدير : ١٧٢٢/٤٨٣/٣ .

(٢) الدر المنثور : ٥٣٨/٥ .

(٣) مريم : ٥٥ .

(٤) تفسير البحر المحيط : ٢٧٥/٧ .

(٥) تفسير الكشف والبيان : ٢١٩/٦ .

(٦) فتح القدير : ٤١٣/٣ .

مِّنْ أَهْلِهَا... ﴿١﴾ .

يمكن اعتبار هذه الآية الشريفة كالقول الفصل فيما نحن فيه ؛ إذ لا مجال لدخول الزوجة ضمن مفردة (أهل) بالنسبة للزوج ، والرواية التالية تؤكد هذا المعنى :
قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : « أمر الله عز وجل أن يبعثوا رجلاً صالحاً من أهل الرجل ، ورجلاً مثله من أهل المرأة... الرواية » (٢) .

٥- قوله تعالى : ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي﴾ (٣) .

هذه الآية واضحة المعنى ، وهي مفسّرة بالآية اللاحقة لها ؛ إذ موسى عليه السلام طلب من الباري تعالى أن يجعل له وزيراً من أهله - أي من عترته - وهو هارون عليه السلام (٤) .
إلى غيرها من الآيات القرآنية الكثيرة التي ذكرت كلمة (الأهل) والتي لا تحتاج إلى مزيد بيان وتفسير ، وقد تبين أنه ليس المقصود منها سوى الأبناء والعترة والعشيرة وما في هذا المعنى .

نعم ، قد وردت آيات في القرآن الكريم وبمضمون واحد تحكي كلام موسى عليه السلام وقد ذكرت عبارة (الأهل) وأريد بها (الزوجة) ، وهذا من الاستعمال المجازي وهو كثير في القرآن الكريم . وقد أشار جملة من المفسّرين إلى هذا التحو من الاستعمال . وهذا ما سيتوضّح لنا من خلال الآية الشريفة والتفاسير التي وردت بشأنها ، قوله تعالى :

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ ناراً﴾ (٥) .

(١) النساء : ٣٥ .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : ٥٢٨٣/٩٤٥/٣ . تفسير ابن كثير : ٢٥٩/٢ .

(٣) طه : ٢٩ و ٣٠ .

(٤) انظر : تفسير الكشف والبيان : ٢٤٣/٦ . معالم التنزيل ، للبغوي : ٨/٤ .

(٥) النمل : ٧ .

﴿إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا...﴾^(١).

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً...﴾^(٢).

يتبين من خلال الآيات الشريفة أعلاه أنّ المراد من (الأهل) هو الزوجة فقط حيث لم يكن مع موسى عليه السلام سوى زوجته بنت شعيب عليها السلام - على رأي - ولكن هذا من الاستعمال المجازي وليس على نحو الحقيقة ، والآيات الكريمة التي أخبرت عن قصة موسى عليه السلام تمثل قرينة صارفة لمفردة (الأهل) عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي ، وهي جليّة وواضحة .

وقد أشار إلى هذا المعنى البخاري في تفسيره : «المراد بأهله امرأته في مسيره من مدين إلى مصر وكان في ليلة مظلمة باردة مثلجة وقد ضلّ الطريق وأخذ زوجه الطلق ، والحامل له على هذا السفر أن يجتمع بأُمّه وأخيه بمصر ، ولم يكن معه إذ ذاك إلا زوجته بنت شعيب عليها السلام فكُنّي عنها بلفظ الأهل ، الدال على الكثرة للتعظيم»^(٣) .

وقد ذكر نحو هذا الفخر الرازي في تفسيره حيث جاء فيه : «أمّا قوله : ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾ فيدلّ على أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته ابنة شعيب عليها السلام ، وقد كُنّي الله تعالى عنها بالأهل»^(٤) .

وقد ذهب الزمخشري إلى هذا المعنى أيضاً ، فقال ما نصّه : «روي أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كُنّي عنها بالأهل ، فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع ، وهو قوله : ﴿امْكُثُوا﴾»^(٥) .

(١) طه : ١٠ .

(٢) القصص : ٢٩ .

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن : ١٠/١٢ .

(٤) التفسير الكبير : م١٢/٢٤/١٨٢ .

(٥) الكشاف ، للزمخشري : ٣/٣٣٨ .

بعد هذا الاستعراض الموجز لآراء المفسرين ، تبين لنا أن لفظ (الأهل) قد يستعمل ويراد به (الزوجة) ، ولكن لا على نحو الحقيقة ، بل على نحو الكناية^(١) والمجاز ، أي بمعنى أنه من الاستعمالات المجازية وهو كثير في لغة العرب .
 أمّا استعمال لفظ (الزوجة) في المعنى الحقيقي وفيما وضع له اللفظ فقد كثرت الآيات الكريمة في ذكره . ولكي نستجلي الأمر وضوحاً نستعرض جملة من الآيات الشريفة التي نصّت على ذلك :

قوله تعالى : ﴿... يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾^(٢) .

﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ...﴾^(٣) .

﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾^(٤) .

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾^(٥) .

﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً...﴾^(٦) .

⇒ ملاحظة : ومن الجدير بالذكر أن الكناية مجاز عند الزمخشري كما أشار صاحب البرهان بقوله : «... وفيه تصريح بأن الكناية مجاز» . انظر : البرهان للزركشي : ٤٢٠/٢ ، وقد صرح الشيخ عبد القاهر الجرجاني في «الدلائل» بأن الكناية لا بد لها من قرينة ، انتهى . البرهان : ٤٢٠/٢ .

(١) الكناية عن الشيء : «الدلالة عليه من غير تصريح باسمه . وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه ، فيدلُّ على المراد من طريق أولى» . انظر البرهان في علوم القرآن ، للزركشي : ٤١٢/٢ .

(٢) البقرة : ٣٥ .

(٣) طه : ١١٧ .

(٤) البقرة : ١٠٢ .

(٥) التحريم : ١ .

(٦) التحريم : ٢ .

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًّا لِأَزْوَاجِكَ...﴾^(١).

إلى آخره من الآيات الشريفة والكثيرة التي استعملت لفظ (الزوجة) في المعنى الحقيقي الموضوع له. هذا ماورد في الكتاب العزيز في (الأهل).

خلاصة البحث:

فتلخص من كل ما تقدم: إن معنى كلمة (أهل): الأصل فيه الأبناء والقرابة والعشيرة، ومن المجاز (الأهل) للرجل زوجته، بمعنى أنه قد تستعمل كلمة (الأهل) ويراد بها الزوجة ولكن لا على نحو الحقيقة، بل على نحو المجاز، وحينئذ لا بد من نصب قرينة إما حالية أو مقالية على إرادة المعنى المجازي.

وقد تبين من خلال استعراض الآيات الشريفة أيضاً أن القرآن لم يستعمل كلمة (الأهل) بمعنى الزوجة إلا على نحو المجاز والكناية، لا على نحو الحقيقة، وقد وقفت على آراء المفسرين المتقدمة.

ومن هنا يصل بنا المقام إلى السؤال التالي: هل ورد في الكتاب العزيز مصطلح (أهل البيت)؟

القسم الثاني

ورد مصطلح (أهل البيت) في القرآن الكريم في موردين وهما:

المورد الأول: قوله تعالى: ﴿... أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾^(١).

الآية الشريفة تحكي قصة إبراهيم عليه السلام حينما تعجبت زوجته من بشارة الملائكة لها بإسحاق عليه السلام ومن وراء إسحاق يعقوب عليه السلام، فقالت الملائكة لها: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ...﴾ الآية، فهل اعتبرت زوجة إبراهيم عليه السلام من جملة أهل البيت؟

لكي نتبين الرأي السديد، لابد لنا من فهم مفردات الآية، واستعراض آراء المفسرين، كي يتجلى الأمر بوضوح.

معنى الرّحمة والبركة والبيت

ما معنى (الرّحمة)؟ وما معنى (البركة)؟ وما معنى (البيت)؟ هذه المفردات يمكن إدراك معانيها من خلال آراء المفسرين والتفاسير اللغوية للقرآن الكريم، فقد تبين لنا أنّ المقصود من الرّحمة هو النّبوة، والمقصود من البركات، هم الأسباب من بني إسرائيل؛ لأنّ الأنبياء منهم، وكلّهم من ولد إبراهيم عليه السلام، والمراد من البيت، هو بيت خليل الرحمن^(٢) لا بيت السكنى، وعلى هذا فيكون تفسير الآية كما يلي:

(١) هود: ٧٣.

(٢) انظر تفسير الكشاف: ٣٩٦/٢، وذهب إلى هذا الرأي أيضاً القاسمي في محاسن التأويل:

﴿أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...﴾ الآية ، إنّ الملائكة تعجبوا من تعجبها فهو استفهام استنكاري ، ثمّ قالوا لها : ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ...﴾ الآية ، والمقصود من هذا الكلام ، ذكر ما يزيل ذلك التعجب ، وتقديره حسبما ذكره الفخر الرازي ما يلي :

« إنّ رحمة الله عليكم متكاثرة وبركاته لديكم متوالية متعاقبة ، وهي النبوة والمعجزات القاهرة - النجاة من نار نمرود - والتوفيق للخيرات العظيمة ، فإذا رأيت أنّ الله تعالى خرق العادات في تخصيصكم بهذه الكرامات العالية الرفيعة وفي إظهار خوارق العادات وإحداث البيّنات والمعجزات ، فكيف يليق به التعجب ؟ » .

وأضاف الفخر الرازي قائلاً : « فإذا كان من المعلوم أنّه تعالى قادر على الكل وأنه حميد مجيد ، فكيف يبقى هذا التعجب في نفس الأمر ؟ فثبت أنّ المقصود من ذكر هذه الكلمات إزالة التعجب »^(١) .

ويقول المراغي في تفسير الآية الشريفة : « رحمة الله وبركاته الكثيرة عليكم يا أهل بيت النبوة تُتوارث في نسلكم إلى يوم القيامة . وما تلك بأول آية إبراهيم ، فقد نجّاه من نار قومه الظالمين وآواه إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين »^(٢) .

ويقول محمّد رشيد رضا في تفسير الآية الشريفة : « ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ...﴾ جملة دعائية استجيبت ، فمعناه الذي فسّره الزمان إلى الآن : رحمة الله الخاصّة وبركاته الكثيرة الواسعة عليكم يا معشر أهل بيت النبوة والرسالة ، تتصل وتتسلسل في نسلكم وذريبتكم إلى يوم القيامة . فلا محلّ للعجب أن يكون من آياته تعالى أن يهب رسوله وخليله الولد منكما في كبركما وشيخوختكما ، فما هي بأول آياته له وقد نجّاه من نار قومه الظالمين وآواه إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين . وهذه الرّحمة والبركات والسّلام عليهم إرث أو تجديد لما هبط به نوح من السّلام والبركات عليه

(١) التفسير الكبير : م/٩٨/٢٩ .

(٢) تفسير المراغي : ٣٣٥/٤ .

وعلى أمم مَمَّن معه .» .

ثم يضيف قائلاً: «ومن هذه الآية أخذ النبي صلى الله عليه وآله دعاء الصلاة الذي أمر به أمته عقب التشهد الأخير من الصلاة»^(١) .

وفي هذا الصدد أيضاً: فقد ذكر ابن كثير في تفسيره للآية الشريفة ، الرواية التالية :

ثبت في الصحيحين : «أنهم قالوا: قد علمنا السلام عليكم فكيف الصلاة عليك يا رسول الله؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(٢) .

زاكن الإمام أحمد بن حنبل نقل نفس مضمون الرواية بدون ذكر (آل إبراهيم) فقد جاء في مروياته في التفسير: قال: حدّثنا عبد الله ، حدّثني أبي ، ثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة: «أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله ، قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال صلى الله عليه وآله: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»^(٣) .

من خلال ما تقدّم يمكن القول بأن الآية الشريفة لا دلالة فيها على كون زوجة

(١) تفسير المنار: ١٠٦/١٢ و ١٠٧ .

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٨٩/٤ ، وقد أخرجه الإمام البخاري في الأنبياء ، باب ١٠ ، والإمام مسلم في الصلاة: الحديث ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ .

(٣) مرويات الإمام أحمد في التفسير: ٣٨٩/٢ ، الحديث ٧٤١ . والمسند ٢٤١/٤ ، وأخرجه أيضاً من طريق ابن أبي ليلى به نحوه (المسند: ٢٤٣/٤ ، ٢٤٤) ، وأخرج نحوه عن أبي مسعود (المسند: ١١٨/٤) .

الرجل من أهل بيته ؛ إذ لم تكن زوجة إبراهيم مقصودة بالمعجزات والآيات الإبراهيمية بالذات ، وإنما مقصودة بالعرض ، حيث أبلغتها الملائكة بالرحمات والآيات التي مُنح بها إبراهيم وآل بيته من ذريته .

خصوصاً إذا فسّرنا (الرحمة) بالنبوة و (البركات) بالأسباط ، فيكون المقصود أوضح حينئذٍ .

ويؤيد المعنى المتقدم ما قاله الجبائي على ما نقل عنه الطبرسي في تفسيره حيث جاء فيه : « إنما جعلت سارة من أهل بيته لأنها كانت ابنة عمه ، ولا دلالة في الآية على أنّ زوجة الرجل من أهل بيته على ما قاله الجبائي .

وروي : « أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام مرّ بقوم فسلم عليهم ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت عليهم السلام ومغفرته ورضوانه .

فقال الإمام عليه السلام لهم : لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم عليه السلام رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت عليهم السلام » ^(١) .

يتبيّن من خلال الرواية أنّ الملائكة خاطبت أبانا إبراهيم عليه السلام ومفردات الخطاب من الرحمة والبركات تخصّه ، ولكن بما أنّ زوجة إبراهيم عليه السلام وقعت مورداً للخطاب فيمكن أن يورد الشبهة في الذهن بأنّ إطلاق عبارة أهل البيت تشمل الزوجة .

كلا ، بل هذا لا يصلح دليلاً على أنّ مصطلح (أهل البيت) موضوع لما يعمّ الزوجة ، بحيث يتبادر إلى الذهن بمجرد سماع هذه العبارة من دون قرينة تدلّ عليها .

نعم ، يمكن القول بأن الآية الشريفة الأنفة - حينما وجّهت الخطاب لزوجة إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ - تصلح أن تكون قرينة على

دخول زوجة إبراهيم عليه السلام في المراد من عبارة (أهل البيت) ، وهذا لا يعني أن مصطلح (أهل البيت) تدخل فيه الزوجة ، وإنما دخلت فيه تجوزاً ، لوجود القرينة الدالة عليه ، ويلحظ أن مفردة (الأهل) غير موضوعة للزوجة على نحو الحقيقة - كما تقدّم -. نعم ، لا يمنع من استعمال مفردة (الأهل) في الزوجة مجازاً ، بعد نصب قرينة مقالية أو حالية تدلّ على ذلك .

المورد الثاني : قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ^(١) .

ما المراد من مصطلح (أهل البيت) الوارد في الآية الشريفة ؟
هل المراد به جماعة معينة لهم مواصفات محدّدة وخصائص معينة امتازوا بها عن الآخرين ؟

أم المراد منه عشيرة النبي صلى الله عليه وآله فقط ؟

أم يشملهم ويعمّ أمّهات المؤمنين أيضاً ؟

أم يختصّ بأمّهات المؤمنين فقط ؟

هذه آراء متعددة لا بدّ من ذكرها ومناقشتها .

وهذا ما سنتناوله تفصيلاً في هذا الفصل وفي الفصول اللاحقة - إن شاء الله - فنقول : بعد أن تعرّفنا على المعنى اللغوي لكلمة (أهل) ، فهل لمصطلح (أهل البيت عليهم السلام) من معنى اختصاصي ؟ وهل تعيّن المعنى الاختصاصي فصار حقيقة فيه ؟

نعم ، قد تحقّق ذلك فعلاً نتيجة كثرة الروايات التي نقلها الصحابة وأمّهات المؤمنين عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مراراً وتكراراً ، حيث بيّن صلوات الله وسلامه عليه

مَنْ هُمْ (أهل البيت عليهم السلام) .

فكأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن ينقل الأذهان إلى معنى متعين يكون حقيقة فيه ، بحيث لا يتبادر إلى الذهن عند سماع مصطلح (أهل البيت عليهم السلام) إلا ذلك المعنى الذي حدّده صلوات الله وسلامه عليه ، على غرار كلمة (الصلاة) حيث تمّ نقلها من معنى إلى معنى آخر صار حقيقة فيه يغير المعنى السابق أو أخص منه .

فنقول : إنّ المقصود من مصطلح (أهل البيت) و (أهل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هم عليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين ابناهما والأئمة التسعة من بعد الحسين عليهم سلام الله تعالى ، وهذا مراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كيف ؟

وذلك من خلال ما سنتعرف على جملة من الروايات التي وردت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تبيان شأن النُّزول للآية الشريفة الموسومة بآية التطهير وهي : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، وروايات أخرى تتعلق بالمقام أيضاً ؛ إذ كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصاً على تحديد وتشخيص عنوان (أهل البيت عليهم السلام) الذين نزل فيهم قرآن من الله عزّ وجلّ ، مانعاً عن استعمال هذا العنوان في غير أهله ، ومن إدخال من ليس منهم معهم ، فكان يشخصهم بأسمائهم ، كما ورد ذلك في روايات كثيرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد أوردها العلامة السيّد الأبطحي في كتابه ، فنقلها عن أكثر من خمسين صحابياً^(١) ، بل ذهب العلامة المحقّق السيد الطباطبائي إلى أكثر من ذلك فجاء في تفسيره ما نصّه : « وماورد في أسباب النُّزول أنّ الآية الشريفة نزلت في النبيّ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين خاصّة لا يشاركهم فيها غيرهم وهي روايات جمّة تزيد على سبعين حديثاً . يربو ما ورد منها من طرق أهل السنة على ما ورد منها من طرق الشيعة ، فقد رواها أهل السُّنّة بطرق كثيرة عن : أمّ سلمة ، وعائشة ، وأبي سعيد الخدري ، وسعد ، ووائلة بن الأسقع ،

(١) انظر آية التطهير في أحاديث الفريقين .

وأبي الحمراء ، وابن عباس ، وثوبان مولى النبي صلى الله عليه وآله ، وعبد الله بن جعفر ، وعليّ ، والحسن بن عليّ ، في قريب من أربعين طريقاً .

وروتها الشيعة عن : عليّ ، والسجاد ، والباقر ، والصادق ، والرضا ، وأمّ سلمة ، وأبي ذر ، وأبي ليلى ، وأبي الأسود الدؤلي ، وعمر بن ميمون الاودي ، وسعد بن أبي وقاص ، في بضع وثلاثين طريقاً^(١) .

ولكي نتعرّف على حقيقة هذا المعنى ، لا بدّ لنا من استعراض بعض من هذه الروايات ، والتي وردت في كتب الفريقين .

المجموعة الأولى : الروايات التي وردت من طرق السنّة :

نبدأ بالروايات التي وردت من طرق السنّة وهي كثيرة ، ولكننا نستعرض قسماً منها ، كما يلي :

١ - أخرج الإمام مسلم في صحيحه : عن أمّ المؤمنين عائشة ، قال : حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمّد بن عبدالله بن نمير - واللفظ لأبي بكر - قالوا : حدّثنا بن بشر ، عن زكريا ، عن مصعب بن شيبة ، عن صفية بنت شيبة ، قالت : « قالت عائشة : خرج النبي صلى الله عليه وآله غداً وعليه مِرْطٌ مَرَحَلٌ^(٢) من شعر أسود فجاء الحسن بن عليّ فأدخله ، ثمّ جاء الحسين فدخل معه ، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ، ثمّ جاء عليّ فأدخله .

ثمّ قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(٣) .

(١) الميزان في تفسير القرآن : ٣١١/١٦ .

(٢) مرط مرحل : المرط : كساء ، جمعه مروط . والمرحل : هو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل . عن ملخص شرح النووي .

(٣) صحيح مسلم ، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله : ٤/١٨٨٣/٢٤٢٤ .

٢ - أخرج الحاكم في المستدرك: عن عبدالله بن جعفر، قال: حدّثني

أبو الحسن إسماعيل بن محمّد بن الفضل بن محمّد الشعراني، ثنا جدّي أبو بكر بن أبي شيبة الحزامي، ثنا محمّد بن إسماعيل بن أبي فديك، حدّثني عبدالرحمن بن أبي بكر المليكي، عن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر الطيار، عن أبيه، قال: «لَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الرَّحْمَةِ هَابِطَةً قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ادعوا لي ادعوا لي.

فَقَالَتْ صَفِيَّةُ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَقَالَ: أَهْلُ بَيْتِي عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، فَجِيءَ بِهِمْ فَأَلْقَى عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسَاءَهُ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ آلِي فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد صحت الرواية على شرط الشيخين أنه علمهم الصّلاة على أهل بيته كما علمهم الصّلاة على آله»^(١).

٣ - أخرج الإمام أحمد في مسنده: حدّثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا عبدالله

ابن نمير، قال: حدّثنا عبد الملك - يعني ابن أبي سليمان - عن عطاء بن أبي رباح، قال: «حدّثني من سمع أمّ سلمة (رض) تذكر: أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في بيتها فأتته فاطمة عليها السلام ببرمة فيها خزيرة^(٢) فدخلت بها عليه فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها: ادعي زوجك وابنيك.

قالت: فجاء عليّ والحسن والحسين رضي الله عنهم فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له، وكان تحته كساء خيبري.

قالت: وأنا أصلي في الحجرة فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري: ٤٧٠٩/١٥٩/٣.

(٢) الخزيرة: نوع من الطعام.

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿١﴾ .

قالت رضي الله عنها: فأخذ النبي صلى الله عليه وآله فضل الكساء فغشاهم به ، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

قالت : فأدخلت رأسي البيت فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله : إنك إلى خير إنك إلى خير .

وأضاف الإمام أحمد : « قال عبد الملك وحدثني أبو ليلى ، عن أم سلمة مثل حديث عطاء سواء . قال عبد الملك وحدثني داود بن أبي عوف الجحاف ، عن حوشب ، عن أم سلمة بمثله سواء » (٢) .

٤ - وأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره : حدثنا ابن حميد ، حدثنا

عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن حكيم بن سعد ، قال : « ذكرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند أم سلمة رضي الله عنها فقالت : في بيتي نزلت آية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

فقالت أم سلمة : جاء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيتي فقال : لا تأذني لأحدٍ ، فجاءت فاطمة رضي الله عنها فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسن رضي الله عنه فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جدّه وأمه ، ثم جاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه عن جدّه وأمه ، ثم جاء علي رضي الله عنه فلم أستطع أن أحجبه ، فاجتمعوا ، فجللهم رسول الله صلى الله عليه وآله بكساء كان عليه ثم قال : هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط .

قالت : فقلت : يا رسول الله وأنا ؟

(١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٩٢/٦ ، مطبعة دار الفكر ، وأورده ابن كثير في تفسيره : ٣٦٦/٦ .

قالت: فوالله ما أنعم، وقال: إنك إلى خير»^(١).

٥- أخرج الحاكم الحسكاني في الشواهد: أخبرنا محمد بن علي بن محمد،

قال: أخبرنا محمد بن الفضل بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الملك الأسفاطي، قال: حدثني أبوبكر ابن شيبه الحزامي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن موسى بن يعقوب، عن ابن أبي مليكة [من رجال الصحاح الست]: عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيار عن أبيه، قال: «لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرّحمة هابطة قال: ادعوا لي ادعوا لي».

فقالت زينب [صفيّه خ]: من يا رسول الله؟

قال: علي وفاطمة والحسن والحسين، فجاءهم فألقى عليهم النبي صلى الله عليه وآله كساءً له، ثم رفع يده فقال: اللهم إن هؤلاء آلي فصل على محمد وعلى آل محمد، وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢).

٦- أورد محمد بن علي الشوكاني في تفسيره: أخرج الترمذي وصحّحه،

وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي في سننه من طرق: عن أم سلمة، قالت: «في بيتي نزلت الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجلّ لهم رسول الله بكساء كان عليه، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله... الخ» الحديث.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه،

(١) تفسير الطبري: ١٠٧/١٩، وأورده ابن كثير في تفسيره: ٣٦٧/٦.

(٢) شواهد التنزيل: ٦٧٥/٥٤/٢. وقال محمد بن إسحاق: «أظنه عبدالرحمن بن أبي بكر المليكي، وفيه نظر».

أقول: ولعله المراد به عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة، فقد روى عن عبدالله بن جعفر الطيار، وهو من رجال البخاري. انظر تهذيب التهذيب، لابن حجر: ٥٢٣/٢٦٨/٥.

عن أم سلمة أيضاً .

وقد ذكر ابن كثير لحديث أم سلمة طرقاً كثيرة في مسند أحمد وغيره بلغت أكثر من خمسة عشر طريقاً .

وأخرج ابن مردويه والخطيب من حديث أبي سعيد الخدري نحوه ، وأخرج الترمذي وابن جرير والطبراني وابن مردويه ، عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله قال : « لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ... آيَةَ ﴾ » ، وذكر نحو حديث أم سلمة .

وأخرج بن أبي شيبه وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة قالت : « خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرْجُلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ ، فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنَ فَأَدْخَلَهُمَا مَعَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ ... الخ » الحديث ^(١) .

٧- أخرج الترمذي في سننه : بإسناده عن عطاء بن أبي رباح ، عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله ، قال : « نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِي بَيْتِ أُمِّ سَلْمَةَ ، فَدَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا وَعَلِيَّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً » .

قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟

قال : أنت على مكانك وأنت إلى خير .

وأضاف الترمذي : « وفي الباب عن أم سلمة ، ومعقل بن يسار ، وأبي الحمراء ، وأنس بن مالك » ^(٢) .

(١) فتح القدير ، للشوكاني : ٣٣٧/٤ ، انظر الأحاديث تحت الأرقام ٢١٠٩ - ٢١١٧ .

(٢) سنن الترمذي : ٣٧٨٧/١٢٥/٦ . راجع تاريخ مدينة دمشق - ترجمة الإمام الحسين ،

لابن عساكر : ١٣٧/١٤ - ١٤٨ .

٨- أخرج الحسكاني في شواهد التنزيل: أخبرنا أبو يحيى الحيكاني ، أخبرنا

يوسف بن أحمد الصيدلاني بمكة ، أخبرنا أبو جعفر العقيلي الحافظ ، أخبرنا يحيى بن عثمان ، أخبرنا نعيم بن حماد ، أخبرنا الفضل بن موسى السيناني ، قال : حدثنا عمران بن مسلم ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري في قول الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...الآية ﴾ ، قال : « جمع رسول الله علياً وفاطمة والحسن والحسين ، ثم أدار عليهم الكساء فقال : هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » (١).

٩- أخرج الكنجي الشافعي في كفاية الطالب: بإسناده عن عمر بن أبي

سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله ، قال : « لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ في بيت أم سلمة ، فدعا النبي صلى الله عليه وآله فاطمة وحسناً وحسيناً فجلبهم بكساء ، وعليّ خلف ظهره ، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

قالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟

قال صلى الله عليه وآله : أنت على مكانك أنت في خير » (٢).

١٠- أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق: أخبرناه عالياً أبو الحصين

القاسم بن الحصين ، أنا أبو طالب بن غيلان ، أنا أبو بكر الشافعي ، نا إسحاق بن

(١) شواهد التنزيل ، للحاكم الحسكاني : ٦٥٧/٣٧/٢ .

(٢) كفاية الطالب ، للحافظ الكنجي الشافعي : ٣٧١ - ٣٧٣ ، يقول : « هكذا أخرجه الترمذي في جامعه ، والطبراني في معجمه الأكبر ، وأخرجه الإمام أحمد في مناقب علي عليه السلام ولنا به أصل » .

ويضيف فيه : « قالت أم سلمة رضي الله عنها : فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من

يدي وقال صلى الله عليه وآله : إنك على خير » .

ثم يقول : « وناهيك به مخرجاً وراوياً وهو صحيح ، أخرجه مسلم » .

الحسين بن ميمون الحربي ، حدّثنا أبو غسان ، حدّثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن أمّ سلمة ، قالت : « نزلت هذه الآية في بيتي ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ... الآية ﴾ قلت : يا رسول الله ، أأنت من أهل البيت عليهم السلام ؟

قال : أنت إلى خير إنك من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله .

قالت : وأهل البيت : رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (١) .

والرواية الأخيرة تدلّ دلالة واضحة على أنّ الزوجة ليست من أهل البيت ؛ إذ يفصح النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك الأمر ، ويخاطب أمّ سلمة بكونها من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وليست من أهل البيت .

هذا غيض من فيض من الروايات التي وردت عن طريق أهل السنّة (٢) .

المجموعة الثانية : الروايات التي وردت من طرق أهل البيت عليهم السلام :

أمّا الروايات التي وردت من طرق أهل البيت عليهم السلام فنوجزها بما يلي :

١١ - ما روي عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : أخرج الحاكم الحسكاني :

أخبرونا عن أبي الحسين محمّد بن عثمان القاضي ، قال : حدّثنا أبو بكر محمّد بن الحسن بن صالح السبيعي بحلب ، أخبرنا إسماعيل بن محمّد المزني ، أخبرنا سعد بن عثمان ، أخبرنا عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ عليه السلام ، قال : « جمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أمّ سلمة أنا وفاطمة وحسناً وحسيناً ، ثمّ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله في كساء له وأدخلنا معه ، ثمّ ضمّنا ، ثمّ قال : اللّهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً .

فقلت أمّ سلمة : يا رسول الله ، فأنا ، ودنت منه .

(١) تاريخ دمشق - ترجمة الإمام الحسن : ٢٠٦/١٣ ، انظر الصفحات ٢٠٢ - ٢٠٧ .

(٢) لاحظ الملحق رقم (١) في نهاية الكتاب تجد الكثير من مصادر الرواية .

فقال: أنت فمن أنت منه ، وأنت على خير ، أعادها رسول الله ثلاثاً يصنع ذلك»^(١).

١٢ - ما روي عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها: «أنها زارت النبي صلى الله عليه وآله فبسط

ثوباً فأجلسها عليه ، ثم جاء ابنها الحسن فأجلسه^(٢) ، ثم جاء عليّ فأجلسه معهم ، ثم ضم الثوب عليهم ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي وأنا منهم ، اللهم ارض عنهم كما أنا عنهم راضٍ»^(٣).

١٣ - ما روي عن الإمام الحسن عليه السلام : أخبرنا محمد بن إسماعيل بن الحسن

العلوي ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عثمان الملقب بابن السقاء ، أخبرنا عليّ بن عباس ، أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسين ، أخبرنا حسن بن الحسين ، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد عن أبيه ، عن أبي اليقظان ، عن زاذان ، عن الحسن بن علي عليه السلام قال : «لما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله في كساء لأم سلمة خيبري ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(٤).

١٤ - ما روي عن الإمام الحسين عليه السلام : عن عيسى بن موسى الهاشمي ، عن

أبيه ، عن جدّه ، عن آبائه ، عن الإمام الحسين عليه السلام ، عن أبيه عليه السلام ، قال : «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة وقد نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ...﴾ الآية .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عليّ ، هذه الآية نزلت فيك ، وفي سبطي ، والأئمة من

ولدك»^(٥).

(١) الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل : ٦٧٢/٥٢/٢ .

(٢) هكذا ورد النص ، ولعلّه سقط اسم الإمام الحسين عليه السلام من الرواية عند التصحيف ، فلاحظ .

(٣) إحقاق الحق ، للقاضي التستري : ٢٠٦/٩ . وقريب منه في ينابيع المودة : ٣٢١/١ ، لاحظ

الحديث ٤ ، ٥ ، ٨ ، وقريب منه في مجمع الزوائد ، للهيثمي : ١٤٩٧٠/٢٦٢/٩ .

(٤) المناقب ، لابن المغازلي الشافعي : ١٨٨ ، الحديث ٣٤٦ . شواهد التنزيل : ٦٤٩/٣٠/٢

رواه الحاكم بإسناد آخر .

(٥) كفاية الأثر ، لعليّ بن محمد الرازي : ١٥٦ .

١٥ - ما روي عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام : علي بن الحسين عليهما السلام ،

عن أم سلمة ، قالت : « نزلت هذه الآية (آية التطهير) في بيتي وفي يومي ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله عندي فدعا علياً وفاطمة والحسن والحسين ، وجاء جبرئيل فمدّ عليهم كساءً فديكياً ، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله : اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

قال جبرئيل : وأنا منكم يا محمد ؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله : وأنت منا يا جبرئيل .

قالت أم سلمة : فقلت : يا رسول الله ، وأنا من أهل بيتك ، فجئت لأدخل معهم .

فقال صلى الله عليه وآله : كوني مكانك يا أم سلمة إنك إلى خير أنت من أزواج النبي .

فقال جبرئيل : اقرأ يا محمد صلى الله عليه وآله إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً^(١) .

١٦ - ما روي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام : عن أبي الجارود ،

عن أبي جعفر الباقر عليهما السلام في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ... ﴾ قال : « نزلت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في بيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ، دعا رسول الله أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين فألبسهم كساءً له خبيرياً ودخل معهم فيه .

ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين وعدتني فيهم ما وعدتني اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

فقالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟

(١) الأمالي ، للشيخ الطوسي : ٧٨٣/٣٦٨ مسنداً .

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «أبشري يا أم سلمة إنك إلى خير... الخ» الحديث (١).

١٧ - ما روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: عن أبي بصير، عن

أبي عبد الله، في حديث طويل...: «لو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يبين من أهل بيته لادعاهما آل فلان وآل فلان، ولكن الله عز وجل أنزل في كتابه تصديقاً لنبيه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، فكان علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الكساء وفي بيت أم سلمة، ثم قال: اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلًا وَثِقْلًا وَهُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَثِقَلِي.

فقلت أم سلمة: ألسنت من أهلك؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «إنك على خير ولكن هؤلاء أهلي وثقلي... الخ» الحديث (٢).

١٨ - ما روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: الريان بن الصلت:

«حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرور وقد اجتمع في مجلسه جماعة من أهل العراق وخراسان إلى أن قال: فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟

فقال الإمام الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنيهما لن يفترقا حتى يرادا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما. أيها الناس، لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة؟ أهم الآل أم غير الآل؟

فقال الإمام الرضا عليه السلام: هم الآل.

فقلت العلماء: فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يؤثر عنه أنه قال: أمتي آلي، وهؤلاء أصحابه

(١) تفسير القمي، لعلي بن إبراهيم القمي: ١٩٣/٢.

(٢) الأصول من الكافي، للكليني: ١/٢٨٧.

يقولون بالخبر المستفيض الذي لا يمكن دفعه : آل محمد أمته .

فقال أبو الحسن - أي الإمام الرضا عليه السلام :- أخبروني هل تحرم الصدقة على الآل ؟

فقالوا : نعم .

قال : فتحرم على الأمة ؟ قالوا : لا .

فقال الإمام الرضا عليه السلام : هذا فرق بين الآل والأمة ، وَيَحْكُمُ أَيْنَ يُذْهَبُ بِكُمْ ... الخ «

الحديث (١) .

دلالات من وحي روايات النبي صلى الله عليه وآله

بعد هذه الجولة السريعة والمختصرة في الروايات المختلفة لا بد لنا من التوقف والتأمل ملياً في مداليل نصوصها لنفهم النكات الدقيقة التي أوردها وأبرزها النبي صلى الله عليه وآله ، ونقلها عنه الرواة ، وقبل تبيان تلك الدلالات أجد من المناسب جداً أن نطرح بعض الأسئلة التي قد تتبادر إلى الأذهان :

لماذا حصر النبي صلى الله عليه وآله أهل البيت عليهم السلام تحت الكساء ؟

لماذا رفض النبي صلى الله عليه وآله دعوة أم سلمة للانضمام إليهم ، مع العلم أن أم سلمة هي أم المؤمنين وهي من النساء المؤمنات ؟ ومن المعروف عن سجايا النبي صلى الله عليه وآله وسمو خلقه الرفيع أنه لم يكن يرفض ما يطلب منه ، فلماذا إذاً رفض ذلك الطلب ؟ وإنما قال لها : « أنت من زوجات النبي » .

ماذا يعني دعاء النبي صلى الله عليه وآله : « اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلاءِ أَهْلَ بَيْتِي » ، وفي رواية أخرى : « اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلاءِ أَلِي » ؟

ما هو ذلك الأمر المهم والخطير الذي أراد أن يرشد إليه النبي صلى الله عليه وآله ؟

(١) عيون أخبار الرضا ، للشيخ الصدوق : ٢٠٧/١ ، باب ١/٢٣ .

كل تلك الأسئلة وربما أسئلة أخرى تتبادر إلى الذهن عند التأمل بدقة في تلك الروايات الشريفة التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله.

وإليك بعض تلك الدلالات :

أولاً: إن إظهار النبي صلى الله عليه وآله لتلك المقاطع التي أبرزها بكلامه الشريف وخصوصاً ماورد في رواية الحاكم من قوله صلى الله عليه وآله : «اللهم إن هؤلاء آلي» لا يخفى ما فيها من الدلالة على حصر أهل البيت عليهم السلام فيهم ، ونفيه عن غيرهم لكل من عرف أساليب العرب وتذوق بلاغة كلامهم .

وهذا يكشف عن شدة اعتناؤه صلى الله عليه وآله بهم ، وإظهاره البالغ لاهتمامه بذلك ، وحرصه عليه .

ثانياً: إمعاناً في تشخيصهم وتحديددهم يحصرهم النبي صلى الله عليه وآله تحت الكساء ، ويرفض دعوة أمّ المؤمنين (أمّ سلمة) للانضمام إليهم ، ويجيبها : «إنك من أزواج النبي» .

ثالثاً: أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقطع على كل أحد عذر الالتباس ، فتجاوز دلالات الكلام وقام بحصرهم تحت كساء واحد ، ليكون أقوى في الدلالة وأبلغ في الحصر .

رابعاً: لا مجال لإدخال زوجات النبي صلى الله عليه وآله في ضمن (أهل البيت عليهم السلام) ، بعد أن سمعنا ما قاله النبي صلى الله عليه وآله لأمّ سلمة : «إنك من أزواج النبي» .

خامساً: أراد النبي صلى الله عليه وآله بما قام به من فعل وما فاح به من قول ، أن يكشف للصحابة وللأمة اختصاص نزول آية التطهير بالخمسة الأطهار دون سواهم .

وفي هذا الصدد يقول ابن حجر : «إن أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين»^(١) .

الخُطَّةُ الإِعلامِيَّةُ للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يعرَّج النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإعلان عن هويَّة الخمسة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام بتصريح قاطع ومبيِّن بما لا يترك لأحد الشك بعده ، فيقول النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نزلت هذه (آية التطهير) في خمسة : في (أي في النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وفي عليّ وحسن وحسين وفاطمة »^(١) . وهكذا أراد النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستعمل خُطَّةَ إعلاميَّة كبيرة ليسلِّط الأضواء على معرفة أهل البيت عليهم السلام فكان يتلو هذه الآية الشريفة كلَّ يوم على باب دار فاطمة ، حيث يجمع عليّاً والزهراء والحسن والحسين بمزأى وبمسمع من المسلمين ويناديهم ويدعوهم للصلاة ، وهذا ما تشير إليه الكثير من الروايات الواردة عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ولكي نتعرف على الخطوط التفصيلية لخطة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإعلاميَّة لابدَّ لنا أن نشير إلى تلك الروايات ولو بشكل مقتضب :

أولاً : أخرج ابن أبي شيبة ، والإمام أحمد ، والترمذي وحسنه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والطبراني ، والحاكم وصحَّحه ، وابن مردويه ، عن أنس ، قال : « إنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يمرُّ بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : الصَّلَاة يا أهل البيت عليهم السلام الصَّلَاة ، ويتلو هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ »^(٢) .

ثانياً : عن ابن عبَّاس : « شهدت رسول الله تسعة أشهر ، يأتي في كلِّ يوم باب عليّ بن أبي طالب عند وقت كلِّ صلاة فيقول : السَّلَام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) رواه الطبري في تفسيره : ١٠١/١٩ و ١٠٢ ، بإسناده عن أبي سعيد الخدري ، وأورده ابن كثير في تفسيره : ٣٦٨/٦ ، ط . دار الكتب العلميَّة ، والمحَبُّ الطبري في ذخائر العقبي : ٦٠ ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير : ٥٦/٣ ، الحديث ٢٦٧٣ .

(٢) تفسير فتح القدير ، للشوكاني : ٢١١٤/٣٣٨/٤ .

أهل البيت عليهم السلام ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾
الصلاة رحمكم الله ، في كل يوم خمس مرات»^(١).

ثالثاً: أخرج ابن جرير وابن مردويه ، عن أبي الحمراء ، قال : « حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله ثمانية أشهر بالمدينة ، ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى إلى باب علي عليه السلام ، فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال : الصلاة ... الصلاة إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً الآية »^(٢).

رابعاً: أخرج ابن مردويه ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : « لما دخل علي عليه السلام بفاطمة رضي الله عنها . جاء النبي صلى الله عليه وآله أربعين صباحاً إلى بابها يقول : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، الصلاة رحمكم الله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ الآية^(٣) ، أنا حرب لمن حاربتهم ، أنا سلم لمن سالمتم »^(٤).

خامساً: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم ، عن قتادة رضي الله عنه : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ الآية ، قال : « هم أهل البيت عليهم السلام طهرهم الله من سوء واختصهم برحمته ».

قال : وحدّث الضحاك بن مزاحم رضي الله عنه : « أن نبي الله صلى الله عليه وآله كان يقول : نحن أهل بيت طهرهم الله ، من شجرة النبوة وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وبيت الرحمة ، ومعدن العلم »^(٥).

سادساً: أبو برزة . يقول : « صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله سبعة عشر شهراً ، فإذا خرج من بيته ، أتى باب فاطمة فقال : الصلاة عليكم ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ »^(٦).

(١ - ٥) الدر المنثور ، للسيوطي : ٥٣٥/٦ .

(٦) مجمع الزوائد ، للهيتمي : ١٤٩٨٦/٢٦٧/٩ .

سابعاً: هلال بن الحارث - أبو الحمراء - قال: « خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله نحواً من تسعة أشهر أو عشرة ، فرأيتَه عند كلِّ فجر لا يخرج من بيته حتى يأخذ بعضادتي باب عليٍّ ثمَّ يقول: السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فيقول: الصَّلَاة رحمة الله **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾** ثمَّ ينصرف إلى مصلاه» ^(١).

لو تأملنا بدقّة نجد أنّ الروايات التي نقلها الرواة عن هلال بن الحارث

(١) أخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ٧٠٢/٨٢/٢، قال: حدّثنا إسماعيل بن صبيح ، عن جناب بن فسطاس ، عن يونس بن خباب ، عن أبي داود ، عن أبي الحمراء ... الحديث .

ورواه البخاري في عنوان (أبي الحمراء) في باب الكنى تحت الرقم (٢٠٥) من التاريخ الكبير: ٢٥/٨، قال: قال أبو عاصم ، عن عمار أبي يحيى ، قال: أنبأنا داود ، عن أبي الحمراء ، قال: « صحبت النبي صلى الله عليه وآله ... الخ » الحديث .

ورواه أيضاً عن البخاري في عنوان (أبي الحمراء) في باب يزيد ، عن يونس - يعني ابن أبي إسحاق - عن نفيح ، بن الحارث ، قال: حدّثني أبو الحمراء ، قال: ... الحديث .

ورواه الطبراني - أيضاً - في كتاب الذيل المذيل كما في منتخبه: ٩٨٥ ، قال: حدّثنا عبد الأعلى بن واصل بن وكيح ، قال: حدّثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال: حدّثنا يونس بن أبي إسحاق ، قال: أخبرني أبو داود ، عن أبي الحمراء ، قال: « رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله إذا طلع الفجر جاء إلى باب عليٍّ وفاطمة عليهما السلام فقال: الصَّلَاة الصَّلَاة **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾** ، نقلاً عن هامش الشواهد: ٨٣/٢ ، بتحقيق المحمودي .

ورواه الضحاك بن مخلد ، قال: حدّثني أبو داود السبيعي ، حدّثني أبو الحمراء ، قال: « صحبتنا النبي صلى الله عليه وآله تسعة أشهر ، فكان إذا أصبح أتى باب عليٍّ وفاطمة وهو يقول: الصَّلَاة يرحمكم الله **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾** . عن المنتخب من مسند عبد بن حميد: ١٧٣ ، الحديث ٤٧٥ .

وعن أسد الغابة: ٤٢٣/٥ أيضاً ، وتفسير الكشف والبيان ، للثعلبي: ٤٤/٨ ، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة: ٩٠٢٦/٣٠٥/٩ ، وعزاه إلى أبي بكر بن أبي شيبة .

- أبي الحمراء - خادم النبي صلى الله عليه وآله كثيرة جداً ، ومن طرق مختلفة ، مع بعض التفاوت في بيان مدة خدمته للنبي صلى الله عليه وآله بين سبعة أشهر وثمانية وتسعة أو عشرة ، ولكنها تتضمن معنى واحداً . إنها توضح لنا بجلاء الخطة الإعلامية الواسعة التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله مكرراً مشهداً يومياً أمام مرأى ومسمع من المسلمين وعند أوقات الصلوات ، أي عند اجتماع المسلمين ، كي يشهدوا تلك الوقائع يومياً ، ويتعرفوا على شخصيات أهل البيت عليهم السلام . فهذا كله بمجموعه يشكّل دليلاً قوياً على أنّ مصطلح (أهل البيت عليهم السلام) متعينٌ في هؤلاء الخمسة .

وفي مقابل هذا التأكيد من قبل النبي صلى الله عليه وآله ، لم نشهد بسند صحيح عنه ، أنه ذكر عشيرته أو زوجته بأنهم من مصاديق (أهل البيت عليهم السلام) ، بل ما شهدناه العكس من ذلك - كما مرّ معنا في رواية أم سلمة - وسيوضح مزيد من الأمر في الفصل الثاني والثالث .

بعد هذا العمل الكبير الذي قام به النبي صلى الله عليه وآله وقد نقله الرواة عنه بروايات تعدّت حدّ الاستفاضة ، فلا مجال للشكّ حينئذٍ في كون المراد من (أهل البيت عليهم السلام) هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وهم مورد نزول آية التطهير .

نفحات آية التطهير :

بعد أن تبين شأن نزول آية التطهير واختصاصها بالخمسة الأطهار ، ممّا يوحي أنّ مصطلح (أهل البيت عليهم السلام) منحصر بهؤلاء الخمسة الأطهار ، فلذا قد يتبادر إلى الأذهان السؤال التالي :

هل تشمل آية التطهير الأئمة الآخرين من أولاد الحسين عليه السلام ؟ يمكننا ملاحظة

الجواب ، والوقوف على حقيقة الأمر ، من خلال إدراك الأدلة التالية :

الدليل الأول: منظومة الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله بشأن الأئمة:

لقد وردت روايات جمّة وغفيرة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام أيضاً، تكشف لنا عن هويّة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، وعددهم ، وعصمتهم ، وخصائصهم . ولكي نستوعب القدر الممكن منها مع رعاية الاختصار نقسمها إلى طوائف ، ونكتفي من كلّ طائفة برواية واحدة فقط ، كما يلي :

الطائفة الأولى: الروايات المشيرة إلى عدد الأئمة من أولاد الحسين

منها ما أخرجه الجويني بإسناده عن عبدالله بن عباس ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون »^(١) .

الطائفة الثانية: روايات تشير إلى المهديّ في آخر الزمان

وهذه الطائفة تشتمل على روايات غفيرة جداً ، ذات مضمون واحد تبين كون الإمام المهدي من ولد فاطمة ، ومن أهل البيت عليهم السلام ومن عترة النبي صلى الله عليه وآله ، يخرج في آخر الزمان ، ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً . أشير إلى رواية منها :

أخرج الحاكم النيسابوري ، قال : حدّثنا الشيخ أبو بكر بن إسحاق ، وعليّ بن

(١) فرائد السمطين ، للجويني : ٤٣٠/١٣٢/٢ و ٤٣١ . وقد أخرجها بأسانيدها مع التفصيل ، وكذلك في : ٥٦٣/٣١٣/٢ .

وفي كفاية الأثر : ١٧١ أخرج الرازي بإسناده عن عليّ بن أبي طالب ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل عن مناقب أهل البيت ، فقيل : فمن أهل بيتك يا نبيّ الله ؟ قال صلى الله عليه وآله : عليّ وسبطاي ، وتسعة من ولد الحسين أئمة أمناء معصومون ، ألا إنهم أهل بيتي وعترتي من لحمي ودمي .

وانظر : ينابيع المودة ، للقندوزي الحنفي : ٢٩١/٣ ، الأحاديث : ٧ - ٩ ، وعزاه إلى الخوارزمي والجويني .

حمشاد العدل ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ، قالوا : ثنا بشر بن موسى الأسدي ، ثنا هوزة بن خليفة ، ثنا عوف بن أبي جميلة . وحدّثني الحسين بن علي الدارمي ، ثنا محمد بن إسحاق الإمام ، ثنا محمد بن بشار ، ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، ثنا أبو الصّدّيق النّاجي ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تقوم الساعة حتّى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً ، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً » .

وأضاف الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والحديث المفسّر بذلك الطريق ، وطرق حديث عاصم عن زر ، عن عبد الله كلّها صحيحة على ما أصلته في هذا الكتاب بالاحتجاج بأخبار عاصم بن أبي النّجود إذ هو إمام من أئمة المسلمين » ^(١) .

الطائفة الثالثة : روايات (خلفاء أمّتي اثنا عشر)

هذه الطائفة تشتمل على روايات كثيرة أيضاً ، وقد تضمّنت الإشارة إلى عدد خلفاء النّبّي صلى الله عليه وآله ، وكونهم من قرابته ، فقد رواها البخاري في صحيحه ومسلم كذلك ، وآخرون ^(٢) . وقد نصّت على كونهم من قريش ، أو من بني هاشم ، كما أشار القندوزي الحنفي ، والجدير بالذكر أنّها مهما اختلفت نصوصها فقد اتّحدت في

(١) المستدرک على الصحيحين : ٤/٦٠٠/٨٦٦٩ ، وفي الباب أحاديث جمّة ، فمنها تحت الأرقام التالية : ٨٦٧٠ ، ٨٦٧١ ، ٨٦٧٢ ، وفي بعضها ورد النصّ على أنّ المهديّ من ولد فاطمة ٨٦٧٣ - ٨٦٧٥ . سنن ابن ماجه : ٤/٤١١/٤٠٨٢ ، ٤٠٨٣ ، ٤٠٨٤ ، ٤٠٨٥ ، ٤٠٨٦ ، ٤٠٨٨ . حلية الأولياء ، لأبي نعيم : ٣/١٧٧ . إتحاف الخيرة المهرة ، للبوصيري : ١٠/٢٧٩/٩٩٦١ ، وفي الباب أحاديث جمّة منها : ٩٩٦٢ - ٩٩٧٣ . وعزاها البوصيري إلى أحمد بن حنبل ، وأبي يعلى الموصلي ، وأبي بكر بن أبي شيبة وأبي داود ، والترمذي ، وابن حبان في صحيحه . وانظر النّعيم المقيم ، لعبد الواحد الموصلي الشافعي : ١٩٢ .

(٢) ستأتي الإشارة إليه مفصلاً في الجزء الثاني - إن شاء الله تعالى - فلاحظ .

النّص على عددهم ، إذ لم ترد رواية تزيد في عددهم أو تنقصه . وهذا له دلالة معمّقة لا بدّ من فهمها وتسليط الضوء عليها ، وسيأتي بيانها لاحقاً - إن شاء الله تعالى - .

أخرج مسلم في صحيحه : بإسناده عن جابر بن سمرة ، قال : « دخلت مع أبي علي النبي صلى الله عليه وآله ، فسمعتة يقول : إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة » . قال : ثمّ تكلم بكلام خفي عليّ .

قال : فقلت لأبي : ما قال ؟ قال : كلهم من قريش ^(١) .

أقول : هذه الطوائف الثلاث من الروايات بمجموعها تشكّل منظومة روائية متكاملة في مجال تشخيص هويّة أهل البيت عليهم السلام ، حيث تنصّ على عصمتهم وطهارتهم من جهة ، وتنصّ على عددهم من جهة أخرى .

الدليل الثاني : ما استدلّ به الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام

إنّ هذا الدليل يتلخّص بما استدلّ به الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام حينما أشار إلى شأن نزول آية التطهير واختصاصها بالخمسة الأطهار ، معقّباً بالاستدلال من خلال الكتاب العزيز على شمول بقيّة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بمدلولها وما تخلعه على مخاطبيها من العصمة والطهر ، كما أشارت الرواية التالية :

روى ابن بابويه : بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير ، قال : « قلت لأبي عبد الله - أي الإمام الصادق عليه السلام - : ما عنى الله عزّ وجلّ بقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ^(٢) ؟ قال : نزلت في النبيّ وأمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام ، فلما قبض الله عزّ وجلّ نبيّه كان أمير المؤمنين ،

(١) صحيح مسلم : ٣/١٤٥٢/١٨٢١ ، كتاب الإمارة . وأخرجه التّووي في المنهاج أيضاً :

٤/٦٨٢/٤٠٧/١٢ . وانظر ينابيع المودّة : ٣/٢٩٠/٤ .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

ثم الحسن ، ثم الحسين عليهما السلام ، ثم وقع تأويل هذه الآية : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾^(١) وكان عليُّ بن الحسين عليه السلام إماماً ، ثم جرت في الأئمة من ولده الأوصياء عليهم السلام ، فطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله عز وجل^(٢) .

الدليل الثالث : (المورد لا يختص الوارد)

ذهب الأصوليون إلى قاعدة تسالموا عليها ، وهذه القاعدة تنص على أن : « المورد لا يختص الوارد » ، بمعنى أن النص لا يختص ويقتصر على الواقعة التي صدر بشأنها ؛ إذ ما دام النص يشمل على قاعدة معينة ، وعنوان معين فيمكن التعدّي عن مورد النص إلى مورد آخر مادام العنوان محفوظاً والقاعدة موقرة ، وهذا ما جرى عليه العقلاء في الخطابات والمحاورات العرفية .

فما نحن فيه كذلك ، إذ شأن نزول آية التطهير في الخمسة الأطهار ، ولكنها اشتملت على عنوان ومصطلح - أهل البيت - قد حدده النبي صلى الله عليه وآله في مناسبات متعددة . فكشف عن هويتهم وخصوصياتهم ، مما يمكننا الاستدلال بالآية الشريفة وما تخلعه على مخاطبيها من العصمة والطهر والتعدّي عن موردها إلى بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام فتشملهم نفحات آية التطهير أيضاً^(٣) .

هذا ما أردنا أن نبينه فيما هو المصطلح القرآني لـ (أهل البيت) الذين ورد ذكرهم في آية التطهير وأصبحوا مورداً للأحاديث الكثيرة والمتواترة التي وردت عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، ويبقى الكلام في النظريات الأخرى التي فسرت الآية الشريفة بمعان أخر واشتملت على روايات أيضاً ، هذا ما سنتناوله في الفصل الثالث - إن شاء الله تعالى - بعد أن نتناول في الفصل الثاني آية التطهير وما تشتمل عليه من دلالات .

(١) الأنفال : ٧٥ .

(٢) علل الشرايع ، للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه : ٢/٢٤٢/١ ، باب ١٥٦ .

(٣) سيأتي بيان ذلك في فصول لاحقة ، فلاحظ .



الفصل الثاني

دلالات آية التطهير



﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيراً ﴾^(١)

البيت

تناولنا في الفصل الأول تبيان المقصود القرآني من قوله: (أهل البيت) كمصطلح قرآني، واستعرضنا شذراً من الروايات عن النبي الأكرم ﷺ الدالة على ذلك، وقد تناقلها الصحابة والرواة.

ونريد أن نشير في هذا الفصل إلى دلالات الآية الشريفة، ومن خلال أنوارها سيتضح لنا ما المقصود من مصطلح (أهل البيت ﷺ) وأنهم الخمسة الأطهار، ولا يمكن أن يشمل معنى الآية الشريفة غيرهم، وهذا ما سنتناوله تفصيلاً في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

وبنزول آية التطهير تحدد مسار ومنهج واتجاه من نعتهم القرآن الكريم بـ(أهل البيت ﷺ)، فأبرز القرآن لهم موقفاً خاصاً في الحياة الإسلامية بما حباهم الله تعالى من ميزات وبما تمتعوا به من لياقات خاصة، انفردوا بها عن غيرهم فأصبحوا

محطات لنزول الفيوضات الإلهية بتطهيرهم وإذهاب الرّجس عنهم ، فكانوا محورا للخيرات والصالحات ، فلذا استحقّوا أن ينالوا أعلى المراتب السّامية المؤهّلة في مجال الاقتداء والريادة وقيادة الأُمَّة الإسلاميّة . يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (١) .

وحيثما نستنطق القرآن الكريم نجد مجالا خصبا ومساحة واسعة قد رسمها القرآن الكريم لتبيان منزلة أهل بيت النبي الأكرم عليه السلام وعلاقتهم المميّزة في مجال العبودية والطاعة للمولى عز وجلّ ، فقدّموا الأنفس والأرواح وما يملكون رغبة في تعميق معنى الطاعة والتعبّد لله تعالى غير طامعين بشيءٍ من حطام الدّنيا فكان منطقتهم كما بيّنه القرآن : ﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ (٢) .

ولذا نعتهم القرآن بنعوت استحقّوها بما قدّموا من تضحيات جسام من أجل إحياء الرسالة المحمّدية ودفاعاً عنها ، فكانوا مثالا لمن يبيع نفسه ابتغاء مرضاة الله وتقرباً إليه .

وقد أشار القرآن إلى ذلك : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٣) - كما نصّ على ذلك الفخر الرازي في تفسيره - ومن هنا انبرى النبي عليه السلام - كمجسّد لتعاليم القرآن الكريم ومبلّغ لرسالة السماء - فصّدع بالكثير من الخطب والأحاديث والروايات حرصاً على تبيان منزلتهم وعمقهم الريادي والقيادي للأُمَّة ، مستثمراً آية مناسبة لتجمّع المسلمين وحشودهم ، لإظهار كرامتهم عند الله تعالى وعظم منزلتهم وخطورة موقعهم ، أمراً للمسلمين أن لا يتقدّموا عليهم

(١) البينة: ٧ .

(٢) الدهر: ٩ و ١٠ .

(٣) البقرة: ٢٠٧ .

ولا يتخلفوا عنهم ، وأن الفوز والفلاح في اتباعهم ، فأخبر عن عدم افتراقهم عن القرآن إلى يوم القيامة ، حيث قال صلوات الله وسلامه عليه : «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً ، ولقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (١) .

وقد أشار النبي الأكرم ﷺ إلى النتائج الطيبة للمتبعين لهم ، فقد روي عن عبد الله ابن عمر أنه قال : « قال رسول الله ﷺ : من أحب آل محمد أمن من الحساب والميزان والصراف » (٢) . وحبهم ﷺ يعني اتباعهم واقتفاء أثرهم ، ولا أعتقد أن مسلماً يختلف معي في هذه المسألة وهي كون اتباع أهل بيت النبي ﷺ والتزام تعاليمهم يحقق النجاة والفوز في الدارين ، ونيل رضا الله تعالى ، وهو الفوز العظيم ، والسعادة التي ما بعدها سعادة : ﴿... وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٣) .

فحري بنا إذاً أن نتعرف على أهل البيت ﷺ ومنزلتهم وسجاياهم ومنهجهم ومسارهم وما امتازوا به عن غيرهم ، لا من باب أنه ترف فكري ، كلا ، بل لحاجة الأمة الماسّة إلى ذلك وحاجة الواقع إليه ، بعد أن تكالبت علينا الأمم واستكبر علينا المستكبرون ، وانتهكوا أقدس المقدّسات ، ودنّسوا الكرامات تلو الكرامات .

آية التطهير : الدلالات الثلاث

ولكي نحقق المعرفة الكافية ونستكمل معنى الآية لا بد لنا من دراسة دلالاتها

التالية :

(١) الصواعق المحرقة : ٦٥٤/٢ ، وسيأتي تخريجه لاحقاً .

(٢) أخرجه الخوارزمي بإسناده عن عبد الله بن عمر في حديث طويل . المناقب : ٧٢ ، الحديث

الدلالة الأولى : من خلال نصّ الآية الشريفة وما تتضمّنه من معانٍ سامية مستنيرين بآراء مفسّري المسلمين .

الدلالة الثانية : من خلال بعض ظواهر الآية الشريفة .

الدلالة الثالثة : من خلال القرائن الخارجية المواكبة لنزول النصّ الشريف .

الدلالة الأولى : دلالة المفردات واستلزام العصمة

في البدء نستعرض المعاني اللغويّة لمفردات الآية :

﴿ **إِنَّمَا** ﴾ : أداة تفيد الحصر والقصر بمعنى أنّها تحصر مدخولها بما يسند إليه من حكم أو إخبار فهي محقّقة لما أثبتت بعدها ونافية لما لم يثبت ، مثلاً لو قلت : إنّما القادم زيد ، فالمعنى يقتضي حصر القدوم بزيد ونفيه عن غيره ، وهكذا لو قلت : إنّما لك عندي دينار ، فالمعنى حينئذ يقتضي حصر ما يكوم لك عندي بالدينار فقط ونفي غيرالدينار عنك .

و ﴿ **إِنَّمَا** ﴾ حسب ورودها في الآية الشريفة ، فهي تدل على حصر إرادة المولى عزّ وجلّ في إذهاب الرّجس وإضفاء التطهير لمن نعتهم الآية بـ (أهل البيت) .

﴿ **أَهْلَ الْبَيْتِ** ﴾ : إمّا أن يكون منصوباً للمدح ، وتقديره أعني أهل البيت ، وإمّا أن يكون منادى مضافاً . فعليه يكون «إما منصوباً للمدح أو الثناء»^(١) أو لمجرد الاختصاص .

فعلى هذا تكون الآية الشريفة دالة على اختصاص إذهاب الرّجس وإضفاء التطهير بالمخاطبين بقوله تعالى في الآية : ﴿ **عَنْكُمْ** ﴾ ، ففي الآية « في الحقيقة قصران »^(٢) .

(١) تفسير الكشّاف : ٥٢٢/٣ .

(٢) تفسير الميزان : ٣٠٩/١٦ .

قصر الإرادة في مجال إذهاب الرّجس وإضفاء التطهير .

وقصر إذهاب الرّجس وإضفاء التطهير بأهل البيت عليهم السلام .

﴿ الرَّجْسُ ﴾ الرّجس لغة : الشيء القذر ، يقال : رجل رجس ورجال أرجاس ، قال تعالى : ﴿ رَجِسْ مَنْ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ﴾ ^(١) .

والرّجس يكون على أربعة أوجه : إمّا من حيث الطبع ، وإمّا من جهة العقل ، وإمّا من جهة الشرع ، وإمّا من كلّ ذلك كالميتة ، فإن الميتة تُعاف طبعاً وعقلاً وشرعاً ، والرّجس من جهة الشرع الخمر والميسر ، وقيل : إنّ ذلك رجس من جهة العقل ، وعلى ذلك نبّه بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ ^(٢) ، لأنّ كلّ ما يوفي إثمه على نفعه فالعقل يقتضي تجنّبه ، وجعل الكافرين رجساً من حيث إنّ الشّرك بالعقل أقبح الأشياء ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَغْقَلُونَ ﴾ ^(٤) .

الطُّهْرُ :

الطهارة ضربان : طهارة جسم وطهارة نفس ، وحمل عليها عامة الآيات ، قال تعالى : ﴿ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ^(٥) ، أي التاركين للذنوب والعاملين للصّلاح .

وقال تعالى : ﴿ وَمُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٦) ، أي مُخرجك من جملتهم

(١) المائدة : ٩٠ .

(٢) البقرة : ٢١٩ .

(٣) التوبة : ١٢٥ .

(٤) يونس : ١٠٠ .

(٥) البقرة : ٢٢٢ .

(٦) آل عمران : ٥٥ .

وَمُنْزَهُكَ أَنْ تَفْعَلَ فَعْلَهُمْ ، وَعَلَى هَذَا ﴿ وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً... الْآيَةُ ﴾^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾^(٢) ، أي إنه لا يبلغ حقائق معرفته إلا من طهر نفسه وتنقى من درن الفساد^(٣) .

آراء المفسرين :

قال البخاري في تفسيره : « المراد بالرجس الإثم والذنب المدنسان للأعراض والحاصلان بسبب ترك ما أمر الله به ، وفعل ما نهى عنه فيدخل في ذلك كل ما ليس فيه رضا الله . وقيل : الرجس ، الشك . وقيل : السوء ، وقيل : عمل الشيطان ، والعموم أولى »^(٤) .

ويضيف الإمام البخاري قائلاً : « (أهل البيت) نصب على النداء أو المدح ﴿ وَيُطَهِّرْكُمْ ﴾ من الأرجاس والأدناس ﴿ تَطْهِيراً ﴾ كاملاً ، وفي استعارة الرجس للمعصية والترشيح لها بالتطهير تنفير عنها بليغ وزجر لفاعلها شديد »^(٥) .

وقال القاضي البيضاوي في تفسيره : « ﴿ الرَّجْسُ ﴾ الذنب المدنّس لعرضكم . (أهل البيت) نصب على النداء أو المدح ﴿ وَيُطَهِّرْكُمْ ﴾ من المعاصي تطهيراً ، واستعارة الرجس للمعصية ، والترشيح بالتطهير للتنفير عنها »^(٦) .

ثم إن صاحب الحاشية على التفسير أعلاه أوضح ما يلي : « (الذنب المدنّس) : إشارة إلى أن الرجس مستعار للذنب ، وأن وجه الشبه بينهما كون كل واحد منها سبباً للذننّس ، فالرجس يدنّس نحو الثوب والبدن ، والذنب يدنّس العرض ، وجعل

(١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢) الواقعة : ٧٩ .

(٣) انظر مفردات الراغب : مادة (الرجس) ، (الطهر) .

(٤) و (٥) تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن : ٨٥/١١ .

(٦) تفسير البيضاوي : ٦٣٤/٦ ، حاشية محيي الدين شيخ زاده الحنفي على تفسير البيضاوي .

التطهير ترشيحاً للاستعارة من حيث إنه ملائم للمستعار منه»^(١).

وقال الزمخشري في تفسيره: «استعار للذنب الرّجس، وللتقوى الطهر؛ لأنّ عرض المقترف للمقبّحات يتلوّث بها ويتدنّس كما يتلوّث بدنه بالأرجاس، وأمّا المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر، وفي هذه الاستعارة ما ينفرّ أولي الألباب عمّا كرهه الله لعباده، ونهاهم عنه، ويرغبهم فيما رضيه لهم، وأمرهم به»^(٢).

وقال الطبري في تفسيره: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد ﷺ ويطهّرکم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيراً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»^(٣).

وقال الفخر الرازي في تفسيره الكبير: «قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فيه لطيفة وهي أنّ الرّجس قد يزول عيناً ولا يطهّر المحل، فقوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ أي يزيل عنكم الذنوب ويطهّرکم أي يلبسکم خلع الكرامة»^(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «(الرّجس): ﴿الرّجس﴾ عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى»^(٥).

﴿الْبَيْتِ﴾: التعريف فيه للعهد والمراد به بيت النّبوة والرسالة، والعرب تسمي ما يلتجأ إليه بيتاً، ولهذا سمّوا الأنساب بيوتاً، وقالوا: بيوتات العرب

(١) تفسير البيضاوي: ٦٣٤/٦.

(٢) الكشّاف: ٥٢٢/٣.

(٣) تفسير الطبري: ١٠١/١٩.

(٤) تفسير الفخر الرازي: م ٢١٠/٢٥/١٣.

(٥) انظر تفسير مجمع البيان: ١١٨/٨.

يريدون النسب^(١).

وقيل: البيت، بيت الحرام، وأهله هم المتقون على الإطلاق لقوله: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾^(٢) وقيل: البيت، مسجد رسول الله، وأهله من مكَّنه رسول الله فيه، ولم يخرجهم ولم يسدَّ بابه.

ثمَّ يخلص الطبرسي إلى النتيجة التالية: «قد اتَّفقت الأمة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت عليهم السلام في الآية هم أهل بيت نبيِّنا صلى الله عليه وآله»^(٣).

بعد أن استعرضنا آراء أعمدة التفسير في تبيان المقصود من (الرجس والتطهير).
نأتي إلى بيان الأمور التالية:

الأمر الأول: إذهب الرجس ومعنى العصمة

إنَّ معنى قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ - بغض النظر عمَّن هم المقصودون من أهل البيت - إمَّا أن يكون المراد به: مجرد اجتناب الشرك والتزام الطاعات، فيكون المعنى: إنَّ الله تعالى ليس له منفعة خاصَّة في توجيه التكليف إليكم أهل البيت، وإمَّا يريد أن يذهب الرجس عنكم ويطهركم، نظير قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٤).

وهذا المعنى لا يلائم الحصر الوارد في الآية بـ ﴿إِنَّمَا﴾ وكذلك يتنافى مع الاختصاص المفهوم من (أهل البيت)، لماذا؟ لأنَّ هذه التكاليف عامة لعموم المكلفين بأحكام الدين ولا وجه لتخصيصها بأهل البيت عليهم السلام، فعلى هذا يكون هذا

(١) و (٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١١٨ / ٨ - ١١٩.

(٢) الأنفال: ٤٣.

(٤) المائدة: ٦.

التفسير بعيداً جداً وتأباه الآية الشريفة .

وإمّا أن يكون المراد من المقطع المذكور في الآية الشريفة هو : التقوى الشديد ، وإزاحة الذنوب عنكم (يا أهل البيت) ويلبسكم خلع الكرامة - كما ذكر الفخر الرازي - وهذا لا يعني إزاحة العقاب عنكم ، كلاً وإنما يزيل عنكم دواعي العقاب وهو ارتكاب المعاصي والذنوب وذلك بتشديد التقوى والورع .

فيتحقّق التّطهير الكامل لكم وبذلك تتحقّق إرادة الله تعالى في إذهاب الرّجس عنكم (أهل البيت ﷺ) .

فهذا المعنى يتناسب مع الحصر الوارد في الآية من جهة ، ويتناسب مع الاختصاص (لأهل البيت ﷺ) من جهة أخرى ، حيث إنّ هذه الشّدّة في التقوى والورع لا يتحمّلها عموم المكلفين ، بل تخصّ أناساً أعدّت نفوسهم لتحمل أعباء هذه التكاليف ، فكاد أن يستحيل صدور السيئات على اختلاف أنواعها وأقسامها منهم . أضف إلى ذلك أن كلمة ﴿ الرّجس ﴾ لها مفهوم عام يشمل كل أنواع الحماقات والاعتقادات الباطلة والبخل والحسد ، وغيرها ، كما ذكر الإمام البخاري القنوجي حيث قال : « وعمومه أولى »^(١) .

وهذا ما يؤكّده لفظ الآية الشريفة ، حيث وردت كلمة ﴿ الرّجس ﴾ مُحلّلة (بالألف واللام) ولم ترد مجردة عنهما ، وهذه هي لام الجنس ، التي تفيد الاستغراق والشمول لا العهد ، نظير قول القائل : « لا رجل في الدار » والتي يعبر عنها بـ(لا) النافية للجنس . فهي تنفي وجود جنس الرجال في البيت ، بمعنى أنّها تنفي الطبيعة بتمام مراتبها ؛ تنفي الطبيعة ؛ لأنّ نفي الجنس يلزم نفي الطبيعة . فعليه الآية الشريفة تنفي جنس الرّجس ، فهي تنفي الطبيعة بكل مراتبها ، خصوصاً مع ورود التأكيد

(١) تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن : ٨٥/١١ .

البالغ والشديد بالفعل ومفعوله المطلق ﴿وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً﴾ .

يقول العلامة الطباطبائي: «الرجس - بالكسر والسكون - صفة من الرجاسة وهي القذارة - والقذارة هيئة في الشيء توجب التجنب والتنفر منها ، وتكون بحسب ظاهر الشيء كرجاسة الخنزير قال تعالى: ﴿أَوْلَحْمٍ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾^(١) وبحسب باطنه - وهو الرجاسة والقذارة المعنوية - كالشرك والكفر وأثر العمل السيئ ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٢) .

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣) .

وأياً ما كان فهو إدراك نفساني وأثر شعوري من تعلق القلب بالاعتقاد الباطل أو العمل السيئ ، وإذهاب الرجس عبارة عن إزالة كل هيئة خبيثة في النفس تخطيء حق الاعتقاد والعمل فتطبق على العصمة الإلهية التي هي صورة علمية نفسانية تحفظ الإنسان من باطل الاعتقاد ، وسيئ العمل^(٤) .

وهذا المعنى يتناسب مع الآية الشريفة فيما ورد فيها من حصر وتأکید واختصاص واستغراق وشمول:

أولاً: الحصر بأداة ﴿إِنَّمَا﴾ .

ثانياً: الاختصاص بـ (أهل البيت) و ﴿عَنْكُمْ﴾ .

ثالثاً: لام الجنس في كلمة ﴿الرِّجْسِ﴾ وتفيد الاستغراق والشمول ونفي

(١) الأنعام: ١٤٥ .

(٢) التوبة: ١٢٥ .

(٣) الأنعام: ١٢٥ .

(٤) الميزان: ٣١٢/١٦ .

الطبيعة بتمام مراتبها .

رابعاً : التأكيد بالمفعول المطلق ﴿ وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

خلاصة المعنى :

إنَّ إرادة المولى عزَّ وجلَّ قد تعلقت بنفي عموم الرِّجس عن (أهل البيت عليهم السلام) وهو جنسه لا نوعه ولا صنفه ، وهو ما يلزم نفي طبيعة الرِّجس ، وبنفي الطبيعة تنتفي جميع مراتبها وحدودها ، وهذه العناية الإلهية لنفي طبيعة الرِّجس عن أهل البيت عليهم السلام ، قد أكَّدها المولى بتطهيرهم تطهيراً كاملاً وكافياً ، أي بمعنى تهذيب نفوسهم من كلِّ الاعتقادات الباطلة والأفعال السيئة عرفاً وشرعاً ومن كلِّ المعاصي كبيرها وصغيرها ، وهذا معنىً يلزم العصمة المطلقة .

الأمر الثاني : آية التطهير ومعنى الإرادة :

ما معنى (الإرادة) الواردة في الآية الشريفة ؟

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ﴾ فإرادة المولى عزَّ وجلَّ لا تخلو إمَّا أن تكون إرادة تشريعية ، وإمَّا أن تكون إرادة تكوينية ، والقسمة عقلية حاصرة . وسنوضح كلا النّحوين من الإرادة ، وماذا يترتب على كلِّ منهما ، ولكن قبل توضيح ذلك لا بد لنا من تعريف كلتا الإرادتين وبسط الكلام فيهما .

ما معنى الإرادة التشريعية ؟

هي إرادة الله عزَّ وجلَّ المتعلقة بتشريع الأحكام وتقنينها للمكلفين ، بحيث يكون المكلف مختاراً في إتيان التكاليف أو عدمها فهي إرادة تشريعية ، وهي منفصلة عن واقع المكلف في مجال إتيان التكاليف والتزام الطاعات والانتفاء عن المعاصي بالمرّة ، بل إنَّ الله تعالى تعلّقت إرادته في أن يكون المكلف مطلق العنان من هذه

الوجه فقال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١)، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٢).

فما أَرَادَهُ اللهُ سبحانه إلا التشريع والتقنين وقد تحقّق، كما أنه أراد أن يكون المكلف مختاراً في الإتيان بواجبه وبالتشريعات الإلهية. وفي ضوء ذلك يتم الاختبار ويصح العقاب والثواب، بل لا يصح أن يكون المكلف مجبراً على إتيان الطاعات واجتناب المعاصي؛ لأنه يبطل بذلك الثواب ولا يصح العقاب حينئذٍ، نظير قول الشاعر:

ألقاه في اليمِّ مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتلّ بالماء

ومن هنا تكون التكاليف الإلهية المشرّعة للعباد عامة ولا اختصاص لها بفرد دون سواه، وأنّ الهدف الأسمى من بعث الأنبياء والرّسل هو إبلاغ تشريع الله ودساتيره إلى الناس عامة، حيث يعتبر المولى تكاليفه في ذمة مكلفيه بإبراز خطابه إلى نبيه ليلبّغ الناس بذلك، فتارة يخاطبهم بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وأخرى يخاطبهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حسب نوع التكليف وشدّته، وهذا جارٍ في القرآن الكريم، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾^(٤).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) الإنسان: ٣.

(٣) البقرة: ١٨٣.

(٤) التحريم: ٦.

الْمَرَاقِي وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ .

ويقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ...﴾ (٢) .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ (٣) .

ومن هنا يمكن أن يُطرح السؤال التالي :

هل الإرادة التشريعية تتعلق بفعل الغير ؟

هل يصح أن نعرّف الإرادة التشريعية بأنها إرادة متعلقة بفعل الغير ؟ مثال ذلك : إن الله تعالى أراد من عباده الصلاة والصوم . فهل تكليف الله كتكليف الحاكم البشري غيره بعمل محدد ؟

في مقام الجواب نقول : إن تعريف الإرادة التشريعية بكونها إرادة متعلقة بفعل الغير ، غير صحيح ، لماذا ؟ لأنّ الإرادة لاتتعلق إلاّ بأمر اختياري وهو فعل المرید (الله تعالى) ، وأمّا فعل الشخص (المكلّف) الآخر فهو بما أنّه خارج عن اختيار المرید ، لا تتعلق به إرادته . وكيف يصح لشخص أن يريد صدور فعل من الغير مع أنّ صدوره منه تابع لإرادة ذلك الغير وليس تابعا لإرادة المرید الآخر (٤) ؟

(١) المائدة : ٦ .

(٢) البقرة : ٢١ .

(٣) لقمان : ٣٣ .

(٤) انظر مفاهيم القرآن : ٢٠٨/١٠ .

وبعبارة أوضح: إنَّ المرید حينما يريد أن يُصدر حكماً بحق الغير فأرادته متعلّقة بمحض اختياره وبذاته، فهو مختار في إرادته سواء أدّى الأمور ما يريده الأمر أم لا، فأرادة -المولى عزّ وجلّ - متعلّقة بمحض اختياره وغير متعلّقة بفعل المأمور -العبد - وإلا تحوّل الأمر المختار إلى كونه غير مختار.

أضف إلى ذلك: إنَّ زمام فعل المأمور بيده نفسه، فهو إمّا أن يريد إنجاز ما أمر به، وإمّا أن لا يريد ذلك. ومن يكون هكذا شأنه لا يمكن أن تتعلّق بفعله إرادة الغير؛ لأنّه لا ملازمة بين إرادة الأمر وإرادة المأمور، ولأجل ذلك، كثيراً ما يعصى ويخالف.

نعم، يمكن القول: إنَّ قيام العبد بالمأمور به وإتيانه التّكليف هو من غايات ومقاصد الأمر (المولى) وهو تارة يترتّب وينفكّ أخرى.

وعلى هذا فما اشتهر على الألسن من أنّ الإرادة التّشريعية عبارة عن تعلّق إرادة الأمر بفعل الغير تسامح في التعبير ومن باب إقامة الغاية مكان ذبيها^(١).

ما معنى الإرادة التكوينية؟

هي تلك الإرادة التي تتعلّق بإيجاد الشيء وتكوينه في صحيفه الوجود ولا يمكن أن يتخلّف متعلّق الإرادة عن مراده، ولا أمره التكويني عن متعلّقه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(٣).

فهذه الإرادة التكوينية لله تعالى، إن تعلّقت بأيّ شيء سوف لا ينفكّ عن إرادته ويتحقّق ذلك الشيء فور إرادته له.

(١) انظر مفاهيم القرآن: ٢٠٨/١٠.

(٢) يس: ٨٢.

(٣) الرعد: ١١.

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وُحْدَةً كَلَّمَحٍ بِالْبَصْرِ... ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾^(٢) .

بعد هذا التعريف المختصر للإرادة التكوينية ، لابد لنا أن نعرف نوع الإرادة الواردة في الآية الشريفة - مورد البحث - ، وبهذا يصل البحث بنا إلى السؤال التالي :

هل الإرادة في آية التطهير تكوينية أم تشريعية؟

قلنا : إن الإرادة في الآية لا تخلو إما أن تكون إرادة محضة تشريعية أو تكون إرادة تكوينية ، والقسمة عقلية حاصرة ، فلو قلنا بأن الإرادة في الآية هي الإرادة المحضة التشريعية ، فهذا الوجه يكون باطلاً ، لماذا؟

لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذا النحو من الطهارة ضمن إرادته التشريعية ، فهو قد شرع هذه الطهارة وأمر بها عباده ولا مجال لاختصاصها بأهل البيت عليهم السلام دون سائر المكلفين ، فلنقرأ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ .

ثم علل ذلك تعالى بقوله : ﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٣) .

فالله سبحانه وتعالى قد خاطب عباده المؤمنين عامة وأمرهم بالوضوء والغسل وقد علل تشريعه العام بتطهيرهم وإتمام نعمته عليهم ، وهذا بخلاف الآية التي نحن بصدددها ، فإنها خصصت إرادة التطهير بجمع خاص ، وهم (أهل البيت عليهم السلام) ،

(١) القمر: ٥٠ .

(٢) الطلاق: ٣ .

(٣) المائدة: ٦ .

وخصّهم بالخطاب ، وقدّم الجار والمجرور ﴿عَنْكُمْ﴾ لإفادة الاختصاص .

وبالجملة : « فتخصيص تعلق الإرادة بجمع خاص على الوجه الوارد في آية التطهير يمنع من تفسير الإرادة بالإرادة التشريعية التي عمّت الأمة جميعاً »^(١) .

ويضيف العلامة السبحاني : « نعم لا يتوهم من ذلك أن أهل البيت عليهم السلام خارجون عن إطار التشريع ، بل التشريع في كل المجالات يعمّهم كما يعمّ غيرهم ، ولكن هنا إرادة تكوينيّة مختصة بهم »^(٢) .

ولعلّ قائل يقول : فليكن هذا هو المراد من الإرادة الواردة في الآية الشريفة - الإرادة التشريعية - فما الضير في ذلك ؟

أقول : ذلك باطل ، للوجوه التالية :

أولاً : لأنه يستلزم اللغوية لكلام المولى الحكيم ، حيث إنّ أداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾ تفيد حصر مدخولها بما تمّ الحكم عليه في الجملة ، ومع إرادة المعنى العام للطهارة من كلّ مكلف - الإرادة التشريعية - يصبح الحصر الوارد في الآية لغواً ، وهذا يستلزم اللغوية لكلام المولى الحكيم ، وهو واضح البطلان ، ولا يلتزم بذلك أحد .

ثانياً : إنّ قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ يقتضي المدح والثناء والتعظيم لهم من دون شك ولا شبهة ، ومع الإرادة المجردة - التشريعية - لا يبقى مجال لذلك أبداً .

ثالثاً : ذكر المفسّرون أنّ عبارة (أهل البيت) وردت منصوبة إمّا للنداء أو للاختصاص ، ومع الإرادة التشريعية لا يبقى مجال للاختصاص ، بل أيّ وجه للاختصاص والحال أنّ الإرادة إرادة محضة وتشريعية ، وعامة لكلّ مكلف ؟ فأين الاختصاص في ذلك ؟ وخصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار مزيد من الاختصاص

الوارد في الآية الشريفة بقوله : ﴿ عَنْكُمْ ﴾ ، ولذا عبّر العلامة الطباطبائي : « في الآية قصران : قصر الإرادة ، وقصر الاختصاص »^(١) . ومع كل هذا فلامجال لكون الإرادة تشريعية .

رابعاً : من الواضح أنّ الآية الشريفة مسوقة مساق الامتنان ، ولامجال لتحقق الامتنان إذا كانت الإرادة ، إرادة تشريعية . نعم ، يتحقق الامتنان من المولى عزّ وجلّ فيما إذا كانت الإرادة تكوينية .

خامساً : إنّ الله عزّ وجلّ قد أكّد كل ذلك بمزيد من التأكيد بالإتيان بالمفعول المطلق بعد الفعل ، حيث قال تعالى : ﴿ وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ليكون أوفى في التأكيد ، وهذا ما ينسجم تماماً مع الإرادة التكوينية لا التشريعية .

وبالجملة : بعد كل هذه العناية البارزة في الآية الشريفة - آية التطهير - يتّضح أنّ الإرادة الواردة في الآية هي الإرادة التكوينية ، ويصعب أن نفسرها بالإرادة التشريعية ، والإرادة التكوينية هي غير الإرادة العامة المتعلقة بعموم الناس .

خلاصة معنى الآية

بعد أن ثبت كون الإرادة في الآية الشريفة - هي الإرادة التكوينية ، ومعها لا يتخلف المراد عن إرادته ، بل يتحقق فور إرادته ، هذا **أولاً** .

وثانياً : ثبت أنّ المعنى بآية التطهير هم أهل بيت النبي ﷺ دون سواهم ، للعنايات الفائقة في الآية .

وثالثاً : إنّ المراد - بالرجس - هو مطلق الرجس لا نوعه ولا صنفه ، ونفيه يلزم نفي الطبيعة بتمام مراتبها ، حيث إنّ اللام فيه للجنس وهي تفيد الاستغراق والشمول ، وقد تقدّم البحث في ذلك .

(١) تفسير الميزان : ٣٠٩/١٦ .

فيصبح معنى الآية الشريفة كما يلي : أن الله تعالى قد تعلقت إرادته التكوينية بإفاضة هذه المواهب عليكم أهل البيت - دون سواكم - وطهركم من كل رجس ، ومن كل ذنب ، ومن كل عقيدة باطلة ، وقد أبعده عنكم كل طبائع الرجس بمصاديقه المختلفة ، وكرّمكم بالطهر من ذلك . وقد تحقّق لكم ذلك بفعل إرادته التكوينية ، وهذا مايساوق العصمة المطلقة . ومن هنا يمكن أن يُطرح السؤال التالي :

هل الإرادة التكوينية توجب سلب الاختيار؟

بعبارة أخرى : لو كانت الإرادة في المقام إرادة تكوينية - وبما أن المراد يتحقّق بمجرد إرادته - فلازم ذلك أن تكون طهارة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وابتعادهم عن الرجس أمراً تكوينياً جبرياً ، لا يتخلّف عن مراد المولى ، وعليه فلا فضل ولا منقبة لهم حينئذٍ ، والحال أن الآية بصدده المدح والثناء عليهم ، ومثل هذه الإرادة ألا توجب سلب الاختيار؟

الجواب: في البدء نبذة من مفهوم العصمة :

قال في الأمثل : « إنَّ للمعصومين أهلية اكتسابية عن طريق أعمالهم ، ولهم لياقة ذاتية موهوبة لهم من قبل الله سبحانه وتعالى ليستطيعوا أن يكونوا أسوة للناس ، وبتعبير آخر: إنَّ المعصومين نتيجة للرعاية الإلهية وأعمالهم الطاهرة لا يقدمون على المعصية مع امتلاكهم القدرة والاختيار في إتيانها . تماماً كما لا نرى عاقلاً يرفع جمرة من النار ويضعها في فمه ، مع أنه غير مجبر ولا مكره على الامتناع عن هذا العمل ، فهذه الحالة تنبعث من أعماق وجود الإنسان نتيجة المعلومات والاطلاع والمبادئ الفطرية والطبيعية من دون أن يكون في الأمر جبر وإكراه»^(١).

وقال صاحب الميزان : « وأنَّ المعصوم بالعصمة الإلهية يمتنع معها صدور

(١) تفسير الأمثل ، للشيخ مكارم الشيرازي : ٢١٧/١٣ - ٢١٨ .

المعصية عنه ، فلا يوجب ذلك سقوط التكليف عنه وعدم صحة توجيهه إليه ، ولو كان كذلك لم تتصور في حقه معصية كسائر من لا تكليف عليه فلم يكن معنى لعصمته . على أنّ العصمة لاتنافي ثبوت الاختيار الذي هو من شؤون مقام العمل وصحة صدور الفعل والترك عن الجوارح . فمنع العلم القطعي بمفسدة شيء منعاً قطعياً عن صدوره عن العالم به كمنع العلم بأثر السم عن شربه لاينافي كون العالم بذلك مختاراً في الفعل لصحة صدوره ولا صدوره عن جوارحه ، فالعصمة لاتنافي بوجه التكليف»^(١) .

ولمزيد من التوضيح نقول :

أولاً: إنّ إرادة الله تعالى جرت في أنّ يكون المكلف فاعلاً مختاراً في مختلف شؤون التكليف ، فيمكنه أن يلتزم الطاعة ، ويمكنه أن يمتنع عنها ، وبموجب هذا القانون الإلهي يصح الثواب والعقاب ، وفي طول ذلك يمكن للإنسان أن يزداد تفانياً في مجال الطاعة لله تعالى والقرب منه .

ثانياً: إنّ الموهبة الإلهية في التطهير وإذهاب الرجس لاتمنع من أنّ يكون الموهوب له فاعلاً مختاراً ، فهي لاتسلب منه الاختيار؛ لأنه لو سلب الاختيار منه لم يبق مجال للثواب والعقاب .

نعم؛ لو كان هناك جبر في البين ، فهو في إفاضة هذه المواهب الإلهية ، ولكنهم معها مختارون في توجيهه لأي طرف شاءوا بمحض إرادتهم واختيارهم ، وإن كانوا لا يشاءون إلا الطاعة وترك المعصية .

ثالثاً: إنّ الملكة التي تمتع بها المعصوم قد أهلتها تأهيلاً ذاتياً ، وأكسبته مناعة ذاتية ، امتنع معها أن يقترف الذنب بمحض اختياره ، تماماً كالذي يقف على سطح عمارة ويمكنه أن يرم بنفسه إلى الأرض ، ولكنه لايفعل ذلك مختاراً . وما يتمتع به

(١) تفسير الميزان: ١٧/٢٩٠ - ٢٩١ ، مورد الآية ٦٥ / الزمر .

المعصوم من لياقات خاصّة تجعله يتحصّن تحصّناً ذاتياً، بحيث لا يقترب من حريم المعصية، فضلاً عن عدم ارتكابه المعصية.

رابعاً: إنّ المعصوم - بسبب هذا النحو من العصمة - يستقبح الذنب مادياً ومعنوياً ويعلم ما يترتب على ارتكابه من الاستحقاقات المبعدة له عن ساحة العشق الإلهي فهو لا يقدم على الذنب، بل لا يراود تفكيره، لا لعدم قدرته عليه، بل لكونه يستقبح الذنب والمعصية وتأباه نفسه إباءً ذاتياً. وفي هذه الحالة يكون هناك مجال واسع للثناء عليه، بعد أن حصل على موهبة الطهارة الروحية.

هل الإرادة التكوينية في آية التطهير علة تامّة؟

الجواب: الإرادة التكوينية هنا ليست بنحو العلة التامّة، وإنّما هي بحدود المقتضي؛ إذ العلة لها أجزاء ثلاثة (وجود المقتضي، انعدام المانع، توفّر الشرط)، فلكي تتحقّق العلة وحينئذٍ يتحقّق معلولها، لا بدّ من توفّر الأجزاء الثلاثة لها، فإفاضة المواهب الإلهية بمثابة إيجاد المقتضي، وعليه فلا بدّ من توفّر بقية الأجزاء، فلذا هذا النحو من الإرادة التكوينية لا يوجب سلب الاختيار، ولا جبر في البين. وقد أشار إلى هذا المعنى صاحب الأمثل: «هذه الإرادة إرادة تكوينية في حدود المقتضي - وليست علة تامّة - وهي في الوقت نفسه لا توجب الجبر ولا تسلب الاختيار والإرادة الإنسانية».

فتلخص ممّا تقدّم مايلي:

أولاً: إنّ الآية الشريفة تفيد الحصر والقصر والاختصاص، ففي الآية قصران وهما قصر الإرادة وقصر الاختصاص. وإنّها مسوقة مساق الامتنان، ولسان الآية كاشف عنه.

ثانياً: إنّ الأمة قد اتّفقت كلمتها على أنّ المراد من أهل البيت عليهم السلام في الآية

الشريفة هم أهل بيت نبينا محمد ﷺ .

ثالثاً: تحقّق العناية الفائقة لله تعالى بإتيان مزيد من التأكيد في مجال إزالة الرّجس وإزاحته بكل أنحائه وطبائعه وبنحو مطلق ، مع إضفاء الطّهارة الروحيّة والنّفسيّة والعقليّة على أهل بيت النبي ﷺ .

رابعاً: إنّ إرادة المولى عزّ وجلّ الواردة في الآية الشريفة هي الإرادة التكوينيّة ، لا الإرادة التشريعيّة - كما وقفت على ذلك - ولكنها في حدود المقتضي لا العلة التامة ، بمعنى أنّها تتعلّق بإفاضة الكيفيّات والصفات العليا عليهم ، وإيجاد حالات الاستعداد في النفس بترك المعاصي واختيار الطاعة ، طبعاً مع القدرة على إتيان الخلاف .

وبهذا تتحقّق العصمة الكاملة عن كل القبائح للمعنيّين والمقصودين بقوله : (أهل البيت) ، ونحن نعلم أنّ من عدا ما ذكرهم النبي ﷺ من أهل البيت ﷺ غير مقطوع بعصمتهم ، حيث إنّ جميع فرق المسلمين تتفق كلمتهم على عدم عصمة أولئك ، فعلى هذا يثبت أنّ الآية الشريفة مختصّة بهم ، وبطلان تعلّقها بغيرهم ؛ إذ الآية بذاتها آية عن شمول غير من ذكرهم النبي ﷺ من أهل البيت ﷺ وهم الخمسة الأطهار ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لو كانت الآية تنطوي على الإطلاق بحيث تشمل أعمام النبي ﷺ ونسائه لكان منهم من ادّعى هذا الفخر ، وهو وسام عظيم لا يمكن لأحد أن يزهد فيه .

وعند مراجعتنا التاريخ لا نجد أحداً قد ادّعى ذلك ! بل تشير الوقائع التاريخيّة إلى أنّ هؤلاء كانوا مشركين ثمّ أسلموا ، وحتى بعد إسلامهم قد صدرت منهم الأخطاء وبدرت من بعضهم معاصٍ ومواقف باطلة أدّت إلى شقّ عصا المسلمين ، وذهب ضحيّة تلك المواقف ألوف من المسلمين الأبرياء ، وهذا ما يخالف العصمة التي من المفترض أنّ الآية الشريفة نصّت عليها . وقد تقدّم بحثه .

قصة طريفة:

وفي هذا المجال أودّ أن أستشهد بقصة طريفة حدثت للعلامة الأميني ^(١): أنه اجتمع مع بعض العلماء من إخواننا السُّنة ، فبادره ذلك العالم بسؤال عن آية التطهير، فيمن نزلت؟ أفي أمهات المؤمنين - زوجات النبي صلى الله عليه وآله -، أم في غيرهن؟ أجاب العلامة الأميني بالسؤال التالي، ومفاده: لو كانت آية التطهير قد نزلت في زوجات النبي صلى الله عليه وآله ولهنّ فيها نصيب، فهل ترى أنّ أمّ المؤمنين عائشة تترك هذا الأمر فلا تكتبه على جبهة جملها الذي ركبته في حرب الجمل حيث كانت تحرّض الناس على القتال ضدّ علي عليه السلام؟

أجاب السائل بالإيجاب.

فإنّها كانت بأمسّ الحاجة إلى أمثال هذه الحجج لا سيّما في مقابل الإمام والخليفة آنذاك عليّ بن أبي طالب ^(٢).

أقول: لو كانت قد كتبت الآية الشريفة تلك على جبهة جملها لانقلب الأمر ضدّها بدل أن تنتفع منه؛ لأنّها بذلك تذكر الناس فضيلة ومنزلة أهل البيت عليهم السلام.

هذا وقد جاء التصريح عنهنّ بإخراج عدد منهنّ ولم تدّع واحدة منهنّ دخولها ولادخول غيرها من الزوجات في مفاد الآية ولا في حديث الكساء.

نعم، تبقى مسألة السياق وموقع آية التطهير في سورة الأحزاب من الآيات المتعلقة بأمهات المؤمنين والتمسك به على دخولهنّ في آية التطهير، وهذا ما سيتناوله البحث في الدلالة الثانية للآية الشريفة.

(١) صاحب كتاب الغدير.

(٢) نقلاً عن أهل البيت في آية التطهير، لجعفر مرتضى العاملي: ١١٤.

الدلالة الثانية: مبحث دلالة السياق

حاول بعض المفسرين أن يستدلّ بالسياق لإثبات شمول آية التطهير لنساء النبي ﷺ؛ لأنّ ما قبل الآية وما بعدها يخصّ أمّهات المؤمنين، وآية التطهير معترضة بين مقطعي الآية، فكيف يمكن أن تكون آية التطهير راجعة إلى أهل البيت عليهم السلام بالمعنى المتقدم فقط ولا تشمل غير الخمسة الطاهرين.

وبعبارة أوضح: إنّ آية التطهير هي جزء من الآية (٣٣) من سورة الأحزاب، وإنّ ما قبلها وما بعدها يكون مختصاً بزوجات النبي ﷺ، وآية التطهير هي معترضة بين ما قبل وما بعد الآية (٣٣) من سورة الأحزاب، فإنّ وحدة السياق تقتضي أن يكون الكلّ عائداً إليهنّ دون استثناء.

نعم، لو كانت آية التطهير هي بمفردها ومستقلّة، لكان الاستدلال بكونها تختصّ بالخمسة الطاهرين مقبولاً، ولكن ليس الأمر كذلك؛ لأنّ آية التطهير هي جزء متوسط بين آية (٣٣) من سورة الأحزاب.

قبل الجواب عن الإشكال، لا بدّ لنا أن نتدبّر الآيات الشريفة التالية بإمعان لنستوضح ما قبل آية التطهير وما بعدها. قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لَأَزْوَاجِكِ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَاةً جَمِيلاً * وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً * يَأْتِيهَا النَّبِيُّ مِنَ يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً * يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً *

وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿١﴾ .

بعد الإمعان في تلاوة الآيات المباركات من سورة الأحزاب ، يتبين مايلي :

أولاً : آية التطهير خطاب متميز

لو تأملنا في الآيتين (٢٨ - ٢٩) نجد أن المخاطب هو النبي صلى الله عليه وآله وهو الأمر بأن يأمر أزواجه ويخبرهن بين الحياة الدنيا وزينتها من جهة وبين الله ورسوله والآخرة من جهة أخرى .

أما بقية الآيات الشريفة (٣٠ - ٣٤) ، فإنها لم تبدأ بمخاطبة النبي صلى الله عليه وآله ، وهذا صحيح ، ولكنها استمرار للخطاب السابق ، فلذا نجد الهيكلية الهندسية لبناء تلك الآيات متجانساً تماماً ومتحدداً مع بعضه (من أول آية ٢٨ - إلى آخر آية ٣٤) ، وكونها في نسق واحد ، ونسيج واحد ، وهنا يصح الاحتجاج بالسياق عندئذ .

بينما نجد آية التطهير نسيجها يختلف اختلافاً كلياً من حيث الضمائر ، ومن حيث نهج الخطاب وأسلوبه ، ومن حيثيات أخرى .

فنهج الخطاب لآية التطهير ، حصريٌّ إصطفائي اختصاصي ، فأين هذا من ذلك النهج التقريري والتوبيخي للآيات الشريفة (٢٨ - ٣٠) ؟

فأسلوب الخطاب يكشف بلا تردد أن آية التطهير بمفردها تتمتع بنسيج خاص زاهر ، يجذب من يتأملها ويحن إليها من يفتح قلبه لها ، فلذا هي تمثل توليفة خاصة مميزة عن غيرها من الآيات السابقة عليها أو اللاحقة لها ، فكأنما لآية التطهير لسان خاص ، يأبى أن يكون متحدداً مع لسان الآيات الشريفة الأخرى . وقد تقدّم التفسير الدلالي ، للآية فراجع .

فأين السياق الموحد كي يصح الاحتجاج به ؟

ثانياً : اختلاف الضمائر

إنَّ اختلاف الضمائر قبل آية التطهير وبعدها يكون دليلاً واضحاً على عدم إرادة دخول النساء في قوله : ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ ، ومن خلال الالتفات^(١) من ضمائر التأنيث إلى التذكير ، لا يبقى مجال للتمسك بوحدة السياق في الآية الشريفة (آية التطهير) ، كي يكون السياق معارضاً للأدلة القاطعة باختصاصها بالخمسة الطاهرين . ولذا نجد تذكير الضمير في آية التطهير ﴿ عَنْكُمْ ﴾ و (يطهركم) ، مع أنَّ الضمائر الواردة فيما قبلها وما بعدها من آيات شريفة هي ضمائر الإناث :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ .

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ ﴾ .

﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ ﴾ .

﴿ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ .

﴿ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ .

وهذا بذاته يبطل الاحتجاج بوحدة السياق ، فلا مجال للتمسك به لإثبات دخولهنَّ في ضمن خطاب آية التطهير .

ثالثاً : عدم الانسجام بين الروايات والسياق

لوسلمنا وتنزلنا وقلنا : إنَّ الدلالة السياقية تقتضي كون آية التطهير تشمل أمهات المؤمنين أيضاً ، بيد أنَّنا نقول : كيف يمكن أن يتم هذا الاستدلال مع ورود النص المفسر - السنة المطهرة - على خلافها ؟ فلا تبقى هناك دلالة سياقية كي يمكن

(١) الالتفات - كما في علم المعاني - : وهو الانتقال من ضمير إلى آخر أثناء الكلام ، نحو قوله

تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ يونس : ٢٢ .

الاحتجاج بها ، فضلاً عن معارضته لها . حيث إن الاستدلال بالدلالة السياقية إنما يتم ، فيما لو لم تكن قرائن على خلافها تماماً ، والحال قد وردت التصوص المتواترة ، والمتظافرة عن النبي الأكرم عليه السلام وتناقضها الرواة والصحابة والتابعون لهم بإحسان ، وما ذكره المفسرون والمؤرخون والمحدثون ، بكون المراد بـ (أهل البيت) هم الخمسة الأطهار من أصحاب الكساء ، دون نساء النبي عليه السلام ، ولذا قام النبي عليه السلام بتصرف واضح ومميز ، وهو جذب الكساء من أم المؤمنين ، أم سلمة ، قائلاً لها أنت على خير ، أنت على خير ، حينما طلبت أن تكون من أهل البيت عليهم السلام ، متسائلةً ، وأنا يا رسول الله منهم ؟ فأجابها أنت من أزواج النبي ، وقد تقدمت الروايات في الفصل الأول فراجع .

رابعاً : ضعف الدلالة السياقية

إن الظهور السياقي لو تمّ فهو من أضعف الظهورات ، « فما المانع من رفع اليد عنه مادام قد وجدت قرائن داخلية وخارجية على خلافه »^(١) .

فقد دلت القرائن الداخلية للآية الشريفة بكون الآية آية عن شمول غير الخمسة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام فيها - وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك - وكذلك دلت القرائن الخارجية بما فعله النبي عليه السلام بإحاطتهم بكساء خيبري أو يمانى ، مبالغة منه صلوات الله وسلامه عليه في حصرهم تحته ، لئلا تختلط الأذهان من جهة ، وتوضيحاً منه لأئمة ، في تمييزهم عن غيرهم ، من جهة أخرى .

خامساً : التمسك بالدلالة السياقية اجتهاد مقابل النص

إن الأدلة المتقدمة - التفسير الدلالي للآية الشريفة - وكذلك الروايات الواردة

(١) أهل البيت في آية التطهير : ١١٤ .

عن النَّبِيِّ ﷺ - النصوص المفسرة - للآية الشريفة كلها قد دلت على كون مقصود المصطلح القرآني لـ (أهل البيت) هم الخمسة الأطهار ﷺ .

فالتَّمَسُّكُ بإدخال نساء النَّبِيِّ - أمهات المؤمنين - في آية التطهير ، وكونهن مشمولات بالخطاب ، ومن أهل البيت ﷺ ، يكون من قبيل الاجتهاد مقابل النص .

سادساً : انتفاء الدلالة السياقية

لا مجال للاحتجاج بالظهور السياقي في المقام ، وذلك لأن الآية الشريفة (آية التطهير) نزلت ، بمفردها ولا علاقة لما قبلها وما بعدها بها . فكيف يمكن الاحتجاج بالسياق حينئذٍ ؟

وقد ذكر العلامة الطباطبائي ما يؤكد هذا الأمر : « إن الأحاديث على كثرتها البالغة ناصّة في نزول الآية وحدها ولم يرد حتّى في رواية نزول هذه الآية في ضمن آيات نساء النَّبِيِّ ﷺ ، ولا ذكره أحد حتّى القائل باختصاص الآية بأزواج النَّبِيِّ ﷺ ، كما ينسب إلى عكرمة وعروة ، فالآية لم تكن بحسب التّزول جزءاً من آيات نساء النَّبِيِّ ﷺ ولا متصلة بها وإنّما وضعت بينها . انتهى موضع الحاجة (١) .

آية التطهير وأدلة الاستقلال

يمكن التماس الأدلة القاطعة بأن آية التطهير آية مستقلة وقد نزلت كذلك ، ووضعت في ثنايا الآيات المربوطة بأمهات المؤمنين ، ربّما لمصلحة كان صاحب الشريعة ، النَّبِيُّ الأكرم ﷺ أعرف بها (٢) .

(١) الميزان في تفسير القرآن : ٣١١/١٦ .

(٢) نقل الزركشي عن الترمذي والمستدرک ، وغيرهما من حديث ابن عباس ، قال : « كان رسول الله ﷺ يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء »

وإليك الأدلة الدالة على ذلك :

الدليل الأول : تظافر الروايات على استقلاليتها

أطبقت الروايات المنتهية إلى الأصحاب وأمّهات المؤمنين والتابعين لهم

⇒ دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا .
قال الترمذي : « هذا حديث حسن » . وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . البرهان في علوم القرآن : ٣٣٤/١ .
وقد ذكر السيوطي الإجماع والنصوص المترادفة على أنّ ترتيب الآيات توقيفي ، لا شبهة في ذلك .

ونقل السيوطي عن ابن الحصار : « إنّ ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنّما كان بالوحي ، كان رسول الله يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا . وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف » . لاحظ الإتقان في علوم القرآن : ١٨٩/١ - ١٩٤ .

وذكر الزركشي في (صحيح البخاري) عن قتادة ، قال : « سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ »

قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . انظر البرهان في علوم القرآن : ٣٣٥/١ .

وذكر العلامة هادي معرفة : « يرى بعض المحققين أنّ القرآن بنظمه القائم وترتيبه الحاضر كان قد حصل في حياة الرسول صلى الله عليه وآله . وقد ذهب إلى هذا الرأي جماعة من علماء السلف كالقاضي وابن الأنباري والكرماني والطبّي ، ووافقهم علم الهدى السيد المرتضى قال : كان القرآن على عهده (صلوات الله وسلامه عليه) مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن . واستدلّ على ذلك بأنّ القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتّى عيّن جماعة من الصحابة في حفظهم له . وأتته كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله ويتلى عليه » .
وأضاف معرفة قائلاً :

« وقد ذهب إلى ترجيح هذا الرأي أيضاً ، سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي رحمته الله ، انتهى .
التمهيد في علوم القرآن : ٢٨٣/١ .

بإحسان على نزولها مستقلة^(١) سواء قلنا بنزولها في حق العترة الطاهرة أو أمهات المؤمنين أو أصحابه ، فالكل - مع قطع النظر عن الاختلاف في المنزول فيه - اتفقوا على نزولها مستقلة . هذا ، وقد ذكرنا النصوص التي أوردناها عن الطبري ، وعن الحاكم ، وفي صحيح مسلم ، وفي الدر المنثور ، كلها نصت على أن أم سلمة تقول : « نزلت آية التطهير في بيتي » .

وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ : « إن هذه الآية نزلت في خمسة : في وفي علي وفاطمة والحسن والحسين » . وقد روت أم المؤمنين عائشة : « خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله معه ، ثم جاء الحسين فأدخله معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه ، ثم جاء علي فأدخله معه ، ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ » . إلى غير ذلك من النصوص التي ذكرناه في الفصل الأول ، فراجع .

ويقول السيوطي : « كان عكرمة ينادي بها في الأسواق ، ويقول : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴾ نزلت في نساء النبي » ، فظاهر كلامه أنها نزلت مستقلة ، وهو واضح . إذن ، فالموافق والمخالف اتفقا على كونها آية مستقلة ، سواء قلنا : إنها نزلت في بيت أم سلمة أم في بيت عائشة ، أم في حق العترة الطاهرة ، أم في حقهم وأعمامهم . وعليه فتسهل حينئذ مخالفة السياق والقول بنزولها في حق العترة الطاهرة ، وأن الصدر راجع إلى نسائه ، وكذا الآيات السابقة لها واللاحقة بعدها ، أما آية التطهير فهي ترجع إلى غيرهن .

إشكالٌ سياقي

ولرب سائل يسأل : هل يعقل أن تنزل آيات من الكتاب العزيز صدرها في

(١) مفاهيم القرآن : ١٠/١٦٥ .

موضوع ، وذيلها في نفس الموضوع ، وفي ثناياها موضوع مغاير ؟

الجواب: لا ضير في ذلك ، بل يعتبر هذا من فنون البلاغة وقدرة البيان ، وعليه ديدن العرب في محاوراتهم وأساليب خطاباتهم وأشعارهم . والقرآن الكريم مملوء بهذا الفن . وقد ذكره المحققون في علوم القرآن ، وأسموه (اعتراضاً) ، وأسماه قدامة بن جعفر بن قدامة (التفاتاً) ، « وهو أن يؤتى كلام أو كلامين متصلين معني ، بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه ، ولا يفوت بفواته ، فيكون فاصلاً بين الكلام والكلامين ، لنكته » (١) .

وإليك بعض هذه النماذج من الآيات المباركات :

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢) ، الآية الشريفة ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ﴾ اعتراض ، والمراد تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ (٣) فاعترض بين (إذا) وجوابها بقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ ، فكأنه أراد أن يجيبهم عن دعواهم فجعل الجواب اعتراضاً .

وقوله تعالى : في سورة يوسف ، ناقلاً لكلام (عزيز مصر) عندما خاطب زوجته : ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ (٤) . فنلاحظ أن عزيز مصر يخاطب أولاً امرأته بقوله : ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ﴾ وقبل أن يفرغ من كلامه معها يخاطب يوسف عليه السلام بقوله :

﴿ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا ﴾ ... ثم يرجع إلى الكلام الأول ويخاطب زوجته

(١) البرهان في علوم القرآن : ١٣٤/٣ .

(٢) يوسف : ٧٣ .

(٣) النحل : ١٠١ .

(٤) يوسف : ٢٨ - ٢٩ .

بقوله : ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ .

فلاحظ جملة ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ وقعت معترضة بين خطاب العزيز لزوجته ، ومن الواضح أنه توجد مناسبة لهذه الجملة في المقام ، وهي أن المخاطب الثاني (يوسف) هو أحد المتخاصمين ، وسبق أن رفعت زوجة العزيز الدعوى إليه تشكوه يوسف ﷺ .

والضابطة الكلية لهذا النوع من الكلام هو وجود التناسب المقتضي للعدول من الأول إلى الثاني ، ثم منه إلى الأول ، وهي موجودة في المقام ، فإنه سبحانه يخاطب النبي الأكرم ﷺ بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعَنَّ وَأُسْرُحَنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾^(١) .

ثم يكمل المولى عز وجل خطابه التالي :

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ .

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ .

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .

فعند ذلك صحَّ أن ينتقل إلى الكلام عن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وذلك لوجهين :

الوجه الأول : وقد أشار إليه الشيخ السبحاني ، ما نصّه : « تعريفهنّ على جماعة بلغوا من التورّع والتقوى الدرّوة العليا ، وفي الطهارة عن الرذائل والمساوئ القمّة ، وبذلك استحقّوا أن يكونوا أسوة في الحياة وقدوة في مجال العمل ، فيلزم عليهنّ أن يقتدين بهم ويستضئّن بنور هديهم »^(٢) .

(١) الأحزاب : ٢٨ .

(٢) مفاهيم القرآن : ١٠ / ١٦٦ .

الوجه الثاني: هو العُلقَة بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذه العُلقَة على نحوين ، أحدهما بالنَّسب والآخر بالسبب ، وهذان النِّحوان من العلقَتين بينهما اختلاف كبير ، فلذا أراد الله تعالى أن يَنْبَهَهُنَّ على طهارة أصحاب العلقَة الأولى ، فلذا ينبغي عليهنَّ التحفُّظ على شؤون هذه العلقَة والابتعاد عن المعاصي والذنوب ، والتحلي بما يرضي الله ورسوله .

وفي هذا الصدد نستشهد بكلام بليغ للإمام الخامس من أئمة أهل البيت عليهم السلام ، كما في الرواية عن زرارة ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ، أن الآية ينزل أولها في شيء وأوسطها في شيء ، وآخرها في شيء » .

ثم نجد أن الإمام يستشهد على الكلام أعلاه بنفس هذه الآية الشريفة وهي آية التطهير ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ من ميلاد الجاهلية ^(١) .

ومن الواضح أن هذه الآية أولها في نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأوسطها في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وآخرها في تطهير أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم . هذا تمام الكلام في الدليل الأول .

خلاصة الكلام:

لا غرابة في أن يكون صدر الآية وذيلها راجعين إلى موضوع معين ، وما ورد فيما بينهما - في ثناياهما - يرجع إلى موضوع آخر ، له نحو من المناسبة والانسجام ، مع توفر ضوابط ذكرها محققو علوم القرآن ، إمَّا للالتفات ، وإمَّا للاعتراض وإمَّا لتبيان أغراض أخرى . وهذا يُعدُّ من أساليب البلاغة وفنونها ، والقرآن الكريم مملوء بهذا

(١) تفسير العياشي : ٩٥/١ .

الأسلوب البلاغي ، فعندئذ يكون الاحتجاج بالدلالة السياقية في غاية الضعف والوهن .

الدليل الثاني: اختلاف لسان الآية عن غيرها

لو تأملنا بأدنى تأملٍ في الآيات الشريفة التي سبقت آية التطهير ، نجد أنّ لسانها لسان تقريع وتوبيخ وإنذار ووعيد . هذا ما نلاحظه في الآيات الشريفة التالية :

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ .
 ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ .
 ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ .

إذن اتضح أنّ لسان آيات (نساء النبي ﷺ) لسان تقريع وتوبيخ وإنذار ، وهذا بخلاف آية التطهير :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .
 فإنّ لسان الآية ، لسان مدح وثناء وامتنان ، فهل يمكن حينئذ جعل هذين اللسانين المتباينين لساناً واحداً ؟

هذا مالا يستسيغه الذوق السليم ويأباه الطبع فضلاً عن الحكيم .
 فهل تبقى مناسبة لوحة السياق - دلالة الظهور السياقي - بعد هذا كله ؟

الدليل الثالث : انسجام الآيات السابقة واللاحقة، من دونها

إنّ الآيات الشريفة من سورة الأحزاب ، الواردة في نساء النبي ﷺ ابتداءً من آية (٢٨) وانتهاءً بآخر آية (٣٤) هي على تماسكها واتصالها وانسجامها وتناسقها حتى فيما لو رفعنا من بينها آية التطهير . فلو نقرأ آية (٣٣) مع تقدير رفع آية التطهير منها

ثم ألحقناها بالآية التي بعدها وهي آية (٣٤)، نجد المعنى متصلاً ومنسجماً ومتربطاً تماماً، ولم يختل السياق أبداً:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (١)

﴿ وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبيراً ﴾ (٢).

فلاحظ حالة الانسجام والترابط بين الآيات متحققة وكأنه لم يُرفع من الآية (٣٣) أي جزء، ولم يختل السياق أبداً.

هذا يدل على أن آية التطهير آية مستقلة وقد نزلت كذلك ثم وضعت في ثنايا

الآيات المرتبطة بأممات المؤمنين، لمصلحة كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أعرف بها.

وقد أشار العلامة الطباطبائي إلى هذا المعنى: «إن الأحاديث على كثرتها البالغة

ناصة في نزول الآية وحدها ولم يرد حتى في رواية واحدة نزول هذه الآية في ضمن

آيات نساء النبي صلى الله عليه وآله ولا ذكره أحد حتى القائل باختصاص الآية بأزواج النبي صلى الله عليه وآله -

كما ينسب إلى عكرمة وعروة -» (٣)، انتهى.

بعد كل هذا الذي تقدم لا توجد مناسبة سياقية في المقام كي يمكن التمسك بها،

بل العكس هو الصحيح؛ وهو أن السياق المتحقق بين الآيات (٢٨ - ٣٤) يقتضي

بذاته أن تكون آية التطهير آية منفردة، قد وضعت في هذا المكان لمناسبة - ستأتي

الإشارة إليها - يكون صاحب الشريعة أعرف بها، هذا وقد أشارت الروايات الكثيرة

التي بلغت الاستفاضة، إلى كونها آية مستقلة، وتناقل الصحابة والرواة

ذلك بإسهاب. فلا مجال للتمسك بالدلالة السياقية في المقام حينئذٍ.

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الأحزاب: ٣٤.

(٣) الميزان: ٣١١/١٦، وقد تقدم نقل كلامه.

لماذا جعلت آية التطهير جزءاً من آية؟

لعل من يتبادر إلى ذهنه هذا السؤال ، لماذا جعلت آية التطهير جزءاً من آية ، ولم تجعل آية مستقلة ؟

هناك عدة أسباب يمكن أن نتأملها في مقام الجواب :

الأول : إرشاد نساء النبي ﷺ إلى التقيد بأخلاق أهل البيت عليهم السلام

لعل الله سبحانه وتعالى أراد أن يشير إلى نساء النبي ﷺ ، بالمعنى التالي : إنكن بين أهل بيت عرفوا بالطهر والنقاء ، وقد أذهب الله عنهم الرجس بكل ألوانه وأشكاله فلا يمكنكن ، وأنتن أمهات المؤمنين ، أن تتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، أو أن تردن الحياة الدنيا وزينتها . فلا بد لكن من السلوك المنسجم مع هذه الشريحة الطاهرة .

ومن الطبيعي حينما يكون الإنسان بين معشر عرفوا بالطهر والصفاء والصلاح وهو له نحو نسبة ارتباط مع هذا المعشر لا بد أن يتخلق بأخلاقهم ويتعلم من سلوكهم ويستمع إلى توصياتهم .

وقد أشار المحقق الشيخ ناصر مكارم إلى هذا المعنى : « إن القرآن الكريم يريد أن يقول لزوجات النبي ﷺ : إنكن بين عائلة بعضها معصومون والذي يعيش في ظل العصمة ومنزل المعصومين فإنه ينبغي له أن يراقب نفسه أكثر من الآخرين ولا تنسين أن انتسابكن إلى بيت فيه خمسة معصومين يلقي على عاتقن مسؤوليات ثقيلة وينتظر منه الله وعباده انتظارات كبيرة»^(١) .

الثاني : إلفات نظر المسلمين

وجود الآية الشريفة (آية التطهير) بهذا الشكل يلفت نظر من يريد أن يهتدي

(١) الأمثل : ٢١٩/١٣ .

بالقرآن الكريم - ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾^(١) - فتثار لديه الأسئلة والاستفسارات ، لمن له أدنى بصيرة . فيبدأ بالتساؤل ، لماذا جعلت جزءاً من آية ولماذا لم تفرد في آية ؟

وغيرها من الأسئلة ، مع العلم أنّ الآية الشريفة تشير إلى أهل بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقد عرفوا بالطهر والعصمة ، فحينئذ يتأمل في مواضعها ويدرك أسبابها ، وخصوصاً إذا ما قرن ذلك بحركة النبي صلى الله عليه وآله المتميّزة ، بتكرار تلاوتها على باب دار فاطمة عليها السلام مدة ستة أو سبعة أشهر أو أكثر .

الثالث : اقتضاء الحكمة

إنّ أهل البيت عليهم السلام رغم إمدادهم الناس بالعتاء الفكري والمعنوي والروحي ، وكانت الأمة منهم على اطمئنان كامل ، رغم كلّ ذلك ، لكن كثر عليهم الحاسدون والمبغضون . فلذا حدّثنا التاريخ عمّا جرى عليهم من ظلم وحيف ونالوا من بعض أفراد وكيانات هذه الأمة مانالوا ، فربما كانت تمتد أيادي البعض لتعبث بمضمون الآية - لو استطاعت - نتيجة الحقد والحسد على أهل البيت عليهم السلام ، كما فعلوا ذلك بالنسبة للسنة المطهّرة ، فدلسوا ما استطاعوا أن يدلسوا ، ووضعوا ما استطاعوا من روايات مزيفة ، لتحقيق رغبات متعددة^(٢) .

وقد أشار المحقق السبحاني إلى ذلك : « التاريخ يطلعنا بصفحات طويلة على موقف قريش وغيرهم من أهل البيت عليهم السلام ، فإنّ مرّجّل الحسد مازال يغلي والاتجاهات السلبية ضدّهم كانت كالشمس في رابعة النهار ، فاقتضت الحكمة الإلهية أن تجعل الآية في ثنايا الآيات المتعلقة بنساء النبي صلى الله عليه وآله من أجل تخفيف

(١) الإسراء : ٩ .

(٢) سيأتي مزيد الإشارة إليه في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى .

الحساسيّة ضدّ أهل البيت عليهم السلام ، وإن كانت الحقيقة لاتخفى على من نظر إليها بعين صحيحة ، وأنّ الآية تهدف إلى جماعة أخرى غير نساء النبي صلى الله عليه وآله « (١) .

أقول : وقد رفع النبي صلى الله عليه وآله الإبهام أو الإجمال الموجود في الآية ، وأوضح ذلك في روايات تواتر نقلها ، وعرف أهل بيته لأمتهم .

الدلالة الثالثة : آية التطهير من خلال القرائن الخارجيّة

نريد أن نبحث هذه الدلالة من خلال القرائن الخارجيّة والظروف الموضوعيّة المواكبة للنصّ ، وفي بيانها أمور :

الأمر الأوّل : ضرورة دراسة أسباب النّزول لفهم النصّ القرآني

توطئة : لكي يتم استيعاب وفهم النصّ القرآني ، لابدّ من دراسة أسباب النّزول ؛ لأنّها كالرحم الذي تولّد فيه النصّ ، فكما لا يمكن فهم النصّ بعيداً عن قواعد علم الدلالة - سواء كان النصّ قطعياً أم ظنياً في دلالاته - كذلك يصعب فهمه عند تجريده من ظرفه الذي تولّد فيه .

فالظرف الزماني والمكاني والشأن النّزولي كلّها قرائن لها مدخليّة في فهم أسرار النصّ ، حيث إنّ لكلّ نصّ ظرفه الخاص به ، وإذا جرّد النصّ من ظروفه الموضوعية فقدّ الكثير من خصائصه وتعسّر فهمه ، ويحصل بسبب تجريده الكثير من الالتباس ، وربما يقع المحقّق في حيرة - في مجال فهم النصّ - نتيجة الابتعاد عن ظرف النصّ .

وقد انبرى المفسّرون والمتخصّصون في علوم القرآن على دراسة ومعرفة أسباب النّزول ، وأسّسوا لذلك علماً خاصّاً أسموه (علم أسباب النّزول) ووضعوا له الكثير من القواعد والضوابط وبيّنوا أهمّيته ودقّته .

(١) مفاهيم القرآن : ١٧١/١٠ .

إنّ من المعالم المهمة في فهم القرآن وتفسيره ملاحظة أسباب النُّزول ، بل ولا يمكن للمفسّر الاستغناء عن هذا العلم .

ومن المقرّر لدى العلماء أنّ القرآن نزل على قسمين : قسم نزل ابتداءً وهو معظم القرآن كما يبدو ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال ، وذلك خلال مدة نزول الوحي وهي ثلاث وعشرون سنة .

وهذا القسم الأخير هو الذي يبحث عن سبب نزوله لأنّ معرفة الأسباب والملابسات المحيطة بالنّص تساعد على حسن فقهه وفهم المراد منه .

وفي هذا الصدد يقول الإمام ابن دقيق العيد : « بيان سبب النُّزول طريق قوي في فهم معاني القرآن الكريم »^(١) .

ويقول ابن تيميّة : « معرفة سبب النُّزول تعين على فهم الآية . فإنّ العلم بالسبب تورث العلم بالمسبّب »^(٢) .

ويقول محمّد الطاهر بن عاشور ، موضّحاً أثر سبب النُّزول وما يحدثه من بيان لا يستغني عنه المفسّر : « إنّ من أسباب النُّزول ما ليس المفسّر بغنى عن علمه ؛ لأنّ فيها بيان مجمل أو إيضاح خفي وموجز ، ومنها ما يكون وحده تفسيراً . ومنها ما يدلّ المفسّر على طلب الأدلّة التي بها تأويل الآية ، أو نحو ذلك »^(٣) .

ويسرد جلال الدين السيوطي الكثير من فوائد هذا العلم رادّاً على من ادّعى انعدام أهمّيته : « زعم زاعم أنّه لا طائل تحت هذا الفن - علم أسباب النُّزول - لجريانه مجرى التاريخ ! أخطأ في ذلك ، بل له فوائد :

منها : معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

(١) و(٢) لاحظ الإتقان : ٩٣/١ .

(٣) التحرير والتنوير : ٤٧/١ .

ومنها : تخصيص الحكم به عند من يرى أنّ العبرة بخصوص السبب .

ومنها : أنّ اللفظ قد يكون عاماً ويقوم الدليل على تخصيصه ، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته ، فإنّ دخول صورة السبب قطعيّ وإخراجها بالاجتهاد ممنوع ، كما حكى الإجماع عليه القاضي أبو بكر في التقريب ، ولا التفات إلى من شدّ فجوز ذلك .

ومنها : الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال»^(١) ، انتهى .

وقال الواحدي : « إذ هي - أسباب النُّزول - أوفى ما يجب الوقوف عليها ، وأولى ما تصرف العناية إليها ، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها ، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»^(٢) .

ولا يخفى عليك أنّ لهذا العلم الكثير من القواعد والضوابط الدقيقة ، أودّ أن أشير إلى بعضها :

فمنها : ما ذكره الواحدي : « ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل ، ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها»^(٣) .

ويقول ابن حجر : « لا طريق لمعرفة أسباب النُّزول إلا بالنقل الصَّحيح»^(٤) .

وتوجد ضوابط لهذا العلم كثيرة ربما نأتى على ذكر بعضها عند الحاجة إليها .

ما نحن فيه - آية التطهير - كذلك ، إذ لا يمكن أن نجردّها من ظرفها الذي نزلت فيه ، وما واكبها من مواقف مختلفة للنبي ﷺ ، خصوصاً مع هذه العناية الفائقة التي احتوتها الآية الشريفة ، كالحصر الاصطفائي والاختصاصي واللسان الامتثالي المفعم

(١) الإتيان : ٩٢/١ - ٩٣ .

(٢) و (٣) أسباب النُّزول ، للواحدي النيسابوري : ٧ .

(٤) العجّاب في بيان الأسباب : ١٦ .

بالمدح والثناء ، وانفراد نزولها ، إلى غيرها من الأمور .

كُلُّ ذلك يستدعي فهماً دقيقاً لأسباب النُّزول كي نستحكم المعنى ونمتّنه .

الأمر الثاني : في تبيان سبب نزول الآية الشريفة

لا شك أن الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله هو المؤمن على وحي الله تعالى وهو الصادق الأمين ، وهو الأدرى بمعاني القرآن الكريم وأسباب نزوله وناسخه ومنسوخه ومحكه ومتشابهه ، فعندما تريد الأمة أن ترتوي من ضمئها المعرفي ، وتنهل من معين المعرفة صافياً نقياً لا تشوبه شائبة ، عليها أن تسبح في بحر علم رسول الله صلى الله عليه وآله ، لتستخرج جواهر المعرفة برّاقة من غير غُبش أو شوائب ، فهو الملاذ وهو المرجع في كل ما أرادت الأمة فهمه وتوضيحه وهو المنقذ مما اشتبهت فيه الأمة أو اختلفت فيه . وهو الحَكَم الفصل عند كل نزاع معرفي فضلاً عن مبادرته لتعليمهم الكتاب وأسباب نزوله . قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) .

ولا نريد تكرار ما بحثناه في الفصل الأول وإنما نريد أن نشير إلى سبب نزول الآية - آية التطهير - كما ذكره المفسرون . فنحن نريد أن ندرس سبب النُّزول للآية الشريفة وقد وقفت على أهمية معرفة سبب النُّزول في فهم النص ومدلولاته .

البحث بلحاظ حيثيتين :

الحيثية الأولى : الروايات الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في تبيان سبب النُّزول .

الحيثية الثانية : آراء وأقوال المفسرين ونظرياتهم فيها .

الحيثية الأولى : الروايات الواردة في تبيان سبب النزول

إن الروايات الواردة عن النبي الأكرم ﷺ في تبيان سبب نزول الآية الشريفة - آية التطهير - كثيرة جداً ، تعدت حدود الاستفاضة وبلغت التواتر وأفادت القطع - هذا ما ستلاحظه - . وقد أشار الحاكم الحسكاني إلى هذا المعنى ، فقال : (قد كثرت الرواية فيه)^(١) . وقد أخرج الحاكم أكثر من مائة وثلاثين رواية تبين تعلق واختصاص آية التطهير بأهل البيت ﷺ (علي وفاطمة والحسين)^(٢) .

ولكي يسهل البحث نحاول تصنيف الروايات إلى عدة مجاميع ، تتضمن كل مجموعة معنىً متقارباً أو مضموناً واحداً ، وكما يلي :

المجموعة الأولى : روايات قصة الكساء

الروايات التي ذكرت قصة الكساء وأشارت إلى حركة النبي ﷺ بضمهم وإدخالهم تحت كساء خيبري أو يمانبي ، غاية في الحصر وإمعاناً في الوضوح ، ولئلا تختلط على الأذهان معرفة أشخاصهم ومسمياتهم ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، عدم فسح المجال ، بل وسد الذرائع لمن يريد أن يشوش على الأمة ذهنها بعدم معرفتهم ، أو بإدخال غيرهم معهم ، أو أن يدعي غيرهم بدلاً عنهم .

وإليك بعضاً من هذه الروايات :

١ - **أورد ابن كثير في تفسيره** : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن مصعب ،

حدثنا الأوزاعي ، حدثنا شداد أبو عمّار ، قال : « دخلت على وائلة بن الأسقع رضي الله عنه »

(١) شواهد التنزيل : ١٨/٢ .

(٢) انظر شواهد التنزيل : الأحاديث تحت الأرقام ٦٣٧ إلى ٧٧٤ .

وعنده قوم . فذكروا علياً عليه السلام فشتموه معهم ، فلما قاموا قال لي : شتمت هذا الرجل ؟ قلت : قد شتموه فشتمته معهم .

قال : ألا أخبركم بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قلت : بلى .

قال : أتيت فاطمة رضي الله عنها أسألها عن علي عليه السلام ، فقالت : تَوَجَّهَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه علي عليه السلام وحسن وحسين رضي الله عنهم ، أخذ كل واحدٍ منهما بيده حتى دخل ، فأدنى علياً وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسناً وحسيناً رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه - أو قال كساءه - ثم تلا صلى الله عليه وآله هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ وقال : اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أَهْلَ بَيْتِي ، وَأَهْلَ بَيْتِي أَحَقُّ ^(١) .

وقد رواه أبو جعفر بن جرير في تفسيره عن عبد الكريم بن أبي عمير ، عن الوليد بن مسلم ، عن أبي عمرو الأوزاعي بسنده ، نحوه ^(٢) .

٢ - أخرج ابن جرير : حدَّثنا أبو كريب ، حدَّثنا مصعب بن المقداد ، حدَّثنا

سعيد بن زربي ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : « جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة ، تحملها على طبق ، فوضعتها بين يديه صلى الله عليه وآله فقال : أين ابن عمك وابناك ؟ فقالت رضي الله عنها : في البيت .

فقال صلى الله عليه وآله : ادعهم ، فجاءت إلى علي عليه السلام فقالت : أجب رسول الله صلى الله عليه وآله أنت وابناك .

(١) تفسير ابن كثير : ٣٦٦/٦ . مسند أحمد : ١٠٧/٤ .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٤/١٩ .

قالت أم سلمة رضي الله عنها: فلما رآهم مقبلين مَدَّ يده إلى كساء كان على المنامة ، فمدّه وبسطه وأجلسهم عليه ، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمّه فوق رؤوسهم ، وأوماً بيده اليمنى إلى ربّه فقال : اللّهُمَّ هُوَلاءِ أَهْلَ بَيْتِي ، فَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً»^(١) .

٣ - أخرج ابن جرير: حدّثنا ابن حُميد ، حدّثنا عبد الله بن عبد القدّوس ، عن الأعمش ، عن حكيم بن سعد ، قال : « ذكرنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام عند أم سلمة رضي الله عنها فقالت : في بيتي نزلت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

قالت أم سلمة : جاء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيتي فقال : لا تأذني لأحد ، فجاءت فاطمة رضي الله عنها فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسن عليه السلام فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جدّه وأمه ، ثم جاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه عن جدّه صلى الله عليه وآله وأمه رضي الله عنها ، ثم جاء عليّ عليه السلام فلم أستطع أن أحجبه ، فاجتمعوا ، فجلّلهم رسول الله صلى الله عليه وآله بكساء كان عليه ، ثم قال : هُوَلاءِ أَهْلَ بَيْتِي ، فَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً ، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط .

قالت : فقلت : يا رسول الله ، وأنا ؟

قالت : فوالله ما أنعم ، وقال : إِنَّكَ إِلى خَيْرٍ »^(٢) .

٤ - أخرج ابن جرير: حدّثنا أبو كريب ، حدّثنا خالد بن مخلد ، حدّثنا موسى بن يعقوب ، حدّثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة ، قال : « أخبرتني أم سلمة رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جمع عليّاً

(١) تفسير الطبري : ١٠٥/١٩ . تفسير ابن كثير : ٣٦٧/٦ .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٧/١٩ . تفسير ابن كثير : ٣٦٧/٦ .

وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، ثم أدخلهم تحت ثوبه ، ثم جأ إلى الله عز وجل ثم قال : هؤلاء أهل بيتي .

قالت أم سلمة رضي الله عنها : فقلت : يا رسول الله ، أدخلني معهم .
فقال صلى الله عليه وآله : إنك من أهلي .

ورواه الطبري بطريق آخر : عن أحمد بن محمد الطوسي ، عن عبد الرحمن بن صالح ، عن محمد بن سليمان الأصبهاني ، عن يحيى بن عبيد المكي ، عن عطاء ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أمه رضي الله عنها بنحو ذلك ^(١) .

٥ - أخرج ابن جرير : حدّثنا وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن بشير ، عن زكريا ، عن مصعب بن شيبة ، عن صفية بنت شيبة ، قالت : « قالت عائشة رضي الله عنها : خرج النبي صلى الله عليه وآله ذات غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود ، فجاء الحسن عليه السلام فأدخله معه ، ثم جاء الحسين فأدخله معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه ، ثم جاء علي عليه السلام فأدخله معه ، ثم قال صلى الله عليه وآله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ^(٢) .

٦ - أخرج ابن أبي حاتم : حدّثنا أبي ، حدّثنا شريح بن يونس أبو الحارث ، حدّثنا محمد بن يزيد ، عن العوام - يعني ابن حوشب عليه السلام - عن ابن عم له ، قال : « دخلت مع أبي علي عائشة رضي الله عنها فسألتها عن علي عليه السلام .

فقلت رضي الله عنها : تسألني عن رجل كان من أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكانت تحته ابنته وأحبّ الناس إليه ؟ لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علياً وفاطمة

(١) تفسير الطبري : ١٠٥/١٩ - ١٠٦ ، وفيه اختلاف يسير .

(٢) المصدر السابق ، وأخرجه مسلم : ١٨٨٣/٤ ، الحديث ٢٤٢٤ ، وابن أبي شيبة ، من طريق

وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم فألقى عليهم ثوباً فقال : « اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

قالت : فدنوت منهم فقلت : يا رسول الله ، وأنا من أهل بيتك ؟
فقال ﷺ : تَنَحِّي فَإِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ » (١) .

٧- أورد السيوطي في الدرّ المنثور: أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي

حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه ، عن أمّ سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ : « أن رسول الله ﷺ كان بيئتها على منامة له ، عليه كساء خيبري ، فجاءت فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة ، فقال رسول الله ﷺ : ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً ، فدعتهم .

فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، فأخذ النبي ﷺ بفضله إزاره فغشاهم إياهم ، ثم أخرج يده من الكساء وأوماً بها إلى السماء ثم قال : اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، قالها ثلاث مرّات .

قالت أمّ سلمة رضي الله عنها : فأدخلت رأسي في الستر فقلت : يا رسول الله ، وأنا معكم ؟

فقال : إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ ، مرّتين » (٢) .

٨- أخرج الطبراني : بإسناده عن أمّ سلمة : « أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة :

اُتَيْتَنِي بِزَوْجِكَ وَابْنَيْكَ ، فجاءت بهم ، فألقى عليهم رسول الله ﷺ كساءً ثم قال : اللَّهُمَّ هؤُلاءِ آل محمد فأجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد ﷺ كما جعلتها على

(١) أورده ابن كثير في تفسيره : ٣٦٨/٦ .

(٢) الدرّ المنثور : ٥٣٢/٦ .

إبراهيم عليه السلام ، إنك حميد مجيد ^(١) .

قالت أم سلمة : فرفعتُ الكساء لأدخل معهم ، فجبذه ^(٢) من يدي وقال : إنك على خير ^(٣) .

٩ - أخرج ابن مردويه ، والخطيب : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : « كان يوم أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بحسن وحسين وفاطمة وعلي ، فضمهم إليه ، نشر عليهم الثوب ، والحجاب على أم سلمة مضروب ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

قالت أم سلمة رضي الله عنها : فأنا معهم يا نبي الله ؟
قال : أنت على مكانك وإنك على خير ^(٤) .

وفي سنن الترمذي :

١٠ - أخرج الترمذي وصحَّحه ، والحاكم وصحَّحه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه ، من طرق ، عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : « في بيتي نزلت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ وفي البيت فاطمة

(١) المعجم الكبير : ٢٦٦٥/٥٣/٣ .

(٢) جبد : لغة في جذب ، وفي الحديث : فجبذني رجل من خلفي ، أي بمعنى جذبني . انظر : لسان العرب : ١٦٥/٢ ، والمصباح المنير .

(٣) المعجم الكبير ، للطبراني : ٢٦٦٤/٥٣/٣ ، وأخرج مثله بإسناده عن واثلة بن الأسقع ، وأبي سعيد الخدري وأم سلمة بطرق متعدّدة ، تحت الأرقام : ٢٦٦٢ ، ٢٦٦٣ ، ٢٦٦٦ ، ٢٦٦٧ ، ٢٦٦٨ ، ٢٦٦٩ ، ٢٦٧٣ .

(٤) الدر المنثور : ٥٣٢/٦ .

وعليّ والحسن والحسين ، فجّلّلهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ، ثمّ قال : هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً»^(١).

وفي صحيح مسلم :

١١ - أخرج ابن أبي شيبة ، وأحمد ، ومسلم ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والحاكم ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : « خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مُرَحَّل^(٢) من شعر أسود ، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما فأدخلهما معه ، ثمّ جاء عليّ فأدخله معه ، ثمّ قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ »^(٣).

وفي مسند أحمد :

١٢ - حدّثنا محمد بن مصعب ، قال : حدّثنا الأوزاعي ، عن شدّادِ أبي عمّار - في حديث طويل - عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ، قال : « ... جاء رسول الله ﷺ إلى فاطمة ومعه حسن وحسين وعليّ ، حتّى دخل ، فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسناً وحسيناً ، كلّ واحد منهما على فخذه ، ثمّ لفّ عليهم ثوبه - أو قال : (كساء) - ثمّ تلا هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

(١) نقلاً عن الدر المنثور مورد الآية ، لاحظ سنن الترمذي كتاب : تفسير القرآن عن رسول الله ، باب : من سورة الأحزاب ، رقم ٣٢٠٥ . تهذيب السنن : الحديث ٣٦٣٩ ، ٣٥٥٨ . الجامع الصحيح : الحديث ٣٧٨٧ و ٣٨٧١ .

(٢) المرحّل : الذي فيه خطوط شبه الرّحال .

(٣) صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل أهل بيت النبيّ ، رقم ٢٤٢٤ ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف بإسناد آخر عن عائشة أيضاً تحت رقم ٣٢٦٣٨ ، وأخرجه البغوي في شرح السنّة : ٨/٨٧ ، باب مناقب أهل الرسول ، الحديث ٣٩١٠ ، وقال : « هذا حديث صحيح » .

تَطْهِيراً ﴿١﴾ ، وقال : اللَّهُمَّ هُوَلاءِ أَهْلِ بَيْتِي ، وَأَهْلِ بَيْتِي أَحَقُّ ﴿١﴾ .

وأخرج الحافظ الحاكم الحسكاني :

١٣ - أخبرنا أبو يحيى الحيكاني ، قال : أخبرنا يوسف بن أحمد الصيدلاني بمكة ، قال : أخبرنا أبو جعفر العقيلي الحافظ ، قال : حدّثنا يحيى بن عثمان ، قال : حدّثنا نعيم بن حمّاد ، قال : حدّثنا الفضل بن موسى السّيناني ، قال : حدّثنا عمران بن مسلم ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدريّ في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ﴿٢﴾ .

قال : « جمع رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة والحسن والحسين ، ثمّ أدار عليهم الكساء فقال : هُوَلاءِ أَهْلِ بَيْتِي اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً ﴾ ﴿٣﴾ .

وأخرج الحاكم أيضاً :

١٤ - أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمّد ، قال : أخبرنا أبو بكر محمّد بن عبد الله ، قال : أخبرنا الحسن بن سفيان ، قال : حدّثنا أبو عمّار الحسين بن حريث ،

(١) مسند أحمد - كتاب مسند الشاميين : باب حديث واثلة بن الأسقع ، رقم ١٦٩٨٨ ، طبعة محقّقة . والحديث صحيح كما عن المحقّق ، أخرجه ابن أبي شيبة : ٣٢٦٣٩ . وأبو يعلى : ٧٤٨٦ ، والطبراني في المعجم الكبير : ٥٥/٣ من طريق محمّد بن مصعب ، بهذا الإسناد ، لكن لفظه عند أبي يعلى : « وأهل بيتي أتوا إليك لا إلى النار » .

وأخرجه البخاري في التّاريخ الكبير : ١٨٧/٨ مختصراً ، والطبري في تفسيره ، والطحاوي في مشكل الآثار : ٣٣٦/١ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين : ١٥٩/٣ ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . والهيثمى في

مجمع الزوائد : ١٤٩٧٢/٢٦٣/٩ .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

(٣) شواهد التنزيل : ٣٧/٢ ، الحديث ٦٥٧ .

وأبو النضر إسماعيل بن عبد الله السلمي ، قال : حدّثنا الفضل بن موسى ، عن عمران بن مسلم ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدريّ ، عن النبي ﷺ في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ .

قال : « جمع رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين ، ثمّ أدار عليهم الكساء فقال : هؤلاء أهل بيتي اللّهمّ أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً » .

وزاد أبو النضر : وأمّ سلمة على الباب .

فقلت : يا رسول الله ، ألسنت منهم ؟

فقال : إنّك لعلی خير وإلى خير .

الفضل بن موسى صاحب أبي حنيفة إمام أهل مرو في الفقه وتابعه جماعة (١) .

نكتفي بهذا القدر من الروايات ضمن المجموعة الأولى وهي غيض من فيض ،

ومن أراد المزيد فليراجع الملحق رقم (١) في آخر الكتاب .

الاستنتاج :

نستنتج من كلّ ما تقدّم من الروايات المتظافرة التي وردت في الصحاح والسنن

والمسانيد ، كون آية التطهير قد نزلت بمفردها ، وفي بيت أمّ سلمة ، أو في بيت

عائشة ، وقد خصّ الله تعالى بها نبيّه الكريم وأهل بيته (عليّ ، وفاطمة ، وحسن

وحسين) ، فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً ، فلم تشمل غيرهم ، لا من

أزواجه ، ولا أحد من أعمامه ، أو عشيرته ، أو أصحابه .

المجموعة الثانية : الروايات التي صرّحت بأسمائهم

١ - **أخرج الحاكم الحسكاني** ، قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي ، قال : أخبرنا أبو محمد السّمّدي ، قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه ، قال : حدّثنا إسحاق بن راهويه الحنظلي بمسنده الكبير ، وفيه قال : أخبرنا الملائي قال : حدّثنا عمران بن أبي مسلم - شيخ كان في جهينة - قال : « سألت عطية عن هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

فقال : أحّدثك عنها بعلم ، حدّثني أبو سعيد الخدري أنّها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وفي الحسن والحسين وفي فاطمة وعليّ ، وقال (رسول الله) : **اللَّهُمَّ هُوَلاءِ أَهْلِ بَيْتِي فَأُذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً** .

وكانت أمّ سلمة بالباب فقالت : وأنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : **إِنَّكَ بخير وإلى خير** .

الملائي : هو أبو نعيم الفضل بن دكين ، وهو ثقة متفق عليه .

و(رواه) عنه جماعة ، وعمران : هو أبو عمر الأزدي ، وعنه (روى) جماعة ، وقد رواه عن عطية غير عمران جماعة^(١) .

٢ - **وأخرج الحاكم الحسكاني أيضاً** ، قال : أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد

العابد ، قال : حدّثنا أبو أحمد الحسين بن عليّ إملاءً ، قال : أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسين الخثعمي بالكوفة ، قال : حدّثنا عبّاد بن يعقوب ، قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن المسعودي عن كثير النّوا ، عن عطية عن أبي سعيد الخدري ، قال : « نزلت هذه الآية في خمسة فقرأها وسمّاهم ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ في رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين

(١) شواهد التنزيل : ٣٩/٢ ، الحديث ٦٥٩ و ٦٦٠ .

صلوات الله عليهم»^(١).

٣ - وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد: عن أبي سعيد الخدري ، قال : « قال رسول الله ﷺ : نزلت هذه الآية في خمسة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ في - أي : رسول الله ﷺ - وفي علي وفاطمة وحسن وحسين »^(٢).

٤ - أورد السيوطي في تفسيره: أخرج ابن مردويه عن أم سلمة ، قالت : « نزلت هذه الآية في بيتي : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ وفي البيت سبعة : جبريل وميكائيل عليهما السلام وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، وأنا على باب البيت قلت : يا رسول الله أأنت من أهل البيت عليهما السلام ؟ قال : إنك إلى خير إنك من أزواج النبي ﷺ »^(٣).

٥ - أورد السيوطي في تفسيره أيضاً: أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والطبراني عن أبي سعيد الخدري عليه السلام ، قال : « قال رسول الله ﷺ : نزلت هذه الآية في خمسة : في ، وفي علي وفاطمة وحسن وحسين ، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ »^(٤).

(١) شواهد التنزيل : ٣٩/٢ ، الحديث ٦٦٠ ، ورواه الحافظ ابن عساكر في الحديث ١٢٤ في ترجمة الإمام الحسن من تاريخ دمشق : ٦٨/١٣ ، ورواه أبو نعيم أيضاً في كتاب ما نزل من القرآن في علي : الحديث ٥١ ، نقلاً عن الهامش .

(٢) مجمع الزوائد : ١٤٩٧٦/٢٦٤/٩ ، ورواه البزار رقم (٢٦١١) ، كما في كشف الأستار ، ولكن ورد فيه : « في عباس » بدلاً عن « في » أي رسول الله ﷺ ، والأخير هو الصواب ، كما في مجمع الزوائد .

(٣) الدرّ المنثور : ٥٣٢/٦ . وانظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : ١٧٦٧٣/٣١٣١/٩ .

(٤) الدرّ المنثور : ٥٣٢/٦ .

٦- أخرج الطبري في تفسيره: حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا بكر بن

يحيى بن زبّان العنزّي ، قال : حدثنا مندل ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : نزلت هذه الآية في خمسة : فيّ وفي علي عليه السلام وحسن عليه السلام وحسين عليه السلام وفاطمة رضي الله عنها : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ^(١) .

اكتفينا بهذا الكمّ الضئيل من الروايات الشريفة ، وأعرضنا عن ذكر الروايات من طرق الشيعة رعاية للاختصار ، ومن أحبّ المزيد فليراجع الملحق رقم (٢) في آخر الكتاب .

المجموعة الثالثة: الروايات المشيرة إلى فعل النبي صلى الله عليه وآله

الروايات التي أشارت إلى تلاوة الآية على باب دارهم ، من قبل النبي صلى الله عليه وآله :

من الملفت للنظر حقاً أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يكتف بالتصريح بأسمائهم ولا بإحاطتهم بكسائه إمعاناً في تشخيصهم ، بل راح صلوات الله وسلامه عليه ، يكرّر تلاوة الآية الشريفة على باب دار فاطمة وعلي عليه السلام ، بحركة ملفتة للنظر وأمام مرأى ومسمع المسلمين ، وعند اجتماعهم في أوقات الصلوات ولمدة تراوحت بين ستة أشهر وسبعة أشهر ، أو أكثر - حسب اختلاف الروايات - ، ومن المعلوم أنّ هذا الفعل من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم يكن رغبة منه فقط ، بل هو أمر من الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ^(٢) .

وما ذلك إلا لإفهام المسلمين هوية أهل بيته بوضوح دون غبش أو تزوير ، لأهميّة دورهم في مستقبل الأُمّة .

(١) تفسير الطبري : ١٩/١٠١ - ١٠٢ .

(٢) النجم : ٣ - ٤ .

وإليك بعضاً من هذه الروايات الشريفة :

١ - **أورد ابن كثير في تفسيره**، قال الإمام أحمد : حدّثنا عفان ، حدّثنا حماد ، أخبرنا علي بن زيد ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمرّ بباب فاطمة رضي الله عنها ستّة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : الصّلاة يا أهل البيت عليهم السلام ، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ . »
ورواه الترمذي عن عبد حميد ، عن عفان به ، وقال : حسن غريب ^(١) .

٢ - **أورد السيوطي في تفسيره**، قال : أخرج ابن أبي شيبة ، وأحمد ، والترمذي وحسنه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والطبراني ، والحاكم وصحّحه ، وابن مردويه ، عن أنس رضي الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمرّ بباب فاطمة رضي الله عنها إذا خرج إلى صلاة الفجر ، ويقول : الصّلاة يا أهل البيت عليهم السلام الصّلاة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ » ^(٢) .

٣ - **وأورد السيوطي في تفسيره أيضاً** : أخرج ابن جرير ، وابن مردويه ، عن أبي الحمراء (هلال بن الحارث) رضي الله عنه ، قال : « حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله ثمانية أشهر بالمدينة ، ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلّا أتى إلى باب علي رضي الله عنه ، فوضع يده على جنبتي الباب ، ثمّ قال : الصّلاة... الصّلاة... ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ » ^(٣) .

(١) ابن كثير : ٣٦٥/٦ . مسند أحمد : ٣٣١/١ ، كتاب التفسير - تفسير سورة الأحزاب ، باب ٧ .
وكتاب باقي مسند المكثرين ، باب باقي مسند أنس بن مالك ، رقم ١٣٧٢٨ ، وسنن الترمذي (الجامع الكبير) : كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، باب من سورة الأحزاب ، رقم ٣٢٠٦ .

(٢) الدّر المنثور : ٥٣٣/٦ ، ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده : ٣٩٧٨/٥٩/٧ .

(٣) الدّر المنثور : ٥٣٣/٦ . انظر مشكل الآثار ، للطحاوي : ٣٢٨/١ .

٤ - وأورد السيوطي في تفسيره أيضاً: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس

رضي الله عنهما ، قال : « شهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عليه السلام عند وقت كل صلاة فيقول : السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت عليهم السلام ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ الصّلاة رحمكم الله ، كل يوم خمس مرات » ^(١) .

٥ - وأورد السيوطي في تفسيره أيضاً: أخرج الطبراني عن أبي الحمراء عليه السلام ،

قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب علي وفاطمة ستة أشهر فيقول : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ » ^(٢) .

٦ - أخرج الطبري في تفسيره ، قال : حدّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ^(٣) محمد بن

بكر ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس : « أنّ النّبي صلى الله عليه وآله كان يمرّ ببیت فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى الصّلاة فيقول : الصّلاة أهل البيت عليهم السلام ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ » ^(٤) .

٧ - وأخرج الطبري في تفسيره : حدّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا

يونس بن أبي إسحاق ، قال : أخبرني أبو داود ، عن أبي الحمراء ، قال : « رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد النّبي صلى الله عليه وآله . قال : رأيت النّبي صلى الله عليه وآله إذا طلع الفجر ، جاء إلى باب علي وفاطمة فقال : الصّلاة الصّلاة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ » ^(٤) .

(١) و (٢) الدر المنثور: ٥٣٣/٦.

(٣) ملاحظة: (ثنا) مختصر (حدّثنا) ، وكذلك (أنا) مختصر (أخبرنا) ، هكذا تجده في كتب الحديث ، وقد يتكرّر وروده هنا ، فلاحظ .

(٤) تفسير الطبري: ١٠٢/١٩ ، وأخرجه الطيالسي: ٢١٧١ ، وابن أبي شيبة: ١٢٧/١٢ ، وأحمد: ٢٧٣/٢١ ، ١٣٧٢٨/٤٣٤ ، ١٤٠٤٠ ، والترمذي: ٣٢٠٦ ، وغيرهم من طرق عن حماد به .

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿١﴾ .

٨- وأخرج الطبري في تفسيره أيضاً، قال : حدّثني عبد الأعلى بن واصل ،

قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق ، بإسناده عن النبي ﷺ ،
مثله (٢) .

٩- وأخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل : أخبرنا أبو الحسن بن أبي

بكر الحافظ بقراءتي عليه من أصل سماعة ، [أخبرنا] أبي ، قال : حدّثني أبو بكر
عبدالله بن سليمان ، وأخبرنا أبو القاسم عبدالرحمن بن علي بن حمدان الفارسي ،
قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن الحسين البغدادي ، قال : حدّثنا عبدالله بن
سليمان بن الأشعث ، قال : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم شاذان الفارسي ، قال : حدّثنا
الكرماني بن عمرو ، قال : حدّثنا سالم بن عبدالله أبو حمّاد الصيرفي ، قال : حدّثنا
عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال :

« لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ﴾ (٣) كَانَ يَجِيءُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَابِ

عَلِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : الصَّلَاةُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (٤) .

(١) تفسير الطبري : ١٠٣/١٩ ، وأخرجه ابن عدي : ٣٢٩/٨ من طريق يونس به . وأخرجه
البخاري في التاريخ الكبير : ٢٥/٨ - ٢٦ باب الكنى ، والعقيلي في الضعفاء الكبير :
١٣١/٣ ، والطبراني : الحديث ٢٦٧٢ من طريق أبي داود به .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٣/١٩ ، وأخرجه ابن عساكر ٢٨٩/٤ من طريق الفضل بن دكين
وعبدالله بن موسى عن يونس به .

(٣) طه : ١٢٢ .

(٤) شواهد التنزيل : ٤٦/٢ . وقال القندوزي الحنفي في ينابيعه : « وروي هذا الخبر عن ثلاثمائة
من الصحابة » . ينابيع المودة : ٥٩/٢ .

١٠- **أخرج الحاكم أيضاً:** أخبرنا أبو سعيد الجرجاني ، قال : أخبرنا أبو الحسين الحجاجي ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الهاروني بدمشق ، قال : أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسين الجعفي ، قال : حدثنا إسماعيل بن صبيح ، قال : حدثنا أبو حماد سالم الصيرفي ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن نبي الله صلى الله عليه وآله ، قال : « [لما] نزلت هذه الآية ﴿ وَأُمِرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ﴾ قال : كان يجيء إلى باب عليّ تسعة أشهر كلّ صلاة غداة ويقول : الصلاة رحمكم الله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ » (١).

اكتفينا بهذا المقدار من الروايات الشريفة - رعاية للاختصار - ويمكن مراجعة الملاحق لمعرفة المزيد ، رغبة في سعة الاطلاع .

هذا التنوع في الروايات التي نقلها كبار الصحابة والتابعين ونقلها أصحاب الصحاح والمسانيد ، يكون حصيلة علمية معرفية كافية في تشخيص هوية أهل البيت عليهم السلام .

وبعد هذا الاستعراض المقتضب للروايات الشريفة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والمبينة لأسباب نزول آية التطهير ، نود أن نذكر الملاحظات التالية :

ملاحظات تستدعي الانتباه:

الملاحظة الأولى:

إن الرواة قد نقلوا سبب نزول الآية الشريفة عن النبي صلى الله عليه وآله لا اجتهاداً منهم ، وهذه المسألة لها قيمة علمية خاصة عند العارفين بهذا الفن .

فهذه الطريقة من النقل ، لا يمكن أن ينتابها الشك - حينما تصح الرواية - ولا مجال للتمرد عليها ؛ لأنها من السنة النبوية ، وقد صحّت الرواية عنه . وهذا بخلاف الطريقة الأخرى التي يخبر فيها الراوي عن رأيه واجتهاده الخاص عن سبب النزول ، فهذه الطريقة للمناقشة فيها سبيل ، ولانجد أنفسنا ملزمين باتباع اجتهاد الراوي أو رأيه الخاص^(١) . وما وجدناه من روايات تقدّمت ، أغلبها قد تمّ روايتها عن النبي ﷺ في تبيان شأن النزول للآية الشريفة .

الملاحظة الثانية :

السعة والشمول للروايات ، التي ذكرت سبب نزول آية التطهير وكلّها قد اتفقت بما صرّحت بأسمائهم ، وتقرن مضمونها حول الفعل الذي قام به النبي ﷺ من إحاطتهم بكساء أو ثوب أو رداء أو غير ذلك .
مما يشكّل تواتراً في نقل الحديث ، وهذا التواتر يفيد القطع واليقين .

الملاحظة الثالثة :

الفعل المميّز للنبي ﷺ حين نزول الآية الشريفة ، أو حينما رأى الرّحمة هابطة من السماء - حسب تعبير الرواية - إذ سارع بجمعهم وضمّهم إليه وإحاطتهم بالكساء والرداء ، إمعاناً في حصرهم والتأكيد على تشخيصهم دون غيرهم ، وعدم الاكتفاء بهذا الفعل ، بل أخذ النبي ﷺ بالدعاء رافعاً يده إلى السماء قائلاً :
« اللَّهُمَّ هُوَلاءَ أَهلِ بَيْتِي فأذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً » .
« اللَّهُمَّ هُوَلاءَ أَهلِ بَيْتِي وَأهلِ بَيْتِي أَحقُّ » .
« اللَّهُمَّ إِلَيْكَ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ » .

(١) سيأتي بيانه في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى ، فلاحظ .

«اللَّهُمَّ هُوَ أَلِي...» .

إلى غيرها من ترنيمات الدعاء التي تكشف عن حرص النبي صلى الله عليه وآله واهتمامه البالغ في تحديد هويتهم ، وتشخيص منزلتهم عند الله تعالى ، كاشفاً ذلك لصحابته وللأمة الإسلامية .

الملاحظة الرابعة :

قول النبي صلى الله عليه وآله لأم المؤمنين عائشة وأم سلمة : « تَنَحِّي أَنْتِ لَسْتِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ » ، أو « إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ » ، وغيرها من العبارات التي توضح أن النبي صلى الله عليه وآله يريد أن يزيل شبهة في الأذهان قد تنصرف إلى أن أمهات المؤمنين من أهل البيت عليهم السلام أيضاً ، فلذا أراد صلوات الله وسلامه عليه أن يزيل أية شبهة قد تحدث في المستقبل بادعاء هذه المنقبة ، وهذه الكرامة من قبل غيرهم ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى حق الأمة الإسلامية على رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبين لهم قدوتهم ويزيل عنهم ما يمكن أن يتطرق إليه الشك أو الشبهة .

الملاحظة الخامسة :

رَفُضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله لَطَلَبَ أُمَّ سَلْمَةَ أَوْ عَائِشَةَ ، بَأَنَّ تَكُونَا مَعَهُمْ - رَغْمَ كَوْنِهِ صلى الله عليه وآله قَدْ عَرَفَ بِالخَلْقِ الْعَظِيمِ وَلَا يَرْفُضُ حَاجَةَ تَطَلُّبِ مَنْهُ ، وَطَلِبَهُمَا غَيْرَ تَعْجِيزِي ظَاهِرًا - فِيهِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا مِنْهُ شَخْصِيًّا ، إِذْ مَا قِيَمَةُ الْكِسَاءِ - بِحَدِّ ذَاتِهِ - الَّذِي رَفُضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله السَّمَاحَ لَهُمَا بِالْدُخُولِ تَحْتَهُ ؟ بَلْ جَذَبَهُ مِنْ يَدَيْهَا ، كُلُّ ذَلِكَ أَلَا يَكْشِفُ عَنْ وَجُودِ سِرِّ عَظِيمٍ يَكْتَنِفُ هَذَا الْفِعْلَ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَأَنَّ لِأَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ خُصُوصِيَّةً وَمَنْزِلَةً عَظِيمَةً قَدْ خَصَّهَمُ اللَّهُ بِهَا دُونَ سِوَاهُمْ .

الملاحظة السادسة :

لم يكتف النبي صلى الله عليه وآله بما تقدّم من فعل ومن قول ومن دعاء ، بل أخذ يؤكّد ويكرّر -

كما ذكره الصحابة - « أن هذه الآية نزلت في خمسة : في وفي علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام » .

الملاحظة السابعة :

ما اكتفى النبي صلى الله عليه وآله بما جرى في تلك الواقعة - حادثة الكساء - خشية أن يلقها النسيان أو أن تختلط الأذهان حول وقوعها أو غيرها من المحتملات ، بل راح يؤكد تلاوتها على باب دار فاطمة وعليّ ولمدة أشهر عديدة وأثناء أوقات الصلوات عند اجتماع المسلمين قائلاً : الصلاة يرحمكم الله يا أهل البيت عليهم السلام ، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

الملاحظة الثامنة :

لم يُسمع من النبي صلى الله عليه وآله طيلة حياته . أنه قد أطلق هذا المصطلح (أهل البيت عليهم السلام) على غيرهم ، سوى قوله لسلمان رضي الله عنه : « سلمان منا أهل البيت » في إشارة إلى كونه رضي الله عنه من أخلص أتباع أهل البيت عليهم السلام ، لا أنه فردٌ من أفراد أهل البيت عليهم السلام الذين خصّهم الله تعالى بإذهاب الرّجس وطهّرهم تطهيراً .

الملاحظة التاسعة :

بعد كل هذا التأكيد والتشديد من النبي صلى الله عليه وآله في تشخيص (أهل البيت عليهم السلام) وتعريفهم ، هل يبقى الشك يراود البعض ، فيقول بخلاف ما ذهب إليه وما أراده رسول الله صلى الله عليه وآله !

إلى هنا قد فرغنا عن تبيان الحيثية الأولى . وهي تبيان سبب النزول لآية التطهير من خلال الروايات الكثيرة والمتظافرة التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله . حان الوقت لتبيان الحيثية الثانية .

الحيثية الثانية : آراء وأقوال المفسرين ونظرياتهم

لكي يتعضد البحث ويستوفي تمام ملاكه ، ويستكمل جميع جوانبه ، أجد من الضروري أن أستعرض آراء المفسرين ونظرياتهم في خصوص آية التطهير ، وما المقصود بـ (أهل البيت عليهم السلام) ، وسنعمد بشكل أساس على ماورد في تفسير الكشف والبيان للثعلبي كمصدر رئيس ، على أننا سنكمل البحث في الفصل اللاحق .

أقوال المفسرين والعلماء باختصاصها بأصحاب الكساء :

١ - قال أبو بكر النّقاش في تفسيره : « أجمع أكثر أهل التفسير أنها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم »^(١) .

٢ - وقال سيدي محمد بن أحمد بنيس في شرح همزية البوصيري : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » أكثر المفسرين أنها نزلت في عليّ وفاطمة والحسين رضي الله عنهم »^(٢) .

٣ - وقال العلامة سيدي محمد جسوس في شرح الشمائل : « ... ثمّ جاء الحسن بن عليّ فأدخله ، ثمّ جاء الحسين فدخل معهم ، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ، ثمّ جاء عليّ فأدخله ، ثمّ قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ وفي ذلك إشارة إلى أنهم المراد بأهل البيت في الآية »^(٣) .

(١) انظر جواهر العقدين ، للسمهودي : ١٩٨ ، الباب الأول . تفسير آية المودة : ١١٢ .

(٢) لوامع أنوار الكوكب الدرّي : ٨٦/٢ ، نقلاً عن الكشف والبيان : ٣٦/٨ .

(٣) شرح الشمائل المحمدية : ١٠٧/١ ، ذيل ما جاء في لباس رسول الله ، نقلاً عن المصدر

٤ - وقال الطحاوي في مشكل الآثار بعد ذكر أحاديث الكساء: « فدلّ

ما روينا في هذه الآثار مما كان من رسول الله ﷺ إلى أم سلمة ممّا ذكرنا فيها ، لم يرد به أنها كانت ممّا أريد به ممّا في الآية المتلوّة في هذا الباب - آية التطهير - ، وأنّ المراد بما فيها هم رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين دون ما سواهم . »

وقال بعد ذكر أحاديث تلاوة النّبِيِّ ﷺ الآية على باب فاطمة : « في هذا أيضاً دليل على أنّ هذه فيهم »^(١) .

٥ - وقال الفخر الرازي: « وأنا أقول : آل محمّد هم الذين يؤول أمرهم إليه ،

فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل ، ولا شك أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشدّ التعلّقات ، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر: فوجب أن يكونوا هم الآل .

أيضاً اختلف الناس في الآل ، فقيل : هم الأقارب ، وقيل : هم أمّته ، فإنّ حملناه على القرابة فهم الآل ، وإنّ حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل .

فثبت أنّ على جميع التقديرات هم الآل ، وأمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل ؟ فمُخْتَلَف فيه ، وروى صاحب الكشّاف أنّه لمّا نزلت هذه الآية [المودّة] قيل : يا رسول الله ﷺ : من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟

فقال ﷺ : علي وفاطمة وابناهما ، فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النّبِيِّ ﷺ وإذا ثبت هذا وجب أنّ يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدلّ عليه وجوه... الخ »^(٢) .

وسياتي مزيد من البيان في الأمر الثالث ، فلاحظ .

(١) مشكل الآثار: ١/٣٣٦ ، ٣٣٩ ، باب ١٠٦ ما روى عن النّبِيِّ في الآية .

(٢) تفسير الفخر الرازي: م ١٤/٢٧/١٦٧ ، مورد آية المودّة ٢٣ / الشورى .

٦- وقال أبو بكر الحضرمي في رشفة الصادي: «والذي قال به الجماهير من

العلماء، وقطع به أكابر الأئمة، وقامت به البراهين وتظافت به الأدلة، أن أهل البيت عليهم السلام المرادين في الآية هم: سيّدنا عليّ وفاطمة وابناهما... وما كان تخصيصهم بذلك منه ﷺ إلا عن أمر إلهيّ ووحى سماويّ... والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وبما أوردته منها يعلم قطعاً أن المراد بأهل البيت عليهم السلام في الآية هم عليّ وفاطمة وابناهما رضوان الله عليهم، ولا التفات إلى ما ذكره صاحب روح البيان من أن تخصيص الخمسة المذكورين عليهم السلام بكونهم أهل البيت عليهم السلام من أقوال الشيعة، لأن ذلك محض تهوّر يقتضي بالعجب، وبما سبق من الأحاديث وما في كتب أهل السنّة يسفر الصبح لذي عينين».

إلى أن يقول: «وقد اجتمعت الأمة على ذلك فلا حاجة لإطالة الاستدلال له»^(١).

٧- وقال ابن حجر: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً﴾ أكثر المفسّرين على أنها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين».

وقال في موضع آخر بعد تصحيح الصّلاة على الآل: «فالمراد بأهل البيت عليهم السلام فيها وفي كل ما جاء في فضلهم أو فضل الآل أو ذوي القربى جميع آله ﷺ وهم مؤمنو بني هاشم والمطلب، وبه يعلم أنه ﷺ قال ذلك كلّ (مراده الروايات التي حذفت الآل كما في الصحيحين، والروايات التي أثبتت الآل) فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظه الآخر، ثمّ عطف الأزواج والذريّة على الآل في كثير من الروايات يقتضي أنّهما ليسا من الآل وهو واضح في الأزواج بناءً على الأصح في الآل أنّهم مؤمنو بني هاشم والمطلب، وأمّا الذريّة فمن الآل على سائر الأقوال، فذكرهم بعد

(١) رشفة الصادي من بحر فضائل بني النّبّي الهادي: ١٣ - ١٤ - ١٦، ط. مصر، و: ٢٣، ٤٠

ط. بيروت، الباب الأوّل: ذكر تفضيلهم بما أنزل الله في حقهم من الآيات، نقلاً عن

الكشف والبيان.

الآل للإشارة إلى عظيم شرفهم»^(١).

٨ - وقال السمهودي: «وحكى النّووي في شرح المهذب وجهاً آخر

لأصحابنا: أنّهم عترته الذين يُنسبون إليه ﷺ ، قال: وهم أولاد فاطمة رضي الله عنها، ونسلهم أبداً، حكاه الأزهري وآخرون»، انتهى^(٢).

٩ - وقال الإمام مجد الدين الفيروزآبادي: «المسألة العاشرة: هل يدخل في

مثل هذا الخطاب (الصلاة على النبي) النساء؟ ذهب جمهور الأصوليين أنّهن لا يدخلن، ونصّ عليه الشافعي، وانتقد عليه، وخطئ المنتقد»^(٣).

١٠ - وقال الملا علي القاري: «الأصح أنّ فضل أبنائهم على ترتيب فضل

آبائهم إلا أولاد فاطمة رضي الله تعالى عنها فإنهم يفضلون على أولاد أبي بكر وعمر وعثمان، لقربهم من رسول الله ﷺ، فهم العترة الطاهرة والذرية الطيبة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(٤).

١١ - وقال الحمزاوي: «واستدلّ القائل على عدم العموم بما روي من طرق

صحيحة: أنّ رسول الله ﷺ جاء ومعه عليّ وفاطمة والحسن والحسين.. وذكر أحاديث الكساء. إلى أنّ قال: ويحتمل أنّ التخصيص بالكساء لهؤلاء الأربع لأمر إلهي يدلّ له حديث أمّ سلمة، قالت: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي»^(٥).

(١) الصواعق المحرقة: ٤٢١/٢ - ٤٣٠، باب ١١ الآيات النازلة فيهم، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٢) جواهر العقدين: ٢١١، الباب الأوّل.

(٣) الصلوات والبشر في الصلاة على خير البشر: ٣٢، الباب الأوّل، نقلاً عن الكشف والبيان.

(٤) شرح كتاب الفقه الأكبر، لأبي حنيفة: ٢١٠، مسألة في تفضيل أولاد الصحابة، نقلاً عن الكشف والبيان.

(٥) مشارق الأنوار، للحمزاوي: ١١٣، الباب الثالث، الفصل الخامس، فضل أهل البيت، ⇨

١٢ - وقال القسطلاني: «إنّ الراجح أنّهم من حرمت عليهم الصدقة، كما نصّ عليه الشافعي واختاره الجمهور، ويؤيده قوله عليه السلام للحسن بن عليّ: إنا آل محمد لا تحلّ لنا الصدقة، وقيل المراد بآل محمد أزواجه وذريته». ثمّ ذكر بعد ذلك كلام ابن عطية فقال: «الجمهور على أنّهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين وحثهم (عنكم ويظهركم) بالميم، ولو كان النساء خاصّة لقال: عنكن»^(١).

١٣ - وقال أبو منصور ابن عساكر الشافعي: بعد ذكر قول أمّ سلمة -: «وأهل البيت رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين»، قال ابن عساكر: «هذا حديث صحيح... والآية نزلت خاصّة في هؤلاء المذكورين»^(٢).

١٤ - وقال ابن بليان (المتوفى ٩٣٧هـ) في ترتيب صحيح ابن حبان: ذكر الخبر المصرّح بأن هؤلاء الأربع الذين تقدّم ذكرنا لهم هم أهل بيت المصطفى عليه السلام، ثمّ ذكر حديث نزول الآية فيهم عن وائلة^(٣).

١٥ - وقال ابن الصّبّاح المالكي: أهل البيت عليهم السلام على ما ذكر المفسّرون في تفسير آية المباهلة، وعلى ما روي عن أمّ سلمة: هم النّبّي عليه السلام وعليّ وفاطمة والحسن والحسين^(٤).

١٦ - وقال الحاكم النّيسابوري: بعد أن ذكر حديث الكساء والصّلاة على الآل وأنه فيهم قال: «أمّا خرّجته ليعلم المستفيد أنّ أهل البيت عليهم السلام والآل جميعاً هم»^(٥).

⇒ نقلاً عن الكشف والبيان.

(١) المواهب اللدنيّة: ٥١٧/٢، ٥٢٩، الفصل الثاني من المقصد السابع. انظر شرح العلامة الزرقاني: ١٩٩/٩، ٢٤٨.

(٢) كتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين: ١٠٦، الحديث ٣٦.

(٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان - كتاب المناقب: ٦٩٧٦/٤٣٢/١٥.

(٤) الفصول المهمّة - المقدمة: ٢٢.

(٥) المستدرک: ١٦٠/٣، كتاب معرفة الصّحابة، ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام.

١٧ - وقال الحافظ الكنجي الشافعي : الصحيح أن أهل البيت عليهم السلام عليّ

وفاطمة والحسنان ، ثمّ يورد ما أخرجه مسلم في الصحيح ، ويعقبه بقوله : « وهذا دليل على أن أهل البيت هم الذين ناداهم الله بقوله أهل البيت ، وأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وآله في المرط »^(١).

١٨ - وقال القندوزي الحنفي في بنايحه : « أكثر المفسرين على أنها نزلت في

عليّ وفاطمة والحسن والحسين لتذكير ضمير ، عنكم ، ويطهركم »^(٢).

١٩ - وقال محبّ الدين الطبري : باب في بيان أن فاطمة والحسن والحسين

هم أهل البيت عليهم السلام المشار إليهم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وتجليه صلى الله عليه وآله إليّهم بكساء ودعائه لهم^(٣).

٢٠ - وقال الألويسي : « وأنت تعلم أن ظاهر ما صحّ من قوله صلى الله عليه وآله : « إني تارك

فيكم خليفتين - وفي رواية - ثقلين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ». يقتضي أن النساء المطهّرات غير داخلات في أهل البيت عليهم السلام الذين هم أحد الثقلين »^(٤).

٢١ - وقال توفيق أبو علم : فالرأي عندي أن أهل البيت عليهم السلام هم أهل الكساء :

عليّ وفاطمة والحسن والحسين ومن خرج من سلالة الزهراء وأبي الحسنين رضي الله عنهم أجمعين .

وقال في موضع الرّد على عبدالعزيز البخاري : أمّا قوله : أن آية التطهير المقصود

منها الأزواج ، فقد أوضحنا بما لا مزيد عليه أن المقصود من أهل البيت عليهم السلام هم

(١) كفاية الطالب : ٥٤ ، الباب الأوّل .

(٢) بناييع المودّة : ٤٢٩/٢ ، الباب ٥٩ .

(٣) ذخائر العقبى : ٥٥ .

(٤) تفسير روح المعاني : م ١٢/٢٢/٢٤ مورد الآية .

العترة الطاهرة لا الأزواج .

وقال : وأما ما يتمسك به الفريق الأعم والأكبر من المفسرين فيتجلى فيما روي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « نزلت هذه الآية في خمسة في عليّ وفي عليّ وحسن وحسين وفاطمة »^(١) .

٢٢ - وقال الشوكاني في إرشاد الفحول في الردّ على من قال إنها مختصة

بالنساء : « ويجاب عن هذا بأنه قد ورد الدليل الصحيح أنها نزلت في عليّ وفاطمة والحسين »^(٢) .

٢٣ - وقال أحمد بن محمد الشامي : « وقد أجمعت أمّهات كتب السُنّة

وجميع كتب الشيعة على أنّ المراد بأهل البيت عليهم السلام في آية التطهير ، النبي صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ، لأنهم الذين فسّر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله المراد بأهل البيت عليهم السلام في الآية ، وكلّ قول يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وآله من بعيد أو قريب مضروب به عرض الحائط ، وتفسير الرسول صلى الله عليه وآله أولى من تفسير غيره ، إذ لا أحد أعرف منه . بمراد ربّه »^(٣) .

٢٤ - وقال الشيخ الشبلنجي : « هذا ويشهد للقول بأنهم عليّ وفاطمة والحسن

والحسين ما وقع منه صلى الله عليه وآله حين أراد المباهلة ، هو ووفد نجران كما ذكره المفسرون »^(٤) .

٢٥ - وفي ختام هذه الجولة من آراء العلماء والمفسرين ، ننقل كلاماً

(١) أهل البيت : ٩٢ ، ذيل الباب الأوّل ، و : ٨ - المقدمة ، ٣٥ الباب الأوّل ، ١٣ الباب الأوّل (على الترتيب) ، نقلاً عن الكشف والبيان .

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ في علم الأصول : ٣٠٩ ، البحث الثامن من المقصد الثالث .

(٣) جناية الأكوغ : ١٢٥ الفصل السادس ، نقلاً عن الكشف والبيان .

(٤) نور الأبصار : ١٦٨ ، الباب الثاني في ذكر مناقب الحسن والحسين .

للعقاد: قال: « اختلف المفسرون فيمن هم أهل البيت عليهم السلام :

أمّا الفخر الرازي في تفسيره: ٧٨٣/٦، والزمخشري في كشّافه ، والقرطبي في تفسيره ، وفتح القدير للشوكاني ، والطبري في تفسيره ، والسيوطي في الدرّ المنثور: ١٦٩/٥ ، وابن حجر العسقلاني في الإصابة: ٤٠٧/٤ ، والحاكم في المستدرک ، والذهبي في تلخيصه: ١٤٦/٣ ، والإمام أحمد: ٢٥٩/٣ ، فقد قالوا جميعاً: إنّ أهل البيت عليهم السلام هم عليّ والسيدة فاطمة الزهراء والحسن والحسين رضي الله عنهم ^(١) . وأخذ بذكر الأدلة .

« وقال آخرون: عنى به رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين » ^(٢) .
هذا ما أردنا أن نقله من آراء لأكابر علماء ومفسي القرآن من إخواننا أهل السنة .
وأغمضنا النظر عمّا قاله الشيعة . وبهذا ينتهي الكلام في الأمر الثاني . ويبقى الكلام والبحث في الأمر الثالث من الدلالة الثالثة للآية الشريفة :

الأمر الثالث : الدراسة الموضوعية لآية التطهير

ونريد به الدراسة الموضوعية لآية التطهير مع الآيات القرآنية الأخرى التي انسجمت موضوعاتها مع موضوع الآية ، بمعنى دراسة الآيات القرآنية التي أشادت بأهل البيت عليهم السلام وتمّ تأكيدها وتوضيحها وتفسيرها على لسان النبي صلى الله عليه وآله - طبعاً باختصار مناسب - هذه الدراسة أقرب لفهم مقاصد القرآن الكريم .

فهذا المنهج يمكن أن يفضي إلى مراد الله تعالى من قرآنه الكريم ، وذلك عن طريق مقابلة الآية بالآية ، والنّص بالنّص ، ليستدلّ ببعضه على البعض الآخر .

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام ، للعقاد: ٧٠ ، ط . مصر - دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، نقلاً عن الكشف والبيان .

(٢) الكشف والبيان: ٤٢/٨ .

وقد أشاد بهذا المنهج ابن تيمية بقوله: «إنَّ أصحَّ الطرق في المنهج التفسيري هو أن يفسَّر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر»^(١).

وهذا النوع من المنهج قد اعتمده الكثير من السلف الصالح وسار عليه المتشرعة حتى زماننا الحاضر ، والحقُّ أن هذا النحو من المنهج يكون عاملاً مساعداً في كشف عيون التأويل واستخراج كنوز القرآن ولكنه لا يستوعب القرآن تفسيراً ، ما لم يضم إليه الأثر واللغة .

وهذا المنهج قد انتهجه العلامة المحقق السيد الخوئي رحمه الله في تفسيره للقرآن الكريم حيث قال : «إني كثيراً ما أستعين بالآية على فهم أختها وأسترشد القرآن إلى إدراك معاني القرآن ، ثم أجعل الأثر المروي مرشداً إلى هذه الاستفادة»^(٢).

وقبل كلِّ هذا وذاك ، فهو منهج القرآن الكريم ، حيث يفسَّر بعضه بعضاً ، كما قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : «كتاب ربِّكم فيكم ... مفسراً مجمله ، ومبيّناً غوامضه»^(٣) ، فهذا المنهج من أسمى المناهج الصحيحة الكافلة لتبيين المقصود من الآية .

وهذا المسار هو الطريق لبناء نظرية تعكس الموقف القرآني إزاء الموضوع المحدد . لنقرأ الآيات الشريفة التالية :

قال تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ

(١) شرح مقدمة في أصول التفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ، للشيخ محمد صالح العثيمين :

(٢) البيان : ١٣ .

(٣) نهج البلاغة : ١١ ، الخطبة ١ .

أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتِهَلْ فَنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴿١﴾ .

وقال تعالى : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ﴿٢﴾ .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٣﴾ .

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿٤﴾ .

هذه الآيات الشريفة بمجموعها تكوّن منظومة متكاملة ، تساهم في بناء هيكلية عقيدية للأمة ، فهي تمثل إطاراً مرجعياً يمكن أن يتحدّد فيه المنهج الأساس في مجال بناء صرح العقيدة الإسلامية ، وهذا الإطار المرجعي هو كالخريطة الأساسية للملامح العامة للعقيدة .

فآيات الشريفة - أعلاه - عند دراستها بعضها إلى البعض الآخر منضمة ، سيتاح لنا وضع المفاهيم في مواضعها وإخراجها من قوالبها المستقلة ، لنوصلها فيما بينها ، وتشغيلها في تشكيلاتها المتباينة في اتجاه موحد معلوم ، في سبيل تحقيق الفهم الدقيق لمقاصدها .

فآيات الشريفة توضّح الملامح الأساسية وتشخص الهوية الذاتية لجماعة قد خصّهم الله تعالى بخصائص ومميّزات تميّزوا بها عن غيرهم ، فصاروا بها أقرب عباده إليه ، واستوجبوا بذلك - بأمر من الله تعالى - على الأمة الطاعة

(١) آل عمران : ٦١ .

(٢) الشورى : ٢٣ .

(٣) الأحزاب : ٥٦ .

(٤) الأحزاب : ٣٣ .

والولاء والمحبة والاتباع .

فتعال يا أخي لنستنطق الآيات الشريفة بالاستعانة بالأثر النبوي الشريف ، مستكملين المعنى بما فسّره السلف الصالح من المفسّرين ، مقدار ما يقتضيه البحث على أمل العودة إليها في فصول لاحقة .

أولاً : آية المباهلة وآية التطهير

ففي الآية الأولى ، آية المباهلة ، يخاطب الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وآله قائلاً :

إذا استمر أحد في مجادلتك بعد تلك الاستدلالات البينة بشأن عيسى عليه السلام فادعه إلى المباهلة حتى يأتي بأبنائه ونسائه وادع أنت أيضاً أبناءك ونساءك وتضرّعوا إلى الله تعالى كي يفضح الكاذب .

وعندما عرض هذا الاقتراح عليهم ، طلب ممثلو نصارى نجران من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يمهلهم بعض الوقت ليتبادلوا الرأي مع شيخهم فكان لهم ما أرادوا ، وكانت نتيجة مشاورتهم ، هي أنّهم أمروا رجالهم بالدخول في المباهلة دون خوف إذا رأوا محمداً صلى الله عليه وآله قد حضر في كثير من الناس ووسط جلبة وضوضاء ، إذ إنّ هذا يعني أنّه بهذا يريد النبي صلى الله عليه وآله أن يبثّ الرعب والخوف في النفوس فقط ، وليس في أمره حقيقة ، وأما إذا رآوه قادماً في بضعة أنفار من أهله وصغار أطفاله إلى الموعد فليعلموا أنّه نبيّ الله حقاً وليتجنبوا مباهلته .

حضر المسيحيون إلى المكان المعين ، ثمّ رأوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أقبل بحمل الحسين على يد ويمسك الحسن باليد الأخرى ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعليّ خلفها عليه السلام ويطلب منهم أن يؤمّنوا على دعائه عند المباهلة ، وإذا رأى المسيحيون هذا المشهد استولى عليهم الفزع ورفضوا الدخول في المباهلة ..

يصرّح المفسّرون من الشيعة والسنة بأنّ آية المباهلة قد نزلت بحق أهل

البيت عليه السلام ، وأنّ الذين اصطحبهم النبي صلى الله عليه وآله معه للمباهلة بهم ، هم : الحسن والحسين وفاطمة وعلي عليهما السلام ^(١) .

من هنا نفهم : أنّ مفهوم ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ في الآية منحصر في الحسن والحسين . وأنّ مفهوم ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ في الآية منحصر في فاطمة ، ومفهوم ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ في الآية منحصر في علي عليه السلام .

ويقول القاضي نورالله التستري : « أجمع المفسّرون سنة وشيعة في أنّ ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ في هذه الآية إشارة إلى الحسن والحسين . و﴿وَنِسَاءَنَا﴾ إشارة إلى فاطمة الزهراء و﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ إشارة إلى علي عليه السلام » ^(٢) .

ويشير في كتابه إلى نحو من ستين من كبار علماء أهل السنّة من الذين قالوا : إنّ آية المباهلة نزلت في أهل البيت عليهم السلام ويذكر أسماء هؤلاء العلماء بالتفصيل ^(٣) .

ويقول الزمخشري - بعد أن ينقل الواقعة - : « فإن قلت : ما كان دعاؤه إلى المباهلة

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ١١١/٤ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي : م ٩١/٨/٤ . تفسير الكشاف ، للزمخشري : ٣٦٢/١ . الدر المنثور ، للسيوطي : ٢٢٠/٢ . الكشف والبيان ، للإمام الثعلبي : ٨٥/٣ . فتح القدير ، للإمام الشوكاني : ٤٤٧/١ .
(٢) إحقاق الحقّ : ٤٦/٣ .

(٣) من هؤلاء المشاهير الذين حقّقنا ما نُقل عنهم هذا التصريح :
مسلم في صحيحه : ١٨٧١/٤ ، كتاب فضائل الصّحابة . المنهاج ، للنووي : ١٧١/١٥ .
أحمد بن حنبل في مسنده : ١٨٥/١ . الطبري في تفسيره : ٤٧١/٥ . الحاكم في المستدرک : ١٦٣/٣ .
الحافظ أبو نعيم الاصفهاني في دلائل النّبوة : ٣٥٥ . الواحدي النيشابوري في أسباب التّزول : ٨٨ . ابن الأثير في جامع الأصول : ٦٧٠١/١٥٤/٩ . ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ٢٣ . القاضي البيضاوي في تفسيره : ٤٧/٢ . الألوسي في تفسيره روح المعاني : ٣٠٣/٣ . الطنطاوي في تفسيره المعروف الجواهر : ١٢٠/٢ . ابن حجر العسقلاني في كتابه الإصابة : ١٤٤/٤ في بيان فضائل علي عليه السلام . ابن الصباغ في كتابه الفصول المهمة : ٢٢ - ٢٣ .
الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل : ١٥٥/١ ، الأحاديث : ١٦٨ - ١٧٦ .

إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه ، فما معنى ضمّ الأبناء والنساء ؟

قلت - الجواب منه أيضاً-: ذلك أكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه ، حيث استجراً على تعريض أعزته ، وأفلاذ كبده وأحبّ الناس إليه لذلك ، ولم يقتصر على تعريض نفسه له ، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته ، هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة . وخصّ الأبناء والنساء لأنهم أعزّ الأهل والصفهم بالقلوب .»

ثمّ يضيف الزمخشري قائلاً: « وفي هذا دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام » (١).

فالزمخشري يلتفت إلى وجه العلاقة بين آية التطهير وآية المباهلة .

المصّرّحون بعلاقة الآيتين : فمنهم :

١ - **السهودي** - بعد أن ذكر الأحاديث في إقامة النبي صلى الله عليه وآله آله مقام نفسه وذكر آية المباهلة وأنها فيهم - قال : « وهؤلاء هم أهل الكساء ، فهم المراد من الآيتين (المباهلة والتطهير) » (٢).

٢ - **الشيخ الشبلنجي** : « ويشهد للقول بأنهم - أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير - عليّ وفاطمة والحسن والحسين ، ما وقع منه صلى الله عليه وآله حين أراد المباهلة ، هو ووفد نجران كما ذكره المفسّرون » (٣).

فبهذا قد تبين وجه العلاقة بين الآيتين موضوعاً ، ويتجلّى الأمر وضوحاً أكثر ،

(١) تفسير الكشاف : ٣٦٣/١ .

(٢) جواهر العقدين : ٢٠٤ الباب الأول .

(٣) نور الأبصار : ١٦٨ .

حينما نستشعر تلك الأجواء وحالات المواجهة المصيرية ، والتَّحدِّي الكبير للرسالة الإسلاميَّة ونبيِّها ﷺ ، فلا بدَّ من إبراز أقوى سلاح يمتلكه النبيُّ ﷺ ، كي يكسب المعركة ، سواء كان التَّحدِّي عقائدياً ، أم سياسياً ، أم عسكرياً . فالنبيُّ ﷺ وهو القائد الفذُّ ، ماذا أبرز للنصارى حينما تحدَّوا رسالته ، أمام عرب الجزيرة العربية ؟ أبرز لهم الصِّفوة الطاهرة من أهل البيت ﷺ .

قصة المباهلة أسرار خفية

لعلَّك تسأل عن السرِّ في اصطحاب النبيِّ ﷺ أهل بيته ﷺ في قصة المباهلة ؟
الجواب ضمن النقاط التالية :

أولاً: لو كان لدى النبيِّ ﷺ غير هؤلاء الأربعة الطاهرين ممن يستطيع أن يدحر بهم عدوه ويحقِّق بهم الانتصار الكبير لما تردَّد ﷺ في إبرازهم والمباهلة بهم .

ثانياً: إنَّهم - هؤلاء الأربعة الأطهار - يمثلون أقوى سلاح عقائديٍّ وفكري وسياسيٍّ للأمة الإسلاميَّة ، وهم الضمان لمستقبل الأمة عند مواجهة الأخطار ، وهذا ما أشاد به العدوُّ فضلاً عن الصديق ، إذ قال أسقف نجران :

« يا معشر النصارى ، إنِّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها ، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة ... فقالوا يا أبا القاسم ﷺ رأينا أن لا نباهلك ... »^(١) .

ثالثاً: هذه الواقعة امتحان كبير للإمة الإسلاميَّة ، لفهم منزلتهم وإعطائهم حقهم ، والوفاء لهم بما أمر الله تعالى في شأنهم ، وفي هذا أكبر شاهد ودليل على طهارتهم من الرِّجس بكل أشكاله وأنواعه ، وقرب منزلتهم من الله تعالى وعلو شأنهم عنده .

وقد أشار إلى ذلك الزمخشري بقوله: « في هذا دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام » (١).

رابعاً: في مجال المعركة العقائدية ، وعندما يكون التَّحدِّي بين الوجود واللاوجود ، لا يمكن لله تعالى أن يترك نبيّه دون تسديد ، ومن دون دعم وإسناد . ويكشف لذلك حركة النبوات جميعاً - فعليه أن فعل النبي صلى الله عليه وآله يكشف عن الأمر الإلهي .

ونحن نتساءل ونقول : لماذا لم يُبرز النبي صلى الله عليه وآله أبطال جيشه وفرسان مكة والمدينة من الصحابة ؟

وإنما أبرز هذين الطفلين (الحسن والحسين) وفاطمة وعليّ ... الصفوة الطاهرة . هذا يعني أنه أمرٌ من الله تعالى شأنه ، ليعزز الله تعالى دورهم وشأنهم ، أمام مرأى ومسمع من أبناء الأمة ، وأعدائها .

ثانياً: آية التطهير وآية المودة

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ .

ما نريد أن نشير إليه في الآية الشريفة - وهو وجه الترابط بينها وبين آية التطهير - هو ، مَنْ هم أهل القربى الذين وجبت مودّتهم ؟

فهل هم أعمام النبيّ ، أم هم قريش ، أم زوجات النبيّ أم غيرهم ؟

فكيف نخرج عن هذا الإجمال ؟

إذن لابدّ لنا من استنطاق الروايات المفسّرة للنصّ القرآني ، كي يرتفع الإبهام عمّن التبس عليه الأمر . وإليك إشارة موجزة لهذه الروايات الشريفة :

١ - الإمام أحمد بن حنبل في (فضائل الصحابة) : بسنده عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس ، قال : « لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي

الْقُرْبَىٰ ﴾ قالوا : يا رسول الله ، مَنْ قَرَابَتِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَجِبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتَهُمْ ؟

قال النبي ﷺ : علي وفاطمة وأبناهما عليهما السلام » (١) .

٢ - أورد السيوطي في الدر المنثور : أخرج أبو نعيم والديلمي من طريق

مجاهد ، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) ، قال : « قال رسول الله ﷺ : ﴿ لَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ أَنْ تَحْفَظُونِي فِي أَهْلِ بَيْتِي وَتُودُوهُمْ بِي » (٢) .

الإمام زين العابدين عليه السلام وقصة الرجل الشامي

روى الطبري في تفسيره القصة التالية : أخرج ابن جرير عن أبي الديلم ، قال : « لما

جاء بعلي بن الحسين عليه السلام أسيراً فأقيم على درج دمشق ، قام رجل من أهل الشام

فقال : الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم !!

فقال له علي بن الحسين عليه السلام : يا شيخ ، هل قرأت القرآن ؟

قال الرجل الشامي : نعم .

فقال له علي بن الحسين عليه السلام : أقرأت آل حم ؟

قال الشامي : لا .

قال علي بن الحسين : أما قرأت ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي

الْقُرْبَىٰ ﴾ ؟

قال : فإنكم لأنتم هم ؟

(١) فضائل الصحابة ، للإمام أحمد بن حنبل : ١١٤١/٦٦٩/٢ . مختصر تاريخ دمشق ،

لابن عساكر : ١٣/٧ .

(٢) الدر المنثور : ٣٠٠/٧ .

قال علي بن الحسين : نعم» (١).

٣- وذكر القاضي البيضاوي في تفسيره : إنه روي : «لما نزلت الآية ﴿قُلْ

لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قيل : يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت موَدَّتْهم علينا ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : علي وفاطمة وأبناهما» (٢).

٤- ورد في تفسير الثعلبي : «ثم اختلفوا في قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله ، الذين أمر الله

تعالى بموَدَّتْهم . أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه الثقفي العدل ، حدّثنا برهان بن علي الصوفي ، حدّثنا محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي ، حدّثنا حرب بن الحسن الطحان ، حدّثنا حسين الأشقر ، عن قيس عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : لما نزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ .

قالوا : يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا موَدَّتْهم ؟

قال صلى الله عليه وآله : علي وفاطمة وأبناهما» (٣).

وجاء في تفسيره أيضاً : روى أبو حازم عن أبي هريرة ، قال : «نظر رسول الله صلى الله عليه وآله

إلى علي وفاطمة والحسن والحسين ، فقال : أنا حرب لمن حاربتهم ، وسلم لمن سالمتم» (٤).

والثعلبي بعد أن ينقل الروايات الكثيرة في المعنى المتقدم ، يورد بعض الأقوال

(١) تفسير الطبري : ٤٩٩/٢٠.

(٢) تفسير البيضاوي : ١٢٨/٥ . رواه الطبراني في الكبير : رقم ١٢٢٥٩ ، والهيثمي في مجمع الزوائد : ١١٣٢٦/٢٢٨/٧ ، بإسناده عن ابن عباس ، وذكره الزمخشري في تفسيره : ٢١٣/٤ .

(٣) الكشف والبيان : ٣١٠/٨ . وفي مجمع الزوائد : ١١٣٢٦/٢٢٨/٧ : «علي وفاطمة وأبناهما» .

(٤) الكشف والبيان : ٣١١/٨ . سنن الترمذي : ٣٦٠/٥ .

المخالفة لما رواه فيقول : وقال قوم : هذه الآية منسوخة فإثماً نزلت بمكة ...
يجيب الإمام الثعلبي قائلاً : « وهذا قول غير قوي ولا مرضي لأن ما حكينا من
أقوال أهل التأويل في هذه الآية (آية المودة) لا يجوز أن يكون واحد منها منسوخاً ،
وكفى فتحاً بقول من زعم أن التقرب إلى الله تعالى بطاعته ومودة نبيه وأهل بيته
منسوخ » .

ويضيف قائلاً : « والدليل على صحة مذهبنا فيه ، ما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن
حامد الأصبهاني ، أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين البلخي ، حدّثنا
يعقوب بن يوسف بن إسحاق ، حدّثنا محمد بن أسلم الطوسي ، حدّثنا يعلي بن
عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله
البعجلي ، قال : « قال رسول الله ﷺ : مَنْ مات على حبّ آل محمد مات شهيداً .
ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مغفوراً له . ألا ومن مات على حبّ آل محمد
مات تائباً . ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان . ألا ومن
مات على حبّ آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكرًا ونكيرًا . ألا ومن مات
على حبّ آل محمد جعل الله تعالى زوّار قبره ملائكة الرحمن . ألا ومن مات على حبّ
آل محمد فتح في قبره بابان من الجنة .

ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من
رحمة الله . ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرًا . ألا ومن مات على بغض آل
محمد لم يشم رائحة الجنة » (١) .

أقول : وروى هذا الحديث ، الزمخشري في تفسيره « الكشاف » ، وأورد الفخر
الرازي في تفسيره هذا الحديث عن الزمخشري وأضاف قائلاً : « وأنا أقول :

(١) الكشاف والبيان : ٣١٤/٨ . ينابيع المودة : ١٤٠/٣ . تفسير القرطبي : ٢٣/١٦ . تفسير
الكشاف : ٢١٤/٤ .

آل محمد عليهم السلام هم الذين يؤل أمرهم إليه ، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ، ولاشك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله أشد التعلقات ، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل»^(١).

ويضيف الفخر الرازي قائلاً: « وأيضاً اختلف الناس في الآل فقيل هم الأقارب ، قيل هم أمته ، فإن حملناه على القرابة فهم الآل ، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل . فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل . وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل ؟ فمختلف فيه ، وروى صاحب الكشاف ، أنه لما نزلت هذه الآية - آية المودة - قيل يا رسول الله ... الخ البحث - وقد نقلناه سابقاً - ، فثبت أن هؤلاء الأربعة (عليّ وفاطمة وابناهما) أقارب النبي صلى الله عليه وآله ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدل عليه وجوه :

الأول: قوله تعالى : ﴿ **إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ ووجه الاستدلال به ما سبق

- وسيأتي مزيد من التوضيح - .

الثاني: لا شك أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحب فاطمة عليها السلام . قال صلى الله عليه وآله : « فاطمة

بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها » وثبت بالنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يحب علياً والحسن والحسين ، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله لقوله تعالى : ﴿ **وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾^(٢).

ولقوله تعالى : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ** ﴾^(٣).

ولقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾^(٤).

(١) التفسير الكبير: م ١٤/٢٧/١٦٦.

(٢) الأعراف: ١٥٨.

(٣) النور: ٦٣.

(٤) آل عمران: ٣١.

ولقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (١).

الثالث : إنَّ الدعاء للآل منصب عظيم ، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التَّشْهَد في الصَّلَاة وهو قوله : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وارحم مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ ، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل ، فكلُّ ذلك يدل على أَنَّ حُبَّ آلِ مُحَمَّدٍ واجب .

ثمَّ يذكر الفخر الرازي أبيات الشافعي رحمه الله مستشهداً بها :

ياراكباً قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والتاهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتطم القرات الفاض
إن كان رفضاً حُبَّ آلِ مُحَمَّدٍ فليشهد الثقلانِ أنني رافضي» (٢)

ويظهر من كلِّ ما تقدّم وجه المناسبة والارتباط بين آية المودّة وآية المباهلة من جهة وآية التطهير من جهة أخرى .

ثالثاً: آية التطهير وآية الصَّلَاة على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٣).

عند ملاحظة الآية الشريفة للوهلة الأولى ، قد يستغرب المرء من وجه ارتباطها بآية التطهير . وما هي المناسبة بينهما ؟
ولكننا سنجد المناسبة واضحة لاحقاً .

(١) الأحزاب : ٢١ .

(٢) تفسير الفخر الرازي : م ١٤ / ٢٧ / ١٦٦ ، الأبيات في ديوان الشافعي : ٥٥ ، ذكرها ابن حجر في الصواعق المحرقة : ٢ / ٣٨٨ ، وطبقات الشافعية ، للسبكي : ١ / ٢٩٩ .

(٣) الأحزاب : ٥٦ .

ففي هذه الآية الشريفة يبين المولى عز وجل صلته على النبي الكريم ، وهي ذكره بالثناء في الملائكة الأعلى ، وإرسال الرحمة إليه ، ويبين تعالى صلاة ملائكته على النبي الكريم وهي تزكيتهم له ، وطلب الرحمة منه تعالى لنبيه ، ويا لها من مراتب سامية وسنية ! ولكن أين منزلة صلاتنا من صلوات الله وملائكته على نبيه الكريم ؟ وإنما هي تشريف وكرامة منه تعالى لنا بأن تفرق صلاتنا إلى صلته ، وأن يوصلنا عن هذا الطريق بالأفق الأعلى لنزداد تقرباً إليه .

ونلفت الانتباه إلى أن الخطاب للمؤمنين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ، معنى ذلك أن هذه الصلوات على النبي تحتاج إلى إيمان راسخ وتحتاج إلى صفاء قلب وطهارة ، لأن فيها مزيداً من الكرامة والحفاوة .

ولكي تتجلى لنا أنوار هذه الآية ، لابد لنا من استعراض النصوص المفسرة لها للاستيضاح ، ولتبيان وجه ارتباطها مع آية التطهير .

وإليك بعضاً منها :

١ - أخرج الإمام البخاري في صحيحه :

حدّثني سعيد بن يحيى ، حدّثنا أبي ، حدّثنا مسعر ، عن الحاكم ، عن ابن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة رضي الله عنه : « قيل : يا رسول الله صلى الله عليه وآله ، أمّا السّلام عليك فقد عرفناه فكيف الصّلاة ؟

قال صلى الله عليه وآله : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » (١) .

(١) صحيح البخاري : ١٨٠٢/٤ ، تفسير سورة الأحزاب ، الباب ٢٨٢ ، الحديث ٤٥١٩ و ٤٥٢٠ ، وأخرج أيضاً قال : حدّثنا إبراهيم بن حمزة ، حدّثنا ابن أبي حازم ، والذراوردي عن يزيد ، وقال : « كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد ، كما »

٢ - أخرج الإمام النسائي في سننه :

أخبرنا محمد بن سلمة والحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع واللفظ له ، عن ابن القاسم ، قال : حدّثني مالك عن نعيم بن عبد الله المجرّم : أنّ محمد بن عبد الله بن زيد الأنصاري وعبد الله بن زيد الذي أرى النداء بالصلاة أخبره عن أبي مسعود الأنصاري أنّه قال : « أتانا رسول الله ﷺ في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله عزّ وجلّ أن نُصليّ عليك يا رسول الله . فكيف نُصليّ عليك ؟

فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنّينا أنّه لم يسأله ، ثمّ قال : قولوا : اللّهُمَّ صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد ، والسّلام كما علمتم » (١) .

وقد ذكر النسائي روايات متعددة بهذا الخصوص كلّها تتحدّث عن الصّلاة على محمد وآله . وكذلك ذكر روايات أخرى في تبيان فضل الصّلاة على محمد وآل محمد أيضاً (٢) .

⇒ باركت على إبراهيم وآل إبراهيم . وأيضاً في : ٢٣٣٨/٥ ، باب الصّلاة على النّبي ﷺ ، الحديث ٥٩٩٦ و ٥٩٩٧ ، ورواه مسلم في صحيحه : ٤٠٥/٣٠٥/١ و ٤٠٦ ، باب الصّلاة على النّبي ﷺ - ١٧ ، وأحمد : ٢٤١/٤ - ٢٤٣ ، وأبو داود : الحديث ٩٧٦ و ٩٧٧ ، والدارمي ٣٠٩/١ ، والترمذي : الحديث ٤٨٣ ، وابن ماجه : الحديث ٩٠٤ ، وابن أبي شيبة في المصنّف : ٥٨٦/٣ - ٥٨٩ ، وابن حبان في صحيحه : الحديث ٩١٢ ، والحميدي : الحديث ٧٢٨ و ٧٢٩ ، والبيهقي في السنن : ١٤٨/٢ .

(١) سنن النسائي : الحديث ١٢٨٥ ، وانظر الأحاديث تحت الأرقام ١٢٨٦ - ١٢٩٣ .
 (٢) أمّا في باب فضل الصّلاة على النّبي فقد أخرج روايات متعددة تحت أرقام : ١٢٩٥ إلى ١٢٩٩ ، ومن هذه الروايات ، الرواية التالية :

أخبرنا إسحاق بن منصور ، قال : حدّثنا محمد بن يوسف ، قال : حدّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن بُريد بن أبي مریم ، قال : حدّثنا أنس بن مالك ، قال : « قال رسول الله ﷺ : من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشر صلوات ، وحطّ عنه عشر خطيئات ، »

٣- أورد السيوطي في الدر المنثور:

أخرج عبدالرزاق ، وابن أبي شيبة ، وأحمد ، وعبد بن حميد ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن مردويه ، عن كعب بن عجرة رضي الله عنه ، قال : « قال رجل : يا رسول الله ، أمّا السّلام عليك فقد علمناه فكيف الصّلاة عليك ؟ قال صلى الله عليه وآله : قل : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صلّيت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » (١) .

هذا وقد أورد السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ، ثمانية عشر حديثاً ، إضافة إلى الحديث أعلاه ، صرّحت جميعاً بوجوب ذكر آل محمد عند الصلوات .

⇨ ورُفعت له عشر درجاتٍ « الحديث ١٢٩٧ .

وذكر الفخر الرازي في تفسيره ، الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله إذ قال : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا » .

وروى الثعلبي بإسناده عن الحكم بن عبد الله بن الخطاب ، عن أمّ الحسن ، عن أبيها ، قالوا : « يا رسول الله ، رأيت قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : هذا من العلم المكنون ، ولو أنكم ما سألتموني عنه ما أخبرتكم به . إن الله تعالى وكلّ بي ملكين ، فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلّي عليّ إلا قال ذاك الملكان : غفر الله لك ، وقال الله تعالى وملائكته جواباً لذينك الملكين : آمين ... الحديث » . انظر تفسير الكشف والبيان : ٦٣/٨ .

(١) الدر المنثور : ٥٧١/٦ ، أورد الرواية عن الصحاح والسنن التالية :

صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ، رقم ٤٥١٩ . صحيح مسلم : كتاب الصّلاة ، باب الصّلاة على النبيّ بعد التشهد ، رقم ٤٠٦ . سنن الترمذي : كتاب الصّلاة ، باب ما جاء في صفة الصّلاة على النبيّ ، رقم ٤٨٣ . سنن أبي داود : كتاب الصّلاة ، باب الصّلاة على النبيّ بعد التشهد ، رقم ٩٧٦ . سنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصّلاة والسنة فيها ، باب الصّلاة على النبيّ ، رقم ٩٠٤ . مسند أحمد : كتاب أوّل مسند الكوفيين ، باب حديث كعب بن عجرة ، رقم ١٧٦٣٨ .

وقد رويت هذه الأحاديث في كتب أهل السُّنَّة المعروفة المشهورة - وقد أشرنا إليها في الهامش - عن جماعة من الصَّحابة ، منهم : ابن عَبَّاس ، وطلحة ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وأبو مسعود الأنصاري ، وبريدة ، وابن مسعود ، وكعب بن عجرة ، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وجوب الصَّلَاة على النَّبِيِّ منهج الإمام الشافعي

ذهب الإمام الشافعي إلى وجوب الصَّلَاة على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التشهُد الثاني في الصَّلَاة ، فقال ما نصّه : « فعلى كل مسلم وجبت عليه الفرائض أن يتعلم التشهُد والصَّلَاة على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَتَشَهَّدْ فِيهَا وَيَصَلِّيْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ يَحْسِنُ التَّشَهُدَ فَعَلِيهِ إِعَادَتُهَا ، وَإِنْ تَشَهَّدَ وَلَمْ يَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَتَشَهَّدْ فَعَلِيهِ إِعَادَةُ حَتَّى يَجْمَعَهُمَا جَمِيعاً » (١) .

وقد استدَلَّ الشافعي على الوجوب من خلال الآية الشريفة والرواية عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما قام به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعل ، فقال ما نصّه : « فلما روي أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعلمهم التشهُد في الصَّلَاة وروي أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمهم كيف يصلّون عليه في الصَّلَاة لم يجز - والله تعالى أعلم - أن تقول التشهد واجب والصَّلَاة على النَّبِيِّ غير واجبة ، والخبر فيهما عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيادة فرض القرآن » (٢) .

وقد روى في مسنده رواية أبي هريرة ورواية كعب ، وفيها ذكر قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أثناء الصَّلَاة ، وكما يلي : بإسناده عن كعب بن عجرة رضي الله عنه ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أنه كان يقول في الصَّلَاة : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى ... الحديث » (٣) .

(١) الأم ، للإمام الشافعي : ١٣٥/١ .

(٢) المصدر السابق : ١٣٤/١ .

(٣) مسند الامام الشافعي : ١١١ ، الحديث ١٧٢ .

وقد أشار إلى هذا المعنى الفخر الرازي ، بعد أن أورد رواية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله فقال ما نصّه : « هذا دليل على مذهب الشافعي لأنّ الأمر (صلُّوا) للوجوب فتجب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ولا تجب في غير التشهد فتجب في التشهد »^(١).

والطريف أنّ الشافعي قد نظم فتواه هذه شعراً وذكرها بصراحة حيث يقول :

يا أهل بيت رسول الله حُبُّكُمْ فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له^(٢)

النهي عن الصلاة البتراء

وبهذه المناسبة نود أن نوضّح بحثاً يتعلق بالصلاة على النبي وآله ؛ إذ إنّ البعض يصلّي على النبي ولا يصلّي على آله ، إمّا تكاسلاً وإمّا استثقلاً ، وإمّا جهلاً ، وإمّا حقداً ، وهذا ما يُسمّى بالصلاة البتراء ، وقد أوضح ذلك النبي صلى الله عليه وآله كما في الرواية التي أشار إليها ابن حجر في الصواعق المحرقة : إنّ النبي صلى الله عليه وآله : قال : « لا تصلوا علي الصلاة البتراء ، فقالوا : يا رسول الله ، وما الصلاة البتراء ؟

قال صلى الله عليه وآله : تقولون : اللهم صل على محمد ، وتمسكون ، بل قولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد »^(٣).

ولهذه الروايات وغيرها فقد اعتبر جمع من كبار فقهاء السُنّة إضافة (آل محمد) إلى اسم محمد صلى الله عليه وآله في تشهد الصلاة واجباً - كما تقدّم - وثمّة مسألة تستحق الانتباه وهي : أنّ في بعض روايات أهل السنة ، بل وفي كثير من روايات أهل البيت عليهم السلام لم ترد كلمة (على) لتفرّق - لفظاً - بين محمد وآل محمد ، بل كيفية الصلاة هي :

(١) التفسير الكبير : م ٢٢٨/٢٥/١٣.

(٢) انظر الصواعق المحرقة : ٤٣٥/٢.

(٣) الصواعق المحرقة : ٤٣٠/٢.

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»^(١).

الخلاصة

من خلال ما تقدّم اتّضحت المناسبة بين الآيتين (آية الصّلاة على النّبيّ) و (آية التطهير) فأهل البيت عليهم السلام هم الآل . وقد أمر النّبيّ صلى الله عليه وآله أن يُصلى على آله عند ذكر الصّلاة عليه ، فأهل البيت عليهم السلام في آية التطهير هم آل النّبيّ صلى الله عليه وآله وقد أشار إلى ذلك الفخر الرازي - وقد تقدّم نقل كلامه - .

استنتاج الحاكم النّيسابوري

ومن الجدير بالذّكر أنّ الحاكم النّيسابوري قد اختصر لنا الطريق ، وأوضح وجه العلاقة بين الآيتين ، وذلك من خلال ما أشار إليه في تعقيبه للرواية التالية :

أخرج الحاكم بإسناده عن عبدالله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، أنّه سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول : « لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هديّة سمعتها من النّبيّ صلى الله عليه وآله ؟

قلت : بلى .

قال : فاهدها إليّ قال : سألتنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا : يا رسول الله ، كيف الصّلاة عليكم أهل البيت ؟

قال : قولوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ... الحديث »^(٢) .

ثمّ يعقّب الحاكم فيقول : « وقد روى هذا الحديث بإسناده وألفاظه حرفاً بعد حرف الإمام محمّد بن إسماعيل البخاري عن موسى بن إسماعيل في الجامع

(١) انظر صحيح البخاري : ١٨٠٢/٤ ، تفسير سورة الأحزاب ، رواية الدّراوردي .

(٢) المستدرک : الحديث ٤٧١٠ ، كتاب معرفة الصّحابة ، ذكر مناقب أهل البيت .

الصحيح ، وإنما خرّجته ليعلم المستفيد أن أهل البيت والآل جميعاً هم» (١).

قولان مهمّان :

ولمزيد من التوضيح في معرفة أهل البيت عليهم السلام وكون أمّهات المؤمنين لا يشملهنّ النصّ القرآني - آية التطهير - نشير إلى ما قاله الآلوسي والفيروزآبادي :

الأول : ما قاله الآلوسي :

« وأنت تعلم أنّ ظاهر ما صحّ من قوله عليه السلام : «إني تارك فيكم خليفين - وفي رواية : ثقلين - كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض » يقتضي أنّ النساء المطهّرات غير داخلات في أهل البيت عليهم السلام الذين هم أحد الثقلين» (٢).

الثاني : ما قاله الإمام مجد الدين الفيروزآبادي :

«المسألة العاشرة : هل يدخل في مثل هذا الخطاب (الصلاة على النبيّ) النساء ؟ ذهب جمهور الأصوليين أنّهنّ لا يدخلن ، ونصّ عليه الشافعي ، وانتقد عليه وخطيء المنتقد» (٣).

(١) المستدرک علی الصحیحین : ١٦٠/٣ .

ملاحظة : إنّ البخاري في صحيحه - طبعة دار ابن كثير - قد أخرج الرواية وبنفس الإسناد ، وكما أشار الحاكم حرفاً بعد حرف ، ولكنه لم يذكر أهل البيت !!! وإنما قال : «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خرج علينا ، فقلنا : يا رسول الله ، قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد الحديث» . صحيح البخاري : الحديث ٥٩٩٦ .

(٢) تفسير روح المعاني : م١٢/٢٢/٢٤ .

(٣) الصلاة والبشر في الصلاة على خير البشر : ٣٢ ، الباب الأول ، نقلاً عن الكشف والبيان :

فما نتج عن دراسة الآيات الشريفة الأربعة المتقدمة هو: إن أهل البيت عليهم السلام هم آل محمد عليه السلام. وهم القربى، وهم: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ و﴿وَنِسَاءَنَا﴾ و﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ في آية المباهلة. وهم: الحسن والحسين وفاطمة وعلي عليهم السلام، وهؤلاء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهؤلاء الذين أوجب الله موَدَّتهم وقرن الصلاة على النبي عليه السلام بهم، وبأهل أعداء الإسلام بهم، فانهزم العدو لاكتشافه عظم شأنهم وخطير منزلتهم، فهل يعقل أن يعرف العدو منزلتهم ولا تعرف أنت منزلتهم!

ففي ما تقدّم حجة علينا جميعاً، ولا أظنك بعد هذا يكون في قلبك حيص بيص ...

ولكن رغم ذلك سنناقش النظريات الأخرى في الفصل الثالث، فلاحظ.



الفصل الثالث

النظريات المعارضة



النظريات المعارضة

البرهان

اتضح من الفصلين السابقين مرامنا فيما نريد أن نقوله في هذا الفصل ، والذي سنخصّصه في النظريات الأخرى المعارضة لما تقدّم .

بعد أن وقفت على الأدلة القاطعة والمتينة في دلالات آية التطهير ، والنصوص المتواترة ، المفسّرة لها ، وتمّ استيضاح كلّ ما يتعلق بالآية الشريفة ودلالاتها ، وحسبك بها .

ولكن لأمانة البحث لا بدّ من استعراض الآراء الأخرى مع أدلتها ثمّ مناقشتها لتمييز عندك الفرق بين الموقفين ، وتنتخب الطريق الأبلج في البين .

مع العلم أنّك قد وقفت بما لا شكّ فيه من دلائل القول المتقدّم ، وقرائنه ومؤيّداته وقد اطّلت على الروايات الكثيرة المتواترة التي تظافر نقلها من قبل الصّحابة والصّحابيات من أمّهات المؤمنين ، وقد تلقّته الأُمَّة بالقبول والرضا عند نزول النصّ ، وعند تفسيره من قبل النبيّ ﷺ وممارساته ، ولكن اختلفت الأُمَّة من بعده ، فاختلف الفهم ، وعندئذٍ لا بدّ لهذا الفهم من تنظير ، وتبيان الدليل ، فانساق الأدلة على ما فيها .

ولكي لا نستبق الحكم عليها بالضعف أو الوهن ، بل لا بدّ من ذكرها في المقام ثمّ مناقشتها .

ونحن ليس من أساليبنا إقصاء الآخر أو اتهامه ، خصوصاً عند البحث ، ولا ندعي كون الآخر معادياً لأهل البيت عليهم السلام كلا ، لأننا أمرنا جميعاً بمودّتهم ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (١) .

فكذلك نريد من الآخر أن لا يتهمنا - من خلال البحث - بالعداوة للأمّيات المؤمنين . غايتنا الوصول إلى الحقيقة واتباعها عندئذٍ .

وهذا ما نريده وما نبتغيه من البحث والله تعالى من وراء القصد وهو يتولّى الصالحين .

النّظرية الأولى : نظرية الزوجات

وتنصّ هذه النّظرية على أنّ آية التطهير نزلت بحق زوجات النبي صلى الله عليه وآله ، بمعنى أنّ المقصود من قوله (أهل البيت عليهم السلام) في الآية زوجات النبي صلى الله عليه وآله فقط ، وهذا الرأي في غاية التطرف ، لأنّه لا يكاد يرتضيه أغلب المفسّرين (٢) .

أدلة هذه النّظرية :

أصحاب هذه النّظرية حاولوا أن يسيقوا الأدلّة التالية .

الدليل الأوّل : السياق القرآني

أهم دليل استدّلوا به على كون المقصود من مصطلح (أهل البيت عليهم السلام) هو خصوص زوجات النبي صلى الله عليه وآله ، باعتبار أنّ ما قبل الآية وما بعدها يخصّ زوجات النبي ، فعليه السياق القرآني يقتضي أنّ يكون المقصود من المصطلح زوجات النبي صلى الله عليه وآله .

(١) الشورى : ٢٣ .

(٢) انظر : فتح القدير ، للشوكاني : ٣٣٩/٤ . تفسير القرطبي : ١٧٨/١٤ . تفسير ابن كثير :

وحيثما يوجّه لهم السؤال : فلماذا هذا التذكير بالضمائر ﴿عَنْكُمْ﴾ و (كم) - جمع الذكور - يجيبون : إنما كان التذكير بحسب لفظ الأهل^(١) ، وقد سُئل (عكرمة) ما هو دليله في تبيّنه لهذا الرأي ؟

أجاب : « لأن أول الآية متوجّه إليهن »^(٢) .

المناقشة :

أولاً : لزوم اللغو في القرآن الكريم

لو كانت (آية التطهير) تخصّ زوجات النبي ﷺ ، لكان ما قبلها وما بعدها لا يناسبها بالمرّة ، إلا أن تقول بقبول اللغو في القرآن الكريم - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - كيف ؟

نقول : لأنّ إذهاب الرّجس وإضفاء التطهير تتحقّق معه كلّ المكارم الأخلاقية والروحية ، ويبتعد أهله عن كلّ الرذائل والأخلاق المذمومة - وقد تقدّم تفسيره - فعندئذ كيف ينسجم ذلك مع أمر الله تعالى لنبيه الكريم بأن يخيّر أزواجه بين طلب الدنيا أو طلب الآخرة ، هذه تارة ، وتارة أخرى يوبّخهنّ ويتوعّدهنّ بمضاعفة العذاب لهنّ إن اقترفنّ فاحشة ، وفي الثالثة ينهاهنّ عن ارتكاب التبرّج الجاهلي ، ومع ذلك كلّه ، فإنّه قد طهرهنّ من كلّ رجس . أيصح هذا ؟

مع العلم أنّ فعل التطهير المؤكّد بالمصدر هو فعل استمراري ، أي المفروض أنّ الله تعالى قد حقّق التطهير لأهل البيت ﷺ وأذهب عنهم الرّجس ، فكيف يمكن أن لا تكون لهنّ لياقة على اختيار الآخرة فحسب ، حتّى يُخاطبنّ بالتخيير بين إرادة الله ورسوله ، وبين إرادة الحياة الدنيا وزينتها ؟

(١) تفسير القرطبي : ١٧٨/١٤ .

(٢) أشار إلى ذلك : صاحب مجمع البيان : ١١٩/٨ .

ولكي تتوضح المسألة أكثر، نقول: أيصح أن يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم - بعد أن طهره من كل دنس ورجس - فيقول له: هل تختار الدنيا أم تختار الآخرة؟!!

فكذلك لا يصح أن يخاطبن بهذا الخطاب على فرض كون التطهير وإذهاب الرجس يشملهنّ. فلو تدبرنا الآيات التالية:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا...﴾ .

﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ...﴾ .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ .

﴿... فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ...﴾ .

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .

ثمّ أمعنا النظر، لوجدنا السياق آبياً عن اختصاص آية التطهير بنساء النبي صلى الله عليه وآله لماذا؟ لأنه كيف يمكن تصحيح الخطاب القرآني لمن أذهب الرجس عنهنّ وطهرنّ تطهيراً كاملاً، والحال أنهنّ بعد لم يخترن الدنيا أم الآخرة؟! فلو قدر - لا سمح الله - أن اخترن الدنيا، فكيف ينسجم هذا الاختيار مع تحقّق التطهير لهنّ وإذهاب الرجس عنهنّ؟

ثانياً: أسلوب الآية يأبى اختصاصها بغير أهل البيت عليهم السلام

إنّ لحن الخطاب يتباين تبايناً كبيراً بين الحالتين، بين حالة التفرّيع والتوبيخ والتوعّد، وبين حالة الامتنان والاصطفاء والتطهير والاختصاص، فالحقُّ أن تقول: إنّ (آية التطهير) آبية عن اختصاصها بنساء النبي صلى الله عليه وآله.

فعليه أنّ التمسك بالسياق هو من أوهن الأدلّة وأضعفها.

ثالثاً: لزوم تقديم الظاهر على النص

إنّ دلالة السياق دلالة خفيّة ، بينما دلالة الضمائر دلالة نصيّة ، فكيف يصح تقديم الدلالة الخفيّة على الدلالة النصيّة ؟ ولا يلتزم بهذا أحد ، بل ما عليه جميع الأصوليين هو تقديم النصّوصيّة على الظهور ، لا العكس .

رابعاً: النصوص المفسّرة معارضة للسياق

لو سلمنا وتنزّلنا وقلنا بصحة الظهور السياقي في المقام ، نقول : لا مانع من أن نرفع اليد عن الظهور السياقي بعد ورود النصوص المفسّرة المتظافرة - من السنّة النبويّة الشريفة - باختصاصها (بأهل البيت عليهم السلام) الصّفوة الطاهرين ، ونحن قد فصلنا القول في ردّها على الظهور السياقي في المقام ، في الفصل الثاني . فراجع .

الدليل الثاني : الروايات المعارضة

وردت روايات أخرى في تفسير الآية الشريفة وهي روايات معارضة للروايات التي أوردناها عن الصّحابة والصّحابيّات ، والتي رووها عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وعن أمّهاث المؤمنين ، والتي أطبقت على حصر أهل البيت عليهم السلام وقت نزول الآية الشريفة في الخمسة الطاهرين .

الروايات المعارضة - كما ستطّلع على ذلك قريباً - ضعيفة سنداً ومتروكة ، وعرف بعض رواتها بالكذب والافتراء ، وهي تذهب إلى اختصاص آية التطهير بزوجات النبي صلّى الله عليه وآله خاصّة ، وهو رأي شديد التطرف - كما تراه - بل لا يرتضيه أمّهاث المؤمنين كما مرّ عليك من روايات أمّ سلمة وعائشة ، بل ولا يرتضيه أكثر المفسّرين ، وقد صرّح ابن حجر بذلك ، إذ قال : « إنّ أكثر المفسّرين على أنّها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين »^(١) .

(١) الصواعق المحرقة : ٤٢١/٢ .

هذه الروايات المعارضة ، قد أوردها السيوطي في الدر المنثور ، وهي كما يلي :

١ - أخرج ابن أبي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ قال : « نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله خاصة » ، وقال عكرمة : « من شاء باهله أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وآله » (١) .

٢ - وأخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن جبيرة رضي الله عنه ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : « نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله » (٢) .

٣ - وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن عكرمة في قوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ ، قال : « ليس بالذي تذهبون إليه ، إنما هن نساء النبي صلى الله عليه وآله » (٣) .

٤ - وأخرج ابن سعد عن عروة رضي الله عنه ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ ، قال : « يعني أزواج النبي صلى الله عليه وآله نزلت في بيت عائشة رضي الله عنها » (٤) .

٥ - ذكر الشوكاني : « وقد اختلف أهل العلم في (أهل البيت) المذكورين في الآية ، فقال ابن عباس وعكرمة ، وعطاء والكلبي ومقاتل وسعيد بن جبيرة : إن أهل البيت عليهم السلام المذكورين في الآية هن زوجات النبي صلى الله عليه وآله خاصة ، وقالوا : المراد بالبيت بيت النبي ، ومساكن زوجاته لقوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ، وأيضاً السياق في الزوجات » (٥) .

(١) و (٤) الدر المنثور : ٥٣١/٦ .

(٢) المصدر السابق ، وأخرجها الواحدي في أسباب النزول : ٢٩٦ ، بإسناده عن صالح بن

موسى القرشي ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبيرة .

(٣) المصدر السابق ، بإسناده عن علقمة ، عن عكرمة .

(٥) فتح القدير : ٣٣٦/٤ .

المناقشة :

قبل الدخول في مناقشة الروايات المعارضة لابد من تقديم مقدّمة نجدها مهمة في المقام .

مقدّمة ضرورية

الروايات المبيّنة لأسباب النُّزول يمكن تصنيفها إلى صنفين طبقاً لطريقة النُّقل :

الصنف الأوّل: إخبار الراوي عن الواقعة والحدث عن حس ، إذ هو يشهد

الواقعة ويخبر عن رسول الله ﷺ بإخبارٍ عن حسٍ ، لا عن حدس وتخمين ، هذه الرواية تكون معتبرة ، طبعاً بعد أن تُخضع روايتها إلى قواعد الجرح والتعديل ونتوثق من روايتها ، فعندئذ يعتمد قول الراوي في تبيانه لأسباب النُّزول .

ويقول الواحدي : « ولا يحلُّ القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسمع

ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها »^(١) .

وهذا الاشتراط إنّما هو من أجل الاستيثاق بأنّ ما ينقله الراوي حكاية عن حس ،

لأنّه اجتهاده أو تخرّص بالغيب . فلذا ينبغي أن نحذر من الأسباب المروية بطرق

واهية أو موضوعة إذ لا قيمة لها في الميزان العلمي وهذا يحتم الرجوع إلى الأسانيد

التي رويت بها أسباب النُّزول . وتحكيم منهج الجرح والتعديل فيها ، أو الرجوع إلى

أئمة الحديث المعبرين وإلى أقوالهم الموثّقة في ذلك .

الصنف الثاني: إخبار الراوي عن أسباب النُّزول بواسطة حدسه وتخمينه . فهو

لا يشهد الواقعة ولا يخبر عن رسول الله ﷺ وإنّما يُعبّر عن رأيه واجتهاده ، وربما يذكر

دليلاً في ذلك الشأن ، فهذا مما لا اعتبار له في الميزان العلمي الصحيح ، خصوصاً

مع وجود المعارض المروي عن رسول الله ﷺ .

(١) أسباب النُّزول : ٧ .

قال الزركشي: «قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه في كذا، فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لأن هذا كان السبب في نزولها، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع»^(١). وقال السيوطي: «كثيراً ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعدّدة وطريق الاعتماد في ذلك أن ينظر إلى العبارة الواقعة: فإن عبّر أحدهم بقوله: نزلت في كذا، والآخر: نزلت في كذا، وذكر أمراً آخر، فهذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النُّزول»^(٢). انتهى.

وهكذا، فقد اتضح الفرق بين الحالتين، وبينهما بون شاسع، فإن حصل التعارض بينهما، فلا مجال للرضوخ للصنف الثاني، لأنه إنّما يعبر عن رأيه الخاص، وهو غير ملزم الاتباع.

الروايات المعارضة في الميزان العلمي:

أمّا الرواية الأولى والثالثة، وقد نسبتا إلى عكرمة، فبطلانتهما واضح.

بطلان روايتي عكرمة للوجه التالية:

الوجه الأول: لو أمعنت النظر فيهما تجدهما من الصنف الثاني، فلا الراوي يخبرنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أنه قد شهد الواقعة، ومن ثمّ يخبر عنها، وإنّما يخبر بحدسه وتخمينه ويعبر عن رأيه واجتهاده. ونحن غير ملزمين باجتهاده ورأيه. فهي لا قيمة لها في الميزان العلمي.

الوجه الثاني: تجد حالات التطرّف واضحة فيهما، فلو تأملت روايتي عكرمة (الأولى والثالثة) تجد التحمّس والتطرف بشكل ملحوظ؛ مما يثير عند المتأمل

(١) العجّاب في بيان الأسباب: ١٧ و ١٨. وانظر الإتيقان: ١٠١/١.

(٢) الإتيقان: ١٠١/١.

والمنصف الكثير من علامات الاستفهام والاستغراب والشكوك . وإليك مقتطفات من أقواله المنسوبة إليه :

« مَنْ شاء باهلتها أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ » (١) .

« ليس بالذي تذهبون إليه ، إنما هو نساء النبي ﷺ » (٢) .

« كان ينادي بها في السوق » (٣) .

من خلال هذه التّقولَات نفهم أنّه قد توفّر عرف سائد ورأي عام ، أراد عكرمة أن يعرب عن موقفه الخاص اتّجاه ما اشتهر من نزول الآية في حقهم ، ليغيّر من واقع هذا العرف العام والفهم السائد حيث يقول : « ليس بالذي تذهبون إليه ... » ، ولماذا كان يصرّ عكرمة على مباهلة من خالفه ! فهذا يكشف ما كان يضمّره من مواقف عدائيّة اتّجاه (أهل البيت عليه السلام) . وإلّا فالمتعارف بين النّاس هو الجهر بالحقيقة بشكل معقول . أو عندما يسأل ، لا بهذه الصورة المتطرّفة التي تثير في النفوس الكثير من الشكوك .

الوجه الثالث : أنّ عكرمة لم ينقل لنا قول رسول الله ﷺ ولم ينقل الواقعة عن حس وإّما نقل لنا رأيه واجتهاده . ونحن غير ملزمين برأيه ، ولا بدّ له أن يبرز دليله لننظر فيه ، وأمّا إذا كان دليله كما ذكره الطبرسي وهو « أراد أزواج النبي ﷺ لأنّ أوّل الآية متوجّه إليهنّ » (٤) .

فجوابه : ما تقدّم حيث قد ناقشنا الدلالة السياقية وقد وقفت على بطلانها .

الوجه الرابع : أنّ عكرمة صاحب رأي ، وله استدلالاته الخاصّة به ، وقد أشار

(١) تفسير روح المعاني م ١٢/٢١/١٩ .

(٢) الدرّ المنثور : ٦٠٣/٦ . الواحد في أسباب النّزول : ٢٩٦ .

(٣) الواحد في أسباب النّزول : ٢٩٦ .

(٤) مجمع البيان : ١١٩/٨ .

إلى هذا المعنى الذهبي ، فقال : « عكرمة أحد أوعية العلم ، تُكلم فيه لرأيه لا لحفظه فاتهم برأي الخوارج »^(١) ، بل كان يجيب برأيه الخاص عن كثير من المسائل ، وقد يكشف أحياناً عنه أو يصرّح به ، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن عساكر كما في الرواية التالية : ذكر مسلم بن الحجاج النيسابوري بإسناده عن عبدالرحمن ، قال : حدّث عكرمة بحديث فقال : سمعت ابن عباس يقول كذا وكذا ، فقلت : يا غلام ، هات الدواة والقرطاس ، فقال : أعجبتك ؟ قلت : نعم .

قال : تريد أن تكتبه ؟ قلت : نعم .

قال : إنّما قلته برأيي »^(٢) !!

وهذا يدلُّ على أنّ ما نسب إليه يمثل رأيه الخاص المعارض للروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله ، ولعلّه لهذا السبب أنكر عليه يحيى بن سعيد الأنصاري ، والإمام مالك ، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن أبي حاتم في الرواية التالية : « سألت أبي عن عكرمة مولى ابن عباس ، فقال : هو ثقة .

قلت : يحتجّ بحديثه ؟ قال : نعم إذا روى عنه الثقات ، والذي أنكر عليه يحيى بن سعيد الأنصاري ، ومالك فلسبب رأيه »^(٣) .

الوجه الخامس : أنّ ما ذهب إليه عكرمة - على فرض صدق النسبة إليه -

لا يمكن قبوله ، وذلك لمعارضته الروايات الكثيرة والمستفيضة التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله مبيّناً فيها شأن نزول آية التطهير في حقّه وحقّ الأربعة الأطهار من أهل بيته ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لم ترد رواية واحدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، تنصّ على أنّ النبيّ قال بنزولها في أزواجه خاصّة .

(١) ميزان الاعتدال ، للذهبي : ١١٦/٥ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٠٧/٤١ ، حذفنا الإسناد للاختصار .

(٣) لاحظ الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم : ١٢/٧ .

فكيف يصح إهمال تلك الروايات الكثيرة والصحيحة ونتمسك برأيٍ نسب إلى عكرمة ؟ هذا هو حال الرواية الأولى والثالثة ، وقد وقفت على بطلانها .

الرواية الثانية : المنسوبة لابن عباس رضي الله عنه

أمّا الرواية الثانية فقد أخرجها الواحدي في أسباب النزول بالإسناد التالي :
 أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج ، قال : حدّثنا محمد بن يعقوب
 قال : حدّثنا الحسن بن علي بن عفان ، قال : حدّثنا أبو يحيى الحماني ، عن صالح بن
 موسى القرشي ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « نزلت
 هذه الآية في نساء النبي صلى الله عليه وآله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ » ^(١) .

الـ : إثنية :

أولاً : وهن دلالة الرواية :

المناقشة السابقة - للروايتين الأولى والثالثة - جارية هنا كذلك ، بلحاظ وهن قيمتها الدلالية باعتبار أنّ الراوي يعبر عن رأيه الشخصي ، وإنك قد عرفت مواقف أئمة علوم القرآن والحديث من الآراء الشخصية لبيان أسباب النزول . ولا حاجة للتكرار .

ثانياً : إنها معارضة لما صحّ عن ابن عباس نفسه :

إنها معارضة لروايات أخرى رواها ابن عباس ، بعد أن شهد وقائعها بنفسه ، فرواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة ، وقد أخرج الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل عن ابن عباس ما يدل على نزول آية التطهير بحق الخمسة الأطهار ، وقد أورد السيوطي بعضها في تفسيره ^(٢) .

(١) أسباب النزول ، للواحدي : ٢٩٦ .

(٢) الدرّ المنثور : ٥٣٤/٦ ، وقد تقدّم ذكرها في الفصل الثاني ، فلاحظ .

كما أخرج الحاكم الحسكاني روايات أخرى عن ابن عباس يروي فيها نزول آية التطهير في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام (١).

بعد كل هذه الروايات التي رواها ابن عباس - حبر الأمة - عن حسي وقد شهد الواقعة مع رسول الله صلى الله عليه وآله فهل يصح منه أن يوقع نفسه في هذا التناقض الفادح؟! حاشاه ويجلّ عن ذلك.

فلذا نحن نستبعد من حبر الأمة أن يكون قد روى تلك الرواية - الرواية المعارضة الثانية - بل نقول الرواية مكذوبة عليه - كما ستري -.

ثالثاً: في سند الرواية أكثر من آفة، فبعض روايات مجهولون، وبعضهم لا ذكر لهم في كتب الرجال والجرح والتعديل، وبعضهم مذكور بالضعف، وبعضهم متهم بالكذب.

«**أما أبو يحيى الحماني** وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني فهو مرمي بالإرجاء والخطأ.

قال أبو داود: كان داعية في الإرجاء.

وقال النسائي: ليس بقوي.

وقال ابن سعد وأحمد: كان ضعيفاً.

وقال العجلي: كوفي، ضعيف الحديث، مرجئ.

وقال البرقي: قال ابن معين: كان ثقة، ولكنه ضعيف العقل» (٢).

وأما خصيف بن عبد الرحمن: «فقد ضعفه أحمد، قال أبو طالب، عن أحمد:

ضعيف الحديث.

وقال ابن حنبل عنه: ليس بحجة، ولا قوي في الحديث.

(١) انظر شواهد التنزيل: ٥١/٢، الحديث ٦٦٩ - ٦٧١.

(٢) تهذيب التهذيب: ١٠٩/٦، رقم ٢٤٣.

وقال عبدالله بن أحمد ، عن أبيه : ليس بقويّ في الحديث .

وقال أبو هاشم صالح : يخلط وتكلم في سوء حفظه .

وقال ابن معين : إنا كنا نتجنب حديثه .

وقال ابن خزيمة : لا يحتج بحديثه «^(١)» .

« وقال ابن المديني : كان يحيى بن سعيد يضعفه .

وقال أبو طالب : سئل أحمد عن عتاب بن بشير ، فقال : أرجو أن لا يكون به بأس ،

روى أحاديث نافرة منكرة . وما أرى إلا أنها من قبل خصيف «^(٢)» .

وأما صالح بن موسى :

« قال ابن معين : ليس بشيء ، ولا يكتب حديثه .

وقال هاشم ابن مرثد عن ابن معين : ليس بثقة .

وقال الجوزجاني : ضعيف الحديث .

وقال ابن أبي حاتم ، عن أبيه : ضعيف الحديث ، منكر الحديث جداً ، كثير

المناكير عن الثقات .

قلت : يكتب حديثه ؟ قال : ليس يعجبني حديثه .

وقال البخاري : منكر الحديث عن سهيل بن أبي صالح .

وقال النسائي : لا يكتب حديثه ضعيف . وقال في موضع آخر : متروك الحديث .

وقال أبو نعيم : متروك الحديث يروي المناكير .

وقال ابن حبان : كان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الإثبات حتى يشهد

المستمع لها أنها معمولة أو مقلوبة ، لا يجوز الاحتجاج به «^(٣)» .

هذا هو حال سند الرواية ، من حيث الضعف والإنكار وهو كاف في الإعراض

(١) و (٢) تهذيب التهذيب : ١٢٤/٣ ، رقم ٢٧٥ .

(٣) المصدر السابق : ٣٥٤/٤ ، رقم ٧٠٠ .

عنها ، وهو ما يؤكد افتراءها على ابن عباس رضي الله عنه ولا يصح الاحتجاج بها عنه ، بل مطلقاً ، خصوصاً أمام الكم الهائل من الروايات التي بلغت التواتر ونقلها أئمة الحديث ، وذكرت في الصحاح والمسانيد والكتب الحديثية الأخرى المعتبرة ، فلا قيمة لتلك الرواية المعارضة ولا اعتبار لها .

الرواية الرابعة: رواية عروة بن الزبير

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ قال : يعني أزواج النبي صلى الله عليه وآله نزلت في بيت عائشة .

المناقشة:

أولاً: من الواضح جداً أنّ (عروة) يبيّن رأيه في شأن نزول الآية الشريفة . وعليه ، فالمناقشات لما سبق من الروايات جارية في هذه الرواية أيضاً ، فلا حاجة إلى التكرار .

ثانياً: الرواية معارضة بروايات أخرى قد روتها أمّ المؤمنين عائشة في نزول الآية الشريفة بحق الخمسة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام ، وقد أوردتها السيوطي في الدرّ المنثور ، ورواها مسلم في صحيحه^(١) ورواها ابن جرير الطبري في تفسيره ، وابن كثير وابن أبي شيبة ، وأحمد في مسنده ، وأبو داود ، والترمذي والحاكم وآخرون .

ثالثاً: الرواية معارضة أيضاً بروايات كثيرة جداً روتها أمّ المؤمنين أمّ سلمة . وقد رواها عنها عدد من الصحابة ، وقد أخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل بعضاً

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أهل بيت النبي : ١٨٨٣/٤ ، رقم

٢٤٢٤ ، الدرّ المنثور ، للسيوطي : ٥٣٣/٦ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٠٢/١٩ .

ابن كثير في تفسيره : ٣٦٨/٦ وقد ذكرنا الرواية في الفصل الثاني ، المجموعة الأولى

منها: روى أبو سعيد الخدري ، قال : حدّثني أمّ سلمة : « أنّ هذه الآية نزلت في بيتها : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، قالت : وفي البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن الحسين .

قالت : وأنا جالسة على الباب فقلت : يا رسول الله ، ألسنت من أهل البيت ﷺ ؟

قال : إنك إلى خير ، إنك من أزواج النبي ﷺ » (١) .

ورواها عطاء بن يسار عنها (٢) .

ورواها عبدالله بن وهب بن زمعة عنها (٣) .

ورواها مولاها عبدالله بن ربيعة عنها (٤) .

ورواها أيضاً شهر بن حوشب عن أمّ سلمة ، ورواه عن شهر جماعة (٥) .

(١) شواهد التنزيل : ٨٦/٢ ، الحديث ٧٠٧ ، رواها أبو سعيد الخدري ، عن أمّ سلمة ، وقد أخرجها الحاكم الحسكاني تحت الأرقام التالية : ٧٠٦ ، ٧٠٨ - ٧١٧ .

(٢) شواهد التنزيل : ٩٢/٢ ، الحديث ٧١٨ .

(٣) شواهد التنزيل : ٩٤/٢ ، الحديث ٧١٩ .

(٤) شواهد التنزيل : ٩٥/٢ ، الحديث ٧٢٠ .

(٥) شواهد التنزيل : ٩٥/٢ ، الحديث ٧٢١ - ٧٢٧ ، وقد أخرج أبو عيسى الترمذي صاحب الصحيح ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح ، وهو أحسن شيء روي في الباب » . الجامع الكبير : ٣٨٧١/١٧٤/٦ . وأخرجه أحمد : ٢٩٨/٦ ، ٣٠٤ ، ٣٢٣ . وأبو يعلى : الحديث ٩٦١٢ ، ٦٩٥١ ، ٧٠٢١ ، ٧٠٢٦ . الطحاوي في مشكل الآثار : الحديث ٧٦٦ - ٧٦٩ . الطبراني في الكبير : الحديث ٢٦٦٤ و ٢٦٦٦ .

وانظر : تحفة الأشراف : ١٢/١٣ ، الحديث ١٨١٦٥ . المسند الجامع : ٦٩٠/٢٠ ، الحديث ١٧٦٥٠ . صحيح الترمذي ، للعلامة الألباني : الحديث ٣٠٣٨ ، والروايات مطوّلة ومختصرة ، والألفاظ متقاربة ، وأخرجها الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل تحت الأرقام : ٧٢٩ إلى ٧٥٢ . وأخرج الحافظ ابن عساكر الحديث بأسانيد كثيرة ، في ترجمة الإمام الحسين من تأريخ دمشق : ١٣٧/١٤ - ١٤٩ .

ورواها أيضاً أبو هريرة عن أم سلمة^(١).

ورواها أيضاً عمر بن أبي سلمة عن أم سلمة^(٢).

ورواها أيضاً حكيم بن سعد عن أم سلمة^(٣).

ورواها أيضاً أبو ليلي الكندي عن أم سلمة^(٤).

إلى آخر ما ذكره الحاكم الحسكاني في شواهد، ويمكن مراجعته لمن أراد المزيد.

رابعاً: إن رأي (عروة) وغيره لا يزاحم تلك الأخبار المتواترة الحاكية لفعل النبي صلى الله عليه وآله وقوله، المأخوذ عن جبرئيل عن الله تعالى.

خامساً: إن لـ (عروة) مواقف يكشف فيها عن معاداته للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو يكره أن تذكر عنده منقبة من مناقب أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولذا كان يضطرب وترتعد فرائصه عندما يذكر علياً، وقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي ما نصّه: «قال: وقد تظاهرت الرواية عن عروة بن الزبير أنه كان يأخذه الزمّع^(٥) عند ذكر علي عليه السلام فيسبّه ويضرب بإحدى يديه على الأخرى، ويقول: وما يغني أنه لم يخالف إلى ما نُهي عنه، وقد أراق من دماء المسلمين ما أراق!»^(٦).

وعلى هذا فمن البعيد جداً أن ينقل عروة الحديث المتضمّن لمناقب أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته، والشاهد على ذلك ما رواه عبدالرزاق، عن معمر، قال:

(١) شواهد التنزيل: ١٠٤/٢، الحديث ٧٣٤.

(٢) المصدر السابق: الحديث ٧٥٢ - ٧٥٥.

(٣) المصدر السابق: الحديث ٧٥٦.

(٤) المصدر السابق: الحديث ٧٦١.

(٥) الزمّع: الرعدة.

(٦) شرح نهج البلاغة: ٦٩/٤، ١٠٢.

« كان عند الزهري حديثان عن عروة ، عن عائشة في عليّ عليه السلام . فسألته عنهما يوماً فقال : ما تصنع بهما وبحديثهما ! الله أعلم بهما ، إني لأتھمهما في بني هاشم »^(١) .

سادساً : إن الرواية ساقطة عن الاعتبار ، بلحاظ أنّ فيها أكثر من آفة في سندها ،

حيث إنّ سند الرواية حسبما أخرجه ابن سعد ، كما يلي :

محمد بن عمر ، عن مصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، عن عروة^(٢) .

أمّا محمد بن عمر : « هو الواقدي ، فقد ضعفه يحيى بن معين ، وقال : ضعيف ،

ليس بثقة ، وقال أحمد بن حنبل : كذاب ، وقال البخاري ومسلم : متروك الحديث ،

وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال عبد الوهاب بن الفرات الهمداني : سألت يحيى بن

معين عن الواقدي ، قال : ليس بثقة »^(٣) .

وأمّا مصعب بن ثابت : « فقد ضعفه يحيى بن معين كذلك ، وقال أحمد بن

حنبل : أراه ضعيف الحديث ، وقال أبو حاتم والنسائي : ليس بالقوي »^(٤) .

وأمّا أبو الأسود ، فهو : « محمد بن عبد الرحمن بن نوفل القرشي الأسدي يتيّم

عروة »^(٥) .

ما ذكره الشوكاني في اختلاف العلماء :

وأمّا ما ذكره في اختلاف العلماء ، فقد عرفت الحال فيه ، ولكن لكي يحصل

(١) قاموس الرجال : ٢٩٩/٦ ، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي : ٦٣/٤ ، وقد ذكر الحديثين ، فراجع .

(٢) الطبقات الكبرى ، لابن سعد : ١٦٠/٨ .

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ يوسف المزيّ : ٦٠٩٠/٩٧/١٧ ، ط . المكتبة التجارية - بيروت .

(٤) م . م س ١٢٠/١٨ ، رقم ٦٥٧٢ .

(٥) تهذيب الكمال ٥٠٧/١٦ ، رقم ٦٠٠٠ .

الاطمئنان لديك سنستعرض فقراته كما يلي :

١ - **موقف ابن عباس** : أمّا ابن عباس فقد وقفت على مروياته الحسينية ومباشرته الحضور مع رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ ولمدة ستة أشهر يتلو آية التطهير على باب بيت عليّ وفاطمة والحسين عند وقت كل صلاة .

٢ - **سعيد بن جبير** : أمّا نسبة القول إلى ابن جبير ، فهي موضع شك واختلاف واتهام حيث قد وقفت على ضعف روايتها ، وما نعتوهم أئمة الجرح والتعديل من نعوت مشينة ، وقد تقدّم الكلام فيه .

٣ - **موقف الكلبي** : أمّا نسبة القول إلى الكلبي ، فهي واضحة البطلان ، لماذا ؟ لأن الكلبي قد عدّ من جملة القائلين باختصاص الآية بالخمس الطاهرين ولا تشمل زوجات النبي صلى الله عليه وآله . وإليك ما ذكره القرطبي في تفسيره : « وقالت فرقة منهم الكلبي : هم عليّ وفاطمة والحسن والحسين خاصّة وفي هذا أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله » ^(١) .

٤ - **موقف عطاء** : وأما نسبة القول إلى عطاء فهي معارضة بما روي عنه ، حيث قد روى عن أمّ سلمة بواسطة تارة ، وتارة أخرى عن عمر بن أبي سلمة ، نزول الآية في بيت أمّ سلمة مختصة بأصحاب الكساء ، وقد أخرجها الطبري ، وغيره ، فمنها : ما قاله ابن جرير : حدّثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال : ثنا محمد بن سليمان الأصبهاني ، عن يحيى بن عبيد المكيّ ، عن عطاء ، عن عمر بن أبي سلمة ، قال : « نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وهو في بيت أمّ سلمة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ . فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة ، وأجلسهم بين يديه ، ودعا عليّاً فأجلسه خلفه ، فتجلّس هو وهم بالكساء ثمّ قال : هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً .

قالت أمّ سلمة : أنا معهم ؟

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٧٩/١٤ ، وذكره الشوكاني أيضاً في تفسيره فتح القدير : ٣٣٦/٤ .

قال ﷺ : مكانك ، وأنت على خير» (١).

٥ - موقف مقاتل بن سليمان : قال مقاتل بن سليمان في تفسيره للآية الشريفة:

« إن (أهل البيت ﷺ) في الآية المراد بهم نساء النبي ﷺ . وروى عنه الهذيل ، قال : قال مقاتل بن سليمان : يعني به نساء النبي ﷺ كلهنّ وليس معهنّ ذكر» (٢).

أقول : هذا التّطّرف في التفسير قد تجاوز أبسط قواعد اللغة العربية ، كيف ؟

يتضح لك الأمر ببساطة بمجرد النّظر إلى ماورد في حاشية تفسيره : « قلت لو كان الأمر كذلك لقال (عنكن) بنون النّسوة ، والصحيح أنّ أهل البيت ﷺ عليّ وفاطمة والحسن والحسين ، ويؤيد هذا قوله تعالى : ﴿ عَنْكُمْ ﴾ وأيضاً كان رسول الله ﷺ فيهم ، وإذا اجتمع ألف مؤنث وفيهم مذكّر غلب المذكّر على المؤنث ؛ لأنّ المذكّر هو الأصل لأنّه يدرك بلا زيادة والمؤنث لا يدرك إلاّ بزيادة وما يدرك بزيادة فرع عمّا يدرك بلا زيادة ، فلهذا قال : ﴿ عَنْكُمْ ﴾ ولم يقل (عنكن)» (٣).

مَنْ هو مقاتل بن سليمان ؟

هو مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي مولى الأزدي . ولد بمدينة بلخ من إقليم خراسان ونشأ بها ، ثمّ تحوّل إلى مرو .

(١) تفسير الطبري : ١٠٦/١٩ ، وأوردها ابن كثير في تفسيره : ٤٠٩/٦ ، وأخرجها الترمذي : ٣٢٠٥ ، ٣٧٨٧ ، وابن عساكر في تاريخه : ١٤٥/١٤ من طريق محمّد بن سليمان به . وأخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل : ١١٩/٢ ، الحديث ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، بإسناده عن عطاء ، ورواه في ترجمة محمّد بن إسحاق الثقفى من تاريخ اصفهان : ٢٥٣/٢ بسند آخر ، وقال : « عن عطاء بن يسار ، عن أمّ سلمة . وعطاء بن يسار كعطاء بن أبي رباح كلاهما من رجال الستّ - أي الصحاح الستّة - » وهما مترجمان في تهذيب التهذيب : ١٩٤/٧ ، ١٧٩ .

(٢) تفسير مقاتل : ٤٨٩/٣ .

(٣) هامش تفسير مقاتل : ٤٨٩/٣ ، تحقيق د . عبدالله شحاته .

كان مقاتل يقول بإثبات الصفات ، وغلا في ذلك حتى أوهم التشبيه والتجسيم .
 وذهب مقاتل إلى أن الله تعالى جسماً ، وأنه جثة على صورة الإنسان ، لحم ودم وشعر
 وعظم له جوارح وأعضاء ، من يد ورجل ورأس وعينين وهو مع هذا لا يشبهه غيره .
 وقالت المقاتلية - أصحاب مقاتل - في تعليل ذلك : لأننا لم نشهد شيئاً موسوماً
 بالسمع والبصر والعقل والعلم والحياة والقدرة . إلا ما كان لحماً ودماً^(١) .

وفي هذا الصدد تأمل ما قاله أبو حامد الغزالي : « فمن خطر بباله أن الله جسم
 مرگب من أعضاء فهو عابد صنم ، فإن كل جسم مخلوق ، وعبادة المخلوق كفر ،
 وعبادة الصنم كانت كفراً ، لأنه مخلوق فمن عبد جسماً فهو كافر ، بإجماع الأمة
 السلف منهم والخلف^(٢) .

أما أبرز العيوب في تفسير مقاتل :

الإسرائيليات ، ونقل علوم اليهود والنصارى إلى تفسير القرآن^(٣) .
 حذف الأسانيد ، في وقت كان الرواة يهتمون فيه كثيراً بالأسانيد ، مما يجعل
 الصحيح يختلط بالعليل^(٤) .

مقاتل وعلم الحديث :

« قال يحيى بن معين : ليس حديثه بشيء ، ليس بثقة .
 قال محمد بن سعد : أصحاب الحديث ينقون حديثه وينكرونه .

(١) مقدمة تفسير مقاتل بن سليمان : ٥/١ .
 (٢) البدء والتاريخ : ٨٠/١ . الفرق والتاريخ : ١١٨ . أصول الدين : ٢١ . الفرق المفترقة بين أهل
 الزيغ والزندقة : ٧٦ . مقالات الإسلاميين : ١٥٢/١ . الحور العين : ١٤٤ . المواقف : ٢٧٣ ،
 نقلاً عن مقدمة تفسير مقاتل بن سليمان .
 (٣) انظر مقدمة تفسير مقاتل ، ميزان الاعتدال : ٥٠٦/٦ .
 (٤) ميزان الاعتدال : ٥٠٦/٦ .

وقال البخاري : منكر الحديث سكتوا عنه ، وقال أيضاً : لاشيء البتة»^(١) .

« وقال النَّسائي : كذاب ، وقال أيضاً : الكذَّابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة : إبراهيم بن أبي يحيى بالمدينة ، والواقدي ببغداد ، ومقاتل بن سليمان بخراسان ، ومحمد بن سعيد ويعرف بالمصلوب ، بالشام»^(٢) .

« وقال أبو حاتم بن حبان : كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان مشبَّهاً يشبهه الربَّ عزَّ وجلَّ بالمخلوقين ، وكان يكذب مع ذلك في الحديث»^(٣) .

« وقال زكريا بن يحيى السَّاجي ، قالوا : كان كذاباً متروك الحديث»^(٤) .

« وعن منصور الكاتب ، عن أبي عبدالله ، قال : قال لي أمير المؤمنين المهدي العباسي : لمَّا أتانا نعي مقاتل اشتدَّ ذلك عليّ ، فذكرته لأمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ، فقال : لا يكبر عليك فإنَّه كان يقول لي : انظر ما تحب أن أحدثه فيك حتَّى أحدثه !! وذكروا أن مقاتلاً قال للمهدي العباسي : إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس !! فقال المهدي : لا حاجة لي فيها»^(٥) .

« وقال أبو معاذ الفضل بن خالد المروزي : سمعت خارجة بن مصعب يقول : لم أستحل دم يهودي ، ولو وجدت مقاتل بن سليمان خلوة لشققت بطنه»^(٦) .

وفي الجرح والتعديل : حدَّثنا عبدالرحمن ، حدَّثنا محمود بن آدم المروزي فيما كتب إليّ قال : « حضرت وكيعاً وسُئل عن كتاب التفسير عن مقاتل بن سليمان ،

(١) ميزان الاعتدال : ٥٠٦/٦ . وانظر : المغني في الضعفاء : ٤٢٧/٢ . مختصر الكامل في

الضعفاء وعلل الحديث ، لابن عدي : ٧٤٤ ، رقم ١٩١٤ ، ط . دار الجيل .

(٢) ميزان الاعتدال : ٥٠٦/٦ . المغني في الضعفاء ، للذهبي : ٤٢٧/٢ .

(٣ - ٥) ميزان الاعتدال : ٥٠٦/٦ .

(٦) المغني في الضعفاء : ٤٢٧/٢ .

فقال : لا تنظر فيه .

قال ما أصنع به ؟

قال : ادفنه !!

ثم قال : أليس زعموا أنه كان يحفظ ؟ كنا نأتيه فيحدثنا ، ثم نأتيه بعد أيام ، فيقلب الإسناد والحديث .

وقال : حدثنا عبدالرحمن ، حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي - قراءة ، قال : « سمعت بعض مشيختنا يقول : جلس مقاتل بن سليمان في مسجد بيروت فقال : لا تسألوني عن شيء مادون العرش إلا أنبأتكم عنه ، فقال الأوزاعي لرجل : قم إليه فسله ما ميراثه من جدّيه ؟ فحار ولم يكن عنده جواب . فما بات فيها إلا ليلة ثم خرج بالغداة»^(١) .

قال البخاري : « قال سفيان بن عيينة : سمعت مقاتلاً يقول : إن لم يخرج الدجال في سنة خمسين ومائة فاعلموا أنني كذاب»^(٢) .

قال الجوزجاني : « كان دجالاً جسوراً ، سمعت أبا اليمّان يقول : قدم ههنا فأسند ظهره إلى القبلة وقال : سلوني عمّا دون العرش . وحدثت أنه قال مثلها بـ (مكة) ، فقام إليه رجل فقال : أخبرني عن النملة أين أمعاؤها ؟ فسكت .

وقال وكيع : كان كذاباً .

وقال الذهبي : أجمعوا على تركه»^(٣) .

(١) الجرح والتعديل ، لمحمد بن إدريس الرازي : ٤٠٦/٨ .

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال : ١٨٧/٨ . الجرح والتعديل : ٤٠٦/٨ .

(٣) انظر : ميزان الاعتدال للذهبي : ٥٠٦/٦ . الكامل في ضعفاء الرجال : ٤٣٥/٦ . الجرح

والتعديل : ٤٠٦/٨ . المغني في الضعفاء : ٤٢٧/٢ . سير أعلام النبلاء ، للذهبي : ١٥٤/٧ .

تقريب التهذيب ، لابن حجر : ٧٧٣١/٢٧٧/٢ .

كلام الشوكاني في الميزان :

نعود إلى ما قاله الشوكاني : « وقد اختلف أهل العلم في (أهل البيت عليهم السلام) المذكورين في الآية... »^(١).

فقد تعرّفت ، ووقفت على ما نسب إلى ابن عباس والكلبي وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وظهّر لك وضوح الأمر ، وماروي عنهم أنّهم قالوا في اختصاص نزول آية التطهير بأصحاب الكساء ، وقد وقفت على دجل وكذب وما نسب إلى عكرمة . ومقاتل ، واطّلت على ما روته كلّ من أمّ المؤمنين عائشة وأمّ سلمة ، وزينب أو صفيّة ، وما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله لكلّ منهنّ .

بعد هذا هلاً اقتنعت أم بقي في نفسك شيء من كلام الشوكاني ؟

ولنقطع الشكّ باليقين ونقرأ ما صرّح به الشوكاني نفسه ، ونفهم ما هو الصحيح عنده .

قال الشوكاني في إرشاد الفحول في الردّ على من قال إنّها مختصة بالنساء : « ويجاب عن هذا بأنّه قد ورد الدليل الصحيح أنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسينين »^(٢).

الروايات المعارضة الأخرى :

توجد روايات أخرى معارضة ، لكنّها أقلّ أهمية من التي سبقت ، حاولوا الاستدلال بها على دخول الزوجات في (أهل البيت عليهم السلام) ضمن مفاد آية التطهير . وإنّ كانت هي بمفردها لا تصلح دليلاً مستقلاً لدخول الزوجات في مفاد آية التطهير .

(١) انظر الصفحات السابقة .

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول : ٣٠٩ ، البحث الثامن من المقصد الثالث ، وانظر تفسير الثعلبي : ٤١/٨ .

وهي كما يلي :

١ - رواية أم سلمة :

لقد استدلوا على دخول زوجات النبي صلى الله عليه وآله في المقصود من (أهل البيت عليهم السلام) ضمن مفاد آية التطهير بما روي عن أم سلمة ، حينما جمع النبي صلى الله عليه وآله أهل بيته الأربعة الطاهرين تحت الكساء . ودعا لهم « إن هؤلاء أهل بيتي ... » الحديث ، فطلبت منه أن تدخل معهم تحت الكساء ، فأذن لها ، وسألته : ألسنت من أهل البيت عليهم السلام ؟ قال النبي صلى الله عليه وآله لها : وأنت من أهل بيتي .

ونصّ الرواية - بقدر مورد الشاهد - كما يلي : أخرج الحاكم الحسكاني بإسناده عن شهر بن حوشب ، قال : « سمعت أم سلمة [تقول] - في حديث طويل - إلى أن قالت : حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأجلسهما - يعني الحسن والحسين - في حجره ، وجلس عليّ على يمينه ، وفاطمة على يساره ، فاجتبد من تحتي كساءً خبيرياً ، كان بساطاً لنا على المنامة بالمدينة ، فلفه رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم جميعاً ، فأخذ بشماله بطرفي الكساء ، وألوى بيده اليمنى إلى ربّه ، وقال : اللهم إن هؤلاء أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً [قاله] ثلاث مرّات .

قلت : يا رسول الله ، ألسنت من أهلك ؟ قال : بلى ، فأدخلني في الكساء ، فدخلت في الكساء بعدما قضى دعاءه لابن عمه وابنيه وابنته فاطمة عليها السلام » ^(١) .

المناقشة :

أولاً : إن النبي صلى الله عليه وآله قد أذن لها في الدخول تحت الكساء - لو صحّت الرواية -

(١) شواهد التنزيل : ١١٠/٢ ، الحديث ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ . ورواه أحمد في مسنده : ٢٩٨/٦ . ورواه ابن عساكر في ترجمة الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق ، وأورده القرطبي في تفسيره : ١٧٨/١٤ وأسنده إلى القشيري .

بعد أن فرغ من دعائه لأهل البيت عليهم السلام . فالدخول تحت الكساء بحد ذاته لا يحقق المراد ، وإنما الدخول تحته وحصرهم به والدعاء لهم بإذهاب الرجس وإضفاء التطهير والاستشهاد لهم بأنهم أهل بيته عليهم السلام ، هذا الذي يحقق المراد ، لا الأول .

ثانياً : هذه الرواية معارضة بروايات أخرى كثيرة عن أم سلمة أيضاً وعن الراوي نفسه (شهر بن حوشب) ، وفيها يرفض النبي صلى الله عليه وآله دخولها تحت الكساء ، بل يجذب الكساء من يدها ويقول لها صلى الله عليه وآله ثلاثاً : « إناك إلى خير » ، وفي بعضها يقول لها : « أنت من زوجات النبي » .

والروايات الكثيرة التي رواها عن أم سلمة ، شهر بن حوشب نفسه ، وعطاء بن أبي رباح ، وأبو هريرة ، وعبدالله بن ربيعة ، وعبدالله بن وهب ، وعطاء بن يسار ، وأبو سعيد الخدري ^(١) وغيرهم ، تكون مانعاً قوياً لقبول هذه الرواية .

ثالثاً : الرواية معارضة أيضاً بروايات روتها أم المؤمنين (عائشة) وهي تسأل نفس السؤال ويردّها النبي صلى الله عليه وآله بقوله : « تنحّي إناك إلى خير » ^(٢) .

وفي رواية أخرى قال النبي صلى الله عليه وآله لأم سلمة : « قومي فتنحّي لي عن أهل بيتي » ^(٣) .

رابعاً : إن إنعام النبي صلى الله عليه وآله لأم سلمة محمول على المجاز - وذلك للأسباب أعلاه - وقد ذكرنا سابقاً أنه يصح استعمال كلمة (الأهل) بمعنى الزوجة تجوّزاً وكناية ،

(١) راجع : شواهد التنزيل : ٨٥/٢ . مسند أحمد بن حنبل : ٢٦٥٠٨/١١٨/٤٤ ، الطبعة المحققة .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣٦٨/٦ . تفسير الثعلبي : ٤٣/٨ . شواهد التنزيل : ٦١/٢ ، الحديث ٦٨٢ ، ٦٨٣ .

(٣) رواه أحمد في المسند : ٢٩٦/٦ ، ٣٠٤ .

وانظر : فضائل الصحابة : ١٠٢٩/٦٠٢/٢ . ذخائر العقبى : ٥٦ ، وابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق - ترجمة الإمام الحسن عليه السلام : ١٢/٧ . المصنّف ، لأبي بكر ابن أبي شيبة : ٣٢٦٤٠/١٤٧/١١ . المعجم الكبير ، للطبراني : الحديث ٢٦٦٧ .

وهذا لا مانع منه ، وقد كنى القرآن الكريم عن الزوجة بالأهل في خطاب موسى عليه السلام :
﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ ^(١) .

خامساً : إن هذا الدليل يعتبر أخص من المدعى ، إذ المدعى هو أن المراد بأهل البيت عليهم السلام هو خصوص زوجات النبي صلى الله عليه وآله ، والحال أن الرواية تشير إلى كون أم سلمة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، وعليه فلا تصلح الرواية دليلاً للمدعى . إضافة إلى أنه قد يكون لهذه المرأة الصالحة خصوصية جعلتها تميّز عن غيرها من أمهات المؤمنين ، فنالت بها هذه الكرامة نظير ما قاله النبي صلى الله عليه وآله لسلمان الفارسي .

٢ - حديث زيد بن أرقم :

من ضمن الروايات المعارضة ، حديث زيد بن أرقم ، فقد استدلوا على دخول النساء في مفاد آية التطهير بحديث زيد ، فإنه حينما روى حديث الثقلين في سياق روايته لحديث الغدير . سئل من أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟

قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده : آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس .

ولكي ينجلي عندك الموقف وتوضح الصورة ، لا بد لنا من استعراض الرواية كما وردت في صحيح مسلم :

أخرج مسلم في صحيحه ^(٢) : حدّثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد ، عن ابن علية ، قال زهير : حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدّثني أبو حيان ، حدّثني يزيد بن حيان ، قال : « انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلمة إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه ، فلمّا جلسنا إليه ، قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ،

(١) طه : ١٠ .

(٢) كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبي طالب : ٤ / ١٨٧٣ / ٢٤٠٨ .

وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت خلفه ، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً ،
حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ .

قال : يا بن أخي ، والله لقد كبرت سنّي ، وقدم عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت
أعي من رسول الله ﷺ ، فما حدّثتكم فاقبلوا ، وما لا أحدّثه فلا تكلفوني .

ثمّ قال : قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً بماء يدعى خُمّاً ، بين مكّة والمدينة
فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثمّ قال : أمّا بعد ، ألا أيّها الناس فإنّما أنا
بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما : كتاب الله
تعالى ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحثّ على كتاب الله
عزّ وجلّ ورغب فيه ، ثمّ قال : وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في
أهل بيتي ، ثلاثاً .

فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟

قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده .

قال : ومن هم ؟

قال : هم آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضي الله عنهم .

قال : كل هؤلاء حرم الصدقة بعده ؟

قال : نعم « (١) .

(١) انظر : تفسير ابن كثير : ٣٦٩/٦ . الدر المنثور : ٥٣٤/٦ . وفتح القدير : ٣٣٩/٤ .

وأورده الثعلبي في تفسيره بإسناد آخر ٤٤/٨ ومن دون كون النساء من أهل بيته ،
والرواية كما يلي : أخبرني ابن فنجويه ، عن ابن حبّيش المقرئ ، عن محمّد بن عمران ،
قال : حدّثنا أبو كريب ، قال : أخبرني وكيع ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن يزيد بن
حيّان ، عن زيد بن أرقم ، قال : قال رسول الله ﷺ : أنشدكم الله في أهل بيتي مرّتين ، قلنا
لزيد بن أرقم : ومن أهل بيته ؟ قال : الذين يحرمون الصدقة : آل عليّ وآل عباس وآل عقيل
وآل جعفر .»

مورد الاستدلال هو: قول زيد: «نساؤه من أهل بيته».

المناقشة:

هذا الاستدلال العليل غير تام أيضاً، وذلك لوجوه عديدة منها:

أولاً: لقد ثبت بالنصوص الصحيحة والصريحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن أهل البيت عليهم السلام هم العترة الطاهرة أصحاب الكساء. وهم مفاد آية التطهير.

ثانياً: هذا يمثل رأي زيد بن أرقم، وليس نصّاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله أو مفاد آية التطهير مثلاً، ورأيه لا يكون حجة إلا عليه.

ثالثاً: إن قول زيد بن أرقم لاشأن له بآية التطهير، ودليل الخصم لا بد أن يكون في سياق آية التطهير، ولو تنزلنا عن ذلك، فقوله لا ينفعهم لمدّعاهم، لماذا؟

لأنّ دعواهم، هي أن مفاد آية التطهير تخصّ نساء النبي صلى الله عليه وآله دون غيرهم، والحال أن ظاهر العبارة، هو شمول المصطلح لنساء النبي أيضاً، لا أنه يختص بهم.

رابعاً: لو تأملنا ملياً لوجدنا أن سياق عبارته يظهر منها، أنه قد نفى كون النساء من أهل بيته بصيغة الاستفهام الاستنكاري، فكأنه قد قال: أنساؤه من أهل بيته؟ ثم قدر جواب السؤال قائلاً: أهل بيته من حرم الصدقة بعده. وإلا إذا كان كما يدعون، لكان على زيد أن يقول هكذا: نعم نساؤه من أهل بيته، وكذلك من حرم الصدقة بعده.

أشار إلى هذا المعنى الألووسي في تفسيره فقال ما نصّه: «فلعله - زيد - أراد بقوله في الخبر السابق: نساؤه من أهل بيته أنساؤه.. الخ. بهمزة الاستفهام الإنكاري، فيكون بمعنى ليس نساؤه من أهل بيته كما في معظم الروايات في غير صحيح مسلم، ويكون رضي الله تعالى عنه ممن يرى أن نساءه عليه الصلاة والسلام لسن من

أهل البيت أصلاً»^(١).

ولكنّ الألوّسي أضاف قائلاً: «ولا يلزمنا أن ندين الله تعالى برأيه...»^(٢).

ويؤيد الكلام أعلاه، الرواية الأخرى التي رواها زيد، وسئل أيضاً السؤال ذاته: مَنْ أهل بيته نساؤه؟

قال زيد: لا، وأيم الله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلقها فترجع إلى أبيها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرّموا الصّدقة بعده.

وهكذا يتّضح أنّ زيدا بكلامه السابق أراد الاستفهام الاستنكاري.

وإليك نصّ الرواية: أخرج مسلم في صحيحه عن محمّد بن بكار بن الرّيان، عن حسّان بن إبراهيم، عن سعيد بن مسروق، عن يزيد بن حيّان، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، فذكر الحديث بنحو ما تقدّم، - وقال الراوي: - «فقلت له: مَنْ أهل بيته نساؤه؟

قال: لا، وأيم الله إنّ المرأة تكون مع الرّجل العصر من الدّهر ثمّ يطلقها فترجع إلى أبيها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرّموا الصّدقة بعده»^(٣).

هذا تمام الكلام في الدليل الثاني، وقد وقفت على بطلانه.

الدليل الثالث: المراد بالبيت هو بيت السكنى

واستدلّوا أيضاً على اختصاص آية التطهير بنساء النّبي صلى الله عليه وآله، كون المراد من (البيت) في الآية الشريفة، هو مساكن النّبي صلى الله عليه وآله، وبيوت زوجاته، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الآية، فأضاف البيت إليهنّ، فلا بدّ من دخولهنّ في مدلول الآية، لأنهنّ الساكنات في بيوته صلى الله عليه وآله. «وهذه الألفاظ

(١) و(٢) روح المعاني: م١٢/٢٢/٢٤.

(٣) صحيح مسلم - كتاب فضائل الصّحابة: ٤/١٨٧٤/٢٤٠٨، باب: من فضائل الصّحابة، باب

من فضائل عليّ بن أبي طالب. وأورده ابن كثير في تفسيره: ٦/٣٦٩.

تعطي أنّ أهل البيت عليهم السلام نساؤه»^(١).

المناقشة:

هذا الدليل غير تام أيضاً. وذلك للوجوه التالية:

أولاً: قلنا: إنّ آية التطهير لا علاقة لها بما قبلها وبما بعدها وهي آية معترضة بينهما، وقد ذكر العلامة السيد الطباطبائي في تفسيره: «أجمع المفسرون على نزول آية التطهير بمفردها»، وقد تقدّم الكلام في الدليل الأول، فراجع.

ثانياً: قلنا: إنّ المراد بالبيت هو بيت النبوة، وقد ذكر المحقق الطبرسي: «قد اتّفتت الأمة بأجمعها على أنّ المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله»^(٢). وليس المراد به البيت السكني، والملفت للنظر أنّ كلمة (البيت) جاءت مفردة محلاة بـ(الف) و(لام)، هذه (اللام) ليست للجنس ولا للاستغراق بل «هي (لام) العهد»^(٣)، وهي تشير إلى بيت معهود بين المتكلم والمخاطب، وهو بيت واحد، بخلاف بيت السكني، فإنه ورد مرّتين قبل آية التطهير وبعدها، وجاء بصيغة جمع الإناث. فهذا يدل على أنّ المراد ليس هو بيت السكني، بل بيت النبوة والرسالة، بل أكثر من ذلك نقول: إنّ القرآن الكريم حينما يقرر بيت السكني للنبي صلى الله عليه وآله يذكره بصيغة الجمع كما في الآية التالية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾^(٤).

فعلى رغم كون الإضافة إلى النبي صلى الله عليه وآله جاء ذكر البيت بصيغة الجمع، فلذا يكون

(١) تفسير القرطبي: ١٧٧/١٤.

(٢) مجمع البيان: ١١٩/٨.

(٣) تفسير روح المعاني: م١٢م/٢٢/١٩.

(٤) الأحزاب: ٥٣.

المقصود منه بيت السكنى للنبي ﷺ ، بلحاظ أنه ﷺ لم يكن له بيت واحد ، بل كان لكل واحدة من نسائه بيت مشخص ، فكان النبي ﷺ صاحب البيوت لا البيت الواحد ، وهذا واضح ، بخلاف (البيت) في آية التطهير فالمقصود منه بيت النبوة والرسالة لا السكنى .

والحاصل : إنه لو أُريد من البيت في الآية البيت المادي الجسماني - بيت السكنى - لا يصح ، لماذا ؟ لأنه لم يكن للنبي ﷺ بيت سكنى واحد ، بل كان لكل واحدة من نسائه بيت .

وإن قلت : « توحيد البيت لأن بيوت الأزواج المطهرات باعتبار الإضافة إلى النبي ﷺ بيت واحد » (١) .

قلت : هذا يرد عليه أولاً وثانياً .

أما أولاً : إن (البيت) قد ذكر بصيغة الجمع ما قبل آية التطهير وما بعدها - فقد قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ﴿ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ - وإفراده في آية التطهير دليل على أن المراد منه غير سابقه ولاحقه .

ثانياً : إن كان يريد به بيت السكنى فلا يصح أن يذكره بصيغة المفرد ، حتى لو كانت الإضافة إلى النبي ﷺ ؛ لأنه لا يعلم أي بيت من بيوته ﷺ مقصوداً ؟ والشاهد على ذلك الآية الشريفة أعلاه (٢) . فإن الإضافة فيها إلى النبي ﷺ ، ومع ذلك ذكر البيت بصيغة الجمع ، فعلى هذا يكون المراد من البيت هو بيت النبوة والرسالة .

نعم ، قد يقول قائل : لعل المراد من البيت ، هو بيت النسب .

أقول : إن هذا سيأتي بطلانه لاحقاً - إن شاء الله تعالى - ، وما تقدم من روايات مفسرة للنص تثبت بطلانه أيضاً .

(١) الألويسي في روح المعاني : م ١٢ / ٢٢ / ١٩ .

(٢) الأحزاب : ٥٣ .

ثالثاً: قد تقدّمت الروايات المتظافرة عن النبي صلى الله عليه وآله ، وقد تواتر نقلها عن الصحابة والصحابيات وأمّهات المؤمنين والتابعين لهم بإحسان ، بأنّ زوجات النبي صلى الله عليه وآله لسن من (أهل البيت عليهم السلام) المقصودين في آية التطهير. وقد ذكرنا قبيل صفحات ، إنكار زيد بن أرقم كون نسائه من أهل بيته ، حيث قال : وأيم الله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها .
وهكذا يتّضح بطلان النظرية الأولى بجميع أدلّتها .

النّظرية الثانية

أهل البيت عليهم السلام هم الخمسة الأطهار مع زوجات النبي صلى الله عليه وآله

أصحاب هذه النّظرية بعد أن عجزوا أن يثبتوا كون المراد من (أهل البيت عليهم السلام) نساء النبي صلى الله عليه وآله خاصّة ، حاولوا أن يدخلوا نساء النبي صلى الله عليه وآله إلى جنب أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً ، فقالوا : إنّ المراد بـ (أهل البيت عليهم السلام) هو الخمسة الطاهرين وذلك لشهادة الروايات الكثيرة في ذلك ، والمراد به أيضاً زوجات النبي صلى الله عليه وآله وذلك لسياق الآيات وكونهنّ المقصودات في الخطاب .

نماذج من أقوالهم :

١- قال القرطبي في تفسيره : « والذي يظهر من الآية أنّها عامّة في جميع أهل البيت عليهم السلام من الأزواج وغيرهم ، وإنّما قال : ﴿ يطهّرهم ﴾ ؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً وحسناً وحسيناً كان فيهم ، وإذا اجتمع المذكّر والمؤنث غلب المذكّر ، فاقتضت الآية أنّ الزوجات من أهل البيت عليهم السلام ، لأنّ الآية فيهنّ والمخاطبة لهنّ ، ويدلّ عليه سياق الكلام ، والله أعلم » (١) .

(١) تفسير القرطبي : ١٧٨/١٤ .

٢- قال الشوكاني في تفسيره: « وقد توسطت طائفة ثالثة بين الطائفتين ، فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، أمّا الزوجات ، فلكونهنّ المرادات في سياق هذه الآيات ، ولكونهنّ الساكنات في بيوته ﷺ النّازلات في منازلهم ... » .

ثمّ يضيف الشوكاني قائلاً: « وأمّا دخول عليّ وفاطمة والحسن والحسين فلكونهنّ قرابته ، وأهل بيته في النسب ، ويؤيد ذلك ما ذكرناه من الأحاديث المصرّحة بأنهم سبب النّزول ، فمن جعل الآية خاصّة بأحد الفريقين ، فقد أعمل بعض ما يجب إعماله وأهمّل ما لا يجوز إهماله . وقد رجّح هذا القول جماعة من المحقّقين منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما »^(١) .

٣- وقال الألوسي في تفسيره: « والذي يظهر لي أنّ المراد بأهل البيت ﷺ منّ لهم مزيد علاقة به ﷺ ، ونسبة قوية قريبة إليه عليه الصّلاة والسّلام بحيث لا يقبح عرفاً اجتماعهم وسكناهم معه ﷺ في بيت واحد ، ويدخل في ذلك أزواجه والأربعة أهل الكساء ، وعليّ كرم الله تعالى وجهه مع ماله من القرابة من رسول الله ﷺ قد نشأ في بيته وحجره عليه الصّلاة والسّلام ، فلم يفارقه وعامله كولد صغيراً وصاهره وآخاه كبيراً »^(٢) .

خلاصة النظرية:

إنّ المراد بأهل البيت ﷺ في الآية: هم أزواج النّبي ﷺ وذلك لكون المراد من البيت هو بيت السكنى لكون السياق يقتضي ذلك ، وأمّا الأربعة (الأطهار) وهم (عليّ وفاطمة والحسن والحسين) فهم من أهل البيت ﷺ أيضاً لكونهم من أقربائه ،

(١) فتح القدير: ٣٣٩/٤ .

(٢) روح المعاني: م١٢/٢٢/٢٧ .

وأقرب الناس إليه .

المناقشة:

١ - أمّا قولهم: إنّ المراد بالبيت هو بيت السكنى ، فقد وقفت على بطلانه ، ولا حاجة لتكرار المناقشة ، فراجع .

٢ - أمّا الاحتجاج بالسياق ، فقد تقدّم كون الدلالة السياقية معارضة بمعارضة قوية في المقام ، حيث الروايات المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله على خلافها ، وهذا ما يقتضي رفع اليد عنها ، ومعلوم أنّ الدلالة السياقية بحدّ ذاتها دلالة ضعيفة ، ولا مانع من رفع اليد عنها مادام تعارضها الأدلة الروائية الصحيحة .

٣ - لمّا كان فرضهم الأوّل - وهو كون زوجات النبي صلى الله عليه وآله من أهل البيت عليهم السلام - قد سقط ، وذلك للسببين المتقدمين ، يبقى فرضهم الثاني - وهو كون الأربعة الأطهار هم أهل البيت عليهم السلام باعتبار التّصوُّص المتظافرة قد ذكرتهم وشخصتهم بأسمائهم ، لكونهم من أقرباء النبي صلى الله عليه وآله ، هذا الفرض الثاني يبقى - من دون معارض ، مع وجود الأدلة الدالة عليه ، وبهذا يثبت المطلوب .

ولكن يُضمّ إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله - كما هو معلوم عند معظم العلماء والمحقّقين - حيث إنّهُ صلى الله عليه وآله هو مورد النّزول ، كما أنّه بين صلى الله عليه وآله شأن نزول الآية الشريفة :

فقد روى الطبري : عن أبي سعيد الخدري ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : نزلت هذه الآية في خمسة : فيّ ، وفي عليّ عليه السلام ، وحسن عليه السلام ، وحسين عليه السلام ، وفاطمة رضي الله عنها : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ^(١) .

(١) تفسير الطبري : ١٩/١٠٢ ، وقد تقدّم ذكرها بشكل مكثّف في الفصل الثاني ، فراجع .

النظرية الثالثة: أهل البيت عليهم السلام هم بنو هاشم

وتخلص هذه النظرية إلى أن المراد من أهل البيت عليهم السلام في الآية هو بنو هاشم ، وهم آل علي وآل جعفر وآل عباس ، حيث إن المراد بالبيت في الآية الشريفة هو بيت النسب .

أدلة النظرية:

الرواية الأولى: رواية زيد

رواية زيد بن أرقم المتقدمة حينما سُئل مَنْ أهل بيته ؟ فقال : « أهل بيته : أصله وعصبته ، الَّذِينَ حَرَمُوا الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ آلَ عَلِيِّ وَآلَ عَقِيلِ وَآلَ جَعْفَرٍ » .

الرواية الثانية: رواية ابن عباس

رواية ابن عباس الذي جاء فيها : « إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ الْخَلْقَ قَسَمَيْنِ ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا قَسْماً - إِلَى أَنْ قَالَ - : ثُمَّ جَعَلَ الْقَبَائِلَ بِيوتاً فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا بَيْتاً ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، فَأَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي مَطْهُرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ » ^(١) .

الرواية الثالثة: رواية الصواعق

ما أورده ابن حجر في الصواعق : « إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَمَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَبَنِيهِ بِمَلَاءَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ هَذَا عَمِّي وَصَنُو أَبِي ، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَاسْتَرِهِمْ مِنَ النَّارِ كَسْتَرِي إِيَّاهُمْ : فَأَمَّنْتَ أَسْكُفَةَ الْبَابِ ^(٢) وَحَوَائِطَ الْبَيْتِ ، فَقَالَ : آمِينَ ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ ^(٣) .

(١) الدر المنثور: ٥٣٤/٦ .

(٢) أسكفة الباب: عتبة الباب التي يوطأ عليها .

(٣) الصواعق المحرقة ، لابن حجر: ٤٢٤/٢ ، ط . مؤسسة الرسالة .

المناقشة:

إنّ هذه النظرية باطلة أيضاً؛ لأنّ أياً من الأدلّة التي ذكروها لاتصلح دليلاً لها، وذلك للوجوه والاعتبارات التالية:

أولاً: إنّ كون المراد بالبيت الوارد في الآية الشريفة هو بيت النسب، غير متعيّن، ولا دليل عليه، وقد تقدّم سابقاً، بل إنّ الراجح من خلال الأدلّة المتقدّمة والروايات والقرائن هو: أنّ المراد من البيت، هو بيت النبوّة والرّسالة، وقلنا قد ذكر الطبرسي: «إنّ الأمّة اتّفتت كلمتها على أنّ المراد بالبيت هو بيت النبوّة»^(١)، وقد وقفت على الأدلّة التي سقناها في المقام فراجع.

ثانياً: أمّا رواية (زيد بن أرقم) المتقدّمة. فقد تقدّمت مناقشتها، وقلنا: إنّها تمثل رأياً واجتهاداً شخصياً لزيد بن أرقم، وهي مناهضة للروايات المتظافرة والمتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله المشخّصة لأهل البيت عليهم السلام، وقد تقدّمت بشكل مفصّل، كما أنّ رواية زيد لاتعكس رأي النبي صلى الله عليه وآله أو قوله كي يمكن اعتبارها دليلاً.

ثالثاً: إنّ رواية زيد بن أرقم لا علاقة لها بآية التطهير والخصوصيات الواردة فيها، وكلامنا في (أهل البيت عليهم السلام) من خلال مفاد آية التطهير، وقد عرفت - بما لا مزيد عليه - من خلال الدلالات المتعدّدة للآية ومن خلال الروايات المتواترة ومن خلال القرائن المختلفة، أنّ المراد بأهل البيت عليهم السلام هو محمّد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

رابعاً: أمّا حديث ابن عبّاس، ومسألة جعل الله تعالى القبائل بيوتاً، وجعل النبي صلى الله عليه وآله من خيرها بيتاً، فهي دليل لنا لا علينا، كيف؟
نقول: لو كان المقصود من (البيت) البيت النّسبي - كما يزعم أصحاب هذه

النظرية - فسيكون المراد من (أهل البيت عليهم السلام) هم جميع بن هاشم أو جميع من حُرِّموا الصدقة بعده ، آل عباس ، وآل عقيل وآل جعفر... فسيصبح صدر الرواية يناقض ذيلها ، وذلك لأن أية التطهير وذيل الرواية ينصان على أن النبي وأهل بيته مطهرون من الذنوب ، ومعلوم أنه وقت نزول الآية الشريفة - وهي في أواخر السنة السادسة للهجرة - بعض المنتمين إلى النبي صلى الله عليه وآله بنسب أو بسبب من عبدة الوثن وأعداء النبي صلى الله عليه وآله ، وعلى فرض كونهم قد أسلموا جميعاً - فهل جميعهم مطهرون من الذنوب ؟! كلا ، وألف كلا ، ولا يدعي ذلك أحد .

أما لو كان المقصود من (البيت) هو بيت النبوة والرسالة - وهو كذلك - فلا تشعر بالتناقض بين صدرها وذيلها ، بل تشعر بالانسجام الكامل بينهما .

نعم ، إن لبيت القبلية أثره الكبير ، ولكنه ليس هو كل شيء ، وليس هو المقصود هنا ، فلا بد من الرجوع إلى النبي صلى الله عليه وآله ليخبرنا عن المطهّرين من الذنوب من هم ؟

خامساً : إن حديث ابن عباس ، لا ينافي حديث الكساء المتقدم فإن المراد به ، أن هناك عناية ربانية في أن يكون النبي صلى الله عليه وآله من بيت شرف ، وطهر ، ومجد ، وفضل ، ورفعة ، وسمو « فإذ وجد لهذا النبي صلى الله عليه وآله أهل بيت نبوة بعد أن يصبح نبياً ، وكانوا مطهّرين من الذنوب ، فذلك لا يكون على خلاف القاعدة ، إذ إن النبي صلى الله عليه وآله قد جعل من خير بيوت قريش ، ثم يأتي أهل بيته الذين تربوا في حجر النبوة مطهّرين أيضاً من الذنوب . فوجود أهل بيته إنما هو في طول وجوده كنبوي ، لا في عرضه »^(١) .

والذي يؤيد الكلام أعلاه ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله فيما رواه ابن حجر عن أن النبي صلى الله عليه وآله بين بقوله : إن أهل البيت عليهم السلام منه وهو صلى الله عليه وآله منهم .

وإليك ما أورده ابن حجر : « لما أدخل النبي صلى الله عليه وآله علي وفاطمة والحسن والحسين تحت الكساء قال : اللهم انهم مني وأنا منهم ، فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك

(١) أهل البيت في أية التطهير : ١٨٣ .

ورضوانك عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ»^(١).

سادساً: أمّا رواية ابن حجر في شأن العباس بن عبد المطلب: «هذه الرواية قد عثرنا عليها في مصادر متعدّدة ، لا كما يقوله بعض المحقّقين من أنّها غير موجودة في المصادر الموثوقة»^(٢). فالرواية موجودة في مصادر متعددة ، كما سوف نشير ، ولكن لدينا ملاحظات متعددة ، منها سنديّة ، ومنها اضطراب متنها ، ومنها دلاليّة .

الملاحظات السّنديّة:

الرواية أوردتها ابن حجر في الصواعق ، وأبو نعيم في دلائل النّبوة ، والبيهقي في دلائله ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ومختصره ، وابن ماجّة في مسنده ، والهيثمي في مجمع الزوائد والطبراني وآخرون^(٣).

أمّا سند الرواية: فإنّ فيه أكثر من آفة ، فبعض روايتها مجهولون ، والبعض الآخر وضاعون وكذّابون .

رجال السند كما ذكرهم البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عيدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدّثنا محمّد بن يونس الكديمي ، حدّثنا عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص ، قال : حدّثني جدّي أبو أمّي ، مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدي ، قال ... الحديث^(٤).

وأشار أيضاً إلى سند آخر ، قال : أنبأنا أبو محمّد عبد الله بن يوسف الأصفهاني ،

(١) الصواعق المحرقة : ٤٣٠/٢ ، ط . مؤسسة الرسالة .

(٢) آية التطهير ، للأصفي : ٨٤ .

(٣) الصواعق المحرقة ، لابن حجر : ٤٢٤/٢ . دلائل النّبوة ، لأبي نعيم : ٤٣٢ ، الحديث ٣٤٠ .

دلائل النّبوة ، للبيهقي : ٧١/٦ . مختصر تاريخ دمشق : ٣٣٥/١١ . سنن ابن ماجّة

٤/٢٠٧/٣٧١١ . مجمع الزوائد : ٤٣٨/٩ ، الحديث ١٥٤٧٩ .

(٤) دلائل النّبوة ، للبيهقي : ٧١/٦ .

أنبأنا أبو قتيبة مسلم بن الفضل البغدادي بمكة ، حدّثنا خلف بن عمر العكبري ، حدّثنا إبراهيم بن عبدالله الهروي ، حدّثنا عبدالله بن عثمان بن إسحاق قال : حدّثني جدي أبو أمي مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدي الحديث .

رجال السند في ميزان التقييم :

محمد بن يونس الكديمي : وضاع كذاب^(١) .

أما راوي الحديث وهو : عبدالله بن عثمان بن سعد ، يقول عنه يحيى بن معين : لا أعرفه .

وقال أبو حاتم : شيخ يروي أحاديث مشتبهة^(٢) .

قال ابن عديّ : هو مجهول كما قال ابن معين ، وذكره الأزدي في الضعفاء ، وقال : منكر الحديث ، كذا حكاه عن البناني ، ونقله الذهبي في ميزان الاعتدال ، وزاد : لا أعرفه^(٣) .

قال عثمان بن سعيد الدارمي : قلت ليحيى بن معين : عبدالله بن عثمان بن سعد ، يروي حديث أبي أسيد في الغُلُول كيف هو ؟ قال : لا أعرفه .

وقال أبو حاتم : شيخ يروي أحاديث مشتبّهة والله أعلم^(٤) .

هذا هو حال رجال السند ، وراوي الحديث ، وقد عرفت أنّه مجهول أو متهم

(١) دلائل النبوة ، للبيهقي : ٧١/٦ .

(٢) لسان الميزان ، لابن حجر : ٣٦٨/٣ ، رقم ٤٧٠٢ . تهذيب التهذيب : ٢٧٣/٥ ، رقم ٥٣٤ ، وقيل : هو عبدالله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص . انظر ميزان الاعتدال ، للذهبي : ٤٤٤٨/١٤٥/٤ . المغني في الضعفاء : ٣٢٦١/٥٥١/١ .

(٣) تهذيب التهذيب : ٢٧٣/٥ ، رقم ٥٣٤ . ميزان الاعتدال : ٤٤٤٨/١٤٥/٤ .

(٤) تهذيب الكمال في أسماء الرجال : ٣٢٠/١٠ ، رقم ٣٣٩٧ . الجرح والتعديل : ١٣٦/٥ .

بالضعف ويروي أحاديث مشتبهة .

ملاحظات في اضطراب متن الحديث:

فقد وقع اضطراب عجيب في متن الحديث مما يفيدك القطع بكونه مصنوعاً لغرض التسابق للتقرب لخلفاء بني العباس ، على غرار البرنامج التلفزيوني المعروف - ما يطلبه المشاهدون - ، ولكي لا نستعجل الحكم ، نشير إلى موارد اضطراب المتن :

أولاً: الحديث حسب ماورد في **مختصر تاريخ دمشق** : عن أبي أسيد الأنصاري الخزرجي : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال للعباس : يا أبا الفضل ، لا ترم منزلك غداً أنت وبنوك ، فإن لي فيكم حاجة . فانتظروه فجاء ، فقال صلى الله عليه وآله : السلام عليكم ، قالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

قال صلى الله عليه وآله : كيف أصبحتم ؟

قالوا : بخير نحمد الله ، كيف أصبحت أنت يا رسول الله ؟

قال صلى الله عليه وآله : بخير أحمد الله ، فقال : تقاربوا ليزحف بعضكم إلى بعض ثلاثاً ، فلمّا أمكنوه ، اشتمل عليهم بملاءته ، وقال : هذا العباس عمي وصنو أبي ، وهؤلاء أهل بيتي ، اللهم استرهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه .

قال : فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين ثلاثاً^(١) .

ثانياً: مارواه **أبو نعيم**^(٢) : قال صلى الله عليه وآله : « تقاربوا ، تقاربوا ، فزحف بعضهم إلى

بعض ، فهذه الجملة ليست من النبي صلى الله عليه وآله كما رواها الراوي في السابق ، والأمر سهل .

ثالثاً: ماورد في **تهذيب الكمال** : بعد أن يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الراوي :

(١) مختصر تاريخ دمشق : ٣٣٥/١١ .

(٢) دلائل النبوة : ٤٣٢ ، الحديث ٣٤٠ .

فأمنت أسكفة بيتنا وحوائط البيت ، فقالت آمين ، آمين ، آمين^(١) .

رابعاً : ما أخرجه ابن ماجة في سننه : إننا نجد الفرق الكبير بين تلك المرويات .

وبين ما أخرجه ابن ماجة ، حيث لم يرد فيه كلام حول ملاءة النبي ﷺ ولا دعاء ولا قصة الأسكفة .

وإليك ما أخرجه ابن ماجة ، قال : حدّثنا أبو إسحاق الهروي ، حدّثنا إبراهيم بن عبدالله بن أبي حاتم ، قال : حدّثنا عبدالله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص ، قال : حدّثني جدّي ، أبو أمّي ، مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدي ، عن أبيه ، عن جدّه أبي أسيد الساعدي ، قال : « قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبدالمطلب - ودخل عليهم - فقال : السّلام عليكم ، فقالوا : وعليك السّلام ورحمة الله وبركاته . قال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : بخير نحمد الله ، فكيف أصبحت ؟ بأبينا وأمنا يا رسول الله ! قال : أصبحت بخير أحمد الله »^(٢) ، انتهى الحديث .

ولقصر أسناد ابن ماجة وقدمه ، يرشدنا إلى كون ما أخرجه ابن ماجة هو أصل الحديث ، فلا وجود للكساء ولا ذكر لدعاء النبي ﷺ ، ولا توجد قصة الأسكفة ، هذا الاضطراب في الحديث يفيدك كونه من اللاكئ المصنوعة ، لغرض زيادة التقرب لبني العباس ، رغبة في استحصال الأموال والجاه والسلطان ، إضافة إلى أنّ مفردات الحديث ، غريبة جداً ، حيث إنّ أسكفة الباب تصيح آمين ثلاثاً وحوائط البيت كذلك ... ومعلوم أنّ دعاء النبي ﷺ يتحقّق من دون حاجة إلى أن تؤمّن أسكفة الباب أو حوائط البيت .

وهذا يكفي في وهن الرواية وضعفها وتركها ، ولا حاجة لمناقشة دلالتها ففي ذلك مضية للوقت والجهد .

(١) تهذيب الكمال : ٣٢٢/١٠ ، رقم ٣٣٩٧ .

(٢) سنن ابن ماجة : ٢٠٧/٤ ، الحديث ٣٧١١ .

النظرية الرابعة: أهل البيت هم عامة المتقين

هذه النظرية تنصّ على أنّ المراد من أهل البيت عليهم السلام في الآية الشريفة ، هو المتقون من أبناء هذه الأمة ، والمراد بالبيت هو البيت الحرام ، وأهله هم المتقون على الإطلاق لقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ (١).

وقيل المراد بالبيت ، هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأهله من مكنه رسول الله صلى الله عليه وآله فيه ولم يخرجهم ولم يسدّ بابه .

وقد أشار إلى المعنى المذكور الألويسي في تفسيره : « وقد أدخل النبي صلى الله عليه وآله بعض من لم يكن بينه وبينه قرابة سببية ولا نسبية في أهل البيت عليهم السلام توسعاً وتشبيهاً كسلمان الفارسي رضي الله عنه حيث قال صلى الله عليه وآله : سلمان منا أهل البيت » (٢).

ولعلّ دليلهم في ذلك ما روي عن واثلة بن الأسقع : أخرج ابن جرير ، قال : حدّثني عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : حدّثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدّثنا أبو عمرو ، قال : حدّثنا شدّاد أبو عمار ، قال : سمعت واثلة بن الأسقع يحدث ، قال : « سألت عن عليّ بن أبي طالب في منزله ؟ فقالت فاطمة : قد ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وآله ، إذ جاء ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله ودخلت ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله على الفراش ، وأجلس فاطمة عن يمينه ، وعليّاً عن يساره ، وحسناً وحسيناً بين يديه ، فلفع عليهم بثوبه ، وقال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ . اللَّهُمَّ هؤلاء أهلي ، اللَّهُمَّ أهلي أحقّ .

قال واثلة : فقلت من ناحية البيت : وأنا يا رسول الله من أهلك ؟

قال صلى الله عليه وآله : وأنت من أهلي .

(١) الأنفال : ٣٤ .

(٢) روح المعاني : م ١٢ / ٢٢ / ٢٣ .

قال واثلة : إنها لمن أرجى ما أرجى (١) .

إن مورد الشاهد المؤيد لأصحاب هذه النظرية هو سؤال واثلة بن الأسقع النبي ﷺ « وأنا يا رسول الله من أهلك ؟ » فقد أجابه النبي ﷺ بقوله : « وأنت من أهلي » ، فعليه « ليس المراد بأهل البيت ﷺ إلا هذا المعنى العام الذي يشمل أتباع النبي ﷺ من المتقين » (٢) .

المناقشة :

إن هذه النظرية واضحة البطلان ، وذلك للوجوه التالية :

أولاً : كون المراد بالبيت في آية التطهير ، هو المسجد الحرام أو مسجد النبي ﷺ هذا الاحتمال بعيد جداً ، بل باطل ، حيث إنه لم يكن أي من المسجدين المذكوراً أو معهوداً في موضوع آية التطهير ، وعلى فرضه ، مَنْ سيكون أهله عندئذٍ ؟ فهل يشمل كل مَنْ يدخله ؟ أو مَنْ يصلي فيه ؟

وإذا قلت : المتقون هم أهله ، فهل المتقون الذين يردوه فقط ؟ أم المتقون الأعم منهم ومن غيرهم ؟ فإذا قلت بالأول - أي المتقون الذين يردوه - نقول : فما هي خصوصيتهم دون غيرهم ، فما دام غيرهم قد تحقق التقوى منه فالعنوان يشملهم أيضاً ، فلا بد أن تشملهم تلك الخصوصية أيضاً على رأيك .

وإن قلت بالثاني - أي المتقون الأعم - فنقول : فما معنى الإضافة إلى البيت الحرام أو مسجد النبي ﷺ فتعتبر الإضافة لاغية عندئذٍ .
فعليه هذا الاحتمال بعيد المنال .

(١) تفسير الطبري : ١٠٤/١٩ . أخرجه ابن حبان : الحديث ٦٩٧٦ . الحاكم : ٤٥١/٢ من طريق الوليد به . وأخرجه ابن أبي شيبه : ٧٣/١٢ . وأحمد : ١٩٥/٢٨ ، الحديث ١٦٩٨٨ . والطبراني : الحديث ٢٦٧٠ . وابن عساكر : ١٤٧/١٤ من طريق الأوزاعي .
(٢) منهاج السنة ، لابن تيمية : ٢٤/٤ .

ثانياً: قلنا سابقاً: إنّ المراد بالبيت في آية التطهير هو بيت النبوة والرسالة. وقد ذكر المحقق الطبرسي اتفاق كلمة الأمة على أنّ المراد بالبيت هو بيت نبينا محمد صلى الله عليه وآله ^(١) أي بيت النبوة والرسالة لا السكنى ولا النسب. وقد وقفت على الأدلة التي سقناها في المقام، ووقفت أيضاً على بطلان الآراء الأخرى.

ثالثاً: قولهم: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال في حق سلمان رضي الله عنه: ... الحديث.

أقول: هذا الحديث فيه دلالة لنا لا علينا، كيف؟ لأنه حينما يقول صلى الله عليه وآله: سلمان منا أهل البيت عليهم السلام، ذلك يعني وجود جماعة معينة عرفت بهذا العنوان، واختص بها هذا الاصطلاح في المرتبة الأولى، ثم في المرتبة الثانية أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يضيف سلمان إليهم، وكلامنا في أهل البيت عليهم السلام الذين هم في المرتبة الأولى، والذين هم مفاد آية التطهير.

مضافاً إلى أنّ قول النبي صلى الله عليه وآله في حق سلمان «كان من باب التوسّع والتجوز في بيان قيمة الاتباع لأهل البيت عليهم السلام» ^(٢).

وهذا يكشف عن مستوى شرف سلمان وسموّ مكانته في الإسلام وعلوّ قدره وعظم شأنه، وكونه من خيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله. ولكن رغم كل ذلك - لا يدعي أحد، أنّ سلماناً رضي الله عنه أحد الذين نزلت بحقهم آية التطهير، حتى صاحب هذه النظرية لا يدعي ذلك.

رابعاً: هذا الرأي هو اجتهاد ضعيف مقابل النصوص المتواترة والقوية والصحيحة التي وردت في بيان من نزلت بحقهم آية التطهير، ومن شملهم النبي صلى الله عليه وآله بكسائه، وقد وقفت على تلك النصوص ودلالاتها.

خامساً: أمّا رواية واثلة بن الأسقع التي رواها الطبري فيرد عليها مايلي:

١ - إنّها مبينة لروايات كثيرة رواها ابن الأسقع نفسه ولكن لم ترد فيها الزيادة

(وأنت من أهلي). وأودّ أن أشير إلى بعضها:

أ - ما ورد في مسند الإمام أحمد: أخرج الإمام أحمد: حدّثنا محمد بن مصعب، حدّثنا الأوزاعي، حدّثنا شدّاد أبو عمّار، قال: « دخلت على وائلة بن الأسقع، وعنده قوم، فذكروا عليّاً عليه السلام، فشتموه فشتمته معهم، فلمّا قاموا قال لي: شتمت هذا الرجل؟

قلت: قد شتموه، فشتمته معهم. فقال لي: ألا أخبركم بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: بلى.

قال: أتيت فاطمة رضي الله عنها أسألها عن عليّ عليه السلام فقالت: توجّه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فجلست أنتظره حتّى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه عليّ وحسن وحسين رضي الله عنهم، أخذ كل واحدٍ منهما بيده حتّى دخل فأدنى عليّاً وفاطمة رضي الله عنهما. وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه، ثمّ لفّ عليهم ثوبه أو قال كساءه، ثمّ تلا صلى الله عليه وآله هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، أهل بيتي أحق ^(١).

ب - ما أورده المتقي الهندي: عن يزيد بن أبي مالك، عن أبي الأزهر، عن وائلة بن الأسقع، قال: « لمّا جمع رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة والحسن والحسين

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١٠٧/٤، أو: ١٦٩٨٨/١٩٥/٢٨، وأخرجه الطبري في التفسير، مورد الآية. الحاكم في المستدرک: ٣/١٥٩/٤٧٠٦، وقال: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ». والحاكم أيضاً في المستدرک: ٣/٤٥١/٣٥٥٩، ولكن من دون قوله صلى الله عليه وآله: « أهل بيتي أحق »، وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه »، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/٢٦٣/١٤٩٧٢، ولكن في الحديث رقم ١٤٩٧٣ ذكر هذه الزيادة: « فقلت: يا رسول الله، وأنا؟ قال: وأنت »، قال: والله إنها لأوثق عملي في نفسي.

تحت ثوبه ، قال : اللهم إنك جعلت صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على إبراهيم وآل إبراهيم ، اللهم إنهم مني وأنا منهم ، فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم» (١).

ج - ما أخرجه في المصنّف: أبو بكر ابن أبي شيبة ، عن محمد بن مصعب ، عن الأوزاعي ، عن شدّاد أبي عمّار: « دخلت على وائلة وعنده قوم فذكروا عليّاً ، فستموه ... الخ » الحديث (٢).

د - ما أخرجه في الشواهد: أخرج الحاكم الحسكاني بسنده عن عبدالرحمن ابن عمرو ، قال : حدّثني شدّاد بن عبدالله أبوعمار ، قال : « سمعت وائلة بن الأسقع يقول : والله لا أزال أحبّ عليّاً وحسناً وحسيناً وفاطمة بعد إذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيهم ما قال . ولقد رأيتني يوماً وقد جئت رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل أمّ سلمة ، فجاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى ، ثمّ جاء حسين فأجلسه على فخذه اليسرى ، وقبّلهما ، ثمّ جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه ، ودعا بعليّ فأغدف عليهم كساءً خبيرياً ، كأنني أنظر إليه ، ثمّ قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

قلت لوائلة : وما الرّجس ؟ قال الشك في دين الله .» .

ورواه عن الأوزاعي سوى هؤلاء ، أبو مسهر ، والوليد بن مسلم ، وعبدالله بن واقد ، ويوسف بن السفر (٣) .

(١) كنز العمال : ١٢/١٠١/٣٤١٨٦ ، من دون صدر الحديث ، والخوارزمي في المناقب : ٦٣ ، وذكر هذه الزيادة : « فقال وائلة : وكنت واقفاً على الباب ، فقلت : وعليّ يا رسول الله بأبي أنت وأمّي ؟ قال صلى الله عليه وآله : اللهم وعليّ وائلة .» .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف : ١١/١٤٦/٣٢٦٣٩ ، ولم ترد فيه الزيادة ، وانظر شواهد التنزيل : ٦٨/٢ .

(٣) شواهد التنزيل : ٦٩/٢ ، الحديث ٦٩٠ .

٢- الرواية في غاية الاضطراب ، حيث تارة وردت فيها الزيادة (وأنت من أهلي) ، وتارة أخرى الزيادة فقط (وأنت)^(١) ، وتارة ثالثة بدون الزيادة^(٢) .

هذا الاضطراب فيها يشير في النفس الريبة منها ، فهل هو قد شهد النبي ﷺ في وقائع متعددة ، فاختلفت الروايات ؟ وهذا بعيد جداً . أم أنه في واقعة واحدة وردت عن النبي ﷺ مواقف متباينة ؟ وهذا أبعد من الأول ، فلهذا لا تطمئن النفس لهذه المرويات .

٣- إنها معارضة بروايات قد وردت عن أم سلمة وعن عائشة ، وكل منهما تطلب أن تكون تحت الكساء أو تسأل عن حالها فيجيب النبي ﷺ ، « أنتِ على خير » ويخبرها بأنها من أزواج النبي ، وليست من أهل البيت ﷺ . وقد مرّت عليك الروايات في الفصل السابق .

٤- وعلى تقدير صحة الرواية ، فالنبي ﷺ قال له : « وأنت من أهلي » . وهذا فيه الفرق الكبير بينه وبين ما لو قال له وأنت من أهل البيت . ففي دعائه لسلمان قال له : « سلمان من أهل البيت » بخلافه هنا ، وأنت خبير في الفرق بين الموردين .

٥- ما هي دلالة الرواية على فرض صحتها ؟

فهل يدعي أحد أنّ واثلة هو أحد الذين نزلت بحقهم آية التطهير ؟! كلا ، وهل شمله ما شملهم من إذهاب الرّجس وإضفاء التطهير ؟ كلا ؛ إذ لو كان الأمر كذلك لاشتهر وذاع على لسانه ولسان الآخرين ، ولكن غاية ما في الأمر أنّ النبي ﷺ قد أجابه على طلبه - على فرض صحّة الرواية - قائلاً له : « وأنت من أهلي » ، بمعنى أنك من أتباعي وأصحابي ، بهذا المعنى التوسّعي والمجازي .

٦- هذا ولكن لا يمكن الوثوق والاطمئنان بصحّة الرواية للأسباب التي قدمناها

(١) شواهد التنزيل : ٦٩/٢ ، الحديث ٦٩٣ .

(٢) كما وقفت على ذلك من خلال رواية أحمد ، والحاكم وابن أبي شيبة ، والحسكاني .

من جهة ، ولكثرة ما روى روايات قد مجّها القوم وحكم عليها الحفّاظ بالبطلان والوضع ، وإليك نماذج منها: أخرج ابن عساكر وغيره ، عن وائلة مرفوعاً: « إن الله ائتمن على وحيه جبريل وأنا ومعاوية ، وكاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه وائتمانه على كلام ربّي ، يغفر الله لمعاوية ذنوبه ، ووفّاه حسابه ، وعلمه كتابه ، وجعله هادياً مهدياً ، وهدى به » ، والله أعلم^(١).

وعن خالد بن معدان عن وائلة بن الأسقع ، عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال: « الأمناء عند الله ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية »^(٢).

قال النسائي وابن حبان: هذا الحديث باطل موضوع^(٣).

وقال الحاكم: سألت أحمد بن عمير الدمشقي وكان عالماً بحديث الشام عن هذا الحديث فأنكره جداً^(٤).

ونقل السيوطي الرواية عن وائلة بن الأسقع هو بنفسه قد صرح قائلاً: « إذا حدّثتكم بالحديث على معناه فحسبكم »^(٥) معنى هذا أنه لم يكن على درجة من ضبط الحديث ، ولعلّه لهذا سألّه مكحول وأبو الأزهر أن يحدّثهما بحديث ليس فيه وهم ولا زيادة ولا ترديد ولا نسيان فلم يجبهما إلى طلبهما ، وإئتما قال لهما ما ذكرناه أعلاه ، وإليك ما رواه ابن عساكر:

روى ابن عساكر بإسناده عن مكحول قال: « دخلت أنا وأبو الأزهر على وائلة بن الأسقع صاحب رسول الله ، فقلنا: يا أبا الأسقع ، حدّثنا بحديث سمعته من

(١) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، للسيوطي: ٣٨٣/١ ، ط . دار الكتب العلمية .

(٢) المجروحين ، لابن حبان: ١٤٦ .

(٣) المصدر السابق ، واللآلئ المصنوعة: ٣٨١/١ .

(٤) المصدر السابق: ٣٨٢/١ .

(٥) تاريخ دمشق ، لابن عساكر: ٣٦٢/٦٢ .

رسول الله ﷺ ليس فيه وهم ولا ترديد ولا نسيان .

قال : فقال : هل قرأتم من القرآن الليلة شيئاً ؟

قال : فقلنا : نعم .

قال : فهل زدتم واواً أو ألفاً أو مثلها .

قال : فقلنا له : ما نحن له بحافظين جداً ، إننا لنزيد الواو والألف وننقص .

قال : فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا تألون حفظه وأنتم تزعمون أنكم تزيدون

وتنقصون ، فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ﷺ عسى أن لا يكون سمعناها

منه إلا مرة واحدة ، حسبكم إذا جئناكم بالحديث على معناه»^(١) .

وهكذا يتضح لديك أنه لم يستطع أن يجبهما بحديث واحد يحق فيه مطلبهما ،

فكيف إذن يمكن الاطمئنان إلى روايته من دون زيادة أو غير ذلك ؟

فلهذا ولكل الأسباب المتقدمة لا يمكن اعتماد تلك الرواية أو قبولها ، وبهذا يتم

بطلان النظرية الرابعة أيضاً .

الحاصل : لقد وقفت على بطلان كل الآراء والنظريات المعارضة ، من خلال

الأدلة النقلية والعقلية . فيبقى ماورد من الروايات الكثيرة والصحيحة التي بينت

سبب نزول آية التطهير سالمة عن المعارضة .

وبهذا يثبت بالقطع واليقين ماورد عن الصحابة والصحابيات أمهات المؤمنين

رواية عن رسول الله ﷺ في أن آية التطهير نزلت في رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة

والحسن والحسين عليهما السلام ، دون أدنى شك أو شبهة .

خلاصة الفصول الثلاثة

وفي ختام هذا الفصل نود أن نشير إلى خلاصة مقتضبة تجمع لك الذهن عن شتات ما تناثر خلال الفصول الثلاثة ، لتستعد النفس لدراسة الفصل اللاحق حينئذٍ . وهي كما يلي :

١ - إن أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير هم عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقد تبنى هذا الرأي أكثر مفسّري المسلمين من الشيعة والسنة ، وقد أشار إلى ذلك ابن حجر في صواعقه : « أكثر المفسّرين على أنها - آية التطهير - نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين »^(١) .

٢ - المراد بالبيت في آية التطهير هو بيت النبوة والرسالة ، لا بيت السكنى ، ولا بيت النسب ، وقد ذهب إلى ذلك ابن عباس رضي الله عنه حيث قال التعريف : في البيت للعهد - بين الله تعالى وبين المخاطب - والمراد به بيت النبوة والرسالة ، وقد أجمعت الأمة على ذلك ، كما أشار إلى هذا المعنى الطبرسي في تفسيره « قد اتّفتت الأمة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت عليهم السلام في الآية أهل بيت نبينا محمد صلى الله عليه وآله »^(٢) .

٣ - إن آية التطهير نزلت بمفردها بإجماع المفسّرين ، ولكنّها في الكتاب العزيز وضعت في سورة الأحزاب . ولذا عند تفسيرها لا بدّ من ملاحظة هذا الأمر ، فلا علاقة للآية الشريفة بما قبلها وما بعدها ، وكأنها آية معترضة بين مطلب واحد . « والأحاديث على كثرتها البالغة ناصّة في نزول الآية وحدها ولم يرد حتّى في رواية واحدة نزولها في ضمن آيات نساء النبي صلى الله عليه وآله ولا ذكره أحد »^(٣) .

(١) الصواعق المحرقة : ٤٢١/٢ .

(٢) مجمع البيان : ١١٩/٨ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن : ٣١١/١٦ .

٤- إن آية التطهير مسوقة مساق الامتنان ، ولذا نجد العناية الواضحة فيها من الحصر الاصطفائي الاختصاصي المؤكّد ، ففي الحقيقة إنّ « في الآية قصران ، قصر الإرادة في إذهاب الرّجس والتطهير وقصر إذهاب الرّجس والتطهير في أهل البيت عليهم السلام »^(١) .

٥- إنّ الإرادة في الآية هي « الإرادة على معناها الحقيقي المستتبع للفعل »^(٢) ، وهي الإرادة التكوينية لا الإرادة التشريعية ، وإلا فسوف يستلزم كون الحصر والاختصاص لغواً في الآية ، ولا يلتزم بهذا أحد .

٦- كلمة ﴿الرّجس﴾ في الآية : اللام فيها للجنس وهي تفيد الاستغراق والشمول ، بمعنى أنّ المراد من الرّجس كلّ ما يشين الإنسان من الذنوب والإثم والنقائص والأخلاق المذمومة . وقد أشار إلى ذلك أغلب المفسّرين الشيعة والسنة^(٣) .

٧- الآية فيها دلالة واضحة على عصمة من نعتتهم بـ (أهل البيت عليهم السلام) بمعنى طهارتهم من الذنوب والدّنس والأرجاس ، ومن كلّ النقائص . وهذا هو معنى العصمة . وأنّ مصطلح (أهل البيت عليهم السلام) هو من خاصّة ألقاب الصّفة الطاهرة ولا فرق بينه وبين عنوان آل البيت أو آل محمّد أو (آل العبا) أو (أصحاب الكساء) .

٨- تواترت الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله من حديث الكساء وغيره في تبيان سبب

(١) الميزان في تفسير القرآن : ٣٠٩/١٦ .

(٢) أشار إلى هذا الرأي الألوسي في تفسيره روح المعاني : م ٢٧/٢٢/١٢ .

(٣) انظر : تفسير فتح البيان ، للإمام البخاري : ٨٥/١١ . الميزان في تفسير القرآن : ٣١٢/١٦ .

البحر المحيط : ٤٧٨/٨ . الكشاف : ٥٢٢/٣ ، وقد أشار إلى المعنى . وقال الرّجّاج :

« الرّجس : كل مستقذر من مأكول أو عمل أو فاحشة » . تفسير زاد المسير ، لعليّ بن محمّد

الجوزي : ٢٠٧/٦ .

نزول آية التطهير ، وقد أشارت الروايات إلى فعل النبي صلى الله عليه وآله ، بإحاطة أهل البيت عليهم السلام بالكساء ، مبالغة في حصرهم وتمييزهم عن غيرهم ، وعدم استجابته صلى الله عليه وآله لطلب أمّ المؤمنين أمّ سلمة في الدخول تحت الكساء ، والروايات في ذلك « أكثر من أن تحصى - كما أشار إلى ذلك الألو سي - وهي مخصّصة لعموم أهل البيت عليهم السلام بأي معنى كان البيت ، فالمراد بهم مَنْ شملهم الكساء ولا يدخل فيهم أزواجه » (١) .

٩ - حركة النبي صلى الله عليه وآله الإعلامية المكثفة في دعوة أهل بيته للصلاة ، وتكرار تلاوته لآية التطهير على باب دار علي وفاطمة عليهما السلام عند وقت كل فريضة مدة طويلة من الزمن وبمرأى وبمسمع من المسلمين ، تكشف بشكل قاطع لا لبس فيه ، أنّ أهل البيت عليهم السلام ، هم هؤلاء دون سواهم ، وأنّ الله تعالى قد اصطفاهم واختارهم لهذا المقام من دون سائر خلقه ، والروايات المستفيضة خير شاهد ودليل على ذلك .

١٠ - إنّ مصطلح (أهل البيت عليهم السلام) في آية التطهير يشير إلى الخمسة أصحاب الكساء على نحو الحصر - كما بيّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله - أمّا ارتباط بقية الأئمة الأطهار بآية التطهير وشمولهم بمدلولها ؛ وما تخلعه على مخاطبيها من العصمة والطهر يتم من خلال دخولهم في قوله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (٢) كما أوضح ذلك الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام . وهكذا قضى الله تعالى أن يكون للتأويل شأن واعتبار التنزيل ، ويكون لمن أوّلت الآية بهم شأن ومنزلة مَنْ نزلت فيهم ، وهم بقية الأئمة الاثني عشر من أولاد الإمام الحسين عليه السلام ، وقد أشرنا إلى طوائف متعددة من الروايات في هذا الباب (٣) ، فلاحظ .

١١ - نهى النبي صلى الله عليه وآله أمّته عن الصلاة البتراء ، لكن للأسف نجد الكثير من

(١) تفسير روح المعاني : م ١٢ / ٢٢ / ٢١ .

(٢) الأنفال : ٧٥ .

(٣) تقدّم بيانه في الفصل الأوّل .

المسلمين يصلّون على النبيّ بالصلاة البتراء ، إذ يصلّون عليه ولا يصلّون على آله ، إمّا جهلاً ، وإمّا بغضاً لأهل البيت عليهم السلام ، في حين قد علّم النبيّ أمّته كينيّة الصلاة عليه ، وبيّن لهم الفضل الكثير في ذلك من الثواب والمغفرة والبركة ، وهم بذلك يردّون هذا الفضل ببتّهم الصلوات على النبيّ .

١٢ - أهل البيت عليهم السلام هم عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وهم آله ، وهم القربى الذين فرض الله مودّتهم في كتابه والصلاة عليهم ، وقد أشار إلى هذا المعنى الشافعي بأبياته المعروفة :

يا أهل بيت رسول الله حُبُّكُمْ فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له^(١)

(١) الصواعق المحرقة ، لابن حجر : ٤٣٥/٢ .



الفصل الرابع

أهل البيت عليهم السلام

في ضوء القرآن الكريم



الدراسة

إنّ الآيات القرآنية التي ذكرت أهل بيت النبي ﷺ تصریحاً أو تلميحاً ، أو بيّنت شأناً من شؤونهم أو منزلتهم أو فضائلهم أو خصائصهم ، كثيرة جداً ، ولا ندّعي استيعابها ، وإنّما نريد أن نشير إلى بعض منها ، بما يحقّق لنا رؤية قرآنية واعية متكاملة ومترابطة ، في مجال إدراك المرجعية العلمية والسياسية لأهل البيت ﷺ ، نستخلصها من خلال استعراض آراء مفسري المسلمين ، مشفوعة بالنصوص المفسّرة لها ، الواردة عن النبي الأكرم ﷺ ، لنكون قد ساهمنا مساهمة متواضعة وضيئلة جداً في مجال معرفة أهل البيت ﷺ .

الآية الأولى:

آية المودة

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الَّذِي يَبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (١).

قبل تبيان تفسير آية المودة - مورد البحث - لابد لنا من استعراض المنهج المتبع كي تتم الدراسة في ضوءه . وكي نعرف موقعنا منه عند دراسة الآية الشريفة واستنطاق القرآن الكريم .

المنهج: لكي نستحصل رؤية متكاملة للآية المباركة لابد من اتباع المنهج الآتي المتضمن للأمور التالية :

الأمر الأول : تبيان سبب النزول .

الأمر الثاني : تبيان تفسير الآية الشريفة مشفوعاً بأراء المفسرين .

الأمر الثالث : استعراض النصوص المفسرة .

الأمر الرابع : دلالة الآية الشريفة .

الأمر الخامس : الآراء المعارضة مع مناقشتها .

الأمر السادس : الحصيلة النهائية .

الأمر الأول: في بيان سبب النزول

لقد وردت آراء متعددة في بيان سبب نزول الآية الشريفة ذكرها المفسرون والمحدثون ، ولكننا نذكر السبب النزولي الذي ينسجم مع مجريات البحث من جهة ، والمؤيد بالنصوص المفسرة الواردة عن النبي الأكرم عليه السلام ، ونقتصر على ذكر موردين فقط .

المورد الأول: مارواه الطبري في تفسيره

« حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا عبد السلام ، قال : ثنا يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : « قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا ، فكأنهم فخرُوا فقال ابن عباس ، أو العباس - شكَّ عبد السلام - : لنا الفضل عليكم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فأتاهم في مجالسهم فقال : يا معشر الأنصار ، ألم تكونوا أذلة فاعزكم الله بي ؟ قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : ألم تكونوا ضللاً فهداكم الله بي ؟ قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : أفلا تجيبوني ؟ قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟

قال : ألا تقولون : ألم يُخرجك قومك فأويناك ، أولم يُكذبوك فصدقناك ، أولم يخذلوك فنصرناك ؟

قال : فما زال يقول حتى جثوا على الركب ،

وقالوا : أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله ، قال : فنزلت :

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(١) .

(١) تفسير الطبري : ٤٩٩/٢٠ ، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير : الحديث ٢٦٤١ ، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم : ١٨٤٧٢/٣٢٧٦/١٠ . لاحظ تفسير ابن كثير : ١٨٤/٧ ، وقريب منه الشعبي في تفسيره : ٣١٠/٨ ، والسيوطي في الدر المنثور : ↵

هذه الرواية تدل على أن الآية نزلت في المدينة مخاطبة الأنصار وغيرهم ، صحيح أن السورة المباركة -سورة الشورى- مكية ، لكن بعض آياتها مدنية ، حيث قد نزلت في المدينة ، ويشير إلى هذا المعنى السيوطي : « سورة الشورى مكية ولكن استثنى منها : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ بصير ﴾ - الشورى ٢٤ - ٢٧ قلت : بدلالة ما أخرجه الطبراني والحاكم في سبب نزولها ، فإنها نزلت في الأنصار» (١) .

المورد الثاني : ما رواه أبو حمزة الثمالي في تفسيره

« حدثني عثمان بن عمير ، عن سعيد بن جبير ، عن عبد الله بن عباس ، قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة واستحکم الإسلام قالت الأنصار فيما بينها : نأتي رسول الله فنقول له : إن تعرك أمور فهذه أموالنا تحکم فيها غير حرج ولا محذور عليك ، فأتوه في ذلك فنزلت ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ، فقرأ عليهم ، وقال : تودون قرابتي من بعدي ، فخرجوا من عنده مسلمين لقوله ، فقال المنافقون : إن هذا شيء افتراه في مجلسه أراد أن يدللنا لقرابته من بعده فنزلت ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ، فأرسل إليهم فتلاها عليهم ، فبكوا واشتد عليهم ، فأنزل الله : ﴿ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ الآية ، فأرسل في أثرهم فبشرهم ، قال : ﴿ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا... ﴾ الآية (٢) » (٣) .

⇨ ٢٩٩/٧ ، والزمخشري في الكشاف : ٢١٤/٤ ، تحت رقم ٩٩١ .

(١) الإتيان : ٥٠/١ ، بدلالة ما أخرجه الطبراني كما أشار إليه الهيثمي في المجمع : ٢٨٨/٧ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني من رواية حرب بن الحسن الطحان ، عن حسين الأشقر ، عن قيس بن الربيع ، وقد وثقوا كلهم ، وضعفهم جماعة ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) الشورى : ٢٦ .

(٣) مجمع البيان ٣٥/٩ .

الأمر الثاني : تفسير آية المودة

النبي صلى الله عليه وآله ينفي سؤال الأجر على ما بذله من جهد في تبليغ الرسالة والدعوة إلى الله تعالى ، وهذا ما يعتبر قاعدة وأساساً لكل الذين سبقوه من الرُّسل ، وقد حكى الله تعالى هذا النفي عن لسان عدة من الرُّسل ، نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، أثناء مخاطبة كلٍّ منهم أمته ، كما ورد ذلك في سورة الشعراء :

فما جاء على لسان نوح عليه السلام :

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٩).

ما جاء على لسان هود عليه السلام :

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٢٧).

وما جاء على لسان صالح عليه السلام :

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٤٠).

وهكذا ما جاء على لسان لوط عليه السلام في الآية (١٦٤) وما جاء على لسان شعيب عليه السلام

في الآية (١٨٠) من نفس السورة - أي الشعراء - .

وقد حكى الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وآله ذلك أيضاً ، وهو أفضل الأنبياء وخاتمهم ،

فجاء في سورة يوسف :

﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٤)

هذا ، وقد أمر الله تعالى نبيه الكريم أن يخاطب الناس بتعبيرات مختلفة في تبيان

تلك القاعدة الأساسية .

ولكي يتجلّى المعنى ويتبلور أكثر ، لابد لنا من أن نلقي الضوء على الآيات

القرآنية الحاكية لقول النبي صلى الله عليه وآله بهذا الخصوص ؛ كي نكتشف الترابط بينها ، وبذلك

تتجلّى الصورة أكثر فأكثر :

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ (١).

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيَّ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ (٣).

وقال تعالى في آية المودة: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (٤).

من خلال هذه المنظومة المتكاملة من الآيات الشريفة نستنتج مايلي :

إنّ الأجر على تبليغ الرسالة منفي بالمرّة؛ إذ لا أجر على الرسالة النبويّة والدّعوة

إلى الله تعالى ، ولكن كيف نجازي الرسول صلى الله عليه وآله على جهوده ؟

جزاؤه قد بيّنه صلى الله عليه وآله ، بالاستمرار على الرسالة ، واتخاذ سبيل الله تعالى ، وهو

ما أشارت إليه الآية الثالثة ، ولكن سبيل الله كيف يُسلك ؟ وبواسطة من يتم ؟

ذلك يتم عبر المودة للقربى ، كما أشارت إليه آية المودة .

وكأنّ الآية تقول : هذا الذي تلتزمون به هو لكم لا عليكم ، بمعنى أنّه ليس عبثاً

عليكم ولا يرهقكم ولا يجهد قواكم ، كلا ، بل هو لكم بما للكلمة من معنى ، فننأجه

لكم ، خيره لكم ، بركاته فيكم ، وهو ما أشارت إليه الآية الأولى . فلذا جعل النبي صلى الله عليه وآله

أجر رسالته المودة في القربى ، « ومن المتيقن من مضامين سائر الآيات التي في هذا

المعنى أنّ هذه المودة أمر يرجع إلى استجابة الدعوة إمّا استجابة كلها وإمّا استجابة

بعضها الذي يهتم به وظاهر الاستثناء على أي حال أنّه متصل بدعوى كون المودة من

الأجر» (٥).

(١) سبأ: ٤٧.

(٢) الأنعام: ٩٠.

(٣) الفرقان: ٥٧.

(٤) الشورى: ٢٣.

(٥) الميزان: ٤٣/١٨.

هل الاستثناء متصل أم منقطع ؟ وهل يختلف المعنى عندئذ ؟

في المسألة قولان ، ولكل من القولين أدلته ، ولكن هل يختلف المعنى باختلاف نوع الاستثناء ؟ هذا ما ستلاحظه :

القول الأول : الاستثناء المنقطع

فتكون جملة ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ تامة قد استوفت المعنى بتمامه . أما قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ فيكون كلاماً مبتدأً يفيد المعنى التالي : لكن المودة في القربى سألتكموها . وهذا له نظائر في القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾^(١) . والمعنى : لكن إبليس لم يسجد ، وهذا ليس استثناءً من جملة الملائكة الساجدين .

قد ذهب إلى هذا الرأي جملة من مفسري المسلمين ، ومن أكابر علمائنا كالشيخ المفيد البغدادي ، قال عليه السلام : « لا يصح القول بأن الله جعل أجر نبيه مودة أهل بيته ولا أنه جعل ذلك من أجره لأن أجر النبي في التقرب إلى الله هو الثواب العظيم ، وهو متحقق على الله تعالى في عدله وجوده وكرمه وليس المستحق على الأعمال يتعلق بالعباد لأن العمل يجب أن يكون لله تعالى خالصاً ، وما كان لله تعالى فالأجر فيه على الله تعالى دون غيره . هذا مع أن الله تعالى يقول : ﴿ وَيُقِيمُ لَكُمْ لَكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾^(٢) .

وفي موضع آخر : ﴿ يُقِيمُ لَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴾^(٣) .

(١) الحجر : ٣٠ و ٣١ .

(٢) هود : ٢٩ .

(٣) هود : ٥١ .

فإن قال قائل : فما معنى قوله : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ؟

أو ليس هذا يفيد أنه قد سألتهم مودّة القربى لأجره على الأداء ؟

قيل له : ليس الأمر على ما ظننت ، لما قدّمنا من حجّة العقل والقرآن ، والاستثناء في هذا المكان ليس هو من الجملة ، لكنّه استثناء منقطع ، ومعناه : قل لا أسألكم عليه أجراً ، لكن ألتزمكم المودّة في القربى وأسألكموها فيكون قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ كلاماً تاماً قد استوفى معناه . ويكون قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ كلاماً مبتدأ ، فائدته : لكن المودّة في القربى سألتكموها .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ (١) .

والمعنى فيه : لكن إبليس ، وليس باستثناء من جملة .

وكقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

معناه : لكن رب العالمين ليس بعدوّ لي . قال الشاعر :

وبلدة ليس بها أنيسُ إلاّ اليعافير وإلاّ العيسُ» (٣)

القول الثاني : الاستثناء المتصل

بمعنى أنّ المستثنى يكون من جنس المستثنى منه . ومعلوم أنّ المودّة في القربى

ليس بأجر فكيف يصبح المعنى عندئذٍ ؟

يكون المعنى هكذا : إني لا أسألكم أجراً ، ولكن رضيت بالمودّة في القربى أجراً

وإن لم يكن بأجر .

(١) الحجر : ٣٠ - ٣١ .

(٢) الشعراء : ٧٧ .

(٣) تصحيح الاعتقاد : ١٤٠ .

وقد جَوَّزَ هذا الاستثناء جملة من المفسرين كالزمخشري^(١) والنسفي^(٢) وغيرهما ، وكذلك الشيخ الطوسي^(٣) والطبرسي^(٤) ، هذا وقد أشار الأخير إليه في المجمع ، ما نصّه : القول الآخر : «إنه استثناء متصل والمعنى لا أسألكم عليه أجراً إلا هذا فقد رضيت به أجراً . كما أتتك تسأل غيرك حاجة فيعرض المسؤول عليك برّاً فتقول له : اجعل بري قضاء حاجتي وعلى هذا يجوز أن يكون المعنى لا أسألكم عليه أجراً إلا هذا ونفعه أيضاً عائد عليكم فكأنني لم أسألكم أجراً»^(٥) .

كما مرّ بيانه في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾^(٦) .

ومن المعلوم أنّ الأصل في الاستثناء هو الاتصال ، أمّا الانقطاع فهو خلاف الأصل . وقد اختار البيضاوي الاتصال أيضاً ، وذكر الانقطاع قولاً^(٧) ، بل العلامة في الميزان ذهب إلى أنّ القول بالانقطاع تمخّل ، فقد جاء في تفسيره :

« وظاهر الاستثناء على أي حال أنّه متصل بدعوى كون المؤدّة من الأجر ولا حاجة إلى ما تمخّله بعضهم بتقريب الانقطاع فيه »^(٨) .

بل لم يجوّز بعض علمائنا الانقطاع ، فقد قال القاضي التستري : « تقرر عند المحقّقين من أهل العربية والأصول أنّ الاستثناء المنقطع مجاز واقع على خلاف ، وأنّه لا يحمل على المنقطع إلا لتعذّر المتصل ، بل ربما عدلوا عن ظاهر اللفظ الذي

(١) لاحظ الكشاف : ٢١٣/٤ .

(٢) راجع تفسير النسفي : ٢٥٢/٣ .

(٣) راجع التبيان : ١٥٨/٩ .

(٤) راجع مجمع البيان : ٣٥/٩ .

(٥) مجمع البيان : ٣٥/٩ .

(٦) سبأ : ٤٧ .

(٧) انظر تفسير البيضاوي : ١٢٨/٥ .

(٨) الميزان : ٤٣/١٨ .

هو المتبادر إلى الذهن مخالفين له - أي للظاهر - لغرض الحمل على المتصل الذي هو الظاهر من الاستثناء ، كما صرح به الشارح العضدي ، حيث قال : « واعلم أن الحق أن المتصل أظهر ، فلا يكون مشتركاً ولا للمشترك ، بل حقيقة فيه ، ومجاز في المنقطع ، ولذلك لم يحمله علماء الأمصار على المنفصل ، إلا عند تعذر المتصل ، حتى عدلوا للحمل على المتصل من الظاهر وخالفوه ، ومن ثم قالوا في قوله : له عندي مائة درهم إلا ثوباً ، وله عليّ إبل إلا شاة معناه : إلا قيمة ثوب أو قيمة شاة ، فيرتكبون الاضمار - التقدير - وهو خلاف الظاهر ليصير متصلاً ، ولو كان في المنقطع ظاهراً لم يرتكبوا مخالفة ظاهرٍ حذراً عنه » ، انتهى ^(١) .

حاصل الكلام:

لو قلنا: إنَّ الاستثناء منقطع فيكون المعنى: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ جملة تامة استوفت تمام المعنى ، وأما قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ كلاماً مبتدأً بمعنى أن مودة القربى سألتكموها وألزمكموها .

أما لو قلنا: بأنَّ الاستثناء متصل فيكون المعنى: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ إلا هذا - المودة في القربى - فقد رضيت به أجراً ، وإن لم يكن بأجر .

فعلى هذا نقول: سواء كان الاستثناء متصلاً أم منقطعاً ، فالآية تدلُّ على وجوب مودة قربي النبي صلى الله عليه وآله .

ما معنى المودة؟

قال الراغب: «الوُدُّ: محبة الشيء وتمني كونه ، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التَّمَنِّي يتضمن معنى الود ، لأن التمني هو تشهي حصول

(١) إحقاق الحق: ٢٢/٣ .

ما تودُّه . والمودَّة بمعنى المحبَّة»^(١) .

« والمحبَّة : إرادة ما تراه أو تظنُّه خيراً وهي على ثلاثة أوجه :

١ - محبَّة للذَّة ، كمحبَّة الرجل المرأة ومنه : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ

مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾^(٢) .

٢ - محبَّة للنفع كمحبَّة شيء يُنتفع به ، ومنه ﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرَ مَنْ آوَى إِلَيْهِ

وَفَتْحَ قَرِيْبٍ ﴾^(٣) .

٣ - محبَّة للفضل ، كمحبَّة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم .

وربما فُسِّرَت المحبَّة بالإرادة في نحو قوله تعالى : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ

يَتَّخِذُوا ﴾^(٤) ، وليس كذلك ، فإنَّ المحبَّة أبلغ من الإرادة ، فكلُّ محبَّة إرادةٌ وليس

كلُّ إرادة محبَّة . وقوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾^(٥) . فمحبَّة

الله تعالى للعبد انعامه عليه ، ومحبَّة العبد له طلب الزلفى لديه »^(٦) .

فعليه يمكن القول إنَّ المراد بالمودَّة : هو المحبَّة المستتبعة لإرادة فعل الاتِّباع

والاقتفاء لما يريد المحبوب ، وليس مجرداً عنها ، بالاقتصار على العاطفة القلبية ،

وهو بعيد عن أجواء الآية أيضاً .

ما معنى القربى ؟

القربى كالزلفى وقد فُسِّرَت بثلاثة معان - سيأتي بيانها - ولكنَّ المعنى الذي عليه

(١) مفردات الراغب : ٥٨٨ . معاني القرآن الكريم - الربع الرابع : ٢٦٠ .

(٢) الإنسان : ٨ .

(٣) الصَّف : ١٣ .

(٤) التوبة : ١٠٨ .

(٥) المائدة : ٥٤ .

(٦) مفردات الراغب : ١١٨ .

أكثر المفسرين ، هو الأقارب ، بمعنى قربي النبي صلى الله عليه وآله . وقد أشار إلى ذلك تفسير معاني القرآن الكريم : « القربي بمعنى الأقارب فيكون معنى الآية : إلا أن تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم ، ويظهر أن أكثر المفسرين على هذا القول ، قال الزمخشري : « والقربي : مصدر ، كالزلفى والبشرى ، بمعنى قرابة والمراد في أهل القربي » . وقال أبو حيان : « فالمعنى : لا أسئلكم مالا ولا رئاسة ولكن أسألكم أن تراعوا حق قرابتي » ^(١) .

وفي الآية بلاغة رائعة في جعل المودة في القربي ، بمعنى أن القربي قد جعلوا مكاناً للمودة ومقرراً لها ، بحيث تستقر المودة فيهم ، فلم تذكر الآية المودة للقربي ، أو مودة القربي ، بل ذكرت ﴿ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ، وهذا يتضمن معنىً دقيقاً ورائعاً فالتفت إليه .

وقد ذكر هذا المعنى جملة من المفسرين ، منهم الزمخشري ، قال : « هلا قيل : إلا مودة القربي : أو إلا المودة للقربي . وما معنى قوله : ﴿ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ؟ قلت : جعلوا مكاناً للمودة ومقرراً لها ، كقولك : لي في آل فلان مودة ، ولي فيهم هوى وحب شديد ، تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله ، وليست (في) بصلة للمودة ، كاللام إذا قلت : إلا المودة للقربي ، إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك : المال في الكيس وتقديره : إلا المودة ثابتة في القربي وتممكته فيها » ^(٢) .

من هم القربي؟

بعد أن وقفت على رأي مفسري المسلمين بكون المراد من القربي هم القرابة ، وهم قربي النبي صلى الله عليه وآله . ولكي نتعرف على مصاديقهم وتحدد لنا هويتهم ، فيتضح

(١) تفسير معاني القرآن الكريم - الربع الرابع : ٢٦٠ .

(٢) الكشاف : ٢١٣/٤ ، لاحظ أيضاً تفسير النسفي : ٢٥٢/٣ . تفسير البيضاوي : ١٢٨/٥ .

المعنى عندئذٍ بشكل جليّ لا لبس فيه ، لا بدّ لنا من استنطاق النصوص المفسّرة « لآية المودّة » الواردة على لسان النّبِيِّ صلى الله عليه وآله وقد تناقلها الصّحابة عنه صلى الله عليه وآله .

وهذا ما ستلاحظه في الأمر الثالث .

الأمر الثالث : استعراض النصوص المفسّرة

الروايات الواردة في بيان مَنْ هم قريبي النّبِيِّ صلى الله عليه وآله الذين وجبت مودّتهم في كتاب الله ، كثيرة جداً ، ولكي يتم استيعاب أكبر قدر ممكن منها من دون أن يوجب ذلك ملأً عند القارئ الكريم من جهة ، وخللاً في عدم استيعابها من جهة أخرى ، فلذا نقسّمها إلى طوائف :

الطائفة الأولى : الروايات المصرّحة بأسمائهم

وهي روايات كثيرة أشار إليها المحدّثون والمفسّرون من أكابر علماء أهل السّنة .
أستعرض بعضها باختصار :

١ - الإمام أحمد بن حنبل ، إمام الحنابلة (المتوفّى سنة ٢٤١ هـ) :

أخرج أحمد بإسناده عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال :
« لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ قالوا : يا رسول الله ، من قرابتنا هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ قال صلى الله عليه وآله : علي وفاطمة وابناهما عليهما السلام »^(١) .

٢ - ابن جرير الطبري صاحب التفسير (المتوفّى سنة ٣١٠ هـ) :

فقد أخرج الطبري في تفسيره : حدّثني محمّد بن عمارة ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المزنّي ، عن السديّ ، عن أبي الديلم ، قال : « لَمَّا جِيءَ بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أُسِيرًا ، فَأُقِيمَ عَلَى دَرَجٍ دِمَشْقَ ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ

(١) فضائل الصّحابة : ١١٤١/٦٦٩/٢ .

أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، وقطع قرْن الفتنة.

فقال له علي بن الحسين: أقرأت القرآن؟ قال: نعم.

قال: أقرأت «آل حم»؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ «آل حم»؟!؟

قال: ما قرأت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟

قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال علي بن الحسين: نعم^(١).

٣- الحافظ ابن أبي حاتم (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ):

أخرج ابن أبي حاتم في التفسير بإسناده عن ابن عباس، قال: «لما نزلت هذه

الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله، من

قربتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم؟ قال عليه السلام: علي وفاطمة وولداها^(٢).

٤- الحافظ أبو القاسم الطبراني (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ):

أخرج الحافظ الطبراني بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «لما نزلت

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله، ومن قربتك

هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وإبناهما^(٣).

٥- الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (المتوفى سنة ٤٠٥ هـ):

أخرج الحاكم في المستدرک بإسناده عن عمر بن علي بن الحسين، عن أبيه،

علي بن الحسين، قال: «خطب الحسن بن علي الناس حين قتل علي - خطبة طويلة

جاء ضبطها -: وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال

تبارك وتعالى لنبيه عليه السلام: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ

(١) تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٠، وأورده ابن حجر في الصواعق المحرقة وعزاه إلى الطبراني.

وقد مرّت عليك هذه الرواية سابقاً.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١٠/٣٢٧٦/١٨٤٧٣.

(٣) المعجم الكبير: ٣/٤٧/٢٦٤١ و: ١١/٣٥١/١٢٢٥٩.

حَسَنَةٌ نَزَذَتْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴿ (الشورى: ٢٣) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت،^(١).

٦- الثعلبي صاحب التفسير (المتوفى سنة ٤٢٧ هـ):

أخرج الثعلبي بإسناده عن ابن عباس ، قال : « لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ قالوا: يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : عليّ وفاطمة وابناهما ، وأضاف الثعلبي : ودليل هذا التأويل ما أخبرنا... »^(٢) ، وأخذ ببيان دليل تأويله .

٧- الحاكم الحسكاني من أعلام القرن الخامس الهجري :

أخرج الحاكم الحسكاني بإسناده عن زاذان ، عن عليّ ، قال : « فينا في (آل حم) آية [أنه] لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ، ثم قرأ ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ، ورواه [أيضاً] مصبح بن هلقام ، عن عبد الغفور ، فأسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله »^(٣) .

نكتفي بهذا القدر من روايات الطائفة الأولى ونشير إلى بعض المصادر في الهامش^(٤) .

(١) المستدرک علی الصحیحین : ٤٨٠٢/١٨٨/٣ .

(٢) الكشف والبيان : ٣١٠/٨ ، أثبتنا الصحيح ، وفي المصدر : « وابناءهما » .

(٣) شواهد التنزيل : ٨٣٨/٢٠٥/٢ ، وقد أخرج الحاكم الرواية بأسنادٍ متعددة تحت الأرقام : ٨٢٢ إلى ٨٤٥ .

(٤) انظر : فرائد السمطين ، للجويني : ١٣/٢ ، الباب ٢ ، الحديث ٣٥٩ . تفسير الكشاف ، للزمخشري : ٢١٣/٤ . معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، للبغوي : ٤٩/٥ . تفسير البيضاوي : ١٢٨/٥ . تفسير النسفي : ٢٥٣/٣ . تفسير ابن كثير : ١٨٤/٧ . مختصر تاريخ دمشق : ٢٢١/١٧ ، ٣١٧ . مجمع الزوائد : ١١٣٢٦/٢٢٩/٧ . المناقب ، لابن المغازلي الشافعي : ٣٥٢/١٩١ . كفاية الطالب : باب ٩١/١١ . ينابيع المودة : ٣١٥/١ ، باب ٣٢ و : ١٣٧/٣ ، باب ٦٥ ، عن الواحدي .

الطائفة الثانية: الروايات التي فسّرت القربى بأهل البيت وآل محمد

وروايات هذه الطائفة كثيرة أيضاً ، أشير إلى بعضها :

١ - البخاري المتوفى سنة (٢٥٦) هـ :

أخرج البخاري ، قال : حدّثنا محمد بن بشار ، حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة ، قال : « سمعت طاووساً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقال سعيد بن جبیر : قربي آل محمد عليهم السلام .

فقال ابن عباس : عجلت ! إن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من قرابة » (١) .

أقول : ولعلك تُشكل بأن ابن عباس رضي الله عنه قد عارض ما ذهب إليه سعيد بن جبیر ، فكيف يُستدل بالرواية على ما نحن فيه ؟

الجواب : سيأتي بيان ذلك مفصلاً في الأمر الخامس عند استعراضنا للآراء المعارضة مع المناقشة ، فلاحظ .

٢ - قال الحاكم في تفسير الآية - آية المودّة - من كتاب التفسير :

« إنّما اتفقا - الشيخان (٢) - في تفسير هذه الآية على حديث عبد الملك بن ميسرة الزّاد عن طاووس عن ابن عباس أنّه في قربي آل محمد عليهم السلام » (٣) .

٣ - الثعلبي :

أخرج الثعلبي عن ابن عباس في ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ ، قال :

(١) صحيح البخاري - كتاب التفسير : ٥٠٢/٣ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٢٢٩/١ .

(٢) أي : البخاري ومسلم ، صاحبنا الصحيحين .

(٣) المستدرک علی الصحیحین : ٣٦٥٩/٤٨٢/٢ .

المودّة لآل محمد عليهم السلام « (١) .

٤ - أخرج ابن المغازلي الشافعي (المتوفى سنة ٤٨٣ هـ) :

أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إجازةً : أن أبا أحمد عمر بن عبد الله بن شوذب أخبرهم ، حدّثنا عثمان بن أحمد الدقاق ، حدّثنا محمد بن أحمد بن أبي العوام ، قال : حدّثنا بن الصباح الدؤلبي ، قال : حدّثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ ، قال : « المودّة في آل محمد رسول الله عليه السلام ... الخ الحديث » (٢) .

٥ - أورد المالكي (المتوفى سنة ٨٥٥ هـ) :

روى السدي عن ابن مالك ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ ، قال : « المودّة لآل محمد عليهم السلام فهؤلاء هم أهل بيتي » (٣) .

٦ - أورد السيوطي في تفسيره :

أخرج أبونعيم والديلمي من طريق مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : « قال رسول الله عليه السلام ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ أن تحفظوني في أهل بيتي وتودوهم بي » (٤) .

٧ - وأورد السيوطي أيضاً :

أخرج ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً ﴾ ، قال : « المودّة لآل محمد » (٥) .

(١) تفسير الكشف والبيان : ٣١٤/٨ .

(٢) مناقب ابن المغازلي : ٣٦٠/١٩٥ .

(٣) الفصول المهمّة : ٢٧ ، وذكره القرطبي في تفسيره : ٢٣/١٦ ، نقلاً عن السدي وابن شعيب .

(٤) و (٥) الدر المنثور : ٣٠٠/٧ .

الطائفة الثالثة: الروايات المفسرة للقربى بقربى النبي صلى الله عليه وآله

وهي روايات كثيرة نشير إلى بعضها:

١ - أخرج أبو نعيم في حليته:

حدّثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن مخلد، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا عبادة بن زياد، ثنا يحيى بن العلاء، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، قال: «جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد! اعرض عليّ الإسلام فقال صلى الله عليه وآله: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

قال: تسألني عليه أجراً؟ قال صلى الله عليه وآله: لا، إلا المودة في القربى.

قال: قرباي أو قرباك؟ قال صلى الله عليه وآله: قرباي.

قال: هات أبايعك، فعلى من لا يحبك ولا يحبّ قرباك لعنة الله

قال صلى الله عليه وآله: «آمين»^(١).

٢ - روى الطبري في تفسيره:

حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا مروان، عن يحيى بن كثير، عن أبي العالية، عن سعيد بن جبیر في قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

قال: هي قربى رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٢).

٣ - وروى أيضاً:

حدّثني محمد بن عمارة الأسدي ومحمد بن خلف، قالوا: ثنا عبيد الله، قال:

(١) حلية الأولياء: ٢٠١/٣، وقال أبو نعيم: «هذا حديث غريب من حديث جعفر بن محمد

لم نكتبه إلا من حديث يحيى بن العلاء كوفي ولي قضاء الرّي».

(٢) تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٠، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٠٠/٧ إلى سعيد بن منصور.

أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق ، قال : «سألت عمرو بن شعيب عن قول الله عز وجل ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ، قال: قربي النبي صلى الله عليه وآله» (١).

٤ - أخرج الحاكم الحسكاني :

حدّثنا عبد بن حميد ، حدّثنا حجاج بن منهال ، حدّثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أنه قال في هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أي إلا أن تؤدوني في قرابتي ولا تؤذوني» (٢).

٥ - وأخرج أيضاً :

حدّثني عمر بن سعيد ، عن يعقوب ، عن جعفر عن سعيد [في قوله] ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ . قال : لا تؤذوني في قرابتي» (٣).

وقد اكتفينا بهذا القدر من الروايات رعاية للاختصار. ومن أراد المزيد من الاطلاع ، يمكنه مراجعة ، إحقاق الحق ، وعبقات الأنوار ونفحات الأزهار ، وغيرها من المصادر.

وقد أورد صاحب العبقات ، الروايات المفسّرة لشأن نزول آية المودّة في أهل البيت عليهم السلام ، نقلاً عن خمسين مصدراً من المصادر المهمّة لكتب أهل السنّة ، مما يدلّ على مدى انتشار هذه الروايات واشتهارها ، طبعاً بغض النظر عن المصادر الحديثية لطرق الشيعة .

(١) تفسير الطبري : ٥٠٠/٢٠ . أخرجه البغوي في تفسيره : ٤٨/٥ . القرطبي في تفسيره :

٢٣/١٦ . ابن كثير في تفسيره : ١٨٤/٧ . وأورده ابن الجوزي في تفسيره عن عليّ بن

الحسين ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، انظر : زاد المسير : ١١٧/٧ ، وأخرجه الحاكم في

شواهد التنزيل : ٢٠٩/٢ ، الحديث ٨٤١ .

(٢) شواهد التنزيل : ١٩٩/٢ ، الحديث ٨٣٢ .

(٣) شواهد التنزيل : ٢١٠/٢ ، الحديث ٨٤٣ .

الطائفة الرابعة: الروايات العامة

وهي روايات عامة حثت على محبة أهل البيت عليهم السلام وحذرت من بغضهم .

ولكي يستوفي البحث تمام الملاك ، وجدنا من الضروري استعراض نزر يسير من الروايات العامة التي حثت على حب أهل البيت عليهم السلام وحذرت من بغضهم . وهذه الروايات تلتقي مع مضمون آية المودة ، ولذا ذكرها المفسرون كالسيوطي والزمخشري والفخر الرازي وغيرهم في ذيل تفسير الآية الشريفة . وهي كما يلي :

١ - أخرج البخاري في صحيحه : أخبرني عبدالله بن عبد الوهاب : حدثنا خالد ، حدثنا شعبة ، عن واقد ، قال : « سمعت أبي يحدث عن ابن عمر ، عن أبي بكر رضي الله عنه ، قال : ارقبوا محمداً صلى الله عليه وآله في أهل بيته » (١) .

٢ - وأخرج ابن عدي ، عن أبي سعيد ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أبغضنا أهل البيت فهو منافق » (٢) .

٣ - أخرج الترمذي وحسنه والطبراني والحاكم والبيهقي في الشعب ، عن ابن عباس قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي » (٣) .

٤ - وأخرج الطبراني ، عن الحسن بن علي ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد ، إلا زيد يوم القيامة بسياط من نار » (٤) .

(١) صحيح البخاري - كتاب المناقب عن رسول الله : باب مناقب قرابة رسول الله ، رقم ٣٥٠٩ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٣٠١/٧ .

(٢) انظر الدر المنثور : ٣٠١/٧ .

(٣) و (٤) سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ، باب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، رقم ٣٧٨٩ . أورده السيوطي في الدر المنثور : ٣٠١/٧ . وانظر : الصواعق المحرقة : ٤٤٠/٢ ، ٦٥٧ . وقال ابن حجر : « أي : احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ، واحفظوا عهده وودّه صلى الله عليه وآله في أهل

٥ - وأخرج أحمد، وابن حبان، والحاكم، عن أبي سعيد، قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل، إلا أدخله الله النار»^(١).

٦ - أورد المتقي الهندي، عن الشبلي، قال: سمعت محمد بن علي الدامغاني، قال: سمعت علي بن حمزة الصوفي يحدث عن أبيه، قال: « سمعت موسى بن جعفر يقول: حدثنا أبي، سمعت أبي يحدث عن أبيه، عن علي بن أبي طالب، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله - في حديث... -: يا علي، أساس الإسلام حبي وحب أهل بيتي»^(٢).

٧ - أخرج ابن عساكر بإسناده عن زيد بن أرقم، قال: « كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله فمرت فاطمة عليها كليم^(٣)، وهي خارجة من بيتها إلى حجرة نبي الله صلى الله عليه وآله، ومعها ابناها الحسن والحسين، وعلي في آثارهم، فنظر إليهم النبي صلى الله عليه وآله فقال: من أحب هؤلاء فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني»^(٤).

٨ - عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلا منافق شقي»^(٥).

٩ - أورد الزمخشري في تفسيره الرواية التالية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « من مات على حب آل محمد مات شهيداً... الخ » الحديث»^(٦).

وقد نقلنا الحديث بتمامه في الفصل السابق فلاحظ.

(١) مسند أحمد - كتاب لم أجده ووجدته في ابن حبان، أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٠١/٧.

(٢) كنز العمال: ٣٧٦٣١/٦٤٥/١٣.

(٣) الكليم: الثوب المنسوج من صوف الأغنام وشعر الماعز.

(٤) تاريخ دمشق - ترجمة الإمام الحسين: ١٤/١٥٤/٣٤٧٣]. ورواه في المختصر: ١٢١/٧.

(٥) ذخائر العقبى، للطبري: ٥١، أخرجه الملاء.

(٦) الكشاف: ٤/٢١٤، وأورده القرطبي في تفسيره: ٢٥/١٦، والثعلبي في التفسير: ٣١٤/٨.

١٠- أورد ابن حجر في الصواعق: أخرج الديلمي أنه صلى الله عليه وآله قال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حُب نبيكم، وحُب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن»^(١).

إلى ما لا يحصى من الروايات كثرة في هذا المجال، والتي وردت في كتب الصحاح والمسانيد والجوامع الحديثية، وإنما أردنا أن نشير إليها مجرد إشارة ليستكمل البحث فصوله ويكتمل المعنى عندئذٍ. ومن أراد المزيد فليراجع الملحق في نهاية الكتاب.

الأمر الرابع: في دلالة آية المودة

يمكن أن نبين دلالة الآية الشريفة ضمن النقاط التالية:

١- من المقطوع به والثابت - وقد أشارت إلى ذلك الآيات السالفة الذكر - أن الأنبياء عليهم السلام لا يطلبون أجراً على تبليغ الرسالة، ونبينا محمد صلى الله عليه وآله هو أفضلهم وخاتمهم.

٢- وفاء من أبناء الأمة اتّجاه النبي صلى الله عليه وآله، لجهوده التي بذلها في تبليغ الرسالة، والمعاناه التي عاناها في حركة الدعوة إلى الله تعالى، هو اتباع التعاليم التي جاء بها صلى الله عليه وآله، بل لا خيار لهم غير ذلك، إن أرادوا أن يكونوا مؤمنين ملتزمين، إذ الإيمان ليس هو مجرد اعتقاد في القلب، وإنما هو عمل بالأركان، وهذا ما يعتقده جميع المسلمين.

يقول الدكتور سفرين: «إن أهل السنّة والجماعة في اعتقادهم الجازم أن الإيمان عمل، والعمل إيمان، إنما يستقون من معين الوحي المعصوم - كتاباً وسنة - ما هو منسجم قطعاً مع حقيقة النفس الإنسانيّة»^(٢).

(١) الصواعق المحرقة: ٤٩٦/٢، أورده المتقي الهندي في الكنز: ٤٥٤٠٩.

(٢) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ١٨٦/١.

٣- التعاليم التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وطلبها من أمته ، هي في نفعهم ولمصلحتهم ، في مجال مواصلة المسيرة والحركة نحو الله تعالى ، فالخير كل الخير ، هو في التزام الأمة بتعاليم نبيها الكريم صلى الله عليه وآله ، وقد أشارت إلى ذلك الآية الشريفة ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ (١) .

٤- ما طلبه النبي صلى الله عليه وآله - في آية المودة - هو المودة في القربى ، وهذا ما أمر الله تعالى به ، سواء قلنا : إن الاستثناء في الآية متصل أم منقطع ، وقد ظهر ذلك لك بصورة جلية ، في الأمر الثاني المتقدم ، وهو أن النبي صلى الله عليه وآله يطلب من أمته المودة في القربى .

٥- الروايات المفسرة المتظافرة وضّحت بشكل لا يقبل اللبس من هم القربى ، وقد تبين أن المراد بالقربى هم قربى النبي صلى الله عليه وآله وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

٦- ما معنى مودتهم ؟ هل مجرد حبهم ؟ هل مجرد الميل القلبي والنزعة العاطفية اتجاههم ؟

هل هذا هو المراد من الآية الشريفة ؟ حيث جعلت حصاد حركة النبي صلى الله عليه وآله وجهاده في قومه مدة ثلاث وعشرين سنة - إلا المودة في القربى - بهذا المعنى ؟
أحصاد حركة النبي صلى الله عليه وآله مجرد أن تودّ قرباه فقط ؟ على غرار ما قاله الفرزدق حينما التقاه الإمام الحسين بن علي عليهما السلام وسأله عن أهل الكوفة فأجاب : « يابن رسول الله ، قلوب الناس معك ولكن السيوف عليك ، والقدر ينزل من السماء » (٢) .

فكيف يمتلئ القلب بالحبّ وتعمل الجوارح أعمالاً كلها عداً وانتقام ؟

(١) سبأ: ٤٧.

(٢) الإتحاف بحبّ الأشراف ، للشبراوي الشافعي : ١٣٤ . مقتل الحسين عليه السلام ، للخوارزمي :

وكيف يمتلئ القلب بالرحمة وتعمل الجوارح أعمالاً كلها غلظة وفضاظة ؟
 وكيف يمتلئ القلب بالتصديق وتعمل الجوارح أعمالاً كلها تكذيب وإعراض ؟
 وكيف يمتلئ القلب بالتقوى وتعمل الجوارح أعمالاً كلها فجور وآثام ؟
 بعد هذا ، فما معنى المودة إذاً ؟

المودة هي الحب ، وهنا يراد بها الاتباع واقتفاء الأثر والتزام الطاعة ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(١) .

إذن فمحبّة قُربى النبي صلى الله عليه وآله هي اتّباعهم ، ومعنى ذلك هو الاستمرار في اتّباع خط الرسالة المحمّدية ، فعلى هذا ، « إن مودة ذوي القربى ترتبط بقضية الولاية وقبول قيادة الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام ، حيث تعتبر في الحقيقة استمراراً لقيادة النبي صلى الله عليه وآله واستمراراً للولاية ، وجليّ أنّ قبول هذه الولاية والقيادة كقبول نبوة النبي صلى الله عليه وآله ستكون سبباً لسعادة البشرية نفسها وستعود نتائجها إليها »^(٢) ، وقد جعلها النبي صلى الله عليه وآله أساس الإسلام وعلامة التقوى ، وخلافها النفاق والشقاوة ، وقد مرّ عليك ذكره .

هذا ما حقّقناه من البحث في الآية الشريفة ، وقد كان أمراً واضحاً لا لبس فيه عند المسلمين في الصدر الأول ، ولذا فهموا مراد المولى تعالى ، من خلال ما أفاده النبي صلى الله عليه وآله من دون تردّد أو تريث ، ولهذا صاغوا ما فهموه في قوالب شعرية رائعة ، نقتطف منها الشذرات التالية :

شذرات من الشعر العربي بحق أهل البيت عليهم السلام

قال الكميت بن زيد الأسدي في قصيدة له :

(١) آل عمران : ٣١ .

(٢) الأمثل : ٤٦٨/١٥ .

ألم ترني من حبِّ آل محمّد
فإن هي لم تصلح لحَيِّ سواهم
أروح وأغدو خائفاً أترقّب
فإنّ ذوي القربى أحقُّ وأوجب^(١)

وقال العبدى الكوفى (المتوفى ٢١ هـ):

ولمّا رأيت النّاس قد ذهبت بهم
ركبت على اسم الله في سفن النّجا
مذاهبهم في أبحر الغيِّ والجهل
وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرّسل
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم
كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل^(٢)

وذكر ابن الصباغ المالكي في (الفصول) لقائل:

هم العروة الوثقى لمعتصم بها
مناقب في شورى وسورة هل أتى
مناقبهم جاءت بوحي وانزال
وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي
على النّاس مفروض بحكم واسجال^(٣)

وقال الحماني (المتوفى ١٠٣ هـ).

يا آل حاميم الذين بحبّهم
كان المديح حلي الملوك وكنتم
حکم الكتاب منزّل تنزيلا
حلل المدايح غرّة وحجولا
عبدوا النّبى وثانياً جبريلا
متقسّمين خليفة ورسولا
نشأوا بآيات الكتاب فما انثوا
ثقلان لن يتفرّقا أو يطفيا
حتّى صدرن كهولة وكهولا
بالحوض من ضمأ الصدور غليلا^(٤)

(١) و (٢) الغدير: ١٩١/٢.

(٣) الفصول المهمة: ٢٧.

(٤) الغدير: ٦٦/٣.

ونقل ابن حجر في الصواعق المحرقة عن ابن العربي :

رأيت ولائي آل طاهها فضيلة
على رغم أهل البعد يورثني القربا
فما سألمبعوث أجراً على الهدى
بتبليغه إلا المودّة في القربى^(١)

وأورد الحاكم الحسكاني في شواهد عن حرب بن الحكم بن المنذر بن الجارود
الآبيات التالية :

رأيت الرضا بالعيش داعية الغنى
ومن لا يكن فيه التّكرم شيمة
وغير الرضا بالعيش داعية الفقر
ومن طمحت عيناه في رزق غيره
فحسبي من الدنيا كفاف يكفني
وحيبي ذوي قربي النبيّ محمّد
وأثواب كئان أزور بها قبري
وما سالنا إلا المودّة من أجر^(٢)

الأمر الخامس : الآراء المعارضة

بعد أن اتّضح بشكل جليّ شأن نزول آية المودّة ، وورود الطوائف المختلفة من
الروايات المتظافرة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله ، التي شكّلت بمجموعها منظومة روائية متكاملة ،
يعضد بعضها بعضاً ، فنتج عن كلّ ذلك ، كون المراد من (القربى) في آية المودّة هم
أهل بيت النبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهم عليّ وفاطمة وابناهما عليهما السلام ، وهذا ما ذهب إليه أكثر
المفسّرين والمحدّثين من علماء المسلمين ، ولكن هذا لا يمنعنا عن ذكر الآراء
المعارضة ومناقشتها ، لما في ذلك من الأهميّة والموضوعيّة .

ويمكن تبيان الاعتراضات بما يلي :

(١) الصواعق المحرقة : ٤٨٨/٢ .

(٢) شواهد التنزيل : ٢١١/٢ .

الاعتراض الأول لابن تيمية: آية المودة مكية باتفاق أهل العلم

قال ابن تيمية ما نصّه : « إنّ هذه الآية - آية المودة - نزلت بمكة باتفاق أهل العلم ، فإنّ سورة الشورى جميعها مكية ، بل جميع (آل حم) مكيات ، وعليّ لم يتزوج فاطمة إلاّ بالمدينة ، ولم يولد له الحسن والحسين إلاّ في السنة الثالثة والرابعة من الهجرة ، فكيف يمكن أنّها لمّا نزلت بمكة قالوا : يا رسول الله من هؤلاء ؟ قال : عليّ وفاطمة وابناهما »^(١) .

الجواب : إنّ الاعتراض المذكور باطل للوجوه التالية :

الوجه الأول : من الأمور الواضحة والمقرّرة لدى علماء المسلمين ، هو إمكان كون السورة مكية ولكن بعض آياتها مدني ، وبالعكس أيضاً ، وقد ذهب إلى ذلك السيوطي وغيره من العلماء^(٢) ، وعليه فلا مانع من كون سورة (الشورى) مكية ولكن استثنى منها آية (المودة) وغيرها .

الوجه الثاني : إنّ قولك كون آية المودة نزلت بمكة باتفاق أهل العلم ، غير صحيح ، بل العكس هو الصحيح ، حيث إنّّه قد اتفق أهل العلم والمفسّرون على أنّ آية المودة نزلت بالمدينة ، وهي مستثناة من سورة الشورى المكية .

أقوال المفسّرين من كبار علماء أهل السنة

وإليك أقوالهم :

أولاً : قال الماوردي في التفسير (ت : ٤٥٠ هـ) : « سورة الشورى مكية في قول الحسن ، وعكرمة ، وعطاء ، وجابر ، وقاله ابن عباس وقتادة إلاّ أربع آيات منها نزلت

(١) منهاج السنة : ٥٦٣/٤ .

(٢) انظر : الإتيان ، البرهان ، وقد تقدّم ذلك في بحث آية التطهير ، وفي بداية البحث لهذه الآية الشريفة أيضاً .

بالمدينة ، ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ إلى آخرها^(١) .

ثانياً: قال أبو حيان الأندلسي في التفسير: « قال ابن عباس : مكيّة إلا أربع آيات ، من قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ إلى آخر الأربع آيات فإنها نزلت بالمدينة ، وقال مقاتل : فيها مدني قوله ﴿ ذَلِكِ الَّذِي يَبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ ﴾ إلى ﴿ الصُّدُورِ ﴾^(٢) . - أي آية ٢٣ و ٢٤ - .

ثالثاً: قال القرطبي في التفسير: « سورة الشورى مكيّة في قول الحسن ، وعكرمة ، وعطاء ، وجابر ، قال ابن عباس وقتادة إلا أربع آيات منها بالمدينة ، ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا... ﴾ إلى آخرها^(٣) .

رابعاً: وقال الألويسي في تفسيره: « وفي البحر - أي تفسير البحر المحيط - هي مكيّة إلا أربع آيات ، من قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ إلى آخر أربع آيات .

وقال مقاتل : فيها مدني قوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ الَّذِي يَبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ ﴾ إلى ﴿ الصُّدُورِ ﴾ ، واستثنى بعضهم قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ ﴾ الخ ، قال الجلال السيوطي : ويدلّ له ما أخرجه الطبراني ، والحاكم في سبب نزولها فإنها نزلت في الأنصار ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ ﴾ الخ فإنها نزلت في أصحاب الصفة رضي الله عنهم ، واستثنى أيضاً ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ ﴾ إلى قوله ﴿ مَنْ سَبِيلِ ﴾ ، حكاه ابن الفرس^(٤) .

ويضيف الألويسي قائلاً: « روي عن جماعة من أهل البيت ما يؤيد ذلك ، أخرج

(١) تفسير النكت والعيون المعروف بتفسير الماوردي : ١٩١/٥ .

(٢) البحر المحيط : ٣٢٢/٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٥/١٦ .

(٤) تفسير روح المعاني : م ١٤/٢٥/١٦ .

ابن جرير عن أبي الديلم قال : لما جيء بعلي بن الحسين...^(١) ، وروى زاذان عن علي كرم الله تعالى وجهه قال : فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا مؤمن ، ثم قرأ هذه الآية ، وإلى هذا أشار الكميت في قوله :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومعرب

ولله تعالى درّ السيد عمر الهيتي أحد الأقارب المعاصرين حيث يقول :

بأية آية يأتي يزيد غداة صحائف الأعمال تتلى

وقام رسول ربّ العرش يتلو وقد صمت جميع الخلق قل لا

والخطاب على هذا القول لجميع الأمة لا للأنصار فقط ، وإن ورد ما يوهم ذلك فإنهم كلهم مكلفون بمودة أهل البيت ، فقد أخرج مسلم ، والترمذي ، والنسائي عن زيد بن أرقم : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أذكركم الله تعالى في أهل بيتي... »^(٢) .

الوجه الثالث : وعلى فرض التنزل عن كل ما تقدّم ، لا مانع من نزول الآية

مرتين ، حيث نزلت في المرّة الثانية بالمدينة ، وحينها سأل الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله عن القربى فأجابهم . وقد أشار إلى هذا الرأي ابن حجر^(٣) .

وهكذا يتضح بطلان هذا الاعتراض ، وعدم صحته .

الاعتراض الثاني لابن تيمية أيضاً :

قال ابن تيمية ما نصّه : « وأن المراد بالآية ما بينه ابن عباس رضي الله عنه ، من أنه لم تكن

قبيلة من قريش إلا وبينها وبين رسول الله صلى الله عليه وآله قرابة . فقال : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ : إلا أن تودّوني في القرابة التي بيني وبينكم » ، رواه

(١) قد مرّت عليك الرواية في الصفحات السابقة .

(٢) تفسير روح المعاني : م ٤٩/٢٥/١٤ .

(٣) انظر الصواعق المحرقة : ٤٩٠/٢ .

البخاري وغيره .

وقد ذكر طائفة من المصنّفين من أهل السنّة والجماعة والشيعة ، من أصحاب أحمد وغيرهم ، حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله أنّ هذه الآية لما نزلت قالوا: يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما ، وهذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث»^(١) انتهى .

الجواب: الاعتراض المذكور باطل أيضاً ، وذلك للوجوه والاعتبارات التالية :

الوجه الأول: أنّ رواية ابن عبّاس يرد عليها الملاحظات التالية :

الملاحظة الأولى: الإشكال السّندي .

فقد أخرجها البخاري في صحيحه بتخريجين :

الأوّل : حدّثنا يحيى - أي ابن عبّاد الضبعي البصري - عن شعبة ، حدّثني عبد الملك بن ميسرة عن طاووس ، قال ... الخ^(٢) .

الثاني : حدّثنا محمّد بن بشار : حدّثنا محمّد بن جعفر : حدّثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة ، قال : سمعت طاووساً ... الخ^(٣) .

رجال السند في ميزان التقييم :

أمّا (يحيى بن عبّاد) فقد ذكر ابن حجر ما نصّه : « قال حسين بن حبان عن ابن معين : لم يكن بذاك ، قد سمع وكان صدوقاً وقد أتيناه فأخرج كتاباً فإذا هو لا يحسن يقرأ !

وقال عبد الله بن المديني : يحيى بن عباد ليس مما أحدث عنه .

(١) منهاج السنّة : ٥٦٢/٤ ، وانظر : ٢٥/٤ - ٢٧ .

(٢) صحيح البخاري : ٣٤٩٧/٤٧٣/٢ ، حاشية الإمام السندي .

(٣) صحيح البخاري : ٤٨١٨/٣٢٠/٣ ، حاشية الإمام السندي .

وقال أبو حاتم : ليس به بأس .

وقال الساجي : بصري ضعيف حدّث عنه أهل بغداد ولم يحدث عنه أحد من أصحابنا بالبصرة»^(١).

وأما (محمد بن جعفر الهذلي المعروف بغندر صاحب الكرابيس) : فهو وإن وثقه علماء الرجال ، وضعفه آخرون ، ولكن عرف بحالة البلادة والبلاهة .

قال الميموني عن أحمد : سمعته - أي غندر - يقول : لزمّت شعبة عشرين سنة لم أكتب من أحد غيره شيئاً وكنت إذا كتبت عنه عرضته عليه ، قال أحمد : أحسبه من بلادته كان يفعل هذا .

وعن يحيى بن معين قال : اشترى غندر سمكاً وقال لأهله : أصلحوه ونام ، فأكلوا السمك ولطخوا يده - وهو نائم - فلما انتبه ، قال هاتوا السمك ، فقالوا : قد أكلت ، قال : لا ، قالوا : فشمّ يدك ، ففعل فقال : صدقتم ولكني ما شبعت !!
وقد حكى الذهبي في الميزان عنه أنه أنكر حكاية السمك ، وقال : أما كان يدلني بطني !

قال ابن المديني : كنت إذا ذكرت غندراً ليحيى بن سعيد عوج فمه كأنه يضعفه .
عن ابن معين قال : قدمنا على غندر فقال : لا أحدثكم حتى تمشوا خلفي فيراكم أهل السوق فيكرموني^(٢) ، وقيل : كان مغفلاً^(٣) .

وأما (محمد بن بشار البصري بُندار) ، فقد اختلف فيه أهل الجرح والتعديل فقد كذبه بعضهم ، وقالوا فيه مانصّه :

قال عبدالله بن محمد بن يسار سمعت عمرو بن علي يحلف أن بُنداراً يكذب

(١) تهذيب التهذيب ، لابن حجر : ٢٠٦/١١ ، انظر ميزان الاعتدال ، للذهبي : ١٩٢/٧ .

(٢) تهذيب التهذيب : ٨٤/٩ .

(٣) انظر ميزان الاعتدال : ٩٤/٦ .

فيما يروي عن يحيى .

وقال عبدالله بن علي بن المديني : سمعت أبي وسألته عن حديث رواه بندار... فقال : هذا كذب وأنكره أشد الإنكار.

وقال عبدالله بن الدورقي : كنا عند ابن معين ، وجرى ذكر بندار ، فرأيت يحيى لا يعبأ به ويستضعفه ، قال : ورأيت القواريري لا يرضاه ، وقال : كان صاحب حمام^(١). هذا هو حال سند الرواية ، وقد وقفت على عدم وثاقة روايتها أو على الأقل أن النفس لا تطمئن إلى روايتهم .

الملاحظة الثانية : الإشكال الدلالي : لو تنزلنا عن الإشكال السندي وأغمضنا النظر عنه ، وقلنا بصحة صدور الرواية ، لكن لا يمكن قبول دلالة الرواية لكونها معارضة بروايات كثيرة وردت عن ابن عباس نفسه ، وعن سعيد بن جبیر ، تُفسّر معنى (القريبى) بـ(أهل البيت عليهم السلام) إخباراً عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا اجتهاداً منهما . وقد وقفت على ما تقدّم من مروياته بهذا التفسير .

الملاحظة الثالثة : أنّ رواية ابن عباس قد ورد فيها التعارض بينه وبين ما ذهب إليه سعيد بن جبیر - وهو من خيرة تلامذته - ، فكلام ابن جبیر نصّ فيما هو الحقّ ، أمّا رأي ابن عباس فمتعارض ، والتعارض يؤدّي إلى التساقط فيبقى هذا الرأي المعارض لا دليل عليه .

الملاحظة الرابعة : لو قبلنا الرواية ، فإنها على أحسن الأحوال تمثّل رأياً لابن عباس عليه السلام ولكن هذا الرأي لا يمثّل شأن نزول الآية الشريفة ، إذا لم يخبر الراوي عن حسّ ، وإنّما بيّن رأيه فيها ، وفرق كبير بين الموردين ، وفي هذا الصدد يقول الزركشي ما نصّه : « قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أنّ أحدهم إذا قال نزلت هذه في كذا ، فإنّه يريد بذلك أنّها تتضمن هذا الحكم ، لا أنّ هذا كان السبب في

(١) تهذيب التهذيب : ٦١/٩ ، انظر ميزان الاعتدال : ٧٩/٦ .

نزولها ، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية ، لا من جنس النقل لما وقع ^(١) .

الوجه الثاني : أنّ الرواية يستبعد صدورها عن ابن عباس ؛ لأنّ ابن عباس

لا يناقض نفسه ، ويجلّ عن ذلك ، إذ ذهب إلى كون الآية مدنيّة ، وهي مستثناة من نزول السورة بمكّة ، وما نسب إليه من تفسير فهو لا يناسب نزولها بالمدينة ، لذا من المرجّح أنّ الرواية قد نسبت إليه بل افتريت عليه ، وممّا يؤكد ذلك هو أنّ ابن عباس من أهل البيت وتلميذهم ، فكيف يخالف ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعن عليّ والحسن ، وزين العابدين ، في كون القربى هم أهل البيت عليهم السلام ، وهي روايات صحيحة ، ولم يعترض عليها حتى صاحب منهاج السنّة ، « بل جاء عن ابن عباس ما يوافق تفسير ابن جبير ^(٢) .

الوجه الثالث : على الرغم من ورود الرواية في صحيحي مسلم والبخاري ، لكنّ

الشيخين ذهبا إلى كون المراد من القربى هم قربى آل محمد صلى الله عليه وآله ، فكيف يدّعي الخصم خلاف ما ذهبا إليه ! والشاهد على ذلك ما ذكره الحاكم النيسابوري ، ونصّه : « إنّما اتفقا (الشيخان ، مسلم والبخاري) في تفسير هذه الآية - آية المودّة - على حديث عبد الملك بن ميسرة الزّراد عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه في قربى آل محمد صلى الله عليه وآله ^(٣) .

وهذا التفسير هو الأكثر مناسبة في المقام ، بعد ورود الروايات الكثيرة والصحيحة

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الأقل الروايات التي رواها عليّ بن أبي طالب ، والحسن بن عليّ ، وعليّ بن الحسين عليهم السلام ، ولهذا ذهب الحافظ الشبراوي الشافعي وغيره إلى هذا التفسير ، فقال ما نصّه : « ... الأنسب ما قاله غيره - ابن عباس - في تفسير الآية :

(١) العجّاب في بيان الأسباب : ١٧ و ١٨ .

(٢) الصواعق المحرقة : ٤٩٠/٢ .

(٣) المستدرک على الصحيحين : ٣٦٥٩/٤٨١/٢ .

«إنَّ المعنى قل يا محمد لأمتك لا أطلب منكم على ما جئتمكم به من الهدى ، والنجاة من الردى عوضاً ، ولا أجرة ، ولا جزاءً إلا أن تجازوني بأن تودّوا قرابتي ، وتُحبّوهم ، وتعاملوهم بالمعروف ، والإحسان ويكون بينكم ، وبينهم غاية الودّ ، والمحبة والصّلة»^(١) .

الوجه الرابع: كان الأجدر بصاحب كتاب منهاج السُّنة أن لا ينسب الكذب إلى العلماء الذين فسّروا الآية بقربى آل محمد ، حسبما قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، بل أن يجمع بينهما على الأقل ، خصوصاً أن ابن عباس - على فرض صحة الرواية عنه - لم ينسب سعيد بن جبیر إلى الخطأ فضلاً عن الكذب ! بل قال : عجلت ، ثمّ إنه ليس بين التفسيرين تباين أبداً ، بل بينهما خصوص وعموم ، وهذا ما ذهب إليه بعض الحفاظ والمفسّرين .

وقد أشار ابن حُجر إلى ذلك بما نصّه : « فهذا كلّه لا ينافي ما مرّ من تخصيص القربى بالآل لأنّ من ذهب إليه كابن جبیر اقتصر على أخص أفراد القربى ، وبین أن حفظهم أكد من حفظ بقيّة تلك الأفراد ، ويستفاد من الاقتصار عليهم طلب مودّته صلى الله عليه وآله وحفظه بالأولى ، لأتّه إذا طلب حفظهم لأجله ، فحفظه هو أولى بذلك وأحرى ، ولذا لم ينسب ابنُ عباس ، ابنُ جبیر إلى الخطأ ، بل إلى العجلة ، أي عن تأمل أنّ القصد من الآية العموم ، والأهم منها أولاً وبالذات ودّه صلى الله عليه وآله .

ومما يؤيّد أنّ لا مضادة بين تفسيري ابن جبیر ، وابن عباس ، أنّ ابن جبیر كان يفسّر الآية تارة بهذا وتارة بهذا ، فافهم صحة إرادة كلّ منهما فيها ، بل جاء عن ابن عباس ما يوافق تفسير ابن جبیر»^(٢) .

(١) الإتحاف بحبّ الأشراف : ٣٩ . وانظر : تفسير ابن كثير : ١٨٣/٧ . فتح القدير : ٦٤٠/٤ .

الصواعق المحرقة : ٤٩٠/٢ . شواهد التنزيل : ٢٠٢/٢ .

(٢) الصواعق المحرقة : ٤٩٠/٢ . انظر : جواهر العقدين ، للسمهودي : ٣٢٢ .

الوجه الخامس : أن الذي روي عن النبي صلى الله عليه وآله يكون المراد بالقربى هم أهل البيت عليهم السلام لم يكن حديثاً واحداً - كما أشار المعترض - بل عشرات الأحاديث ، وقد وردت في المسانيد والصحاح والمجامع الحديثية^(١) . ولا يجوز نسبة الكذب إليها جميعاً ثمّ الادّعاء بأنّ ذلك باتّفاق أهل العلم بالحديث !

لكلّ تلك الوجوه المتقدّمة ، نجزم ببطلان الاعتراض الثاني .

الاعتراض الثالث :

وقد أشار إليه الثعلبي بما نصّه : « وقال قوم : هذه الآية منسوخة فإنما نزلت بمكّة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمرهم فيها بمودّة رسول الله وصلة رحمه . فلمّا هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار وعزّروه ونصروه أحبّ الله تعالى أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء عليهم السلام ... ، ثمّ يُبيّن الثعلبي قولهم : فهي منسوخة بهذه الآية : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٣) ، وإلى هذا ذهب الضّحّاك بن مزاحم والحسين بن الفضل^(٤) .

الجواب : إنّ هذا الاعتراض باطل للوجوه التالية :

الوجه الأوّل : أنّك قد وقفت على ما ذهب إليه أعمدة العلم من المفسّرين بكون

(١) انظر الملحق في آخر الكتاب ، وانظر : المصادر التالية : مجمع الزوائد ، للهيثمي :

١١٣٢٦/٢٢٨/٧ . فضائل الصّحابة ، للإمام أحمد بن حنبل : ١١٤١/٦٦٩/٢ . حلية

الأولياء ، لأبي نعيم : ٢٠١/٣ . المعجم الكبير ، للطبراني : ٢٦٤١/٤٧/٣ . ذخائر العقبى ،

للطبري : ٢٣٣ ، ٦٣ ، ٢٣٩ .

(٢) ص : ٨٦ .

(٣) المؤمنون : ٧٢ .

(٤) تفسير الكشف والبيان : ٣١٣/٨ .

الآية نزلت بالمدينة ، وأما الآيتان الأنفتان فإنهما مكيتان ، ولا ينسخ المتقدّم المتأخّر .

الوجه الثاني: قد ذكرت في بداية البحث في مورد الجمع بين الآيات القرآنيّة التي أشارت إلى الأجر ، وقد ظهر لك المقصود القرآني من مسألة الأجر النبويّ ، وما هو معناه ، فراجع .

الوجه الثالث: أنّ هذا الرأي لم يذهب إليه أحد من أعمدة التفسير ، بل لم يذكره ، فضلاً عن أن يتبنّوه . نعم ، أشار إليه المفسّر الثعلبي وأجاب عنه ، بما نصّه : « وهذا قول غير قويّ ولا مرضيّ ، لأنّ ما حكينا من أقاويل أهل التأويل في هذه الآية لا يجوز أن يكون واحد منها منسوخاً ، وكفى فتحاً بقول من زعم أنّ التقرب إلى الله تعالى بطاعته ومودّة نبيّه وأهل بيته منسوخ »^(١) ، ثمّ يسرد الأدلّة الكثيرة على صحة ما ذهب إليه .

وهكذا اتضح من كلّ ما تقدّم ، بطلان الآراء المعارضة مع أدلّتها ، فيبقى ما فسّره أهل البيت عليهم السلام من معنى (القربى) وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله سالماً عن كلّ مُعارضٍ ، وهو المطلوب .

الأمر السادس : الحصيلة النهائيّة

إنّ آية المودّة قد نزلت بالمدينة ، وقد وقفت على ما تقدّم من أدلّة تثبت أنّ المراد بالقربى هم أهل البيت عليهم السلام ، وهذا ما فهمه المسلمون وعلماءهم من صدر الدعوة إلى يومنا هذا .

وبهذا الصدد ورد الكثير الكثير من الروايات التي تؤكّد ضرورة محبّة ومودّة أهل البيت عليهم السلام ، بل وجوب ولزوم مودّتهم ، حتّى المعترض على تفسير معنى (القربى) بأهل البيت عليهم السلام ، أيضاً يقول : « على المسلمين موالاة أهل البيت لكن بأدلّة أُخرى

(١) الكشف والبيان : ٣١٣/٨ .

غير هذه الآية»^(١). وهذا ما نعتبره من أصول العقيدة الإسلامية .

فالحصيلة النهائية من كل ما تقدم أن الآية الشريفة وما يدور في فلكها من سنة شريفة يمثلان البيان الحاسم في تحديد الموقف الولائي منهم ، فالنبي صلى الله عليه وآله حينما يعرض الإسلام لمن يرغب بالانتماء إليه ، يعرض معه ضرورة توفّر الأجر المعنوي وهو المودة في القربى .

من هذا المنطلق نفهم أن عملية المودة في القربى ليست رغبة عاطفية للنبي صلى الله عليه وآله أتجاه أهل البيت عليهم السلام ، كلاً ، فما الذي يجنيه رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه المودة ؟ وما الذي يغنمه أهل البيت عليهم السلام منها ؟ لكن المسألة الأساس تتعلق بحفظ هذا الدين الحنيف ، وهذا الكيان ، عن التصدّع والانهايار ، ورغبة منه ، بل حرصه صلى الله عليه وآله على ديموميته ، وسيادته ، وانتشار مبادئه السمحة لتعمّ المعمورة كافة ، انطلاقاً من إنسانيته التي بلغت الذروة ، ومن عمق حنانه لهذه الأمة .

والمودة ليست حالة قلبية فحسب ، بل هي منطلق عملي وفكري أتجاه التعبّد بأوامر الله تعالى وتوصيات رسوله الكريم ، واجتناب ما يبغضه الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، فمودة أهل البيت عليهم السلام قطعاً تحقّق الطاعة لله ورسوله ، وبغضهم يحقّق المعصية ، ولا اعتراض لأحد في هذا ، ولكن المسألة ينبغي أن تتعدّى الحدود القلبية ، وتنطلق إلى الجوارح والممارسات العملية اليومية ، مبتنية على أسس وقواعد فكرية وعلمية ، ليكون أهل البيت معالم شاخصة تشعّ ضياءً ونوراً تستقطب من امتلئ قلبه بحبّهم ، ليقوده حبّهم نحو ميادين العمل والفكر ، والطاعة إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله .

فإن حصل هذا من الأمة بأفرادها وكياناتها ، حينئذ ستبقى الأمة موحّدة بأهدافها وعقيدتها وولائها ومنهجها الفكري والاعتقادي .

فالآية الشريفة تخاطب أهل الإيمان ، والرسول صلى الله عليه وآله يدعوهم ويدفعهم باتجاه هذا

الأمر، بما يعرفه من مكانة أهل بيته الأطهار عند الله تعالى ، ومن كونهم يمثلون المحور الأساس للهداية والتقوى ، فعملية المودة تحقق الهداية للبشرية نحو دين الله تعالى بلا ريب ، وهذا ما حرص عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو ما ينبغي أن يتحقق من أتباع السنة ، الذين يدافعون عن سنته ، ويريدون الالتزام بها عملياً في الميدان .

فلا مجال للقول بخلاف ما فسره رسول الله صلى الله عليه وآله ، كما لا مجال لمن يريد أن يثير الإشكالات في أذهان المسلمين حول الآية الشريفة ، ومعناها ؛ لأن الروايات متظافرة ، وقد رواها الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته عليهم السلام ، فلا مجال للتمرد على ذلك كله ، بل ولا فائدة فيه ، بل ينبغي التسليم والإذعان لما أمر به الله تعالى وأوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله دون حرج وتململ .

حاصل الكلام:

إنّ للآية دلالة معمّقة ومهمّة نوجزها بما يلي : من المعلوم أنّ طلب الأجر على الرسالة من قبل النبي صلى الله عليه وآله أمرٌ مرفوض ، وله بذلك أسوة ببقية الأنبياء عليهم السلام ، وقد أشارت الآيات إلى ذلك ، فعليه ، كيف يتمّ توجيه ما طلبه النبي صلى الله عليه وآله من أجر على رسالته ؟

لابدّ أنّ يكون هذا الأجر متعلّقاً ومرتبّطاً بالرسالة ذاتها ، وإلا فلا يصحّ نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن هذا المنطلق نفهم أنّ المودة ذاتها لها علاقة وطيدة بحفظ الرسالة ودوامها ، فيصح حينئذٍ أن تكون أجراً متناسباً مع الرسالة وعظمتها .

ولابدّ أن يكون للمودودين شأن متناسب مع ما يطلبه رسول الله صلى الله عليه وآله . فالآية ناظرة إلى حيثيتين :

الاولى : حيثية المودة وعمق معناها .

الثانية : حيثية المودودين وخطورة دورهم .

أما الحيثية الأولى: فهي المودّة المتعلّقة بالرسالة نفسها ، فهي ليست مسألة عاطفية متعلّقة بالجانب النفسي والقلبي ، وإنّما تتعدى ذلك لتنطلق إلى كلّ المواقع والمواقع والميادين المختلفة لتشمل الحياة كلّها .

وأما الحيثية الثانية: فهي متعلّقة بمنزلة المودودين ودورهم الخطير في رعاية التجربة الإسلامية الخاتمة وحفظها ، وتحقيق شموليّتها للمعمورة كافّة ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^(١) .

فعليه أنّ المراد من وراء هذه المحبّة تثبيت مقام ومنزلة أهل البيت عليهم السلام المتميّزة في المنظار الإلهي ، والذين يشكّلون الثقل الخطير الذي سيخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده لأمتّه ، لحفظ هذا الكيان الإسلامي فلذا قال صلى الله عليه وآله : « إِنِّي مَخْلُفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي أَهل بيتي » .

ومن ذلك كلّه ينبغي أن نفهم أنّ مسألة الحاكميّة والقيادة لا تمثل لأهل البيت عليهم السلام إلاّ جانباً يسيراً من مقامهم المرموق ، الذي يتلو مقام رسول الله صلى الله عليه وآله في الولاية والشأن والاعتبارات كلّها .

وفي الختام يمكننا أن نتساءل : ماذا يمكن تفسير وجوب الاتّباع والانقياد التام ، والطاعة المطلقة لأهل البيت عليهم السلام ؟

أليس هو معنى الولاية ؟

أليس هو معنى الإمامة ؟

أليس هو معنى المرجعيّة العلميّة والسياسيّة ؟

هذا ما سيزداد وضوحاً - إن شاء الله تعالى - من خلال البيانات اللاحقة .

الآية الثانية:

آية المباهلة

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

الدخول

هذه الآية الشريفة تسمى آية المباهلة ، وقضية المباهلة أسلوب جديد من أساليب الدعوة إلى الله تعالى في إظهار الحق وتبيانه ، وانجلاء الباطل وإزهاقه ، ولعل هذا الأسلوب لم يكن متعارفاً عند العرب من قبل ، فهو يكشف صدق الدعوة النبوية المحمدية وأحقيتها من جهة ، وبطلان الادعاءات المخالفة وزيفها من جهة أخرى .

فالمباهلة ميدان تحدٍ كبير وخطير ، فلا يمكن للذي لم يتوثق من أحقية إيمانه ودعوته ، أن يجازف بهذه المجازفة في دخوله إلى حلبة الصراع والمواجهة ليطلب من معارضيه التقدم معه إلى الله تعالى بالدعاء على الكاذب بنزول لعنات الله عليه ، وأن يحلّ به العقاب ، أمام مرأى ومسمع من الناس ! إلا إذا كان على ثقة عالية وكبيرة بأحقية ما يدعو إليه . ومن هنا فالمباهل لا بد أن يعدّ العدة ويتسلّح بأقوى سلاح يمتلكه عند دخوله حلبة المباهلة .

(١) آل عمران : ٦١ .

« والمباهلة من الأنبياء إظهار لاتصال نفوسهم القدسية بروح القدس وبيان لتأيداته تعالى لهم ، وإرشاد إلى تفاعل عالم الشهادة وتأثره بعالم الغيب .

والمباهلة لا تصدر إلا من النفوس الملكوتية ، ولهذا كان لها التأثير الكبير على النفوس غير الكاملة وانفعالها بها . كما انفعلت نفوس النصارى من نفس الرسول صلى الله عليه وآله فتنازلوا عنها بعد قبولها لما استشعرت أنفسهم الخوف ، وأحجموا عنها وطلبوا المودعة والمعاهدة ، خوفاً من اللعنة وما يلحقهم من الوزر والوبال كما نصحهم رهبانهم في ذلك الحين» (١) .

وعندما عرض رسول الله صلى الله عليه وآله على ممثلي نصارى نجران ما أمره الله تعالى به من الدعوة للمباهلة ، لم يسرعوا الاستجابة والموافقة ، بل طلبوا منه أن يمهلهم بعض الوقت ليتبادلوا الرأي مع شيوخهم فكان لهم ما أرادوا ، وكانت نتيجة مشاوراتهم هي أنهم أمروا رجالهم بالدخول في المباهلة دون خوف ، إذا رأوا محمداً صلى الله عليه وآله قد حضر في كثير من الناس ووسط جلبة وضوضاء ، إذ إن هذا يعني أنه بهذا يريد بثّ الرعب والخوف في النفوس وليس في أمره حقيقة ، وأما إذا رأوه قادمًا في بضعة أنفار من أهله وصغار أطفاله إلى الموعد ، فليعلموا أنه نبي الله حقاً ، وليتجنبوا مباهلتة (٢) .

هذه الحادثة الخطيرة والعظيمة ينبغي أن لا نمرّ عليها مرور الكرام عند قرائتنا للتفسير والتأريخ ، بل لابدّ من فهم وقائعها ، ومعانيها وأهدافها ودلالاتها ومعرفة شخصياتها .

فمن هم هؤلاء الأشخاص الذين اصطحبهم النبي صلى الله عليه وآله ؟ ولماذا اصطحبهم وجازف بهم ؟

وماذا يكشف هذا الفعل للنبي صلى الله عليه وآله ؟ وماهي دلالاته ؟ ولماذا انهزم نصارى نجران

(١) تفسير مواهب الرحمن : ٧/٦ .

(٢) راجع مجمع البيان : ٢٣٩/٢ .

عند المباهلة ؟ وغيرها من الأسئلة .

هذا ما سنبيّنه في الأمور التالية .

الأمر الأول: بيان مفردات الآية الشريفة

﴿ **تَعَالَوْا** ﴾ : بمعنى هلمّوا وأصله من العلو .

قال الطبرسي : « يقال تعاليت أتعالي أي جئت ، وأصله المجيء إلى ارتفاع ، إلا أنه كثر في الاستعمال ، حتى صار بمعنى هلمّ »^(١) .

وقال الزمخشري : « تعالوا : بمعنى هلموا . والمراد المجيء بالرأي والعزم ، كما نقول تعال نفكر في هذه المسألة »^(٢) .

﴿ **نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾ : « أي يدع كل مني ومنكم أبناءه ونسائه ونفسه إلى المباهلة »^(٣) .

﴿ **أَبْنَاءَنَا** ﴾ : الذين ولدوا منا ، وقد طبّقه النبي صلى الله عليه وآله على الحسن والحسين عليهما السلام باعتبار أنهما ابناه ، وقال أبو بكر الرازي : « هذه الآية دالة على أن الحسن والحسين كانا ابني رسول الله صلى الله عليه وآله وَعَدَّ أَنْ يَدْعُو أَبْنَاءَهُ ، فدعا الحسن والحسين فوجب أن يكونا ابنه »^(٤) .

ويضيف الرازي قائلاً : « ومما يؤكد هذه قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ **وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى** ﴾ (٨٤ - ٨٥) . ومعلوم أن عيسى عليه السلام إنما انتسب إلى إبراهيم عليه السلام بالأم لا بالأب ، فثبت أن ابن البنت

(١) مجمع البيان : ٢٣٩/٢ .

(٢) و(٣) الكشاف : ٣٦١/١ .

(٤) التفسير الكبير : ٩٠/٤ .

قد يسمى ابناً والله أعلم»^(١).

﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ :

النِّسَاءُ : جمع لا واحد له من لفظه ، ومفرده المرأة ، ولفظ النِّسَاء يشمل المرأة التي تنسب إلى الشخص بسبب أو نسب كالزوجة والأم والأخت والبنت ، وقد ورد استعماله في جميع تلك الموارد في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾^(٢) ، والمراد بهنّ في الآية الزوجات .

قال تعالى : ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ آثَتَيْنِ﴾^(٣) ، المراد بهنّ الأخوات .

قال تعالى : ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ﴾^(٤) ، والمراد بهنّ البنات .

والمتيقن من ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ في آية المباهلة ، فاطمة الزهراء عليها السلام بالإجماع والنصوص متواترة ، كما سيأتي بيانها .

﴿أَنْفُسَنَا﴾ :

الأنفس : جمع النفس وهي تطلق تارة ويراد بها الروح . قال تعالى :

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٥) .

وأخرى : يراد بها الذات والشخص ، وهو المراد بها في المقام قال تعالى :

(١) التفسير الكبير : م ٩٠/٨/٤ .

(٢) البقرة : ٢٢٣ .

(٣) النساء : ١١ .

(٤) النساء : ٧ .

(٥) الأنعام : ٩٣ .

﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾^(١).

والمقصود بها - في آية المباهلة - نفس الرسول صلى الله عليه وآله القائم بالدعوة إلى الله تعالى .
ومن هو بمنزله في العلم والعمل والقضاء بالحق .

والمقصود بالكلمة - ﴿ وَأَنْفُسَنَا ﴾ - الذين يجسّدون الذات في معنى التمثيل
الحيّ لكلّ ما يمثّله النّبّي صلى الله عليه وآله من صفات روحية وأخلاقية وعملية ، بحيث تكون
الذات هي الذات حتّى لتكاد تكون هي في المعنى والصورة من الداخل ، وقد طبّق
النّبّيّ هذا العنوان على عليّ بن أبي طالب ، « فلا أحد يدّعي دخول غيره مع زوجته
وولديه »^(٢) . وفيه دلالة واضحة على أنّ عليّاً عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله ، إذ لم يدعُ
رسول الله صلى الله عليه وآله من الرجال غير عليّ عليه السلام ، ولا يصح أن يدعو الإنسان نفسه ، ويصح له
أن يدعو غيره ، وهكذا مثل عليّ عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بنصّ القرآن الكريم .

﴿ نَبْتَهْلُ ﴾ :

ما معنى المباهلة؟

المباهلة: من البهل بمعنى التّرك ورفع القيد ، أبهل الرجل : تركه .

ويقال : بهلته وأبهلته إذا خلّيته وإرادته . وأبهل الناقة أهملها ، وابتهل في الدعاء
إذا اجتهد ، والابتهال : التضرّع . والاجتهاد في الدعاء وإخلاصه^(٣) .

وذكر صاحب مجمع البحرين : « نبتهل : أي نلتعن أي ندعو الله على الظالمين »^(٤) .

ويقال : بهله الله من باب نفع : أي : لعنه . وذكر صاحب تفسير مواهب الرحمن :

(١) آل عمران : ٢٨ .

(٢) مجمع البيان : ٢٤١/٢ .

(٣) راجع لسان العرب : ٥٢٢/١ .

(٤) مجمع البحرين : ١٩٨/١ .

« إنَّ مادة (بهل) تدلُّ على شدة الاجتهاد والاسترسال في الأمر المطلوب ، واستشهد بقول لبيد :

في كهول سادة من قومه نظر الدهر إليهم فابتهل

أي : فاجتهد في إهلاكهم ، وقد استعمل في الاجتهاد في الدعاء ، سواء كان لعناً أم غيره . ونبتهل : افتعال بمعنى المفاعلة ، أي : يدعو بعضنا على بعض ، ويختصُّ هذا الدعاء في المقام باللَّعنة بقريظة قوله تعالى : ﴿ فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ ^(١) .

ويقول الفخر الرازي : « (الابتهاال) فيه وجهان : أحدهما : إنَّ الابتهاال هو الاجتهاد في الدعاء وإن لم يكن باللَّعن ، ولا يقال : ابتهل في الدعاء إلا إذا كان هناك اجتهاد .

والثاني : أنه مأخوذ من قولهم عليه بهلة الله ، أي : لعنته ، وأصله مأخوذ مما يرجع إلى معنى اللَّعن ، لأن معنى اللَّعن هو الإبعاد والطرْد ، وبهله الله أي : لعنه وأبعده من رحمته ، من قولك أبهله إذا أهمله ، وناقاة باهل لا صرار عليها ، بل هي مرسلة مخلاة كالرجل الطريد المنفي .

تحقيق معنى الكلمة : إنَّ البهل إذا كان هو الإرسال والتخلية فكان من بهله الله فقد خلاه الله ووكله إلى نفسه ، ومن وكله إلى نفسه فهو هالك لاشك فيه فمن باهل إنساناً ، فقال : عَلَيَّ بهلة الله إن كان كذا... يقول : وكلني الله إلى نفسي ، وفوَّضني إلى حولي وقوتي ، أي : من كلاءته وحفظه ، كالناقاة الباهل التي لا حافظ لها في ضرعها ، فكلَّ من شاء حلبها وأخذ لبنها لاقوة لها في الدفع عن نفسها .

ويقال أيضاً : رجل باهل ، إذا لم يكن معه عصا ، وإنَّما معناه أنه ليس معه ما يدفع به عن نفسه .

(١) مواهب الرحمن ، للسبزواري : ١١/٦ .

والقول الأول أولى ، لماذا؟ لأنه يكون قوله (ثم نبتهل) أي ثم نجتهد في الدعاء ونجعل اللعنة على الكاذب .

وأما على القول الثاني يصير التقدير: ثم نبتهل أي ثم نلتعن ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ وهي تكرر^(١).

المفهوم المستفاد من الآية الشريفة:

هو تبادل اللعن ، وذلك بأن يجتمع المتجادلون في أمر ديني في مكان ما ، ويتضرعون إلى الله بالدعاء مبتهلين ، ليفضح الكاذب ، ويلعنه ، ويُنزل عقابه عليه .

الأمر الثاني: في بيان تفسير الآية الشريفة

بعد ما بيّن الله سبحانه وتعالى بعضاً من قصص عيسى عليه السلام ومارافق مولده الشريف من غرابة وما نطقه في المهد ... ولكن كل ذلك يكون أمراً عادياً بالنسبة للقدرة الإلهية الخارقة ، ولذا أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

وهو تعالى الذي اختاره أن يكون نبياً وأمكنه من تلك الخوارق ومنحه الملكة في إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، ولكن - رغم كل ذلك - أقام الحجّة عليه بما لا يدع مجالاً للشك والارتياب بكونه عبداً لله فلا مبرر لتأليه وعبادته .

وهذا البيان الإلهي حق لا يرتاب فيه أحد ؛ لأنه برهان قاطع يقبله العقل السليم ويسطع نوره على كل القلوب فيندفع الباطل والزيف ، وتتكشف الحقائق بما لا يدع مجالاً للشك عند أحد .

(١) التفسير الكبير: م/٤/٨/٩١ و ٩٢ .

(٢) آل عمران: ٥٩ .

وقد كثر جدال النصارى وخصومتهم بشأن عيسى عليه السلام ، وكونه إلهاً أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بأن يضع حداً لذلك الجدال العقيم وينهي ذلك التبجح ، لتسطع شمس الحقيقة عندئذ .

قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ ﴾ من النصارى (فيه) في عيسى .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ، أي من البيّنات الموجبة للعلم .

والمحاجة : تبادل الاحتجاج وهي تستعمل في الحقّ وغيره ، كما حصلت في

المقام من النصارى في عيسى بن مريم عليه السلام زاعمين أنه إله أو ابن الله .

قوله تعالى : ﴿ تَعَالَوْا ﴾ أي : هلمّوا « والمراد المجيء بالرأي والعزم »^(١) .

الخطاب موجه لرسول الله صلى الله عليه وآله بالمحاجة لقطع دابر الكفر والباطل ، وحسم مادة

الفساد ، وذلك بدعوة النصارى إلى المباهلة ، لمعرفة المحقّ من المبطل ، ومعرفة

الصادق من الكاذب ، فهو أمر لا بدّ منه ، لحفظ الحقّ من الضياع ، وإتماماً للحجة على

العباد ، وصوناً للمؤمن ومقامه في الحياة ، وإحراق الخزي والعار والهلاك بالمبطل ،

ومن هو على الغي والضلال .

قوله تعالى : ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ : المخاطب في ﴿ نَدْعُ ﴾ هو المتكلم مع

الطرف الآخر ممن يراد المحاجة معه ، وهم في المقام نصارى نجران ، بمعنى أن

يدعو كلّ مني ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه ، ومن الواضح أنّ المباهلة وإن كانت بين

رسول الله صلى الله عليه وآله وبين نصارى نجران ، ولكن عمّمت لتشمل من ذكر في الآية من الأبناء

والنساء والأنفس ، لما في هذا الاجتماع من خصوصية في الظفر على المطلوب

وتحقيق النصر والغلبة على الخصم المدعي للباطل ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ،

لما للمشاركين فيه - في جبهة الحق - من فضيلة سامية ومنقبة متميزة .

يقول الزمخشري: « وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام »^(١)، وهم علي وفاطمة والحسنان، لأنه لما نزلت دعاهم النبي صلى الله عليه وآله « فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفهما »^(٢).

فَعَلِمَ أَنَّهُم المَراد من الآيَةِ ، وأنّ أولاد فاطمة وذريتهم يُسمّون أبناءه ، وينسبون إليه صلى الله عليه وآله نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة .

يقول الطبرسي: « أجمع المفسرون على أنّ المراد بأبنائنا الحسن والحسين . قال أبو بكر الرازي هذا يدل على أنّ الحسن والحسين ابنا رسول الله وأنّ ولد البنت ابن في الحقيقة ، وقال ابن أبي علان وهو أحد أئمة المعتزلة : هذا يدل على أنّ الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال لأنّ المباهلة لا تجوز إلاّ مع البالغين ، وقال أصحابنا : إنّ صغر السن ونقصانها عن حدّ بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل ، وإنّما جعل بلوغ الحلم حدّاً لتعلّق الأحكام الشرعية »^(٣).

ويشير الفخر الرازي السؤال التالي: « الأولاد إذا كانوا صغاراً لم يجز نزول العذاب بهم ، وقد ورد في الخبر أنّه صلوات الله وسلامه عليه أدخل في المباهلة الحسن والحسين عليهم السلام فما الفائدة فيه ؟ » .

ويجيب قائلاً: « إنّ عادة الله تعالى جارية بأنّ عقوبة الاستئصال إذا نزلت بقوم هلكت معهم الأولاد والنساء ، فيكون ذلك في حقّ البالغين عقاباً ، وفي حقّ الصبيان لا يكون عقاباً بل يكون جارياً مجرى إمامتهم وإيصال الآلام والأسقام إليهم ، ومعلوم أنّ شفقة الإنسان على أولاده وأهله شديدة جداً ، فربّما جعل الإنسان نفسه فداءً لهم

(١) الكشاف: ٣٦٣/١ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة: ٣٥٣ . البيهقي في الدلائل: ٣٨٢/٥ . وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩/٢ . ابن حجر في الصواعق: ٤٢٨/٢ ، وسيأتي مزيد بيان .

(٣) مجمع البيان: ٢٤٠/٢ و ٢٤١ .

وجنة لهم ، وإذا كان كذلك فهو عليه الصلاة والسلام أحضر صبيانه ونساءه مع نفسه وأمرهم بأن يفعلوا مثل ذلك ليكون ذلك أبلغ في الزجر وأقوى في تخويف الخصم وأدل على وثوقه صلوات الله عليه وعلى آله بأن الحق معه»^(١).

قوله تعالى : ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ : اتفقوا على أن المراد به فاطمة عليها السلام ؛ لأنه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء ويعضده ماجاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وآله قال : «فاطمة بضعة مني ، يربني ما رابها»^(٢) وقال صلى الله عليه وآله : «إن الله يغضب لغضب فاطمة ، ويرضى لرضائها» . وقد صح عن حذيفة أنه قال : «سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : أتاني ملك فبشّرني أن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة ، أو نساء أمّتي» .

وعن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : «سرّ النبي صلى الله عليه وآله إلى فاطمة شيئاً فضحكت ، فسألته فقالت : قال لي : ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه الأمة ، أو نساء المؤمنين ، فضحكت لذلك»^(٣).

قوله تعالى : ﴿وَنِسَاءَكُمْ﴾ ، أي من شئتم من نسائكم .

قوله تعالى : ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ : ممن هم في موقع النفس من حيث المنزلة والمحبة والإعزاز وهو منحصر في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ لأنه لا أحد يدّعي دخول غير أمير المؤمنين عليّ وزوجته وولديه في المباهلة ، «وقد أطبق المفسّرون واتّفتت الرواية وأيده التاريخ : أن رسول الله صلى الله عليه وآله حضر للمباهلة ولم يحضر معه إلا عليّ وفاطمة

(١) التفسير الكبير : م ٩٢/٨/٤ .

(٢) أخرج البخاري في صحيحه ، بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» ، وعنه صلى الله عليه وآله قال : «فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة» . صحيح البخاري : ١٣٧٤/٣ ، باب مناقب فاطمة عليها السلام ، إلى غيرها من الأحاديث .

(٣) مسند أحمد بن حنبل : ٢٦٤١٣/٩/٤٤ ، الطبعة المحقّقة .

والحسان عليهم السلام ، فلم يحضر لها إلا نفسان وابنان وامرأة واحدة وقد امتثل أمر الله سبحانه فيها» (١).

وقال الفخر الرازي : «واعلم أن هذه الرواية كالمتمفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث» (٢).

وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد . إذ جعل الله تعالى علياً عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذا ما لا يدانيه فيه أحد ولا يقاربه . ومما يعضده من الروايات ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله : «أنه سأل عن بعض أصحابه فقال له قائل : فعلي ؟ فقال صلى الله عليه وآله : ما سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي» .

وقوله صلى الله عليه وآله لبريدة الأسلمي : «يا بريدة ، لا تبغض علياً فإنه مني وأنا منه ، إن الناس خلقوا من شجر شتى وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة» .

وقوله صلى الله عليه وآله بـ (أحد) وقد ظهرت نكايته في المشركين ووقايته إياه بنفسه حتى قال جبرئيل : إن هذا لهي المواساة ، فقال : يا جبرئيل ، إنه مني وأنا منه ، فقال جبرئيل : وأنا منكما (٣).

فالنبي صلى الله عليه وآله قد رباه وأنشأه منذ طفولته على صورته في أخلاقه وسلوكه وطاعته لربه عز وجل ، فكان منه بمنزلة النفس من النفس والذات من الذات والروح من الروح والعقل من العقل . ولذا قال صلى الله عليه وآله : «يا علي ، أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي» (٤).

«وفي إتيان النساء والأنفس جمعاً في الآية ، مع أن المصداق الخارجي متحقق

(١) تفسير الميزان : ٢٢٣/٣ .

(٢) التفسير الكبير : م ٩٠/٨/٤ .

(٣) سيأتي بيان تخريج هذه الروايات ، فلاحظ .

(٤) منهاج السنة : ٤٣/٥ .

في فرد ، هو وقوع هذا الجمع مقابل الجمع سواء تعددت الأفراد أم لا ، فالآية الشريفة ليست في مقام تكثير الأفراد في الأبناء والنساء والآنفس بل هي ظاهرة في مقابل الجمع بالجمع ، سواء كان كل جمع مشتملا على الكثرة أم لا»^(١).

على أن المراد من لفظ الآية أمر ، والمصداق الذي ينطبق عليه الحكم بحسب الخارج أمر آخر ، وقد كثر في القرآن الكريم الحكم أو الوعد والوعيد للجماعة ، والحال أن مصداقه بحسب شأن النزول واحد كما هو مبين فيما يلي :

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾^(٢).

مع أن السائل بحسب شأن النزول هو عمرو بن الجموح سأل عن النفقة في الجهاد وقيل في الصدقات .

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾^(٣).

مع أن المقصود بـ (الذين) في الآية على رأي كثير من المفسرين هو (حيي بن أخطب) أو (فنحاص) .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾^(٤) ، « عن ابن

عبّاس إنها نزلت في امرأة من الأنصار واسمها (خولة بنت خويلد) وزوجها (أوس بن الصامت) ؛ وذلك أنها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة في صلاتها ، فلما انصرفت أرادها فأبت عليه ، فغضب عليها وكان امرءاً فيه سرعة ولمم فقال لها : أنت عَلَيَّ كظهر أُمِّي ثم ندم على ما قال»^(٥).

(١) مواهب الرحمن : ١٠/٦ .

(٢) البقرة : ٢١٩ .

(٣) آل عمران : ١٨١ .

(٤) المجادلة : ٢ .

(٥) مجمع البيان : ٣١٥/٩ .

ومن المتفق عليه بين الأصوليين هو أن المورد لا يخصص الوارد ، بمعنى أن مصداق النزول لا يكون مخصصاً أو مقيداً لأصل حكم الآية الشريفة ، وهذا أمر واضح وظاهر .

على أن القرآن الكريم قد زخر في آياته الشريفة في مجال الأدب المحاورى بالإتيان بلفظ الجمع مع كون المصداق فرداً ، كما هو دائر في المحاورات الفصيحة .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ : بمعنى مَنْ شئتم من رجالكم .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَبْتِهَلْ ﴾ أي نتضرع في الدعاء كما عن ابن عباس ، بمعنى نجتهد في الدعاء إلى الله تعالى بأن ينزل لعناته وعذابه على الكاذب .

قوله تعالى : ﴿ فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ بيان للابتهال . والمراد من اللعنة ، النكال والعذاب مطلقاً . ومنه البعد عن رحمته تعالى ، وتوفيقاته .

وقد قيل : فنجعل ، ولم يقل فنسأل ، إشارة إلى كونها دعوة غير مردودة حيث يمتاز بها الحق من الباطل على طريق التوقف والابتناء ، كما أشار إلى ذلك صاحب الميزان^(١) .

﴿ الْكَاذِبِينَ ﴾ : مسوق سوق العهد دون الاستغراق أو الجنس ؛ إذ ليس المراد

جعل اللعنة على كل كاذب أو على جنس الكاذب كما هو واضح ، بل على الكاذبين الواقعيين في أحد طرفي المحاجة الواقعة بينه صلى الله عليه وآله وبين نصارى نجران .

ومن خلال ذلك ، قد تبين أن الآية الشريفة تجعل هذا الجمع مقابل الجمع الآخر ، وعليه فإن الأفراد في كل طرف شركاء في الدعوى ، فلو كان أحد الجمعيين كاذباً كان الأفراد يشتركون فيه ، ويلزمه اشتراك الأفراد في الجمع الآخر في الصدق وفي ذلك فضل عظيم لمن اشترك في دعوة النبي صلى الله عليه وآله .

الآية في دقة بيانها

وفي الآية الشريفة نكتة دقيقة تكون هي الثمرة لهذا البحث قد أشار إليها صاحب الميزان : « لو كانت الدعوى والمباهلة عليها بين النبي صلى الله عليه وآله - فقط - وبين النصارى أعني كون أحد الطرفين مفرداً والطرف الآخر جمعاً كان من الواجب التعبير عنه بلفظ يقبل الانطباق على المفرد والجمع معاً كقولنا : فنجعل لعنة الله على من كان كاذباً ، فالكلام يدل على تحقق كاذبين بوصف الجمع في أحد طرفي المحااجة والمباهلة على أي حال إما في جانب النبي صلى الله عليه وآله وإما في جانب النصارى ، وهذا يعطي أن يكون الحاضرون للمباهلة شركاء في الدعوى فإن الكذب لا يكون إلا في دعوى ، فلمن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهم عليّ وفاطمة والحسنان عليهم السلام شركة في الدعوى والدعوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذا من أفضل المناقب التي خصّ الله بها أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله كما خصّهم باسم الأنفس والنساء والأبناء لرسول الله صلى الله عليه وآله من بين رجال الأمة ونسائهم وأبنائهم » (١) .

سؤال ظريف مع جوابه :

ربّما يثار في المقام السؤال التالي : لماذا لا نقول - في الكاذبين - كما قلتم فيما سبق وهو أن القرآن الكريم استعمل صيغة الجمع وأراد بها المفرد ، فهنا كذلك حيث يريد في طرف ، الرسول صلى الله عليه وآله بالذات ، وفي الطرف الآخر النصارى ، لا الجمع مقابل الجمع ، فعليه لا يكون لأهل البيت عليهم السلام اشتراك في الدعوى والدعوة ؟

الجواب : يجيب العلامة عن السؤال بما يلي : « إن بين المقامين فارقاً ، وهو أن إطلاق الآيات لفظ الجمع في مورد المفرد إنما هو لكون الحقيقة التي تبينها أمراً جائز التحقق من كثيرين يقضي ذلك بلحوقهم بمورد الآية في الحكم ، وأمّا فيما لا يجوز

ذلك - كما فيما نحن فيه - لكون مورد الآية مما لا يتعداه الحكم ، ولا يشمل غيره الوصف فلا ريب في عدم جوازه ، نظير :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ لِسَانَ الَّذِي يُلْجِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :-
وَأَمْرًا مُمِئَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

وأمر المباهلة في الآية مما لا يتعدى مورده وهو مباهلة النبي صلى الله عليه وآله مع النصارى ، فلو لم يتحقق في المورد مدعون بوصف الجمع في كلا الطرفين لم يستقم قوله : الكاذبين بصيغة الجمع البتة « (٤) .

وبهذا يتبين أن المراد من الآية الشريفة ، المباهلة بين الجمع مقابل الجمع في الطرف الآخر ، فيكون لأهل البيت عليهم السلام المشاركة في الدعوة الإسلامية الدينية ، والدعوى (بأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله ، والمباهلة عليها) ، وهذه منزلة عظيمة وخطيرة وجليلة ، قد خصهم الله تعالى بها من دون خلقه ، فلا يدانيهم فيها أحد ، لا من نساء أمته صلى الله عليه وآله ، ولا من أبنائها ولا من رجالها ، ولا يشاركونهم في هذه المنزلة أحد ولذا فإن الآية الشريفة مختصة بهم ولا يصح سريان حكمها إلى غيرهم .

(١) الأحزاب : ٣٧ .

(٢) النحل : ١٠٣ .

(٣) الأحزاب : ٥٠ .

(٤) الميزان : ٢٢٥/٣ .

الأمر الثالث : بيان شأن النزول :

لقد اتفقت كلمة المفسرين والمحدثين والمؤرخين على ما نقله الصحابة والرّواة في تبيان شأن نزول آية المباهلة ، وكونها نزلت لتأمر النبي صلى الله عليه وآله بمباهلة النّصارى ، وقد اصطحب للمباهلة معه عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .
وسوف نقتصر في تبيان شأن النزول على موردين فقط ، ونشير إلى الموارد الأخرى بعناوينها رعاية للاختصار .

المورد الأوّل : ما في الدلائل

أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة ، قال : حدّثنا سليمان بن أحمد ، قال : حدّثنا أحمد بن داود الملكي ومحمّد بن زكريا الغلابي ، قال : ثنا بشر بن مهران الخصاف ، قال : ثنا محمّد بن دينار ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن جابر ، قال : « قدم على النبي صلى الله عليه وآله العاقب والطيب ^(١) فدعاهما إلى الإسلام فقالا : أسلمنا يا محمّد قبلك .

قال : كذبتما إن شئتما أخبرتكما ما يمنعكما من الإسلام .

قالوا : فهاتِ ابئنا .

قال صلى الله عليه وآله : حُبّ الصليب ، وشرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير .

قال جابر : فدعاهما إلى الملائنة ، فواعداه على أن يغادياه بالغداة . فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ بيد عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، ثمّ أرسل إليهما فأبيا أن يجيباه ، وأقرّاه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : والذي بعثني بالحقّ ، لو فعلا لأمطر الوادي عليهما ناراً .

(١) في أسباب النزول للواحدي : « (السيد) واسمه (الأيهم) وهو عالمهم ، وأمّا (العاقب) فهو عبدالمسيح وهو صاحب مشورتهم ، وهما راهبا نجران » .

قال جابر: فيهم نزلت: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ .

قال الشعبي: قال جابر: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾: رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ .
 ﴿أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾: الحسن والحسين .
 ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾: فاطمة رضي الله عنهم أجمعين^(١) .

المورد الثاني: ما في مجمع البيان

ما ذكره صاحب مجمع البيان في تبيان شأن النزول للآية الشريفة: « قيل نزلت الآيات في وفد نجران العاقب والسيد ومن معهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: هل رأيت ولداً من غير ذكر فنزل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ...﴾ الآيات .

فقرأها عليهم ، عن ابن عباس وقتادة والحسن ، فلما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك ، فلما رجعوا إلى رجالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد ، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلتة ، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شيء .

فلما كان الغد جاء النبي صلى الله عليه وآله أخذاً بيد عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين بين يديه يمشيان وفاطمة تمشي خلفه ، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله قد أقبل بمن معه سأل عنهم ، فقيل له: هذا ابن عمّه وزوج ابنته وأحبّ الخلق إليه ، وهذان ابنا بنته من عليّ عليه السلام وهذه الجارية بنته فاطمة أعزّ الناس عليه وأقربهم إلى قلبه ، وتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله فجثا على ركبتيه .

قال أبو حارثة الأسقف: جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة فكع (أي: ضعف وجبن) ولم يقدم على المباهلة .

فقال السيّد : ادن يا أبا حارثة للمباهلة .

فقال : لا ، إنّي لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة ، وأنا أخاف أن يكون صادقاً ولئن كان صادقاً لم يحلّ والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء .

فقال الأسقف : يا أبا القاسم ، إنّا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ينهض به ، فصالحهم رسول الله على ألفي حلّة من حلل الأواقي قسمة ، كلّ حلّة أربعون درهماً فما زاد ونقص فعلى حساب ذلك ، وعلى عارية ثلاثين درعاً ، وثلاثين رمحاً ، وثلاثين فرساً إن كان باليمن كيد ورسول الله ضامن حتّى يؤديها ، وكتب لهم بذلك كتاباً .

وروي أنّ الأسقف قال لهم : إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله ، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة ، وقال النّبى صلّى الله عليه وآله : والذي نفسي بيده ، لو لاعنوني لمسخوا قرده وخنازير ، ولاضطرم الوادي عليهم ناراً ، ولما حال الحول على النصارى حتّى يهلكوا كلّهم .

قالوا : فلمّا رجع وفد نجران لم يلبث السيّد والعاقب إلّا يسيراً حتّى رجعا إلى النّبى صلّى الله عليه وآله ، وأهدى العاقب له حلّة وعصا وقدحاً ونعلين وأسلما^(١) .

بعد أن ذكرنا موردين من موارد شأن نزول الآية الشريفة ، أوّد أنّ أشير إلى ما ذكره كبار المفسّرين والمحدّثين من أهل السُنّة ، بشأن نزولها بحقّ أهل البيت عليهم السلام ، حيث إنّ النّبى صلّى الله عليه وآله اصطحب للمباهلة معه عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

العلماء المشاهير المؤيّدون لشأن نزولها بحقّ أهل البيت عليهم السلام :

ومن هؤلاء المشاهير من كبار علماء التفسير والحديث من أهل السُنّة ما يلي :

١ - الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى سنة ٢٤١هـ) :

فقد أخرج رواية سعد بن أبي وقاص وقد أورد فيها قصة المباهلة ^(١).

٢ - الإمام مسلم (المتوفى سنة ٢٦١هـ):

أخرج مسلم بن حجاج النيسابوري في صحيحه: بإسناده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا تراب؟ فقال: أما ذكرت ثلاثاً قالهنَّ له رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبَّه، لأنَّ تكون لي واحدة منهنَّ أحبُّ إليَّ من حمر النعم... إلى أن قال: ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً. فقال: اللهم هؤلاء أهلي» ^(٢).

٣ - العلامة الترمذي (المتوفى سنة ٢٧٩هـ):

فقد أخرج رواية سعد من طريق آخر، وذكر قصة المباهلة واصطحاب النبي صلى الله عليه وآله لأهل الكساء عليهم السلام ^(٣).

٤ - ابن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠هـ):

أخرج ابن جرير بإسناده عن السدي: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الآية، «فأخذ - يعني النبي صلى الله عليه وآله - بيد الحسن والحسين وفاطمة، وقال لعلي: إتبغنا، فخرج معهم، فلم يخرج يومئذ النصارى، وقالوا: إننا نخاف أن يكون هذا هو النبي، وليس دعوة النبي كغيرها» ^(٤).

٥ - الحافظ ابن أبي حاتم (المتوفى سنة ٣٢٧هـ):

أخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن السدي الرواية السابقة وأضاف: «فقال رسول

(١) مسند الإمام أحمد: ١/١٨٥. وانظر مرويات أحمد في التفسير: ١/٢٧١/٥٧١.

(٢) صحيح مسلم: ٤/١٨٧١/٢٤٠٤، باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) الجامع الكبير (سنن الترمذي): ٥/١٠٣/٢٩٩٩، باب: ومن سورة (آل عمران).

(٤) تفسير الطبري: ٥/٤٧١.

الله ﷻ : لو خرجوا إلا احترقوا ، فصالحوه علي صلح علي أن له عليهم ثمانين ألفاً» (١) .

كما أخرج الرواية التالية : حدّثنا أبي ، ثنا أيوب بن عروة الكوفي - يعني : نزيل الرّي - ثنا المطّلب بن زياد ، عن جابر ، عن أبي جعفر : « ﴿ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ قال : النبي وعلي» (٢) .

٦ - أبو بكر الجصاص (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ) :

قال ما نصّه : « فنقل رُواة السّير ونقله الأثر لم يختلفوا فيه : « أن النبي ﷻ أخذ بيد الحسن والحسين وعلي وفاطمة رضي الله عنهم ، ثم دعا النصارى الذين حاجّوه إلى المباهلة ، فأحجموا عنها وقال بعضهم لبعض : إن باهلتموه اضطرم الوادي عليكم ناراً ، ولم يبق نصراني ولا نصرانية إلى يوم القيامة » (٣) .

٧ - الحاكم النيسابوري (المتوفى سنة ٤٠٥ هـ) :

فقد أخرج الحاكم أبو عبدالله رواية سعد الأنفة ، وأضاف قائلاً : « هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين » (٤) .

٨ - المفسر الثعلبي (المتوفى سنة ٤٢٧ هـ) :

وقد أخرج الرواية التالية : « وقد غدا رسول الله ﷻ محتضناً الحسن ، آخذاً بيد الحسين ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعلي (ﷺ) خلفها ، وهو يقول لهم : إذا أنا دعوت فأمنوا » .

ثم وأضاف قائلاً : « فقال أسقف نجران : يا معشر النصارى ، إنني لأرى وجوهاً

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٦١٨/٦٦٧/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٣٦١٩ .

(٣) أحكام القرآن : ١٨/٢ . ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

(٤) المستدرک علی الصحیحین : ١٦٣/٣ .

لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله ... الخ»^(١).

٩ - الحافظ أبو نعيم (المتوفى سنة ٤٣٠ هـ):

فقد تقدّم ما رواه في شأن نزول آية المباهلة^(٢).

١٠ - أبو الحسن الماوردي الشافعي (المتوفى سنة ٤٥٠ هـ):

قال الماوردي ما نصّه: «فلما نزلت هذه الآية - آية المباهلة - أخذ النبي صلّى الله عليه وآله بيد

عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ثمّ دعا النصارى إلى المباهلة، فأحجموا عنها، وقال بعضهم لبعض: إن باهلتموه اضطرم الوادي عليكم ناراً»^(٣).

١١ - البيهقي (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ):

فقد أورد قصّة المباهلة وذكر اصطحاب النبي صلّى الله عليه وآله لأهل البيت عليهم السلام، لكنّه لم يذكر

عليّاً عليه السلام^(٤).

١٢ - الواحدي النيسابوري (المتوفى سنة ٤٦٨ هـ):

فقد أخرج الرواية بإسناده عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، قال: «قدم وفد

أهل نجران على النبي صلّى الله عليه وآله: العاقب والسيد، فدعاهما إلى الإسلام... إلى أن قال:

فغدا رسول الله صلّى الله عليه وآله فأخذ بيد عليّ وفاطمة وبيد الحسن والحسين، ثمّ أرسل إليهما

فأبيا أن يجيبا، فأقرّاه بالخراج.

فقال النبي صلّى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحقّ، لو فعلا لمطر الوادي ناراً»^(٥).

قال جابر: فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا

(١) تفسير الكشف والبيان: ٨٥/٣.

(٢) انظر دلائل النبوّة: ٣٥٣.

(٣) تفسير الماوردي: ٣٩٨/١ و ٣٩٩.

(٤) انظر دلائل النبوّة: ٣٨٨/٥.

(٥) أسباب النزول: ٨٨.

وَنِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ﴿١﴾ .

وأضاف النيسابوري : «قال الشعبي : ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ : الحسن والحسين .
﴿وَنِسَاءَنَا﴾ فاطمة ، و ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنهم» (١) .

١٣ - الحاكم الحسكاني (من علماء القرن الخامس الهجري)

فقد أخرج الكثير من الروايات التي تنصّ على واقعة المباهلة واصطحاب
النبي صلى الله عليه وآله لأهل بيته عليهم السلام (٢) .

١٤ - البغوي الشافعي (المتوفى سنة ٥١٦ هـ) :

قال ما نصّه : « قيل : ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ الحسن والحسين ، ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ فاطمة
﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ عنى نفسه صلى الله عليه وآله وعليّاً عليه السلام والعرب تسمي ابن عم الرجل نفسه كما قال
الله تعالى : ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (٣) يريد إخوانكم» (٤) ، ثمّ أورد الرواية الآنفه
أيضاً .

١٥ - الزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ) :

قال ما نصّه : « وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام وفيه
برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وآله لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم
أجابوا إلى ذلك» (٥) .

١٦ - الحافظ ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١ هـ) :

أخرج ابن عساكر بإسناده عن أبي الطفيل : «إنّ أمير المؤمنين ناشد أصحاب

(١) أسباب النزول : ٨٩ .

(٢) انظر شواهد التنزيل : ١٥٥/١ - ١٦٦ ، الأحاديث تحت الأرقام ١٦٨ - ١٧٦ .

(٣) الحجرات : ١١ .

(٤) تفسير البغوي (معالم التنزيل) : ٢٩٧/١ و ٢٩٨ .

(٥) تفسير الكشاف : ٣٦٣/١ .

الشورى واحتج عليهم بجملة من فضائله ومناقبه ، ومن ذلك أن قال لهم : نشدتكم بالله ، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الرحم ، ومن جعله رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه ، وأبناءه أبناءه ، ونساءه نساءه ، غيري ؟ قالوا : اللهم لا ^(١) .

١٧ - ابن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) :

أورد ما رواه مسلم في صحيحه فذكر رواية سعد بن أبي وقاص . ثم ذكر معنى ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ ، فقال : فيه خمسة أقوال ، وجعل القول الأول منها أنه يراد به علي بن أبي طالب ونسبه إلى الشعبي . هذا وقد ذكر قصة المباهلة فقال ما نصّه : « فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ، ثم أرسل إليهما ، فأبيا أن يجيباه ، فأقرا له بالخراج ، فقال صلى الله عليه وآله : والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهم ناراً » ^(٢) .

١٨ - الفخر الرازي (المتوفى سنة ٦٠٤ هـ) :

فقد أورد الرواية السابقة ، فقال ما نصّه : « وكان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه مرط شعر أسود ، وكان قد احتضن الحسين ، وأخذ بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعلي عليه السلام خلفها ، وهو يقول : إذا دعوت فأمنوا .

فقال أسقف نجران : يا معشر النصارى ، إنني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها ، فلا تباهلوا فتهلكوا ، ولا يبقى علي وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة » ^(٣) .

١٩ - سبط ابن الجوزي (المتوفى سنة ٦٥٤ هـ) :

(١) تاريخ مدينة دمشق - ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : ٤٣٢/٤٢ . وفي المختصر :

٣٨/١٨ في حديث طويل . وأخرج ابن عساكر رواية سعد الأنفة أيضاً ، انظر : ١١١/٤٢ .

(٢) تفسير زاد المسير : ٣٢٤/١ .

(٣) التفسير الكبير : م ٨٩/٨/٤ و ٩٠ .

أورد رواية جابر وفيها: اصطحاب النبي صلى الله عليه وآله لأصحاب الكساء عليهم السلام (١).

٢٠ - القرطبي (المتوفى سنة ٦٦٨ هـ):

قال ما نصّه: «.. دليل على أنّ أبناء البنات يسمّون أبناء، وذلك أنّ النبيّ جاء بالحسن والحسين، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ خلفها، وهو يقول لهم: إذا أنا دعوت فأئتوا... الخ» (٢).

٢١ - محبّ الدين الطبري (المتوفى سنة ٦٩٤ هـ):

أورد رواية سعد بن أبي وقاص، وأشار إلى قصّة المباهلة وقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «اللهم هؤلاء أهلي» (٣).

٢٢ - العلامة النسفي (المتوفى سنة ٧١٠ هـ) (٤):

٢٣ - النيسابوري القمي (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ):

قال ما نصّه: «وأما فضل أصحاب الكساء فلا شك في دلالة الآية على ذلك، ولهذا ضمّهم إلى نفسه بل قدّمهم في الذكر» (٥).

٢٤ - شيخ الإسلام ابن تيميّة (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ):

قال ما نصّه: «أما حديث سعد لما أمره معاوية بالسبّ فأبى، فقال: ما منعك أن تسبّ عليّ بن أبي طالب؟

فقال: ثلاث قالهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبّه، لأنّ يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ

(١) انظر تذكرة الخواص: ٢٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١١١/٤.

(٣) انظر ذخائر العقبى: ٦١.

(٤) انظر تفسير النسفي: ٢٦١/١.

(٥) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٧٩/٢.

من حمر النعم... الخ، الحديث. فهذا حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه»^(١)، انتهى.

٢٥ - شمس الدين الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ):

بعد أن أخرج الحاكم النيسابوري رواية سعد المتقدمة، قال الذهبي في تلخيصه ما نصّه: «صحيح على شرط البخاري ومسلم»^(٢).

٢٦ - ابن القيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١ هـ):

أورد قصة المباهلة لكنه لم يذكر علياً، حيث قد أخرج الرواية التالية: «عن سلمة بن عبد، عن أبيه، عن جدّه، قال يونس - وكان نصرانياً فأسلم -... في حديث طويل، إلى أن قال: «فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله من الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشي عند ظهره للمباهلة، وله يومئذ عدة نسوة... الحديث»^(٣).

٢٧ - ابن الأثير (المتوفى سنة ٧٧٤ هـ):

فقد ذكر رواية سعد وأشار إلى قصة المباهلة^(٤).

٢٨ - البيضاوي (المتوفى سنة ٧٩١ هـ):

أورد رواية اصطحاب النبي صلى الله عليه وآله لأهل بيته الأطهار، ونقل أيضاً قول الأسقف، وأضاف البيضاوي ما نصّه: «وهو دليل على نبوته وفصل من أتى بهم من أهل بيته»^(٥).

(١) منهاج السنّة: ٤٢/٥.

(٢) المستدرک على الصحيحين: ٤٧١٩/١٦٣/٣.

(٣) الضوء المنير على التفسير: ٦٢/٢ - ٦٧.

(٤) انظر: أسد الغابة: ١١٤/٤. جامع الأصول: ٤٧٠/٩.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٧/٢.

٢٩- ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢هـ):

فقد أورد رواية سعد بشرح حديث المنزلة عن مسلم والترمذي ، وقال ما نصّه :
« وعند أبي يعلى عن سعد من وجه آخر لا بأس به قال لو وضع المنشار على مفرقي
على أن أسب علياً ما سببته أبداً... »^(١).

٣٠- ابن حجر الهيثمي (المتوفى سنة ٩٧٣هـ):

فذكر قصة المباهلة ، وقال ما نصّه : « فغداً صلى الله عليه وآله محتضناً الحسن آخذاً بيد الحسين ،
وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها ، وهؤلاء أهل الكساء ، فهم المراد في آية
المباهلة »^(٢).

٣١- الألويسي (المتوفى سنة ١٢٧٠هـ):

قال ما نصّه : « أخرج مسلم ، والترمذي ، وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص ، قال :
« لما نزلت هذه الآية ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً
وحسيناً ، فقال : اللهم هؤلاء أهلي ».

وأضاف الألويسي قائلاً : « وهذا الذي ذكرناه من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلّم
هؤلاء الأربعة المتناسبة رضي الله تعالى عنهم هو المشهور المعول عليه لدى
المحدثين »^(٣).

هذا غيض من فيض من كثرة ما نقل من أحاديث وروايات عن أسباب نزول آية
المباهلة ، وقد ذكر العلامة الشهيد القاضي التستري نحواً من (٦٠) من كبار أئمة

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري : ٤٣٨/٧ ، ط . دار الفكر .

(٢) الصواعق المحرقة : ٤٢٨/٢ ، ٤٥٣ .

(٣) روح المعاني : م ٣/٣/٣٠٣ ، وأورده أيضاً : السيوطي في الدر المنثور : ٢٢١/٢ . الشوكاني
في فتح القدير : ٤٤٩/١ . البخاري في فتح البيان في مقاصد القرآن : ٢٥٦/٢ . الطنطاوي في
الجواهر : ١٢٧/٢ . وسعيد حوى في الأساس في التفسير : ٧٨٢/٢ .

الحديث والتفسير وعلماء الجمهور ممن ذكروا ذلك ، من أحبّ فليراجع ^(١).

الأمر الرابع : دلالات الآية الشريفة

حينما نمعن النظر وندقق ملياً ، يمكننا أن نستوحي من الآية الشريفة ، دلالات متعددة وكثيرة . ولكي يتم استيعابها لابد لنا من تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ما يخصُّ صحّة دعوة النبي صلى الله عليه وآله ونبوّته الخاتمة .

القسم الثاني : ما يخصُّ شخص النبي صلى الله عليه وآله ومدى تضحيته وصبره ومعاناته .

القسم الثالث : ما يخصُّ أهل البيت عليهم السلام الذين اشتركوا في دعوة النبي صلى الله عليه وآله ودعواه .

القسم الأول :

فقد ذكر المفسّرون ذلك بإسهاب وتفصيل ، ونودّ أن نذكر ما أشار إليه القرطبي في تفسيره : « هذه الآية من أعلام نبوّة محمد صلى الله عليه وآله لأنّه دعاهم إلى المباهلة فأبوا منها ورضوا بالجزية بعد أن أعلمهم كبيرهم العاقب أنّهم إن باهلوه اضطرم عليهم الوادي ناراً فإنّ محمّداً نبي مرسل ، ولقد تعلمون أنّه جاءكم بالفصل في أمر عيسى ، فتركوا المباهلة وانصرفوا إلى بلادهم على أن يؤدّوا الجزية » ^(٢).

(١) راجع إحقاق الحقّ : ٤٦/٣ - ٦٢ . وفي هذا الصدد : أشير إلى ما قاله عليّ بن طاووس في بيان رواة شأن نزول آية المباهلة بحقّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فقد رواه من الصحابة وغيرهم من أحد وخمسين طريقاً ، وقد سمّي بعضاً منهم : عامر بن وائلة ، جرير بن عبدالله السجستاني ، أبو قيس المدني ، الحسن بن علي ، عثمان بن عفان ، سعد بن أبي وقاص ، بكر بن مسمار ، طلحة بن عبدالله ، الزبير بن العوام ، عبد الرحمن بن عوف ، عبدالله بن عباس ، أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، جابر بن عبدالله الأنصاري ، البراء بن عازب ، أنس بن مالك ، وغيرهم . انظر سعد السعود : ١٨٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١١١/٤ .

القسم الثاني :

١- تدلُّ الآية الشريفة دلالة واضحة على مدى تفاني رسول الله صلى الله عليه وآله من أجل دعوته وإقامتها وثباتها والدفاع عنها ، لا بنفسه الشريفة فحسب - وهي أشرف الأنفس - وإنما بأقرب أهل بيته وأحبهم إليه .

صحيح أن النبي صلى الله عليه وآله على ثقة عالية بدعوته وهو على يقين تام بأحقّيته ، ولكن من جهة أخرى ، أن الآية الشريفة تبرز لنا مدى تفاني رسول الله صلى الله عليه وآله واسترخاؤه لكلِّ غالٍ ونفيس ، من أجل إثبات أحقيّة دعوته ، وامتناله لما أمره المولى عزّ وجلّ ، فإذا كان خليل الله إبراهيم عليه السلام قد فدى التوحيد بولده إسماعيل النبي حيث أشار القرآن إلى ذلك بقوله : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ^(١) فإن النبي صلى الله عليه وآله قد أبرز أهل بيته وأقرب الناس إليه وأعزّهم إلى نفسه ، كما برز هو نفسه الشريفة وتعرّض لما يريد الله عزّ وجلّ .

٢- في الآية دلالة على أنه لا شيء أعلى من العقيدة والمبدأ ، فكل ما هو غالٍ ونفيس وشريف ، يسترخص من أجلها وثباتها ، وهذا ما سخرى وجاد به رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسطر بذلك أروع ملاحم الفداء والتضحية .

القسم الثالث :

ما يخصّ أهل البيت عليهم السلام - مورد البحث - ولا بدّ من التفصيل :

١- لا شك بأن مسألة المباهلة مع الخصم هي معركة مصير ، وهي معركة إثبات وجود ، وإبطال وجود آخر - وهذا ما لا يختلف عليه اثنان - ، ومن المعلوم أن كل قائد حينما يبرز إلى ميدان القتال والمواجهة ، لا بدّ له من أن يستعدّ لها بأقوى سلاح وأقوى فرسان ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ، وهذا ما دأب عليه صلوات الله

(١) الصّافات : ١٠٣ .

وسلامه عليه ، وفي قصّة المباهلة اتّخذ ذات الموقف ، فاصطحب علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وهذا ما يدلّ على أنّه قد أبرز للمواجهة والميدان أقوى ما يملكه وما يدّخره من سلاح للمواجهة ، لتحقيق الفوز والنصر لدين الله تعالى .

٢- في الآية دلالة واضحة على أفضلية أهل البيت عليهم السلام وعلوّ مقامهم وسموّ درجاتهم عند الله تعالى ، فبهم وبنفسه الشريفة يتم التضرّع إلى الله ، والدعاء إليه لاستجابة دعواه ، فكما يبرز النّاس للاستسقاء وطلب الغيث من الله تعالى بالوجوه الصالحة المؤمنة ، نظيره هنا ، بل وأكثر ، حيث هنا لا بدّ من تحقيق حالة التضرّع إلى الله تعالى كما أشارت الآية ﴿ نَبْتَهْلُ ﴾ ، فالنفوس الصافية والمخلصة لذات الله تحقّق أعلى درجات التضرّع والطلب من الله بإنزال العقوبة على الكاذبين . ومن هنا طلب النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل البيت عليهم السلام - كما أشارت الروايات - أن يُؤمّنوا على دعائه .

٣- أشارت الروايات إلى اعتراف الخصم بمنزلتهم وفضلهم - والفضل ما شهدت به الأعداء - حيث قال الأسقف : « إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله ، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة » . وهكذا انتصر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وانتصر معه أهل بيته ، وانتصر الإسلام بهم في واقعة المباهلة .

٤- استدلّ صاحب الكشّاف بقصة المباهلة على فضل أهل الكساء واعتبره أقوى دليل ، باستدلّاله التالي : « ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبيّن الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختصّ به وبمن يكاذبه ، فما معنى ضمّ الأبناء والنساء ؟

قلت : ذلك أكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه ، حيث استجرأ على تعريض نفسه له ، وعلى ثقته بكذب خصمه حتّى يهلك خصمه مع أحبّته وأعزّته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة . وخصّ الأبناء والنساء لأنهم أعزّ الأهل وأصدقهم بالقلوب ، وربّما فداهم الرّجل نفسه وحارب دونهم حتّى يقتل ... » إلى أن يقول :

« وقدّمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم ، وليؤذن بأنهم مقدّمون على الأنفس مفدون بها . وفيه دليل لاشيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام » (١) .

٥- في اصطحاب النبي صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام للمباهلة دليل على أنه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ لأنه يمثل الصورة الحيّة الصادقة لكلّ الكمالات والسلوكيات والملكات ، باعتباره نشأ منذ طفولته على يد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلذا قال عليه السلام : « ولقد كنت أتبع - النبي - أتباع الفصيل أثر أمه » (٢) ، فهو بمنزلة النفس من النفس ، والذات من الذات ، والرّوح من الرّوح ، والعقل من العقل ، وليس في الميدان غير عليّ يجسّد نفس رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإنّ كلمة ﴿ وَأَنْفُسَنَا ﴾ تدلّ على أنّ وجود عليّ عليه السلام في الأثر وانمزايا والفضيلة والصفات بمنزلة وجود رسول الله صلى الله عليه وآله ، لاسيّما إذا كان التنزيل بأمر من الله تعالى . فالآية المباركة تدلّ على المنزلة الرفيعة والمنقبة العظيمة والفضيلة العليا لعليّ بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام .

إشكالات :

رغم كل ذلك فقد أشكل على دلالة الآية الشريفة بإشكالات ، أشار إليها صاحب مواهب الرحمن وأجاب عنها ، فنحن نوردها هنا إتماماً للفائدة .

الإشكال الأوّل : إنّ المراد بالأنفس في الآية المباركة من يتصل بالقرابة

(١) الكشّاف : ٢٦٣/١ .

(٢) وتكملة الخطبة : « يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالإقتداء به ، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشمّ ريح النبوّة » خطبة رقم ٤٠٦/١٩٢ - الخطبة القاصعة - نهج البلاغة - تحقيق صبحي صالح ، ط . دار الأسوة .

والقومية ، واستشهد لذلك بقوله تعالى : ﴿ فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (٣) .

الجواب: إن إطلاق الأنفس باعتبار رابطة القرابة والقومية صحيح ولا بأس به ، ولكن هذا الاستعمال في الآية الشريفة بعيد ؛ لأن جعل الأنفس مقابل الأقرباء مثل النساء والأبناء لا يراد منها إلا المعنى الحقيقي الواقعي ، ونظير ذلك في القرآن كثير ، فقال تعالى : ﴿ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَآهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (٥) .

الإشكال الثاني: إن المراد من (النفس) القريب ، وقد عبّر عن عليّ بالنفس لما

كان له عليه السلام اتصال بالنبي صلى الله عليه وآله في النسب والمصاهرة واتحاد في الدين .

الجواب: إن التنظير لو كان في القرابة فقط لما كان في عليّ خصوصية ، فإنّ

العباس عمّ رسول الله وأولاده وبني هاشم كانوا من قرابته صلى الله عليه وآله ومن المسلمين والمهاجرين .

مع أنّه ليس المراد من هذه الكلمة - ﴿ وَأَنْفُسَنَا ﴾ - عليّاً عليه السلام ، بل المراد أنّه بمنزلة

الرسول صلى الله عليه وآله ولذا لم يأت في مقام الامثال غير عليّ عليه السلام ، وأنّه المصداق الوحيد

لأنفسنا ، فلعلّ الاشتباه نشأ من الخلط بين المفهوم والمصداق .

(١) البقرة: ٥٤ .

(٢) البقرة: ٨٤ .

(٣) البقرة: ٨٥ .

(٤) الشورى: ٤٥ .

(٥) التحريم: ٦ .

الإشكال الثالث: إنه لو كانت الآية الشريفة دالة على المساواة بين علي عليه السلام وبين النبي صلى الله عليه وآله لزم كون علي عليه السلام نبياً .

الجواب: إنه لا ملازمة بين كون علي عليه السلام نفس الرسول صلى الله عليه وآله وبين مشاركته في النبوة^(١) . والمقصود بها نفس الرسول القائم بالدعوة إلى الله تعالى ومن هو بمنزلة في العلم والعمل والقضاء بالحق وهو منحصر في علي عليه السلام نصاً وإجماعاً .
وبهذا يثبت بالبرهان القاطع والروايات المتواترة والصريحة أفضلية الإمام علي عليه السلام وسمو روحيته وعلو مقامه من خلال هذه الآية الشريفة بلا تردد .

مناظرة الإمام الرضا عليه السلام :

ولكي نستكمل البحث ، ونقطع على المشككين طريق الشك باليقين ، نذكر المناظرة العلمية التي جرت بين الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام والمأمون العباسي في خصوص ما نحن فيه .

استدلال الإمام الرضا عليه السلام :

قال السيد الشريف المرتضى حدثني الشيخ - أي : الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان - قال : « قال المأمون يوماً للرضا عليه السلام : أخبرني بأكبر فضيلة لأمر المؤمنين عليهم السلام يدل عليها القرآن ؟

قال : فقال له الرضا عليه السلام : فضيلته في المباهلة قال الله جل جلاله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام فكانا ابنيه ، ودعا فاطمة عليها السلام فكانت في هذا الموضع نساءه ، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عز وجل ، وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله

سبحانه أجل من رسول الله وأفضل ، فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بحكم الله عز وجل .

قال : فقال له المأمون : أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ابنه خاصة وذكر النساء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته وحدها ، فلم لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة - أي : ذات رسول الله صلى الله عليه وآله - دون غيره فلا يكون لأمر المؤمنين عليهم السلام ما ذكرت من الفضل ؟

قال : فقال له الرضا عليه السلام : ليس بصحيح ما ذكرت يا أمير المؤمنين ، وذلك أن الداعي إنما يكون داعياً لغيره كما يكون الأمر أمراً لغيره ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة كما لا يكون الأمر أمراً لها في الحقيقة ، وإذا لم يدع رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً في المباهلة إلا أمير المؤمنين عليه السلام فقد ثبت أنه نفسه التي عناها الله تعالى في كتابه وجعل حكمه ذلك في تنزيهه .

قال : فقال المأمون : إذا ورد الجواب سقط السؤال « (١) » .

الأمر الخامس : الروايات المعارضة ومناقشتها

الرواية الأولى : رواية البخاري

أخرج البخاري في صحيحه باب قصة أهل نجران من ثلاثة طرق :

الطريق الأول : حدّثني عباس بن الحسين ، حدّثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل ،

عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة ، قال : « جاء العاقب والسيد صاحبا

نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يريدان أن يلاعناه .

قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن

ولا عقبنا من بعدنا .

(١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن : ٣٨/٢ سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد .

قالا : إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً .

فقال : لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حقّ أمين ، فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله

فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلمّا قام قال رسول الله صلى الله عليه وآله : هذا أمين هذه الأمة .

الطريق الثاني : حدّثني محمّد بن بشّار ، حدّثنا محمّد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ،

قال : سمعت أبا إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة رضي الله عنه ، قال : « جاء أهل نجران

إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا : ابعث لنا رجلاً أميناً .

فقال : لأبعثنَّ إليكم رجلاً أميناً حقّ أمين ، فاستشرف لها الناس . فبعث أبا عبيدة

بن الجراح .»

الطريق الثالث : حدّثني أبو الوليد ، حدّثنا شعبة عن خالد عن أبي قلابة ، عن

أنس ، عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال : لكلّ أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن

الجراح ^(١) .

طرق الرواية في صحيح مسلم :

الطريق الأوّل : حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدّثنا إسماعيل بن عُلَيّة ، عن

خالد ، ح ^(٢) وحدّثني زهير بن حرب ، حدّثنا إسماعيل بن عُلَيّة ، أخبرنا خالد ، عن

أبي قلابة ، قال : قال أنس : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ لكلّ أمة أميناً ، وإنّ أميننا أيتها

الأمة أبو عبيدة بن الجراح .»

الطريق الثاني : قال مسلم : حدّثني عمرو الناقد ، حدّثنا عفان ، حدّثنا حمّاد

(وهو ابن سلّمة) ، عن ثابت ، عن أنس : « أنّ أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله

فقالوا : ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنّة والإسلام .

(١) صحيح البخاري : ١٥٩٢/٤ ، باب : قيّسة أهل نجران الأحاديث : ٤١١٩ ، ٤١٢٠ ، ٤١٢١ .

(٢) ح = تعني التحول في الإسناد ، بمعنى اسناد آخر أيضاً .

قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: هذا أمين هذه الأمة».

الطريق الثالث: قال مسلم: حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار (واللفظ لابن

المثنى)، قالوا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، قال: سمعت أبا إسحاق يُحدِّث عن صلة بن زفر عن حذيفة، قال: «جاء أهل نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، إبعث إلينا رجلاً أميناً. فقال: لأبعثنَّ إليكم رجلاً أميناً حقَّ أمين، قال: فاستشرف لها النَّاس قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح»^(١).

الرواية عند الإمام أحمد بن حنبل:

أخرج الإمام أحمد: حدثنا أسود قال: وأخبرنا خلف بن الوليد، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن صلة، عن أبي مسعود، قال: «جاء العاقب والسيد صاحبنا نجران، قال: وأرادا أن يلاعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تلاعنه، فوالله لئن كان نبياً فلعننا - قال خلف: فلاعنا - لانفلق نحن ولا عقبنا أبداً.

قال: فأتياه، فقالا: لا نلاعنك، ولكننا نعطيك ما سألت، فابعث معنا رجلاً أميناً. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأبعثنَّ رجلاً أميناً حقَّ أمين، حقَّ أمين.

قال: فاستشرف لها أصحاب محمد، قال: فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، قال: فلما قفَى، قال: هذا أمين هذه الأمة»^(٢).

الرواية عند ابن ماجه:

أخرج ابن ماجه: حدثنا علي بن محمد ثنا وكيع، عن سفيان، وحدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، جميعاً عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة: «أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل نجران: سأبعث معكم رجلاً أميناً، حقَّ

(١) صحيح مسلم: ٤/١٨٨١/٢٤١٩، ٢٤٢٠.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٧/٤٥، الحديث ٣٩٣٠، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

أمين ، قال : فتشرف لها الناس ، فبعث أبا عبيدة بن الجراح ^(١) .

نقد الروايات

هناك عدة مناقشات للروايات الآتفة ، نلخصها بمناقشتين :

أولاً: المناقشة الدلالية :

١ - نظرة فاحصة للرواية التي تقدّمت ، تستكشف وضوح الاضطراب فيها ، وأقل ما يقال عنها إنها مضطربة ومشوشة ، وكأنّه قد حصل الخلط بينها إذ تحكي وقائع متعددة ، فتارة تحكي قدوم أهل اليمن وهم يرومون تعلم السنّة ، وأخرى لأخذ مال الصلح ، وثالثة بعد واقعة المباهلة ، ورابعة من دون واقعة المباهلة ، فهذا الاضطراب فيها ينبئك عن وقوع الخلط الحاصل فيها على أقل تقدير .

٢ - الرواية معارضة للروايات الأخرى الصحيحة التي تقدّمت والتي رواها مسلم في صحيحه والحاكم وأصحاب السنن ، والمفسّرون والمؤرّخون ، ورجال الحديث ، وقد تقدّم الكلام عنها .

٣ - الرواية معارضة للرواية التي نقلها الحاكم الحسكاني في الشواهد وبنفس السند ، لكن بمضمون يتفق مع ما تقدّم من روايات صحيحة ، وإليك الرواية التي رواها الحاكم : « حدّثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : حدّثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن أبيه عن أبي إسحاق السبيعي عن صلة بن زفر ، عن حذيفة بن اليمان قال : « جاء العاقب والسيد أسقفا نجران يدعوان النبي صلّى الله عليه وآله إلى الملاعنة ، فقال العاقب للسيد : إنّ لاعن بأصحابه فليس بنبيّ وإن لاعن بأهل بيته فهو نبيّ ؟ !

فقام رسول الله صلّى الله عليه وآله فدعا علياً فأقامه عن يمينه ثمّ دعا الحسين فأقامه عن يساره ،

(١) سنن ابن ماجه : ٩٢/١ ، المقدمّة ١١ ، الحديث ١٣٥ .

ثم دعا الحسن فأقامه عن يمين عليّ ، ثم دعا فاطمة فأقامها خلفه ، فقال العاقب للسيد : لا تُلاعِنه إنك إن لا عنته لا نفلح نحن ولا أعقابنا ؟ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو لاعنوني ما بقيت بنجران عين تطرف» (١) .

ملاحظة : إن الحاكم الحسكاني قد أخرج الرواية بنفس الإسناد ، ولكن بمضمون ومتمن مغاير لما ذكره (البخاري ، مسلم ، وأحمد ، وابن ماجه) ولكنه متفق تماماً مع ما تقدّم من روايات كثيرة وصحيحة وبطرق متعدّدة بلغت أكثر من ستين طريقاً .

٤ - ما أخرجه (البخاري ومسلم وابن ماجه) لا يمكن الالتزام به ، لعدة وجوه :

الوجه الأول : إن البخاري لم يذكر سبب الملاعنه ولا نزول الآية الشريفة

ولا خروج النبي صلى الله عليه وآله للملاعنة مصطحباً عليّاً وفاطمة والحسن والحسين لورود الروايات الكثيرة المبيّنة لشأن النزول ، فعليه إمّا أن نلتزم بأن الرواية مبتورة وعبارتها مشوّشة ، فالنتيجة تكون هي إلى الوضع والجعل أقرب . وإمّا أن نلتزم بأنها ليست مبتورة وصحيحة فسيتضح الأمر في الوجه الثاني .

الوجه الثاني : إذا التزمنا بأن الرواية صحيحة وليست مبتورة ولا مشوّشة ، عندئذ

لا يمكن الالتزام بها أيضاً ، لماذا ؟

وذلك لأنّها : مناقضة للقرآن الكريم حيث يقول الله تعالى : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ

أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ .

فَمَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِيَحْضُرُوا مَعَهُ لِلْمَبَاهَلَةِ ؟ وكيف

انسحب وفد النصارى من ميدان المباهلة ؟

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : « ماخالف كتاب الله فهو زُخْرَف » . وقال

أيضاً : « ماخالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار » - متفق عليه - .

(١) الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل : ١٦٣/١ ، الحديث ١٧٤ .

الوجه الثالث: قد ورد في غير واحد من كتب الحديث أنّ النبي صلى الله عليه وآله أرسل إليهم علياً ، فهي معارضة لتلك الروايات ، وهذا ما نبّه عليه الحافظ في شرحه على صحيح البخاري وحاول رفع التعارض فقال :

« وقد ذكر ابن إسحاق أنّ النبي صلى الله عليه وآله بعث علياً إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم ، وهذه القصة غير قصة أبي عبيدة ، لأنّ أبا عبيدة توجه معهم فقبض مال الصلح ورجع ، وعليّ أرسله النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك يقبض منهم ما استحق عليهم من الجزية ويأخذ ممّن أسلم منهم ما وجب عليه من الصدقة والله أعلم »^(١) ، وقد أشار البيهقي إلى أخذ عليّ الجزية من أهل نجران ، فقال ما نصّه : « وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ويقدّم عليه بجزيتهم »^(٢) .

الوجه الرابع: إنّ العسقلاني في شرحه يضيف قائلاً : « وفي مرسل الشعبي عند ابن أبي شيبة أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال : « لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران لو تموا على الملاعنة ، ولما غدا عليهم أخذ بيد حسن وحسين وفاطمة تمشي خلفه للملاعنة »^(٣) . ولكنّ البخاري لم يورد هذه التكملة في روايته ، ضمن قصة المباهلة ، وكأنّه قد ذكر الرواية مبتورة .

لكلّ الذي تقدّم لا يمكن الالتزام بالرواية أو قبولها .

ثانياً : المناقشة السندية :

إنّ في الرواية أكثر من آفة في سندها ، وإنّ عامّة هذه الطرق مطعون بها ، فالطريق الأول عند البخاري ، فيه :

١ - **عبّاس بن الحسين :** القنطري أبو الفضل البغدادي ويقال البصري . روى

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٤٢٩/٨ .

(٢) دلائل النبوة : ٣٩٤/٥ .

(٣) فتح الباري : ٤٢٩/٨ .

عن يحيى بن آدم ومبشر بن إسماعيل وأبي أسامة وعنه البخاري قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: هو مجهول^(١).

٢ - **إسرائيل بن يونس**: قال يعقوب بن شيبه: صالح الحديث، في حديثه لين، وروى محمد بن أحمد بن البراء، عن علي بن المديني (شيخ البخاري)^(٢): إسرائيل ضعيف، وقال ابن سعد: منهم من يستضعفه. وقال ابن حزم الظاهري: ضعيف^(٣)، وردّ به أحاديث من حديثه فما صنع شيئاً.

وقال عثمان بن أبي شيبة، عن عبدالرحمن بن مهدي: إسرائيل لُص يسرق الحديث^(٤).

٣ - **أبو إسحاق السبيعي**: عمرو بن عبدالله السبيعي الكوفي روى جرير، عن مغيرة، قال: ما أفسد حديث أهل الكوفة غير أبي إسحاق والأعمش. وقال الفسوي: قال ابن عُيينة: حدّثنا أبو إسحاق - في المسجد ليس معناه ثالث. وقال الفسوي: فقال بعض أهل العلم: كان قد اختلط، وإنما تركوه مع ابن عُيينة لاختلاطه^(٥).

وقال ابن حبان في كتاب الثقات: كان (أبو إسحاق السبيعي) مدلساً ولد سنة (٢٩) ويقال: سنة (٣٢)، وكذا ذكره في المدلسين حسين الكرابيسي وأبو جعفر الطبري، وقال ابن المديني في العلل: قال شعبة: سمعت أبا إسحاق يحدث عن

(١) لاحظ الجرح والتعديل: ٢٧٧/٦ ت ١١٨٢/١٠٤٣٢، وانظر لسان الميزان، لابن حجر: ٢٩٢/٣.

(٢) قال إبراهيم بن معقل: «سمعت البخاري يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني». انظر تذكرة الحفاظ، للذهبي: ١٤/٢.

(٣) ميزان الاعتدال، للذهبي: ٣٦٦/١ [٢٢٩٩ ت].

(٤) تهذيب التهذيب: ٢٣١/١ [٤٩٦].

(٥) ميزان الاعتدال: ٣٢٦/٥ [٦٣٩٩].

الحارث بن الأزعم بحديث ، فقلت له : سمعت منه ، فقال : حدّثني به مجالد ، عن الشعبي عنه . قال شعبة : وكان أبو إسحاق إذا أخبرني عن رجل ، قلت له : هذا أكبر منك ، فإن قال نعم علمت أنه لقي وإن قال أنا أكبر منه تركته .

وقال أبو إسحاق الجوزجاني : أما أبو إسحاق السبيعي فروى عن قوم لا يُعرفون ، ولم ينتشر عنهم عند أهل العلم إلا ما حكى أبو إسحاق عنهم ، فإذا روى تلك الأشياء عنهم كان التوقيف في ذلك عندي الصواب ، وحدّثنا إسحاق ، ثنا جرير عن معن ، قال : أفسد حديث أهل الكوفة الأعمش وأبو إسحاق يعني للتدليس^(١) .

رواية البخاري وقتل الإمام الحسين عليه السلام :

ومما يقدح في أبي إسحاق السبيعي ، هو روايته عن عمر بن سعد قاتل الإمام الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة .

قال الذهبي : عمر بن سعد هو في نفسه غير متهم (!!) لكنّه باشر قتال الحسين وفعل الأفاعيل . روى شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن العيزار بن حريث ، عن عمر بن سعد ، فقام إليه رجل فقال : أما تخاف الله ؟ تروي عن عمر بن سعد ، فبكى وقال : لا أعود .

وقال أحمد بن زهير : سألت ابن معين أعمر بن سعد ثقة ؟ فقال : كيف يكون من قتل الحسين ثقة . قال خليفة : قتله المختار سنة خمس وستين^(٢) .

والأنكى من ذلك كله روايته عن شمر بن ذي الجوشن ، الذي باشر قتل الإمام الحسين عليه السلام ، واحتز رأسه الشريف .

قال الذهبي : « شمر بن ذي الجوشن أبو السابغة الضبابي ، عن أبيه وعنه

(١) تهذيب التهذيب : ٥٩/٨ [١٠٠] .

(٢) ميزان الاعتدال : ٢٣٨/٥ [٦١٢٢] .

أبو إسحاق السبعي . ليس بأهل للرواية ، فإنه أحد قتلة الحسين عليه السلام ، وقد قتله أعوان المختار»^(١) .

روى أبو بكر بن عياش عن ابن إسحاق قال : كان شمر يصليّ معنا ، ثمّ يقول : اللهمّ إنك تعلم أنّي شريف فاغفرلي !!!

قلت : كيف يغفر الله لك وقد أعنت على قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قال : ويحك ! فكيف نصنع ؟ إنّ أمراءنا هؤلاء أمرونا بأمرٍ فلم نخالفهم ، ولو خالفناهم لكننا شرّاً من هذه الحمر السقاة !!!

قلت : إنّ هذا لعذر قبيح ، فإنّما الطاعة في المعروف^(٢) .

أقول : إنّ شمر بن ذي الجوشن يكشف عن الثقافة التي سادت في ذلك الزمان بفعل ما روّجه الساسة الأمويّون من أجل دوام سلطانهم ، فلذا وضعوا الكثير من الأحاديث عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وجوب طاعة الأمير برّاً كان أم فاجراً ، حتّى فيما خالف أمر الله تعالى ، بل حتّى لو كانوا شياطين في جثمان إنسان^(٣) ! ولذلك وقفوا بوجه الإمام الحسين عليه السلام وقتلوه وأهل بيته حينما تصدّى لهذا الانحراف^(٤) .

نكتفي بهذا المقدار من بحث الإسناد والرجال ، باعتبار أنّ ما يخص موضوع

(١) و (٢) ميزان الاعتدال : ٣/٣٨٥ ، ط : دار الكتب العلميّة - بيروت .

(٣) من جملة هذه الروايات الموضوعية ، الرواية التالية : «ستكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ، ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم رجال قلوبهم قلوب رجال ، شياطين في جُسمان إنسانٍ . قال حذيفة : كيف أصنعُ إنّ أدركني ذلك ؟ قال : اسمع الأمير الأعظم وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك» !! كنز العمال : الحديث ١٤٨٤٢ ، انظر الأحاديث : ١٤٨١٧ ، ١٤٨١٥ ، ١٤٥٨١ وغيرها .

(٤) كشف الإمام الحسين عليه السلام عن ذلك الواقع المنحرف من خلال الكثير من خطبه ورسائله . انظر مقتل الحسين للخوارزمي .

بحثنا هو رواية البخاري بالطريق الأول ورواية مسلم بالطريق الثالث ، ورواية أحمد ، ورواية ابن ماجه ، وكلُّ هذه الطرق قد تكرر فيها الرواة الضعاف والمدلسون والذين لا يروون عن الثقات .

خلاصة الكلام: الرواية موهونة ولا يمكن الأخذ بها وذلك لأمرين أساسيين :

١ - ضعف الإسناد .

٢ - معارضتها للقرآن الكريم (آية المباهلة) .

الرواية المعارضة الثانية:

ما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ، قال : « أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، أنبأنا أبو الفضل بن الكريدي ، أنبأنا أبو الحسن العتيقي ، نا^(١) أبو الحسن الدارقطني ، نا أبو الحسين أحمد بن قاج ، نا محمد بن جرير الطبري - إملاءً - نا سعيد بن عنبه الرازي ، نا الهيثم بن عدي ، قال : « سمعت جعفر بن محمد ، عن أبيه في هذه الآية ﴿ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ . قال : فجاء بأبي بكر وولده ، وبعمرو وولده ، وبعثمان وولده ، وبعلي وولده »^(٢) .

المناقشة:

إنَّ مارواه ابن عساكر لم يخرج له أحد من أرباب الصحاح والمسانيد والمعاجم ، وهو مما انفرد به ابن عساكر ، وذكره في ترجمة عثمان بالذات ، وعليه فهي غير صالحة لمعارضة تلك الروايات التي أخرجها أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم ، ونصَّ الحاكم على تواترها .

هذا الحديث موهون وموضوع وباطل سنداً ومتناً .

(١) ملاحظة: (نا) = مختصر (أنبأنا) ، هكذا ورد الاختصار في كتب الحديث ، فلاحظ .

(٢) تاريخ دمشق - ترجمة عثمان : ١٧٧/٣٩ .

المناقشة السندية :

أما سنداً: نذكر اثنين من رجاله - مكتفين بذلك -:

الأول: سعيد بن عنبسة الرازي

قال يحيى: كذاب .

وقال أبو حاتم: لا يصدق^(١) .

وقال ابن أبي حاتم: سمع منه أبي ولم يحدث عنه ، وقال: فيه نظر .

وقال ابن معين: لا أعرفه ، فقبل له : إنه حدث عن أبي عبدة الحداد بحديث

دالان .

فقال: هذا كذاب .

وقال ابن الجنيد: كذاب^(٢) .

الثاني: الهيثم بن عدي الطائي

قال البخاري: ليس بثقة كان يكذب .

قال يعقوب بن محمد: حدثنا عبد الرحمن من أهل منبج ، وأمه من سبي منبج ،

سكتوا عنه وروى عباس ، عن يحيى: ليس بثقة . كان يكذب .

وقال أبو داود: كذاب .

وقال النسائي وغيره: متروك الحديث .

قال عباس الدوري: حدثنا بعض أصحابنا ، قال: قالت جارية الهيثم بن عدي:

كان مولاي يقوم عامّة الليل يصلي ، فإذا أصبح جلس يكذب^(٣) .

قال النسائي: متروك الحديث^(٤) .

(١) ميزان الاعتدال: ٢٢٣/٣ [٣٢٥١] .

(٢) لسان الميزان: ٤٦/٣ [٣٧٦٥] . وانظر الجرح والتعديل: ٥١/٤ [٢٧٧/٥٣٤٦] .

(٣) ميزان الاعتدال: ١١١/٧ [٩٣١٩] .

(٤) الضعفاء والمتروكين ، للنسائي: ٢٤١ .

قال ابن حبان: « روى عن الثقات أشياء كأنها موضوعة يسبق إلى القلب أنه كان يدلسها ، فالتزق تلك المعضلات به ووجب مجانية حديثه »^(١).

المناقشة الدالية :

١ - عند التأمل في الرواية تجد أنها مخالفة لصريح القرآن ، حيث إن النبي صلى الله عليه وآله أمر أن يدعو الأبناء والنساء والأنفس . فكيف يكتفي بدعوة الأبناء والرجال فحسب فأين موضوع النساء - فاطمة الزهراء عليها السلام - في الحديث ؟

٢ - إن رائحة الوضع والجعل تفوح منها ، بحيث إن (الهيثم بن عدي) يتقول على الإمامين الصادق والباقر وهما من أئمة أهل البيت عليهم السلام فكيف يخالفان صراحة مارواه أهل البيت عليهم السلام ، ولقد ذكرنا مناقشة علي عليه السلام للشورى وما رواه سعد ، وقد ذكرهما ابن عساكر نفسه في تاريخه .

٣ - الرواية مخالفة لما مرّ عليك من روايات صحيحة نقلها ورواها أصحاب الصحاح وأئمة الحديث والتفسير .

وقد أشار إلى ذلك الألويسي في تفسيره بعد أن ذكر تلك الرواية فقال : « وهذا خلاف مارواه الجمهور »^(٢).

فلكل تلك الأسباب المتقدمة تكون الرواية ساقطة عن الاعتبار سنداً وامتناً . هذا حال الروايات المخالفة التي ذكرناها . بقيت روايات أخرى مخالفة أيضاً أهملناها لكونها غير جديرة بالمناقشة ، كما في الرواية التالية : « فأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وغدا حسن وحسين وفاطمة وناس من أصحابه » .

فلاحظ فيها التعظيم عن ذكر علي عليه السلام واستبداله بناس من أصحابه . ورواية أخرى : عن عمر ، أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله : لو لاعتنهم يا رسول الله بيد من كنت

(١) المجروحين ، لابن حبان : ٩٣/٣ .

(٢) تفسير روح المعاني : ٣٠٣/٣/٣م .

تأخذ؟ قال عليه السلام: «أخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة»^(١).
فهي تفترض المباهلة افتراضاً والنبي عليه السلام يجب عن ذلك الافتراض، بمعنى أن الأمر لم يتحقق.

هذه الروايات لا قيمة علمية لإسنادها ولا أهمية لدلالاتها، وذلك لمخالفتها للكتاب الكريم والواقع والتاريخ، فلذا أعرضنا عن مناقشتها.

الأمر السادس: محاولات التّعيم على أصل الخبر

ومما يجدر الإشارة إليه، أنّ بعض أصحاب السّير حاول التّعيم بعدم ذكر الخبر من أصله، رغم كون المباهلة تعتبر من الأدلة القويّة والظاهرة في أحقيّة النّبوة الخاتمة، وما فيها من معانٍ معنوية رائعة تبرز جنوح الدين الإسلامي الحنيف في ميادين المواجهة نحو الهدى الروحي والابتهاال بدل الصراع والحرب.

ومن هؤلاء ابن هشام في سيرته، حيث إنّه قد ذكر القصة مفصلاً ومطوّلاً، ولكنّه عندما وصل إلى خبر المباهلة حاول أن يذكرها بعبارات مقتضبة متجاوزاً عن ذكر من اصطحبهم رسول الله عليه السلام للمباهلة، وعن ذكر سبب ترك الوفد للمباهلة حيث أوجزها بهذه العبارة «... فلما أتى رسول الله عليه السلام الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعنتهم أن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك...».

فاكتفى بهذه العبارة الغامضة والتي لا توحى لك شيئاً، بل تسلب كلّ القيم المعنويّة المتواخّاة من عملية المباهلة، وما فيها من معالم النصر والدعم والتأييد لديننا الإسلامي الحنيف.

وإليك مارواه ابن كثير في تفسيره، نقلاً عن سيرته: «قال ابن إسحاق في سيرته وغيره: قدم على رسول الله عليه السلام وفد نصارى نجران...».

(١) انظر تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٤/١.

إلى أن قال : ثم تكلم ابن إسحاق على تفسيرها إلى أن قال : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله الخبر من الله عنه ، والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعنتهم أن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه ثم انصرفوا عنه ثم خلو بالعاقب ، وكان ذا رأيهم فقالوا : يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم إنَّ محمدًا لنبيّ مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبياً قط ، فبقي كبيرهم ولا ثبت صغيرهم ، وأنه الاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرّجل وانصرفوا إلى بلادكم . فأتوا النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا ... الخ» (١) .

أقول : وهو كما ترى ، ولا حاجة للتعليق والمناقشة . فحكايته موهونة في نفسها ، بعد تعظيمه للفضيلة الناصعة لأهل البيت عليهم السلام ، والتي لم يستطع أحد على إخفائها بعد أن ثبتها الوحي في قرآنه وفي اللوح المحفوظ .

الأمر السابع : نتائج البحث

نوجز نتائج البحث من كلّ ما تقدّم بالنقاط التالية :

١ - إنّ المباهلة في واقعها ارتباط وثيق بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، عالم العقل وعالم المادة ، عالم الملكوت وعالم العبودية ، وهذا الارتباط الوثيق إذا ما تحقّق يحدث نقلة نوعية روحية عالية لدى المبتهلين المحقّين الصادقين وأتباعهم ، وهذا ما لا يمكن تحديده بحدّ ولا توصيفه بوصف ، بل لا يعقل الإحاطة به لأحدٍ إلاّ لعلام الغيوب ، والمطلّع على السرّ المحجوب ، وهي كرامات للأولياء ، ونصر للأنبياء .

(١) تفسير ابن كثير : ٤٣/٢ . انظر سيرة ابن هشام (١ - ٢) / ٥٧٦ - ٥٨٤ ، دار المعرفة - بيروت .

٢- تتجلى عظمة المباهلة ، في كونها لإقامة الحق والدفاع عنه ، ودحض الباطل والتغلب عليه ، وإنهاء حالة الجدل القائمة - آنذاك - واستبدالها بالمنطق القوي الذي لا يُهزم ، مقابل انهزام الباطل وتفهقره ، وإبقاء النور المحمّدي ورسالته الخالدة حيّة منتصرة ، ومتحدّية للباطل على طول خط الصراع .

٣- وفي المباهلة تجلّت الصورة المشرقة للنبي محمّد صلى الله عليه وآله بمدى تضحيته وصبره واستعداده الكامل لتقديم أعزّ وأقرب الخلق إليه - أهل البيت عليهم السلام - فداءً للرسالة المحمّديّة الخاتمة .

٤- ومن خلال ما ورد من روايات صحيحة في الصحاح والمسانيد والجوامع الحديثيّة والتفسير في كون الذين دعاهم النبي صلى الله عليه وآله بأمرٍ من الله عزّ وجلّ هم الحسن والحسين وفاطمة وعلي عليهم السلام ، وهكذا مثل الحسن والحسين ﴿أبناءنا﴾ في الآية ، ومثّلت الزهراء (نساءنا) في الآية ، ومثّل عليّ بن أبي طالب ﴿وأنفسنا﴾ في الآية ، والنبي صلى الله عليه وآله هو صاحب الدعوة ، طالباً منهم أن يؤمّنوا على دعائه بابتهاج وخشوع ، لدحر الباطل ونصر الحق وإقامته ، وهذا هو الذي قد تحقّق إلى يوم الدين ، وهي منقبة سامية لأهل البيت عليهم السلام لا يدانيهم فيها أحد ، وتُثبت أفضليتهم على من سواهم ، ولا بدّ من التسليم والإذعان إلى ما يريد الله ورسوله .

٥- القصّة تُثبت أنّ الدين الإسلامي الحنيف يجنح في عملية المواجهة والصراع ، إلى الحوار الفكري والروحي والتأثير في مخالفه بالمحاولات المختلفة للاقتناع الإنساني ، أو الانتقال إلى عملية التضرّع والابتهاج ، والمباهلة ، قبل الاحتراب ، وفي هذا الضوء جرت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله عند مواجهته لخصومه ، وكذا جرت سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام .

٦- مدى محاولات التعقيم والتضليل التي مورست من أجل تضييع أو تشويه أسباب النزول الحقيقيّة ، ومدى فشل هذه المحاولات ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، وتظهر حقائقه .

الآية الثالثة :

آية الاعتصام بحبل الله

قال تعالى : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١).

الدراسة

قال تعالى : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ . هذه الآية الشريفة هي في غاية الأهمية والخطورة ؛ إذ تشير إلى تبيان المنهج القويم والطريق المنجي للأمة بأفرادها وكياناتها .

فلا بدّ من معرفة المنهج واستيضاح الطريق وتوقُّر المناخ المعرفي المناسب ، ليتم التمسُّك والاعتصام به ، فتتحقّق النّجاة من الهلاك والضّلال والانحراف لمن أراد الاعتصام وسعى سعيه وسار بهديه .

فالآية تحدّد مسار الأُمَّة ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، إذن هي بمكان من الأهمية والخطورة . فلا بدّ من دراستها دراسة فائقة ودقيقة ، وتسليط الضوء على النقاط المهمة ، بما ينسجم مع المنهج ودون إسهاب . والله ولي التوفيق .

والبحث سيكون - إن شاء الله - في الأمور التالية :

الأمر الأول: مفردات الآية

﴿اعْتَصِمُوا﴾:

قال الراغب: العصم الإمساك . والاعتصام الاستمساك ، والاعتصام التمسك بالشيء ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ﴾^(١) واستعصم استمسك كأنه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة^(٢).

واعتصم: أي تمسك واستمسك^(٣).

الحبل: الحبل معروف ، قال عز وجل: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾^(٤).

وشبهه به من حيث الهيئة حبل الوريد وحبل العاتق والحبل المستطيل من الرمل ، واستعير للوصل ولكل ما يتوصل به إلى شيء ، قال عز وجل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ ، فحبله هو الذي معه التوصل به إليه - تعالى - من القرآن والعقل وغير ذلك مما إذا اعتصمت به أذاك إلى جواره ، ويقال للعهد حبل^(٥).

وقال الطريحي: الحبل: العهد والأمان ، قال تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنْ النَّاسِ﴾^(٦) أي: إلا معتصمين بذمة الله تعالى أو كتابه الذي أتاهم ، وذمة المسلمين وأتباع سبيل المؤمنين ، ويُسمى العهد حبلًا لأنه يُعقد به الأمان كما يُعقد الشيء بالحبل^(٧).

(١) آل عمران: ١٠١.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٣٧٧.

(٣) مجمع البحرين: ١٢٢٦/٢.

(٤) المسد: ٥.

(٥) مفردات الراغب: ١٢٠.

(٦) آل عمران: ١١٢.

(٧) مجمع البحرين: ٣٥٤/١.

قوله تعالى : ﴿ شَفَا حُفْرَةَ ﴾ :

شفا البئر وغيرها حرفه ويضرب به المثل في القرب من الهلاك^(١).

بعد أن استعرضنا مفردات الآية بمعانيها ، نودّ التّعريض لمعنى (حبل الله) وما المراد به في الآية ، كي يتم التمسك به . هذا ما سيتم تناوله مفصلاً في الأمر الثاني .

الأمر الثاني : النصوص المفسرة

وردت روايات متعددة مفسرة لمعنى (حبل الله) ، ولكي يتجلى المعنى بوضوح لا بدّ من استعراض مجمل لتلك الروايات ، واستنطاقها ودراستها ، وهي على طوائف ثلاث ، كما يلي :

الطائفة الأولى : أهل البيت عليهم السلام هم حبل الله :

الروايات المفسرة لمعنى (حبل الله) بـ (أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله) :

١ - أخرج الحاكم الحسكاني : « حدّثني أبو الحسن محمد بن القاسم الفارسي ، قال : حدّثنا أبو جعفر محمد بن علي ، قال : حدّثنا حمزة بن محمد العلوي ، قال : أخبرنا علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن الحسين بن خالد : عن علي بن موسى الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن علي عليه السلام ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْكَبَ سَفِينَةَ النِّجَاةِ ، وَيَسْتَمْسِكَ بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى ، وَيَعْتَصِمَ بِحَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ فليوال علياً ، وليأتمّ بالهداة من ولده »^(٢).

٢ - أخرج الحاكم الحسكاني أيضاً : « أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفي ، قال : حدّثنا عبدالعزيز بن يحيى بن أحمد الجلودي ، قال : حدّثني محمد بن سهل ، قال :

(١) مفردات الراغب : ٢٩٦ .

(٢) شواهد التنزيل : ١٧٧/١٦٨/١ .

حدّثني عبد العزيز بن عمرو، قال: حدّثني الحسن بن الحسن، قال: حدّثنا يحيى بن علي الربيعي، عن أبان بن تغلب، عن جعفر بن محمّد، قال: «نحن حبل الله الذي قال الله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ الآية، فالمستمسك بولاية عليّ بن أبي طالب المستمسك بالبرّ، فمن تمسّك به كان مؤمناً، ومن تركه كان خارجاً من الإيمان»^(١).

٣- أخرج الحاكم الحسكاني بإسناد متصل عن جعفر بن محمّد - الصادق عليه السلام - في قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، قال: «نحن حبل الله»^(٢).

٤- أورد ابن حجر في الصواعق: أخرج الثعلبي في تفسيره - الآية - عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «نحن حبل الله الذي قال الله فيه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وكان جدّه زين العابدين إذا تلا قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣)، يقول دعاءً طويلاً يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين والدّرجات العلية، وعلى وصف المحن، وما انتحلته المبتدعة المفارقون لأئمة الدين والشّجرة النّبويّة، ثمّ يقول: وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا، واحتجوا بمتشابه القرآن، فتأولوا بأرائهم واتّهموا مآثور الخبر... إلى أن قال: فإلى من يفرع خلف هذه الأئمة، وقد درّست أعلام هذه الملة، ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف، يكفر بعضهم بعضاً والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(٤)، فمن الموثوق به على إبلاغ الحجّة، وتأويل الحكم إلى أهل الكتاب، وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتجّ الله

(١) شواهد التنزيل: ١٧٨/١٦٩/١.

(٢) شواهد التنزيل. وأخرجه أيضاً الشيخ الطوسي في الأمالي: ٢٧٢، الحديث (٥١٠)، وذكره

الشبلنجي في نور الأبصار: ١٧١.

(٣) التوبة: ١١٩.

(٤) آل عمران: ١٠٥.

بهم على عباده ولم يدع الخلق سُدى من غير حجة ، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة ، وبقايا الصَّفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطَهَّرهم تطهيراً ، وبرزأهم من الآفات ، وافترض مودَّتهم في الكتاب ؟» ^(١) .

الخلاصة : هذه الطائفة من الروايات فسَّرت المراد بـ (حبل الله) هم (أهل البيت عليهم السلام) ، بمعنى أن التَّمسُّك بهم يُوَدِّي إلى التَّمسُّك بالقرآن وبالإسلام وبما يريد الله تعالى لأنَّهم مطهَّرون ، فقد طَهَّرهم الله من كلِّ رجس وندس تطهيراً ، فهم لا يدعون إلى أنفسهم وذواتهم ، وإنَّما دعوتهم إلى الله ورسوله ، فالتَّمسُّك بهم والاعتصام بحبلهم هو اعتصام بحبل الله تعالى ، ويؤيد هذا المعنى ، ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله متواتراً : «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ» . ومصادر هذا الحديث أكثر من أن تحصى ^(٢) .

الطائفة الثانية : القرآن حبل الله

النُّصوص المفسَّرة لـ ﴿حَبْلِ اللَّهِ﴾ بالقرآن وكتاب الله تعالى . وفي هذا المعنى روايات متعددة نستعرض بعضاً منها :

١ - أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن أبي سعيد الخدري ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض » ^(٣) .

٢ - أخرج ابن جرير في تفسيره : حدَّثنا محمد ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، عن

(١) الصواعق المحرقة : ٤٤٤/٢ .

(٢) قال ابن حجر في صواعقه : « الحديث جاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً » الصواعق

المحرقة : ٤٤٥/٢ . انظر المستدرک على الصحيحين : ٤٧٢٠/١٦٣/٣ . فرائد السمطين :

٥١٩/٢٤٦/٢ . ينابيع المودَّة : ٥/٩٤/١ . المناقب ، لابن المغازلي : ١٣٢ - ١٣٤ ، وغيرها

من المصادر الحديثية ، وسيأتي بيانها لاحقاً إن شاء الله تعالى .

(٣) الدر المنثور : ٢٦٩/٢ .

أسباط ، عن السُّديّ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ : «أَمَّا حَبْلُ اللَّهِ ، فكِتَابُ اللَّهِ»^(١).
 ٣- وأخرج أيضاً: حدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله :
 ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ : « حبل الله المتين الذي أمر أن يُعتصم به هذا
 القرآن»^(٢).

٤- وأخرج أيضاً: حدّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن
 جويبر ، عن الضحاك في قوله : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ ، قال : «القرآن»^(٣).

الطائفة الثالثة : الإسلام حبل الله

الروايات المفسّرة لـ ﴿حَبْلِ اللَّهِ﴾ بـ (عهد الله ، الإسلام ، والإخلاص لله وحده) :
 وفي هذا المعنى روايات أخرى نستعرضها :

١- أخرج ابن جرير: حدّثني محمّد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،
 عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ﴿حَبْلِ اللَّهِ﴾ : بعهد الله»^(٤).

٢- أخرج ابن جرير: حدّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدالله بن أبي
 جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾
 وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ يقول : «اعتصموا بالإخلاص لله وحده»^(٥).

٣- أخرج ابن جرير: حدّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : « قال ابن زيد
 في قوله تعالى : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ قال : الحبل الإسلام»^(٦).

الأمر الثالث : حصاد جمع النصوص

من خلال ما تقدّم من روايات يمكن استخلاص نتيجة قيّمة ومؤثّرة في مدار
 الواقع الاجتماعي والعائدي للأمة ، إذ المعاني والمصاديق التي ذكرت في تفسير

﴿ حَبْلِ اللَّهِ ﴾ ، كلُّها متقاربة - كما يقول الألويسي ^(١) - بل مترابطة ومتشابكة ، إذ تكوّن بمجموعها منظومة فكرية وعملية في مجال الاقتداء ، فكلُّ تلك الطُّرق لابدَّ وأنْ تؤدّي إلى الله ، لأنّ المراد من الحبل الإلهي هو كل وسيلة للارتباط بالله تعالى ، سواء كانت هذه الوسيلة هي الإسلام ، أم القرآن الكريم أم النّبّي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين .

وبعبارة أخرى : « فإنَّ كلَّ ما قيل يدخل بأجمعه في مفهوم ما يحقّق الارتباط بالله سبحانه - الواسع - والذي يستفاد من معنى حبل الله » ^(٢) .

ويؤيّد المعنى أعلاه ماورد من روايات صحيحة عن النّبّي الأكرم صلى الله عليه وآله ، تزيد من تعميق الترابط بين تلك المفردات ، لتحقّق ما أمر الله تعالى به ورسوله .

فيما يلي نماذج من تلك الروايات :

١ - أخرج أحمد بن حنبل بإسناده ، عن زيد بن ثابت ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله عزّ وجلّ ، حبل ممدود ما بين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض » ^(٣) .

٢ - وأخرج الطبراني عن زيد بن أرقم : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إني لكم فرط وإنكم واردون عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين .

قيل : وما الثقلان يارسول الله ؟

قال : الأكبر كتابُ الله عزّ وجلّ سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به لن تزالوا ولا تضلوا ، والأصغر عترتي ، وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، وسألت

(١) راجع روح المعاني : م٣/٤/٣٠ .

(٢) تفسير الأمل : ٤٧٢/٢ .

(٣) مسند أحمد - كتاب مسند الأنصار : ٤٥٦/٣٥ ، الحديث ٢١٥٧٨ ، باب حديث زيد بن ثابت عن النّبّي .

لهما ذاك ربي فلا تقدموهما لتهلكوا ، ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم»^(١) .

٣- وأخرج ابن سعد وأحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال : «إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(٢) .

٤- أورد الطبرسي في التفسير: روى أبو سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : أيها الناس إني قد تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي ، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٣) .

هذا ما أشارت إليه السُّنَّة المطهَّرة ، وما أراده النبي صلى الله عليه وآله لأُمَّته كي تعيش حالة الهدى وتبتعد عن حالات الضلال والانحراف ، فتمسك بالحبلين معاً ، وفي حقيقتهما وواقعهما هما حبل واحد يجسد روح الشريعة المحمدية الغراء ، فالعترة الهادية تدعو إلى الكتاب والتمسك به وفهم معانيه وتأويله وتفسيره وهم الأقدر على تفسيره ، والكتاب يدعو المؤمنين إلى أن يكونوا مع النبي الكريم وأهل بيته الطاهرين . قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٤) .

الأمر الرابع : في التفسير

إننا نشعر بالوجدان أن الآية الشريفة تتضمن معنى عميقاً جداً ومهماً بنفس

(١) الدر المنثور: ٢٧٠/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ، لابن سعد: ١٥٠/٢ .

(٣) مجمع البيان: ٢٧٤/٢ . إن لهذا الحديث طرقاً كثيرة جداً فاقت حدّ التواتر ، ووردت في الصحاح والسنن والمسانيد والجوامع الحديثية ، سيأتي بيانها لاحقاً إن شاء الله تعالى .

(٤) التوبة: ١١٩ .

الوقت ؛ إذ الآية تبين منهجاً عملياً في مجال الاقتداء ، وفي مجال الفكر . فهي ترشد إلى منهجين بنفس الوقت ، منهج علمي ومنهج عملي .

كيف يتحقق المنهجان ؟

أمّا العلمي فيتمّ عن طريق الكتاب .

وأما العملي فيتم عن طريق الاتباع واقتفاء الأثر والتطبيق ؛ إذ التعبير الدقيق الذي أوردته الآية ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ فهو التمسك والاستمسك وبه تتحقق النجاة ؛ إذ الاعتصام بالشيء ليس التمسك به فحسب بل التمسك المؤدي إلى النجاة .

وفي تعبير الآية بـ ﴿يَحْبِلِ اللَّهُ﴾ إبراز لمعنى دقيق آخر ، « وإشارة إلى حقيقة لطيفة وهامة ، هي أنّ الإنسان سيبقى في حضيض الجهل والغفلة ، وفي قاع الغرائز الجامحة ، إذا لم تتوفر له شروط الهداية ، ولم يتهيأ له الهادي والمربي الصالح ، فلا بدّ للخروج من هذا القاع ، والارتفاع عن هذا الحضيض ، من حبل متين يتمسك به ليخرجه من بئر المادية والجهل والغفلة ، وينقذه من أسر الطبيعة ، وهذا الحبل ليس إلا حبل الله المتين وهو الارتباط بالله عن طريق الأخذ بتعاليم القرآن الكريم والقادة الهداة الحقيقيين ، التي ترتفع بالناس من حضيض الحضيض إلى أعلى الذرى في سماء التكامل المادي والمعنوي»^(١) .

وهذا الحبل هو حبل النجاة ، لكلّ غريق ، وكلّ من يريد أن ينجو ، فعليه التمسك به والاعتصام به ، بل والاتجاء إليه والالتفاف حوله ، ليكون محوراً لحركة الإنسان في واقع المجتمع وميدان العمل ، وليكون حالة سلوكية في ميادين المواجهة والتحدّيات ، وفي المراحل المختلفة للتجاذبات الفكرية في البحر المتلاطم للأفكار والرؤى والعقائد المختلفة .

(١) تفسير الأمثل : ٤٧٢/٢ .

فالاعتصام به يقتضي الالتجاء إليه ، والالتجاء إليه يقتضي التَّمحور حوله والارتباط به ارتباطاً وثيقاً لا انفصام له ، وهذا يحقّق النّجاة ، قال تعالى :

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١).

وفي تعبير الآية بـ ﴿ جَمِيعاً ﴾ ، معنى دقيق آخر ، إذ التمسك بحبل الله ، ليس لتبيان العلاقة الفردية للإنسان فيما يؤدّيه في الصوامع العبادية أو داخل البيت فحسب ، كلا ، وإنما المراد به ، المنهج لكلّ النسيج الاجتماعي للأمة كي تتحقّق عملية الوحدة الفكرية والمنهجية والسلوكية في العلاقة مع الله تعالى فيما يريده ، ومع الواقع الاجتماعي ، ولهذا أشارت الآية الشريفة : ﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ (٢).

وفي هذا الضوء ، فإنّ الكتاب العزيز ، والرسول الكريم صلى الله عليه وآله ، وعترته الطاهرة ، معالم هداية ومصاديق حبل الله تعالى ، وإنّ حقيقة هذا الحبل هي الإنسانيّة الكاملة المجسّدة لكمال العبوديّة لله تعالى ، والتي هي في حقيقتها تمثّل الصّراط المستقيم والمنهج القويم ، الذي إنّ تمسّكت الأمة به ، نجّت ، وأفلحت ، وتصدّرت المكانة الوسط لها بين الأمم ، وأما إنّ تخلّفت عنه ، خابت ، وخسرت ، وتكالبت عليها الأمم عندئذٍ .

ففي الآية دلالات متعدّدة ومؤكّدة ، تدعو إلى الاعتصام بحبل الله على نحو الجمع ، فهي تدعو الأمة والمجتمع إلى المنهج العملي والعلمي للاعتصام بحبل الله تعالى .

« فقوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا ﴾ ثمّ أكّده بقوله تعالى : ﴿ جَمِيعاً ﴾ وثالثة بقوله :

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ؛ لأنَّ اختلاف الأُمَّة أحزاباً وأشباعاً أضرَّ شيء بالنظام ، ويستفاد من ذلك ، أنَّ هذا الحكم لا يتحقَّق حدوثاً وبقاءً إلا على نحو الجمع والاجتماع ، فالاعتصام الفردي من دون الجماعة ، لا يثبت المطلوب والغرض من هذا الحكم ، فيكون عدم الاجتماع على هذا الحكم من موجبات التفرُّق والاختلاف والوقوع في المهالك ، فالآية السابقة - ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١) - تتعرض لحكم الفرد من حيث التقوى والموت على الإسلام ، وهذه الآية - وَاعْتَصِمُوا - تتعرض لحكم الجماعة^(٢) .

وبنفس هذا المعنى وذات الاتجاه والتوجُّه أشار النبي صلى الله عليه وآله إلى أمته في حديثه الموسوم بحديث الثقلين ، « ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً » ، فهو قد أشار صلى الله عليه وآله إلى كتاب الله تعالى كمنهج فكري ودستوري ، وأشار إلى عترته الطاهرة للاقتداء بهم في المجال العملي والحياتي والميداني لتتحقق الوحدة لجماعة المسلمين ، بلا تفرُّق ، وتسعد الأمة حينئذٍ دنيا وآخرة .

التذكير بنعمة التَّخْلِص من الماضي :

قال تعالى : ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ .

ولكي لا تغيب المشاهد التاريخية الماضية عن ذهن الأمة وضميرها يذكّرهم المولى بها ، من أجل الالتفات إلى نعمة الواقع الجديد ، والاهتمام به واستشراف المستقبل .

فلذا يذكّرهم عزّ وجلّ بأهميّة الاعتصام بحبل الله تعالى والنتائج الطيبة المترتبة

(١) آل عمران : ١٠٢ .

(٢) مواهب الرحمن : ١٨٩/٦ .

عليه . هذه الصورة تمثل لوحة فنية رائعة ، فهي تطلب النظر بعينين ، عين إلى الماضي كي لا تغيب صورته عنهم ، ويتصوروا بشاعة منظرها ، من التناحر والتقاتل والتمزق والعداوة والبغضاء... ، وعين إلى الحاضر الجديد المزدهر المملوء بالمحبة والرحمة والألفة والإخاء...

﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ .

وليقارنوا بينهما على الدوام ، وأن لا يغيب المشهد عن أعينهم وعن وعيهم :
﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ .

فهي تصوّر الحالة السابقة المأساوية ، من أنهم كانوا على طرف الهاوية والجحيم الأخرى أو الدنيوي ، فإطلاقها يمكن أن يشملهما معاً ، جحيم أخروي بسبب كفرهم وبعدهم عن الحق ، فليس بينهم وبين الجحيم إلا الموت .

وجحيم دنيوي هو الواقع الممزق المعاش والمهدد بالفناء والزوال نتيجة لاستمرار الحروب والقتال والصراع ، فهم بين جحيمين لا محالة ، لولا رحمة الله ونعمته الكبرى ، فأنقذهم منها ، وعندئذ تحوّلت الصور المأساوية السابقة إلى قيم إنسانية رائعة ، إذ تحوّل العدا إلى إخاء ، وتحوّل التقاتل إلى تعاضد ، وتحوّل البغضاء والشحناء إلى محبة ووداد ، وتحوّل السرقة إلى أمانة... إنها نعمة التمسك بحبل الله والاعتصام به ، وما تختزن هذه النعمة الكبرى من قيم إنسانية سامية .

مواقف وأقوال :

هذا التحول السحري العجيب لأمة الإسلام ، حدى كثيراً من العلماء والمؤرخين من غير المسلمين على أن يسجّلوا ملاحظاتهم وإعجابهم بها .

مقالة العالم الفرنسي «كلود كاهن» :

« ويبدو لنا نشوء الإسلام مع فتوحاته الخاطفة وكأنّها من الأمور الخارقة . ثمة

شعب حامل الذكر - حتى تلك الفترة من الزمن - استطاع أن يجمع كلمته بدافع عقيدة جديدة. وما هي إلا سنوات حتى بسط سلطانه على الامبراطورية الساسانية قاطبة ، وكذلك جميع الأقاليم الآسيوية والأفريقية التابعة للدولة البيزنطية باستثناء غربي آسيا الصغرى ، ثم لم يلبث أن ضم إليه الجزء الأكبر من أسبانيا بالإضافة إلى جزيرة صقلية ، واستولى مؤقتاً على مواقع أخرى في قارة أوروبا ، وهو في الوقت نفسه قد طرق أبواب الهند والصين والحبشة والسودان الغربي وبلاد غالية ومدينة القسطنطينية . فتداعت أمامه أعرق الدول ، وخضعت لهذا الدين الجديد جميع الديانات التي استقرت في البلاد المترامية الأطراف من نهر سيحون حتى السنغال . أما الحضارة الجديدة التي انبثقت عن هذه الفتوح فقد كانت من أزهى الحضارات ، فهي قد أفادت الغرب من علومها وفي شتى الميادين ، بعد أن حضنت النصيب الأكبر من التراث القديم وأمدته بالحياة ..» (١) .

مقالة المستشرق الفرنسي « جاك ريسلر » :

« لقد تمكن محمد صلى الله عليه وآله بقوة المثال الديني بوجه خاص ، من تحقيقه مقاصده الكبرى . فقد كانت القبائل العربية تعيش منطوية على ذاتها ، مستقلة عن بعضها ومتخاصمة ، وثنية وشعبية . فجاء الدين القرآني ليرص صفوفهم ويوطد قواهم الكامنة ، فركز على خيال إنسان الصحراء ومخاوفه وآماله ، وعلمه من خلال تعاليم ثابتة الانضباط الفردي والجماعي الذي كان ينقصه . والواقع أن الدين كوّن من شتات محاربين أشداء وملتزمين ، جنين شعب متماسك ومنضبط سيثبت أنه شعب لا يغلب .

وعليه ، فقد أمّن محمد صلى الله عليه وآله على مدى أجيال وأجيال تفوق الشعب العربي حين أمده بدين فائق ببساطته ووضوحه ، وزوّده بتوحيد صارم في مواجهة

(١) تأريخ العرب والشعوب الإسلامية ، لكلود كاهن : ٥/١ - ٦ .

التردد الدائم في الضمائر.

وإذا أخذنا في الاعتبار أن هذا المشروع الضخم قد جرى تصوّره وإنجازه في أقصر فترة من فترات أيّ وجود بشري ، فعندها لا بدّ لنا من الاعتراف بأنّ النبيّ يُعدُّ من أعظم الرجال الذين يمثلون تاريخ الشعوب والأديان»^(١).

ويكتب «نهر» العالم والسياسي الهندي الراحل في هذا الصدد قائلاً:

«والمدهش حقاً أن نلاحظ هذا الشعب العربي الذي ظلّ منسياً أجيالاً عديدة بعيداً عمّا يجري حوله قد استيقظ فجأة ووثب بنشاط فائق أدهش العالم وقلبه رأساً على عقب. وإنّ قصة انتشار العرب في آسيا وأوروبا وأفريقيا والحضارة الراقية والمدنيّة الزاهرة التي قدّموها للعالم هي اعجوبة من اعجوبات التاريخ!»^(٢).

ويضيف قائلاً: «إنّ الإسلام هو الباعث والفكرة لهذه اليقظة العربية بما بثّه في أتباعه من ثقة ونشاط»^(٣).

وقال أيضاً: «وقد هيأ محمد صلى الله عليه وآله بهذه الثقة وهذا الإيمان لأُمَّته أسباب القوة والعزة والمنعة وحوّلها من سكان صحراء إلى سادة يفتحون نصف العالم المعروف في زمانهم»^(٤).

كلُّ هذه النعم القيّمة تحتاج إلى مزيد من التفكير والتأمّل والاعتبار لتحقيق مديات واسعة من الالتزام بمسبّباتها ومقتضياتها. والهدف كلّ الهدف من ذلك كلّهُ هو خلاصكم ونجاتكم وهدايتكم وفوزكم وسعادتكم وعلوّكم بين الأمم والشعوب ، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

(١) الحضارة العربية ، لجاك ريسلر : ٤٤ .

(٢) لمحات من تاريخ العالم ، لجواهر لال نهرو : ٢٣ .

(٣) المصدر السابق : ٢٤ .

(٤) المصدر السابق : ٢٦ .

هدانا الله وإياكم يا أمة محمد ، وجعلنا من المتمسكين والمعتصمين بحبل الله المتين ، المتمثل بقرآنه المبين ونبيه الأمين وآله الميامين والأولياء والصالحين^(١) .

(١) وفي ختام البحث نود أن نشير إلى وجود روايات أخرى تُظهرُ معنى آخر غير ما ذكرناه ، ولكن أعرضنا عن ذكرها إما لكونها تتضمن ما تقدّم من معنى ، أو لخدش في دلالتها باعتبارها مخالفة للكتاب والصحيح من السنّة ، أو لوهنٍ وضعف في سندها . فعلى سبيل المثال : ما أورده ابن أبي حاتم في تفسيره ، عند ذكره للوجه الثاني لمعنى (حبل الله) ، قال : حدّثنا أبي ، ثنا أبو صالح ، حدّثني معاوية بن صالح ، عن الأوزاعي ، عن يزيد الرّقاشي ، عن أنس بن مالك ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : افتترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة ، وإنّ أمّتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة ، كلّهم في النار إلا واحدة . قالوا : يا رسول الله ، ومن هذه الواحدة ؟ قال : الجماعة .

قال : فقبض يده ثمّ قال : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

وملاحظتنا على الرواية : أنّ بعض مضمونها مرفوض . نعم ، قد يكون البعض الآخر من مضمونها مقبولاً أو متواتراً ، ولكن لا يمكن قبول هذه الرواية بسبب وهن بعض رجال سندها ، فلو استنطقنا علماء الرجال عن أحد رواتها وهو (يزيد الرّقاشي) ، لوجدناهم يقولون فيه مايلي :

قال النسائي وغيره : « متروك الحديث » . وقال الدارقطني وغيره : « ضعيف » .

قال يزيد بن هارون : « سمعت شعبة يقول : لأنّ أزني أحبّ إليّ من أن أحدث عن يزيد الرّقاشي » . وقال ابن الدورقي ، عن ابن معين : « في حديثه ضعف » . راجع ميزان الاعتدال للذهبي : ٢٣٢/٧ .

ثمّ قال يزيد : « ما كان أهون عليه الزنا . قال أحمد : كان يزيد منكر الحديث ، وكان سعيد يحمل عليه ، وكان قاصّاً . قال ابن حبان : يزيد الرّقاشي ممن غفل عن صناعة الحديث وحفظها ، واشتغل بالعبادة وأسبابها ، حتّى كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وهو لا يعلم ، فلمّا كثّر في روايته ما ليس من حديث أنس وغيره من الثقات بطل الاحتجاج به ، فلا نحلّ الرواية عنه إلاّ على سبيل التعجّب ! وكان قاصّاً يقصّ بالبصرة ويبكي الناس » . انظر كتاب المجروحين ، لابن حبان : ٩٨/٣ . كتاب الضعفاء الصغير ، للبخاري : ٦٤٢/٢٥١ . كتاب الضعفاء والمتروكين ، للنسائي : ٦٧٣/٢٥٣ .

الآية الرابعة:

آية جعل الودّ

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ

وَدًّا﴾^(١)

الشرح

الآية الشريفة تتضمن مطالب متعددة ومعاني سامية وقيّمة ، لا بدّ من تناولها بشيء من التوضيح والتفصيل .

عند مطالعتنا للآية الشريفة بتأمّل ، تستوقفنا عدّة تساؤلات :

السؤال الأوّل: هل الجعل في الآية تشريعي أم تكويني ؟ أم ماذا ؟

السؤال الثاني: ما المقصود من جعل الودّ (لهم) ؟ فهل يجعل الودّ في قلوب

الناس أم فيما بينهم ؟ أم المقصود سيعطيهم الرحمن ما يودّونه في الجنّة ؟

السؤال الثالث: أليست المحبّة من فعل الإنسان بذاته وباختياره ، فكيف يجعلها

الله في قلوب الآخرين ، مع إيماننا بكون الإنسان مختاراً ؟

السؤال الرابع: هل المقصود من (الودّ) مجرد المحبّة والميل العاطفي

والنفسي ؟ أم شيء وراء ذلك ؟

السؤال الخامس: من هم أولئك الذين سيجعل لهم الرحمن وداً ؟ فهل تشمل

كلّ مؤمن ؟ أم أنّها تختصّ بمصاديق معيّنة ؟ فمن هم مصاديقها ؟

السؤال السادس : ما هو شأن نزول الآية الشريفة ؟ وهل في المأثور روايات تبين ذلك ؟ وغيرها من الأسئلة الأخرى .

هذا ما سنتناوله خلال البحث ، ضمن الأمور التالية :

الأمر الأول : تبيان شأن النزول

لابد من استنطاق الروايات الشريفة الواردة في شأن نزول الآية ، وتبيانها والنظر في مضامينها ، واستنتاج الموقف منها ، وهي على عدة طوائف :

الطائفة الأولى : نزولها في عليّ خاصة

إنها خاصة في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

الرواية الأولى : أخرج الحافظ السلفي عن محمد بن الحنفية ، قال في تفسير هذه الآية : « لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ودّ لعليّ وأهل بيته »^(١) .

الرواية الثانية : أخرج الحاكم الحسكاني بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : « قال رسول الله لعليّ بن أبي طالب : يا عليّ ، قل ربّ اذف لي المودة في قلوب المؤمنين ، ربّ اجعل لي عندك عهداً ، ربّ اجعل لي عندك ودّاً . فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾ ، فلا تلقى مؤمناً ، ولا مؤمنة إلا وفي قلبه ودّ لأهل البيت عليهم السلام »^(٢) .

الرواية الثالثة : أخرج الحاكم الحسكاني بإسناده : عن البراء بن عازب ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب : يا عليّ ، قل : اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة ، فأنزل الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

(١) ذخائر العقبى ، للطبري : ١٥٩ . ابن حجر في الصواعق المحرقة : ٤٩٥/٢ .

(٢) شواهد التنزيل : ٤٦٤/١ ، الحديث ٤٨٩ .

الصَّلِحَتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿١﴾ قال: نزلت في علي عليه السلام « (١) » .

(١) شواهد التنزيل: ٤٦٤/١، الحديث ٤٩٠.

وأخرجه أيضاً الثعلبي في تفسير الكشف والبيان: ٢٣٣/٦، وفي الدر المنثور: ٤٧٨/٥. أخرج ابن مردويه والديلمي عن البراء... الخ، وأورده الزمخشري في الكشاف: ٤٥/٣، لكن من دون ذكر السند والمصدر. وأورده ابن عجيبة في البحر المديد: ٢٥٦/٤ في تفسير الآية، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ١٦٨/١١، والشوكاني في فتح القدير: ٤٣٣/٣، الحديث ١٦٨٩ في تفسير الآية، والإمام البخاري في فتح البيان في مقاصد القرآن: ٢٠٥/٨ في تفسير الآية، والمراغي في تفسيره: ٧٤/٦، والقندوزي في ينابيع المودة: ١٧٧/٢، باب ٥٦، الحديث ٥٠٦ و ٣٦٠، وباب ٥٨، الحديث ٢٩ و ٤٥٦، وباب ٥٩، الحديث ٢٦٥. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٩٦/١٢، الحديث ١٢٦٥٥، والجويني في فرائد السمطين: ٨٠/١، الحديث ٥٠ و ٥١، وابن مردويه في ما نزل من القرآن في علي: ٢٧٥، الحديث ٤٢٧ - ٥٣٠. والخوارزمي في المناقب بإسناده عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال: «لقيني رجل فقال: يا أبا الحسن، أما والله إنني لأحبك في الله، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بقول الرجل، فقال رسول الله: لعلك يا علي اصطنعت إليه معروفاً؟

قال: فقلت: والله ما اصطنعت إليه معروفاً.

فقال رسول الله: الحمد لله الذي جعل قلوب المؤمنين تتوق بالموودة. قال: فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾. المناقب: ٢٧٨، الحديث ٢٦٩، والطبري في ذخائر العقبى: ١٥٩، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٦٧/٩، باب من يحبه أيضاً ويبغضه، الحديث ١٤٧٢٢، والكنجي الشافعي في كفاية الطالب: ٢٤٩، والطبراني في المعجم الأوسط: ٢٤١/٦، الحديث ٥٥١٢.

هذه المصادر التي أوردناها لعلماء جمهور المسلمين على سبيل الاستطراد لا الحصر، أمّا ما رواه علماء ومفسّرو الشيعة فكثير جداً، فمنهم:

فرات الكوفي في تفسيره: ٨٨، وقد رواه عن محمد بن أحمد معنعناً عن أبي جعفر... الحديث، وأورد إحدى عشر رواية بأسانيد مختلفة وبمضمون واحد.

ورواه الحبري - الزيدي المذهب - في تفسيره عن ابن عباس: ٢٨٩، الحديث ٤٣.

وكذلك رواه العياشي في تفسيره: ١٤١/٢، والقمي في تفسيره: ٥٦/٢، والطبرسي

الرواية الرابعة: وفي الدر المنثور « أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس ،

قال : نزلت في علي بن أبي طالب ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ قال : محبة في قلوب المؤمنين »^(١).

هذه نماذج من الروايات التي وردت في تبيان شأن نزول الآية الشريفة في علي بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام . والروايات في ذلك كثيرة جداً ، أشرنا في الهامش إلى ما ورد منها في كتب التفسير لعلماء الجمهور وما ذكره أئمة الحديث وفي ذلك كفاية .

الطائفة الثانية : نزولها في عامة المؤمنين

إنها عامة في جميع المؤمنين يجعل الله لهم المحبة والألفة في قلوب الصالحين والمسلمين .

أخرج ابن جرير في التفسير : حدّثني يحيى بن طلحة وقال : ثنا شريك ، عن مسلم الملائكي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ ، قال : « محبة في الناس في الدنيا »^(٢) .

وبهذا المعنى رواه عن ابن عباس أيضاً بطريقتين آخرين ، وعن مجاهد بطريقتين أيضاً . وأخرج البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، عن أبي هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إذا أحبّ الله تعالى العبد نادى جبريل : إن الله يحبّ فلاناً فيحبّه جبريل ، فينادى جبريل في أهل السماء : إن الله يحبّ فلاناً فأحبّوه ، فيحبّه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض »^(٣) ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

⇨ في مجمع البيان : ٣٦٢/٦ . وأورده الصافي في تفسيره : ٢٩٧/٣ ، إلى غيرها من المصادر .

(١) الدر المنثور : ٤٧٩/٥ .

(٢) تفسير الطبري : ٦٤٢/١٥ .

(٣) أخرجه البخاري في : بدء الخلق ، باب رقم ٦ : ٣٠٣٧/١١٧٥/٣ .

الصَّالِحَاتِ ﴿الآية﴾^(١).

الطائفة الثالثة: نزولها في عبد الرحمن بن عوف خاصة

نزلت في عبد الرحمن بن عوف .

روى ابن جرير قال : حدّثني محمّد بن عبد الله بن سعيد الواسطي ، قال : أخبرنا يعقوب بن محمّد ، قال : ثنا عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مُطعم ، عن أبيه ، عن أمّه أمّ إبراهيم بنت أبي عبيدة بن عبد الرّحمن بن عوف ، عن أبيها ، عن عبد الرحمن بن عوف : «أنّه لما هاجر إلى المدينة ، وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة ، منهم : شيبه بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأمّية بن خلف ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٢) .

الأمر الثاني: في نقد الروايات

أسباب بطلان الطائفة الثالثة:

نبدأ بمناقشة الطائفة الثالثة وهي الرواية التي أخرجها ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ، فهذه الرواية واهية جداً وساقطة عن الاعتبار للأسباب التالية :

أولاً: ضعف سندها: إنّ راوي الخبر وهو يعقوب بن محمّد الزهري قد ضعفه أئمة الرجال والحديث من أمثال أبي زرعة ، وحجاج بن الشاعر ، وأحمد بن حنبل ، والساجي ، وابن عدي ، والعقيلي .

قال الذهبي في ميزان الاعتدال : قال أبو زرعة : ليس بشيء ، يقارب الواقدي -

(١) انظر تفسير المراعي : ٧٤/٦ .

(٢) تفسير الطبري : ٦٤٤/١٥ ، وأورده الألووسي في تفسيره وعزاه إلى ابن جرير :

م ٢٠٩/١٦/٩ ، وهكذا في الدرّ المنثور : ٤٧٩/٥ .

أي في عدم وثاقته . .

وقال حجّاج بن الشاعر: غير ثقة ، وقال أحمد: ليس بشيء ، وقال مرة: لا يساوي حديثه شيئاً .

وقال السّاجي: منكر الحديث . وقال ابن عدي: يعقوب بن محمّد ليس يسوى شيئاً ، وليس بالمعروف وأحاديثه لا يتابع عليها^(١) .

وقال أبو زرعة: واهي الحديث ، وقال العقيلي: في حديثه وهم كثير ، ولا يتابعه عليه إلا من هو نحوه^(٢) .

ثانياً: الآية مكّية والرواية مدنيّة: من الواضح والمؤكّد هو كون السورة مكّية - كما ذكر المفسّرون - والحال أنّ الرواية تنص على أنها مدنيّة ونزلت بعد الهجرة ، وهذا خلل كبير في الرواية ، وقد أشار إلى ذلك ابن كثير ، حيث قال: « قد روى ابن جرير أنّ هذه الآية نزلت في هجرة عبدالرحمن بن عوف ، وهو خطأ ، فإنّ هذه السورة بكاملها مكّية ، لم ينزل منها شيء بعد الهجرة ولم يصح سند ذلك »^(٣) .

ثالثاً: عدم نصوصيّتها على شأن النّزول عن النّبي صلى الله عليه وآله: إنّ الراوي للخبر هو عبد الرحمن بن عوف نفسه ، فهو لم يشر إلى إخبار النّبي صلى الله عليه وآله بنزولها في حقه ، وهذا يعبر عن رأي خاص اختصّ به لو صحّت الرواية وتمّت دلالتها . فلكلّ هذه الأسباب ، الرواية موهونة وساقطة عن الاعتبار ، بلحاظ بيانها لشأن نزول الآية الشريفة .

مناقشة الطائفة الثانية من الروايات :

هذه الروايات في حقيقتها لا تعارض شأن النّزول للآية الشريفة وكون اختصاص

(١) الكامل في ضعفاء الرجال : ٢٠٥٨/٤٧٤/٨ . ميزان الاعتدال : ٢٨١/٧ .

(٢) تهذيب التهذيب : ٣٤٧/١١ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٢٣٨/٥ .

نزولها في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، كيف ؟

لأن مداليلها تشير إلى ما يخلعه الله تعالى على عباده الصالحين من رداء المحبة والمهابة ، فيحبُّهم ويحبُّونه ، ويحبُّهم في قلوب الآخرين . وهذه في حقيقتها لا تعارض الطائفة الأولى من الروايات بكون اختصاص نزول الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام ومن ثمَّ تعميم آثارها للذين آمنوا وعملوا الصالحات .

فعلية يكون شأن نزول الآية الشريفة في علي عليه السلام ، وبحقه نزلت ، وهو مصداقها الأسمى والأكمل ، وبنفس الوقت آثارها ومعانيها تشمل من يسير بسيرة علي ويهتدي بهدي علي .

فالطائفة الثانية من الروايات لم تشر إلى نزولها في واقعة أخرى معارضة أو مخالفة لما بينته الطائفة الأولى .

أضف إلى ذلك كثرة روايات الطائفة الأولى وسعة مروياتها ، وانتشارها في مختلف المصادر المعتبرة عند المسلمين ، وقد وقفت على ذلك . وهذا كله يوجب تعيين اختصاص نزولها بحق علي عليه السلام ، ويؤيد هذا المعنى ما صحَّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : « لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ، ولو صببت الدنيا على المنافق على أن يحبني ما أحبني ، وذلك قضى فانقضى على لسان النبي الأُمِّي أنه قال : لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق » ^(١) .

وما رواه الحافظ الطبراني في المعجم الأوسط : حدَّثنا عبدالرحمن بن سليم ، قال : حدَّثنا أبو الأزهر النيسابوري ، قال : حدَّثني عبدالرزاق وحدي ، قال : حدَّثنا معمر عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبدالله ، عن ابن عباس ، قال : « نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي فقال : لا يُحبُّك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق ، من أحبَّك فقد أحبَّني ،

(١) روح المعاني ، للأكوسي : م ٢٠٩/١٦/٩ .

وَمَنْ أَبغضك فقد أبغضني ، وحببي حبيب الله ، وبغضني بغض الله ، ويل لمن أبغضك بعدي»^(١) .

وكذا ما أخرجه الإمام الحافظ النسائي بإسناده عن زر بن حبيش ، قال : « قال علي بن أبي طالب : إنه لعهدُ النبي الأمي عليه السلام إلي أنه : لا يُحبُّك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق»^(٢) .

(١) المعجم الأوسط : ٣٧٧/٥ ، الحديث [٤٧٤٨] .

(٢) خصائص علي بن أبي طالب ، للإمام النسائي : ١٠٢/١٥٦ . وأخرجه النسائي أيضاً في السنن الكبرى : ٨١٥٣/٤٧/٥ كتاب المناقب ، والجويني في فرائد السمطين : ١٣٣/١ . وأورده الخطيب في تاريخ بغداد : ٤١٦/٨/٤٥٢٣ ، رواية عن علي بن ربيعة الوالبي ، قال : « سمعت علياً على منبركم هذا وهو يقول :... » الحديث ، وابن عساكر في تاريخ دمشق - ترجمة الإمام علي بن أبي طالب : ٢٧٠/٤٢ - ٢٩٢ ، ورواه ابن عساكر عن جماعة عن علي عليه السلام ، منهم :

عبدالله بن مسلم الملائني ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علي عليه السلام ، عن النبي صلى الله عليه وآله .

وعلي بن ربيعة الوالبي ، عن علي عليه السلام ، عن النبي صلى الله عليه وآله .

وأبي الطفيل ، عن أبي ذر ، عن النبي صلى الله عليه وآله .

وميثم التمار ، عن علي عليه السلام ، عن النبي صلى الله عليه وآله .

وعبدالله بن حنطب ، عن علي عليه السلام ، عن النبي صلى الله عليه وآله ، وأم المؤمنين أم سلمة ، عنه صلى الله عليه وآله .

وأن مجموع الأحاديث التي رواها ابن عساكر بطرق متعددة تبلغ (٣٠) حديثاً صحاحاً

وحساناً رواها جمع من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله ، ومعه فيمكن تحقّق تواتر المضمون ،

وبالتالي قطعية الصدور ، وأخرجه مسلم في الصحيح : ١٣١/٨٦/١ ، بطريق آخر عن زر بن

حبيش . وابن ماجه في مقدمة «سننه» باب فضائل علي : ١١٤/٨١/١ ، والترمذي في

الجامع الصحيح : ٩٤/٦ ، الحديث ٣٧٣٦ ، وقال : [هذا حديث حسن صحيح] ، وأحمد

في المسند : ٨٤/١ ، ٩٥ ، ١٢٨ وفي الفضائل فضائل الصحابة (٩٤٨ - ٩٦١) ، والبلاذري

في أنساب الأشراف : ١٢ ، الحديث ٢٠ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء : ١٨٥/٤ ، وقال :

« هذا حديث صحيح متفق عليه » ، والحاكم في المستدرک : ١٤٥/٣ ، وابن المغازلي

الشافعي في مناقب علي : ٢٢٥/١٣٧ .

وبهذا يثبت أنّ شأن نزولها في حقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام منة من الله تعالى له وكرامة لشأنه على ما قدّمه من عطاء وجهاد في سبيل الله تعالى ، فهو يمثّل المصداق الأكمل للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، كما يمثّل الدرجة العالية والمرتبة السامية من الإيمان بل يمثّل الذروة في بلوغ القمم السامية للإيمان وهو القائل عليه السلام : « لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً »^(١).

الأمر الثالث: في بيان تفسير الآية الشريفة

الآية الشريفة تشير إلى موضوعات متعددة ، وهي كما يلي :

أولاً: إنّ الآية الشريفة قرنت بين الإيمان والعمل الصالح ، في إشارة إلى المستوى الأكمل من الإيمان ، حيث إنّ الإيمان من دون عملٍ صالح لا يمكن اعتماده ، بل لا يصدق ولا يتحقّق معه العنوان ، وكذا العمل الصالح من دون إيمان لا يمكن أن يحقّق النتائج الطيّبة المرجوة منه . من هنا أكّدت الكثير من آيات القرآن على مسألة الاقتران بينهما ، ورُتبت الجزاء والعطاء والإكرام على المتّصّف بهما ، ضمن مستويات ودرجات متفاوتة ، تتفاوت وفقاً للرقبيّ الإيماني والسموّ الروحي .

ثانياً: إنّ الآية أشارت إلى الوعد الجميل والامتثاني والمؤكّد من قبل الله تعالى ، للذين آمنوا وعملوا الصّالحات بكونه سيجعل لهم وُدّاً ومودّةً ومحبةً تشعّ في الملاء الأعلى ثمّ تفيض على الأرض والنّاس فيمتلئ بها الكون كلّهُ . وفي هذا التعبير الجميل - وداً - النداءة البالغة والحنو الرحماني ، كرامة وامتناناً منه عزّ وجلّ لعباده الذين آمنوا وعملوا الصّالحات « وهذه المودّة التي يزرعها الله تعالى لهم في النفوس من غير تودّدٍ منهم ولا تعرّض للأسباب التي يكتسب النّاس بها مودّات القلوب من

(١) انظر: تصنيف نهج البلاغة ، للبيب بيضون ، مبحث ٢٤٣/٦٢ . الصواعق المحرقة:

٣٧٩/٢ . شرح المقاصد ، لسعد الدين التفتازاني : ١٦٤/٥ .

قربة أو صداقة أو اصطناع معروف أو غير ذلك ، وإنما هو اختراع منه تعالى ابتداءً تخصيصاً لأوليائه بهذه الكرامة»^(١) .

ثالثاً : هذه الكرامة وهذه الهبة قد جعلها الله تعالى تفيض في الوجود كله للذين آمنوا وعملوا الصالحات « فلم يقيد بهما بينهم أنفسهم ولا بغيرهم ولا بدنيا ولا بآخرة أو جنة»^(٢) ، بل جبل النفوس عليها ، وآلف القلوب رغم تباعدها وتفاوتها . وهذا ما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنُصْرِهِ وَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ * وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٣) . وهذه المودة لم تكن بفعل إنفاق مالي ، وتقديم ثروة طائلة ، وإنما بفعل الإيمان والتوحيد الخالص والعمل الصالح ، وإلا لزال بزوال مؤثرها وهو المال ، من هنا يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : « لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبعضني ما أبغضني ، ولو صببت الدنيا على المنافق على أن يحبني ما أحبني» .

رابعاً : إن في تعبير الآية ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ ﴾ التناسب البلاغي الرائع بين الوعد الإلهي في ﴿ سَيَجْعَلُ ﴾ وبين الصفة الإلهية التي وصف بها نفسه ، فلم يذكر صفة أخرى وإنما أظهر هذا العنوان « لما أن الموعود من آثارها»^(٤) ، فالوعد الإلهي يجعل المحبة وغرسها في النفوس هو أثر من آثار رحمانية الله تعالى .

خامساً : إن الروايات الشريفة المتقدمة دلت - بلا معارضة - على نزولها بحق علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام ، حيث إنه عليه السلام هو المصداق الأكمل والأبرز والمتصف بالصفات السامية ، والأكثر تفانياً وفناءً في ذات الله تعالى ، والأعلى تألقاً في سماء

(١) تفسير الفخر الرازي : م ٢٥٦/٢١/١١ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ١١٣/١٤ .

(٣) الأنفال : ٦٢ و ٦٣ .

(٤) روح المعاني : م ٢٠٩/١٦/٩ .

التضحية والفداء ، فهو الذي تليق به تلك المكرمة الإلهية والموهبة العظيمة ، وهذا ما سأله النبي صلى الله عليه وآله طالباً من عليّ أن يردّها بلسانه ، بل وطلبها صلى الله عليه وآله من أتباعه في أمته وعلى لسان الوحي : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (١) .

سادساً : رغم كون شأن نزولها في (عليّ) ، ولكن لا يمنع من أن « تكون آثارها تعمّ المؤمنين والصالحين ، وأن يتذوّق ويتمتع كلّ المؤمنين والصالحين في المراحل الأخرى بطعم المحبّة ، ويحظون بها لدى عامة الناس ، وأن يفوزوا بسهم من هذه المودّة الإلهية ، وسوف لا يكون مانعاً من أن يضمّر الأعداء - أيضاً - في داخلهم المحبّة والاحترام اتّجاه هؤلاء » (٢) . وهذا ما يؤيّد الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه القرطبي بإسناده عن ابن عبّاس ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله أعطى المؤمن الألفة والملاحة والمحبّة في صدور الصالحين والملائكة المقربين » (٣) .

سابعاً : إنّ للإيمان والعمل الصالح الصادرين من النفوس المخلصة آثاراً نورانية واسعة بسعة عالم الوجود ، ولذا يكرّمهم الله تعالى بنور المحبّة في كلّ أرجاء عالم الخليقة ، فهم محبوبون عند كل أهل السماء وتقذف هذه المحبّة في قلوب أهل الأرض ، وهذه غاية اللذات حينما يشعر الإنسان بكونه محبوباً في السماء عند أهل السماء ، ومحبوباً في الأرض عند الصالحين ، وهذه المودّة تقذف في قلب كل امرئ سويّ مستقيم ، إلّا من كان من المنافقين ، فلا مجال لها لكونه قد أمرض قلبه فحتم بغشاوة تمنع من تقبّل الفيض الإلهي ، لانسداد النوافذ القلبية ، وموت الضمير ولذا خاطب النبي صلى الله عليه وآله عليّاً قائلاً : « يا عليّ ، لا يبغضك مؤمن ، ولا يحبّك منافق » (٤) .

(١) الشورى : ٢٣ .

(٢) تفسير الأمل : ٤٥٥/٩ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن : ١٦٨/١١ .

(٤) تاريخ دمشق ، ابن عساكر : ٢٧٧/٤٢ ، ومصادر الرواية كثيرة جداً في كتب الفريقين .

الآية الخامسة :

آية أهل الذكر

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

الشرح

الآية الشريفة تشير إلى قاعدة عقلائية جرت عليها سيرة العقلاء في سائر أمور حياتهم ومعاشهم أنهم يسألون من هو أخبر منهم ، ويستشيرونه في كثير مما يهمهم ، وهذا هو ديدن العقلاء عبر القرون ، وهذه القاعدة هي قاعدة رجوع الجاهل إلى العالم ، فالآية الشريفة تمضي هذه القاعدة العقلائية ، باعتبار أن الشارع هو سيّد العقلاء ، وتطالبهم بتطبيقها هنا في هذا المورد أيضاً ، فلا يستسلموا لأساليبهم الشيطانية وما يتهمون به النبي صلى الله عليه وآله من اتهامات لاذعة ، فلذا يرشدهم القرآن إلى الرجوع إلى عقولهم وإلى ماجرت سيرة العقلاء عليه ، من استنطاق أهل المعرفة وأهل الخبرة فيما يختلفون فيه ، أو يجهلونه ، فلذا ترشدهم إلى السؤال من أهل

(١) النحل : ٤٣ و ٤٤ .

(٢) الأنبياء : ٧ .

الذكر. لكن الذي يتبادر إلى الذهن هنا ، هو السؤال التالي :

ما المراد بالذكر ؟ ومن هم أهله ؟

هذا ما نريد أن نبحثه هنا بشكل مفصل ضمن الأسئلة التالية :

السؤال الأول : ما معنى الذكر ؟

لقد أوضح أهل اللغة ، (الذكر) بما يلي :

١- قال ابن منظور: «الذكر- في التنزيل - ﴿وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ : أي القرآن شرف لك ولهم . وقوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ - أي شرفك - ، وقيل معناه : إذ ذُكِرَتْ ذُكِرَتْ معي . والذكر : الكتاب الذي فيه تفصيل الدين ووضع الملل ، وكل كتاب من الأنبياء عليهم السلام ذكر .

والذكر : الصلاة لله والدعاء إليه . وفي الحديث : كانت الأنبياء عليهم السلام ، إذا حزبهم أمر فزعوا إلى الذكر ، أي إلى الصلاة يقومون فيصلون .

وقال أبو العباس : الذكر الصلاة ، والذكر قراءة القرآن ، والذكر التسبيح ، والذكر الدعاء ، والذكر الشكر ، والذكر الطاعة ^(١) .

٢- قال الزبيدي : «الذكر : الكتاب الذي فيه تفصيل الدين ، ووضع الملل ، وكل كتاب من الأنبياء ذكر ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ^(٢) . قال شيخنا : وحمل على خصوص القرآن وحده أيضاً وصحح .

والذكر : الصلاة لله تعالى والدعاء إليه والثناء عليه ، وفي الحديث « كانت الأنبياء عليهم السلام إذا حزبهم أمر فزعوا إلى الذكر » أي إلى الصلاة يقومون فيصلون .

قال أبو العباس : الذكر : الطاعة ، والدعاء . والتسبيح ، وقراءة القرآن ، وتمجيد

(١) لسان العرب ، لابن منظور : ٥٠/٥ ، مادة (ذكر) .

(٢) الحجر : ٩ .

الله ، وتسبيحه وتهليله والثناء عليه بجميع محامده»^(١) .

أما الراغب فقد قال : ﴿ فَسئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ أي الكتب القديمة»^(٢) .

وأما صاحب مجمع البحرين فقد قال : « قوله تعالى : ﴿ فَسئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ ﴾ عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : نحن والله أهل الذكر .

فقلتُ : أنتم المسؤولون ؟ قال : نعم .

[قلت : ونحن السائلون ؟ قال : نعم .

قلت : فعلينا أن نسألکم ؟ قال : نعم] .

قلتُ : وعليکم أن تجیبونا ؟ قال : لا ، ذاك إلینا ، إِنْ شئنا فعلنا وَإِنْ شئنا تركنا»^(٣) .

السؤال الثاني : ما هو رأي المفسرين ؟

للمفسرين في هذه الآية آراء متعددة ، واستشهدوا لأقوالهم بروايات متعددة ، ونحن نشير إلى تلك الآراء بشكل موجز مع ذكر أدلتها .

الرأي الأول : إن المراد من الذكر هو الكتب من التوراة والإنجيل ، وأهل الذكر

هم أهل الكتب من اليهود والنصارى . هذا ما أخرجه ابن جرير في الرواية التالية :

حدّثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ فَسئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ

إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يقول : « فاسألوا أهل التوراة والإنجيل »^(٤) .

الرأي الثاني : إن المعني بذلك أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم سواء أكانوا

(١) تاج العروس : ٤٤١/٦ ، مادة (ذكر) .

(٢) مفردات الراغب الاصفهاني : ٢٠٠ .

(٣) مجمع البحرين : ٦٣٨/١ .

(٤) تفسير الطبري : ٢٢٨/١٦ . وذكره أيضاً السيوطي في الدر المنثور : ١١٧/٥ وجملة من

مؤمنين أو كفاراً ، وسمي العلم ذكراً لأنّ الذكر منعقد بالعلم فإنّ الذكر هو ضد السهو فهو بمنزلة السبب المؤدي إلى العلم في ذكر الدليل ، فحسن أن يقع موقعه وبينىء عن معناه إذا تعلق به هذا التعلق ، عن الرّماني والزجاج والأزهري (١) .

الرأي الثالث: إنّ المراد من الذكر هو القرآن ، وأهل الذكر هم أهل القرآن وذهب إلى هذا الرأي جملة من المفسّرين - سنشير إليهم - وذكر هذا الرأي ابن جرير في تفسيره أيضاً: حدّثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: « قال ابن زيد في قوله: ﴿ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قال: أهل القرآن ، والذكر القرآن . وقرأ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ » (٢) .

المناقشة:

لقد ذكر أصحاب الرأي الأول أنّ المراد بالذكر هو التوراة والإنجيل وأهل الذكر اليهود والنصارى ، ولكن من المستبعد جدّاً ، أنّهم يريدون حصر هذا المصطلح (أهل الذكر) بذلك المفهوم ، كلا ، ولا القرآن الكريم يريد ذلك .

نعم ، إنَّهم أشاروا إلى واقعة معينة تحتمل الصواب وتحتمل الخطأ ، ولكن هذا لا يعني أنّهم يريدون حصر المصطلح القرآني بذلك المفهوم ، بل نقول: من البعيد أيضاً أن يُرجع الله سبحانه المشككين والمشركين إلى اليهود والنصارى على الإطلاق للسؤال منهم ، والحال أنّهم قد ألّهوا أنبياءهم ، بل أكثر من ذلك اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، كما أشار القرآن إلى ذلك: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ (٣) .

(١) نقلاً عن مجمع البيان: ١٢٦/٦ .

(٢) تفسير الطبري: ٢٢٩/١٦ ، وأورده البغوي في تفسيره: ٢٥/٤ ط . دار الفكر ، والقرطبي في تفسيره: ٢٩٠/١١ .

(٣) المائة: ١١٦ .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ (٢).

وبهذا الصدد أيضاً ، ماورد عن الإمام علي بن موسى الرضا في كتاب (عيون أخبار الرضا) : « أن علماء في مجلس المأمون العباسي قالوا في تفسير آية ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ : إنما عنى الله بذلك اليهود والنصارى .

فقال أبو الحسن عليه السلام : سبحان الله ! وهل يجوز ذلك ، إذا يدعوننا إلى دينهم ، ويقولون : إنه أفضل من دين الإسلام ؟ !... الخ » الخبر (٣).

فعلى هذا ، فإن الآية تريد أن تمضي وترشد إلى تلك القاعدة العقلية المتعارفة عندهم وهي رجوع الجاهل إلى العالم . فكأنها تخاطبهم وتقول لهم : أيها المشككون وأيها الجاهلون وغير العارفين وغير العالمين لا بد لكم من الرجوع إلى أهل العلم والمعرفة ، كما هو دينكم في أموركم الحياتية وفي معاملاتكم ، ولا بد أن تكونوا كذلك في معتقداتكم .

ويؤيد هذا المعنى أن آية ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ معترضة ، كيف ؟

وذلك باعتبار أن ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ إما متعلق بمقدّر يدل عليه ما في الآية السابقة من قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا ﴾ ، أي أرسلناهم بالبينات والزبر ، وهي الآيات

(١) التوبة : ٣٠ .

(٢) التوبة : ٣١ .

(٣) عيون أخبار الرضا : ٢١٦/١ . ينابيع المودة ، للقندوزي الحنفي : ١٤٥/١ ، نقلنا منه مورد الشاهد .

الواضحة الدالة على رسالتهم والكتب المنزلة عليهم ؛ وذلك أن العناية في الآية السابقة إنما هي ببيان كون الرُّسل بشراً على العادة فحسب ، فكأنه لما ذكر ذلك اختلج في ذهن السامع أنهم بماذا أرسلوا ؟ فأجيب عنه فقيل : بالبيئات والزبر ، أمّا البيئات فلا ثبات رسالتهم ، وأمّا الزبر فلحفظ تعليماتهم ، **أو نقول** : متعلق بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا ﴾ ، أي : وما أرسلنا بالبيئات والزبر إلا رجالاً نوحى إليهم .

أو نقول : متعلق بقوله : ﴿ نُوحِي ﴾ ، أي : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم بالبيئات والزبر^(١) . وعليه فيكون تقدير الآية الشريفة كما يلي : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم بالبيئات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس » .
« فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

فيكون قوله : ﴿ فَسْئَلُوا ﴾ جملة معترضة قائمة بذاتها تُقرّ وتُمضي وتُرشد إلى القاعدة العقلية المتعارفة ، ويكون المراد بالذكر هو القرآن الكريم ، ويؤيد ما بيّناه ما ذهب إليه صاحب البحر المديد حيث ذكر في تبيان قوله تعالى : ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ قال : هم العارفون بالله .

« فإذا أشكل علينا أمر من أمر القلوب ، كأسرار التوحيد وأمر الخواطر ، رجعنا إليهم ، لأنهم أهل الذوق والكشف يجيبون سائلهم بالهمّة والحال ، حتّى يقلعوا عروق ما أشكل على السائل ، إن أتاهم متعطّشاً لهفاناً ، وكذا ما أشكل في أمر الدنيا ، من فعل تريد أن تفعله أو تتركه ، فينبغي الرجوع إليهم ، لأنهم ينظرون بنور الله ، فلا ينطقهم الله إلا بما هو حق سبق به القدر »^(٢) .

(١) انظر : تفسير الكشاف : ٥٨٤/٢ . البحر المحیط : ٥٣٤/٦ . الميزان : ٢٥٩/١٢ . روح المعاني ٢٢١/١٤/٨م ، وأضاف الألوسي قائلاً : « وتصدير الجملة المعترضة بالفاء صرح به في التسهيل وغيره ، وما نقل من منعه ليس بثبت » .

(٢) البحر المديد ، لابن عجيبة : ٢٧/٤ .

وقد أشار إلى هذا المعنى أيضاً الإمام البخاري في تفسيره : « والذكر هو كتاب الله وسنة رسوله لا غيرها ، ولا أظن مخالفاً يخالف في هذا لأن هذه الشريعة المطهرة هي إمامنا من الله عز وجل وذلك هو القرآن الكريم أو من رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك هو السنة المطهرة ولا ثالث لذلك » (١).

وكما ذكر ابن منظور في تبيان المعنى الواسع (للذكر) وكذلك الزبيدي ، حيث فسّر (الذكر) بما قاله أبو العباس : الصلاة ، والقرآن ، والتسبيح ، والدعاء والشكر ، والطاعة ...

وعليه فإن أهل الذكر هم أهل القرآن وأهل الصلاة وأهل التسبيح وأهل الدعاء وأهل الطاعة فلا بد لنا من معرفتهم ، لكي نتعلم منهم ونسترشد بهم . ومن هنا لا بد لنا من الإجابة عن السؤال الثالث .

السؤال الثالث : من هم أهل الذكر ؟

لما كانت الآية الشريفة قد أشارت إلى عنوانهم العام - أهل الذكر - فمن الذي يجيبنا عن مصاديقهم ؟ فهل يبقى العنوان العام من دون مصاديق ؟ أم يشرق أحدنا ويغرب ؟ هذا ما لا بد من استنطاق السنة الشريفة لتجيبنا عن تساؤلنا ، وكما أمرت الآية الشريفة . وإليك الروايات التالية :

١ - أخرج الطبري في تفسيره : حدّثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : حدّثني عبدالرحمن بن صالح ، قال : حدّثني موسى بن عثمان ، عن جابر الجعفي ، قال : « لما نزلت : ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قال علي بن أبي طالب : نحن أهل الذكر » (٢).

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن : ٢٤٦/٧ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٢٩/١٦ . تفسير القرطبي : ٢٩٠/١١ .

٢- وأخرج أيضاً: حدّثني ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن أبي جعفر - الباقر - : ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قال : نحن أهل الذكر»^(١).

٣- قال الألوسي في التفسير : « وخصّهم بعض الإمامية بالأئمة أهل البيت عليهم السلام احتجاجاً بما رواه جابر ، ومحمّد بن مسلم منهم عن أبي جعفر رضي الله تعالى عنه ، قال : نحن أهل الذكر»^(٢).

٤- أخرج الحاكم الحسكاني بإسناده عن السديّ ، عن الحارث ، قال : « سألت عليّاً عن هذه الآية : ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ ، فقال : والله إنّنا لنحن أهل الذكر ، ونحن أهل العلم ، ونحن معدن التأويل والتنزيل ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمن أراد العلم فليأتته من بابي»^(٣). وقد ذكر الحاكم بشواهد ما يقرب من سبع شواهد بنفس المضمون .

٥- ابن كثير في تفسيره : بعد أن ينقل الرواية الواردة عن أبي جعفر الباقر ، يفسرها بمعنى آخر ، ولكنه يشهد بكونهم أهل الذكر والعلم والمعرفة ، فقد جاء في تفسيره : « وكذا قول أبي جعفر الباقر : نحن أهل الذكر ، ومراده أنّ هذه الأمة أهل الذكر صحيح ، فإنّ هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السالفة ، وعلماء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله والرّحمة من خير العلماء إذا كانوا على السّنة المستقيمة كعليّ ، وابن عبّاس ، وابنيّ عليّ الحسن والحسين ، ومحمّد بن الحنفية ، وعلي بن الحسين زين العابدين ، وعلي بن عبد الله بن عبّاس وأبي جعفر الباقر وهو محمّد بن علي بن الحسين ، وجعفر ابنه ، وأمّثالهم وأضرابهم وأشكالهم ممّن هو متمسّك بحبل الله المتين

(١) تفسير الطبري : ٢٢٨/١٤ ، مورد تفسير سورة النحل : ٤٣ ، ذكره الطوسي في التبيان :

٣٨٤/٦ بلفظ : « أهل القرآن » ، وابن كثير في تفسيره أيضاً .

(٢) روح المعاني : ٢١٧/١٤/٨م .

(٣) شواهد التنزيل : ٤٣٢/١ ، الشاهد [٤٥٩] .

وصراطه المستقيم وعرف لكلّ ذي حق حقه ونزل كلّ المنزل الذي أعطاه الله ورسوله واجتمعت عليه قلوب عباده المؤمنين»^(١).

٦- أورد الثعلبي في تفسيره: «وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن يعني فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن، قال جابر الجعفي: لما نزلت هذه الآية ﴿فَسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ قال عليّ: نحن أهل الذكر»^(٢).

٧- وأورد القندوزي الحنفي في ينابيع الخبرين التاليين:

الخبر الأوّل: ما عن عيون الأخبار - تكملة الشاهد الذي ذكرناه سابقاً - قال علي الرضا بن موسى رضي الله عنهما: «لابدّ للأمة أن يسألوا عن أمور دينهم، لأننا نحن أهل الذكر، وذلك لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله الذكر ونحن أهله، حيث قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾»^(٣).

الخبر الثاني: وفي المناقب عن عبد الحميد بن أبي ديلم، عن جعفر الصادق عليه السلام، قال: «للذكر معنيان: القرآن ومحمد، ونحن أهل الذكر بكلا معنيه، أمّا معناه في القرآن فقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾»^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾»^(٥).

وأما معناه محمد صلى الله عليه وآله فالآية في سورة الطلاق»^(٦) - ذكّرت أنفأ - .

(١) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٤.

(٢) تفسير الكشف والبيان: ٢٧٠/٦ (تفسير سورة الأنبياء).

(٣) الطلاق: ١٠ و ١١.

(٤) النحل: ٤٤.

(٥) الزخرف: ٤٤.

(٦) ينابيع المودة، للقندوزي الحنفي: ٣٥٧/١، الحديث [٤].

٨- روى الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي - من علماء الجمهور - واستخرجه من التفاسير الاثني عشر^(١) عن ابن عباس ، في قوله تعالى : ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ قال : « هو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام هم أهل الذكر والعقل والبيان ، وهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة . والله ما سمي المؤمن مؤمناً إلا كرامة لأمر المؤمنين » . ورواه سفيان الثوري عن السدي عن الحارث ، انتهى^(٢) .

نكتفي بهذا المقدار من الشواهد ، التي أشارت إلى أن المراد من الذكر القرآن أو محمد عليه السلام . وعليه فإن أهل الذكر هم أهل القرآن وأهل البيت عليهم السلام .

نتائج البحث :

ويمكن أن نوجز نتائج البحث ضمن النقاط التالية :

أولاً: إن الآية الشريفة : ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قد أرشدت الأمة إلى القاعدة العقلية في ضرورة رجوع الجاهل إلى العالم فيما يجهله ، وأمرت الناس بإقرارها في كل ما يشبه عليهم من أمر ، أو ملابسات ، أو فيما يحتاجون إلى معرفته من أمور دينهم وعقائدهم ، وهي مطلقة من هذه الناحية .

(١) المراد من التفاسير الاثني عشر ما يلي :

- | | |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| ١ - تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان | ٢ - تفسير ابن حجر جريح |
| ٣ - تفسير مقاتل بن سليمان | ٤ - تفسير وكيع بن جراح |
| ٥ - تفسير يوسف بن موسى القطان | ٦ - تفسير قتادة |
| ٧ - تفسير حرب الطائي | ٨ - تفسير السدي |
| ٩ - تفسير مجاهد | ١٠ - تفسير مقاتل بن حيان |
| ١١ - تفسير ابن صالح | ١٢ - تفسير محمد بن مؤمن الشيرازي . |

(٢) نقلاً عن إحقاق الحق : ٤٨٢/٣ .

ثانياً: إن الآية الشريفة تمثل جملة اعتراضية ، ونظير هذا كثير في القرآن الكريم ، وقد تقدّم الكلام عنه مفصلاً في آية التطهير فراجع . وهذا لا بدّ أن يلحظ في التفسير .

ثالثاً: إن المراد من ﴿ الذِّكْرِ ﴾ هو القرآن ، أو ما هو أعمّ من ذلك كما أشار إليه أهل اللغة ، وإن المصداق الأكمل لأهل الذكر هو أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فهم أهل بيت الوحي ، وهم أهل العلم والمعرفة وأهل القرآن ، كما أشار إلى ذلك ابن كثير في التفسير . وعليه فأصبح هذا المصطلح القرآني ﴿ أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ من مختصات أهل البيت عليهم السلام ، فهم المصداق الأكمل والأبرز . وهذا لا يمنع أن يكون لهذا المصطلح مصاديق أخرى في سماء المعرفة والعلم والأدب ، ولكن قلنا : إن (أهل البيت عليهم السلام) هم المصداق الأكمل والأبرز ، وهو ما أشارت إليه الروايات السابقة .

رابعاً: الآية الشريفة أقرت ضرورة المرجعية العلمية والفكرية في الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والعلميّة ولا يختلف على هذا اثنان . وقد عرفنا من خلال الروايات المفسّرة أنّ (أهل البيت عليهم السلام) يمثلون المرجعية الفكرية والعلميّة للأمة وقد وقفت على ذلك ، فهم معدن العلم وأهل بيت الوحي ، ولا يدانيهم في هذا المستوى أحد من أبناء الأمة .

خامساً: قرّرت الآية الشريفة لزوم رجوع الجاهل إلى العالم لمعرفة ما جهله من أحكام ، وللتعليم والاسترشاد ، بل والمبادرة بالسؤال ، وأن لا يبقى على جهله ، فهو مسؤول يوم القيامة عن تقصيره ، وقد أشار إلى ذلك السيوطي في الدر المنثور: فقد أخرج ابن مردويه عن جابر ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه ، ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فينبغي للمؤمن أن يعرف عمله على هدى أم على خلافه» (١) .

الآية السادسة:

آية ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ

مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (١)

البرهان

هذه الآية الشريفة على رغم إيجاز عباراتها، لكنّها تستبطن معنى عميقاً ودقيقاً وخطيراً بنفس الوقت، ولكي نفهم مقاصدها وما تصبو إليه، فلا بدّ من التأمل ملياً في مضمونها، ومن ثمّ محاولة الغوص في أعماقها لاستخراج لثائها، وعندئذٍ التسليم والإذعان لإرشاداتها وأوامرها. وهذا ما نبثه في المقاصد التالية:

المقصد الأوّل: في معنى الآية الشريفة

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾.

بعد أن طلب المشركون من النبي صلّى الله عليه وآله أن يأتي بالخوارق الكونيّة، ولم يكتفوا بالآية الكبرى - وهي القرآن الكريم - أخبر الله تعالى نبيّه الكريم، أن الخوارق ليست من عمل الرسول ولا من اختصاصه، وإنما يبعثها الله تعالى مع نبيّه بما يناسب ظروف القوم وزمانهم وحسب حكمته تعالى.

وما مهمّتك يا محمد صلّى الله عليه وآله إلاّ منحصرة بالإندار والتبشير، فأنت صاحب الدعوة وأنت المنذر لقومك، شأنك شأن كلّ الرُّسل من قبلك، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ

اللَّهُ النَّبِيْنَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴿١﴾ .

وقوله تعالى : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٢) .

وعن طريق إنذارك وتبشيرك ، يهدي الله من يشاء . فهذا المقطع من الآية الشريفة حدّد وظيفة النبي صلى الله عليه وآله اتّجاه قومه ، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ .

قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ .

الأقوال في معنى هذا المقطع من الآية الشريفة مختلفة ومضطربة أشدّ اضطراب !! كما سيتضح ذلك من خلال المقصد الثاني ، فلاحظ .

المقصد الثاني : آراء المفسرين

في تبيان معنى قوله : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ :

الرأي الأوّل : الهادي رسول الله صلى الله عليه وآله

المراد من ﴿هَادٍ﴾ هو رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذا رأي عكرمة ، فقد أخرج ابن جرير ثلاثة طرق لهذه الرواية ، نذكر طريقاً واحداً منها : حدّثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدي ، عن عكرمة ومنصور ، عن أبي الضحى : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قالوا : « محمد هو المنذر وهو الهاد » (٣) .

الرأي الثاني : الهادي الله تعالى

عني بالهادي في هذا الموضوع : الله تعالى .

(١) البقرة : ٢١٣ .

(٢) النساء : ١٦٥ .

(٣) تفسير الطبري : ٤٣٨/١٣ .

أخرج ابن جرير لهذا الرأي ست روايات ، ثلاثة طرق منها عن (سعيد بن جبير) وطريق عن (مجاهد) ، وطريق عن (ابن عباس) وطريق آخر عن (الضحّاك) ، بالإسناد التالي : أخرج ابن جرير: حَدَّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : حَدَّثنا عبيد بن سليمان ، قال : « سمعت الضحّاك ، يقول : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ : المنذر محمد صلى الله عليه وآله والهادي الله عز وجل » (١) .

الرأي الثالث : الهادي نبي

الهادي في هذا الموضع ، معناه : نبي . بمعنى أن قوله : لكل قوم هاد ، أي : لكل قوم نبي .

وأخرج ابن جرير لهذا الرأي تسع روايات ، سبع منها عن (مجاهد) بطرق متعدّدة ، وواحدة عن (قتاده) ، وأخرى عن (ابن زيد) ، بالإسناد التالي : قال : حَدَّثني يونس ، قال : أخبرني ابن وهب ، قال : « قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قال : لكل قوم نبي ، الهادي النبي صلى الله عليه وآله . والمنذر أيضاً النبي صلى الله عليه وآله وقرأ : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى ﴾ (٣) قال : نبي من الأنبياء » (٤) .

الرأي الرابع : الهادي القائد

المقصود من قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أي : لكل قوم قائد . واستشهد لهذا الرأي بأربع روايات . روايتين عن (أبي صالح) بطريقين . ورواية عن (أبي العالية) ،

(١) تفسير الطبري : ٤٣٨/١٣ .

(٢) فاطر : ٢٤ .

(٣) النجم : ٥٦ .

(٤) تفسير الطبري : ٤٤١/١٣ .

وأخرى عن (يحيى بن رافع) ، قال : « حَدَّثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ - وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ - عَنْ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ رَافِعٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قَالَ : قَائِدٌ » (١) .

الرأي الخامس : الهادي علي

إنّ معنى ﴿ هَادٍ ﴾ في هذا الموضع هو : عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

واستشهد الطبري بالرواية التالية : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوفِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَعَاذُ بْنُ مُسْلِمٍ بَيْاعُ الْهَرَوِيِّ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : « لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ، وَضَعُ عليه السلام يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَقَالَ : أَنَا الْمُنذِرُ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَنْكَبِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ : أَنْتَ الْهَادِي يَا عَلِيُّ ، بِكَ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بَعْدِي » (٢) .

الرأي السادس : الهادي الداعي

إنّ معنى (هاد) هو : لكلّ قومٍ داعٍ .

ويستشهد ابن جرير لهذا الرأي برواية واحدة :

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَ : ثَنِي مَعَاوِيَةَ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ « يَقُولُ : دَاعٍ » (٣) .

بعد هذه الجولة السريعة في استعراض الآراء المختلفة في تفسير معنى (هاد) في الآية الشريفة ، لا بدّ لنا من وقفة تأملية ، نناقش بها مداليل تلك الروايات ، لمعرفة صوابها من عدمه ، ومعرفة ما هو أقرب لمقاصد القرآن الكريم ، وما ينسجم مع قواعد التفسير واللغة ، وما هو مؤيد بالروايات الواردة عن النبي الأكرم عليه السلام . وهذا ما سنوضّحه في المقصد اللاحق .

المقصد الثالث: مناقشة الآراء السالفة

أما الرأي الأول الذي فسّر كلمة (هاد) بـ رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيرد عليه ما يلي:

أولاً: إنّ هذا التفسير خلاف الظاهر جداً

باعتبار أنّ (الواو) الاستثنائية تفصل بين الجملتين جملة ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ وجملة ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ، فكلٌّ من الجملتين مؤلّفتان من مبتدأ وخبر ، لا أنّه معطوفة صفة على صفة أخرى ، بمعنى أنّه ليس الآية «إِنَّكَ مُنذِرٌ وَهَادٍ» كلا ، ليس كذلك . وإنّما جملتان منفصلتان تفصل بينهما (الواو) ، و (الواو) هنا استثنائية ، فهذه الجملة تخبر عن أمر آخر ، كما أنّ الجملة الأولى أخبرت عن كون رسول الله صلى الله عليه وآله هو منذر ، فالجملة الثانية تخبر عن مُخَبَّرٍ آخر مغاير لما أخبرت به الجملة الأولى .

ثانياً: عدم جواز الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالجار والمجرور

فقد اختلف النحويون في جواز الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالجار والمجرور^(١) ، باعتبار أنّه حينما نفسّر كلمة (هاد) بالنبي صلى الله عليه وآله فيصبح المعنى بقوة الجملة الواحدة ، هي : «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَهَادٍ لِكُلِّ قَوْمٍ» ، ولكن الآية القرآنية تليت بهذه الصورة ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وهما جملتان منفصلتان ، فهذا يلزم منه - على ذلك المعنى - الفصل بين المعطوف (هاد) والمعطوف عليه (منذر) بفواصل والفاصل هو الجار والمجرور (لكلّ قوم) . وهو غير جائز نحويّاً ، وخلاف الظاهر أيضاً ، وهذا ما يؤيّد بطلان الرأي الأول .

(١) تفسير روح المعاني: م٨/١٣/١٥٤ .

ثالثاً: لزوم كون الآية بقوة الجملة الواحدة

يلزم على الرأي الأول أن تكون الآية الشريفة بقوة هذه الجملة «إنما أنت منذر وهاد لكل قوم». وعليه فهل يصح معنى العبارة عندئذٍ؟
بالوجدان لا يصح إلا بمزيد من التقدير والتكلف، فالنبي صلى الله عليه وآله منذر لقومه، وهاد لقومه - في غير هذه الآية - بلاشك، لكن كيف يكون هادياً لكل قوم؟ هذا ما يحتاج إلى عناية فائقة وتقدير وتكلف، هو كما ترى.

رابعاً: هدف الآية تبيان قسمين من الدعوة إلى الله تعالى

إنّ الهدف من الآية تبيان أنّ هناك قسمين من الدعوة إلى الله : فقسم منها ، دعوة عملها الإنذار ، وقسم آخر ، دعوة عملها الهداية ، وواضح أنّ الإنذار للذين أضلّوا الطريق فيتم دعوتهم إلى الصراط المستقيم ، ولكن الهداية والاستقامة للذين آمنوا .
« وفي الحقيقة إنّ المنذر مثل العلة المُحدِثَة ، أمّا الهادي فبمنزلة العلة الباقية ، وهذه هي التي يعبر عنها بالرّسول والإمام ، فالرّسول يقوم بتأسيس الشريعة والإمام يقوم بحفظها وحراستها . طبعاً ليس من شك أنّ الهداية في آيات أخرى مطلقة للرّسول ، ولكن بقرينة المنذر في هذه الآية نفهم أنّ المقصود من الهادي هو الشخص الحافظ والمحمي للشريعة »^(١).

أمّا الرأي الثاني المفسّر لكلمة (هاد) بالله تعالى ، فيرد عليه :

أولاً: الآية تشير إلى المسبّب لا السبب

لا شك ولا ريب أنّ الله هادي السبيل ، لكلّ من في الكون حسبما يشاء . والشاهد قوله تعالى : ﴿ وَاللّٰهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾^(٢) ، ولكن أين هذا مما

(١) تفسير الأمثل : ٣٠٦/٧ .

(٢) البقرة : ٢١٣ .

نحن فيه . حيث إن هذا المعنى نظير قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (١) .

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ (٢) .

ولكن الآية التي نحن بصددھا تبين من هو المنذر للقوم في الواقع الحياتي للناس ، وتذكر بالهادي لكل قوم في الواقع الميداني والعملي ، لا أنها تريد أن تبين من هو السبب وراء هدايتهم وإنما تريد أن تبين المسبب المباشر لهدايتهم .

ويؤيد هذا المعنى ما ذهب إليه الكثير من المفسرين ، منهم ابن عطية الأندلسي حيث قال ما نصه : « ويعرف أن الله تعالى هو الهادي من غير هذا الموضع » (٣) .

ثانياً : لزوم عدم صدق الآية على الواقع :

لو كان المعنى كما يقول صاحب الرأي الثاني ، لما صحّت الآية الشريفة ، بل لا بدّ أن تكون الآية هكذا : « إنما أنت منذر والله الهادي لكل قوم » ، باعتبار أن الآية الشريفة توحى ظاهراً إلى أن لكل قومٍ يوجد هادٍ يقوم بهدايتهم ، لا أنه لكل الأقوام والأمم هناك هادٍ واحد .

نعم ، لو كانت الآية تبين أن لكل الأقوام والأمم يوجد هادٍ واحد ، فهو الله تعالى بلا شك ، بينما الآية تبين معنى آخر ، وهو أن لكل قومٍ يوجد هادٍ ، ويفترض حسب ظاهر هذا التعبير أن يكون الهادي متعدداً لا واحداً .

أضف إلى ذلك : أن الله تعالى لا ينسب لنفسه التعدد - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وهذه نماذج من الآيات القرآنية : ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (٤) .

(١) الأنفال : ١٧ .

(٢) الواقعة : ٦٤ .

(٣) تفسير المحرر الوجيز : ١٢٧/٨ .

(٤) الفرقان : ٣١ .

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(١) .
 ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾^(٢) .

أما الرأي الثالث : فيرد عليه مايلي :

أولاً : لزوم الفرق بين مهمّة النبي صلى الله عليه وآله والأنبياء :

المعنى الثالث يستلزم وجود فرق بين مهمّة النبي صلى الله عليه وآله ومهمّة الأنبياء والمرسلين ،
 والحال أنّ هذا خلاف الحقيقة القرآنية . فقد صرّح القرآن الكريم بكون مهمّة الأنبياء
 الإنذار والتبشير ، لا أنّ مهمّة النبي صلى الله عليه وآله هي الإنذار ، وأما مهمّة بقية الأنبياء هي
 الهداية ، قال تعالى :

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾^(٣) .

﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾^(٤) .

﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾^(٥) .

وثانياً : لزوم قصر الآية على الزمن الماضي فحسب :

إنّ ظاهر الآية ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ﴾ تبين الماضي والحال والاستقبال لا أنّها تخبر
 فقط عن الماضي للأمم والشعوب . فلو فسّرنا (هاديا) بمعنى (نبي) لأصبح معنى
 الآية : « إنّما أنت منذر ولكلّ قوم نبي » ، فماذا توحى هذه العبارة ؟

وهذا ما يعزّز من الإشكال الأول ويعمّقه ، ويوجب أيضاً قصر الآية المطلقة على

(١) الحج : ٥٤ .

(٢) البقرة : ٢٧٢ .

(٣) البقرة : ٢١٣ .

(٤) النساء : ١٦٥ .

(٥) الأنعام : ٤٨ .

الزمن الماضي فحسب . في حين أنّ الآية تدلّ على أنّ الأرض لا تخلو من هاد يهدي الناس إلى الحقّ إمّا نبيّ منذر وإمّا هادٍ يهدي قومه بأمر الله تعالى .

ويؤيد هذا المعنى ، ما ذهب إليه الطبري فقال مانصّه :

« ولكلّ قوم إمامٌ يأتُمون به ، وهادٍ يتقدّمهم »^(١) . ولكنّه وسّع من معنى الهداية فجعلها تشمل الخير والشرّ ، فأضاف قائلاً : « فيهديهم إمّا إلى خير ، وإمّا إلى شرّ ، وأصله من هادي الفرس : وهو عنقه التي تهدي سائر جسده »^(٢) .

أمّا الرأي الرابع :

فهو لا يختلف كثيراً عن **المعنى الخامس** ، حيث إنّ كلامنا في تبيان مصداق الهادي لا أنّه نريد أن نبين وظيفة الهادي ، والهادي بلاشك هو قائد في قومه . وعليه فهذا المعنى لا يختلف كثيراً عن المعنى الخامس إلّا في التشخيص وعدمه .

أمّا الرأي السادس :

حيث فسّر (الهادي) بـ (الداعي) ، ومعلوم أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله هو صاحب الدعوة ، والأوصياء والخلفاء من بعده ، هم هداة يسرون بسيرته ، ويهدون إلى دعوته ، لا أنّهم أصحاب دعوة جديدة ، ولو سلّمنا وتنزّلنا وقلنا هم دعاة وهداة ، فالنتيجة لا تبعد كثيراً عن القول الخامس إلّا في التشخيص وعدمه .

حاصل الكلام :

لوسلمنا بصحة تلك الروايات المختلفة ، التي فسّرت الآية . لكن يبقى أمر مهم لا بدّ من الالتفات إليه والتأمّل فيه ، وهو : أنّ تلك الروايات تعبّر عن الرأي الشخصي للمفسّر ، إمّا لمجاهد ، أو سعيد بن جبر ، أو عكرمة ، أو الضحاك ، بخلاف القول

الخامس ، حيث ينقل الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو لا ينطق عن الهوى وحاشاه في ذلك ؛ إذ قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ^(١) . فتلك الآراء في حقيقتها لا تصلح لمعارضة القول الخامس بالمرّة ، والبون بينهما شاسع وبعيد .

ولكي يتجلّى لنا الموقف بوضوح ، لابدّ من الإشارة إلى الروايات الشريفة المفسّرة أو الموضّحة للمصداق والتي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتناقلها الصّحابة ، وأئمّة الحديث ، وأصحاب السنن ، والمسانيد ، والصحاح ، وغيرهم ، هذا ما نسأل الضوء عليه في المقصد اللاحق .

المقصد الرابع : المقصود من الآية ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾

لكي يتسنى لنا معرفة المعنى جلياً لابدّ لنا من استنطاق الروايات المفسّرة والموضّحة للمصداق والواردة في المقام . وإليك بعضاً منها :

قال الألوسي في روح المعاني : « وقالت الشيعة : إنّه - الهادي - عليّ كرم الله تعالى وجهه ، ورووا في ذلك أخباراً ، وذكر ذلك القشيري منّا . وأخرج ابن جرير وابن مردويه والديلمي وابن عساكر عن ابن عباس ، قال : « لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ﴾ الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال : أنا المنذر ، وأوماً بيده إلى منكب عليّ كرم الله تعالى وجهه فقال صلى الله عليه وآله : أنت الهادي - يا عليّ - بك يهتدي المهتدون من بعدي » .

ويضيف الألوسي أيضاً : « وأخرج عبدالله بن أحمد في زوائد المسند ، وابن أبي حاتم ، والطبراني في الأوسط ، والحاكم وصحّحه ، وابن عساكر أيضاً عن عليّ كرم الله تعالى وجهه أنّه قال في الآية : رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر ، وأنا الهادي . وفي لفظ

والهادي رجل من بني هاشم ، يعني نفسه» (١).

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن جرير ، وابن مردويه ، وأبو نعيم

في المعرفة ، والديلمى ، وابن عساكر ، وابن النجار ، قال : «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَقَالَ : أَنَا الْمُنذِرُ ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَنْكَبِ عَلِيِّ عليه السلام فَقَالَ : أَنْتَ الْهَادِي - يَا عَلِيُّ - بِكَ يَهْتَدِي الْمَهْتَدُونَ مِنْ بَعْدِي .»

وفيه أيضاً : أخرج ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه ، قال : «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ وَضَعَهَا عَلَى صَدْرِ عَلِيِّ وَيَقُولُ : ﴿لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ .»

وفيه أيضاً : أخرج ابن مردويه والضياء في المختارة ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في الآية : قال رسول الله ﷺ : المنذر أنا ، والهادي علي بن أبي طالب رضي الله عنه» (٢).
وفيه أيضاً : أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ... الخ ، كما نقله الألويسي .

وقال ابن عطية: وقالت فرقة : «الهادي علي بن أبي طالب» ، وردت عن

النبي ﷺ من طريق ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه قرأ هذه الآية وعلي حاضر ، فأومأ بيده إلى منكب علي وقال : أنت الهادي - يا علي - بك يهتدي المهتدون بعدي» (٣).

ابن كثير في تفسيره: أورد رواية ابن جرير ، ولكنه استنكرها وقال ، هذا

الحديث فيه نكارة شديدة ، ولكنه أورد رواية ابن أبي حاتم ولم يعلق عليها ، فقال ما نصه : «قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا المطلب بن زياد ، عن السدي ، عن عبد خير عن علي عليه السلام ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال : الهادي رجل من بني هاشم .»

(١) روح المعاني : ١٥٤/١٣/٨م .

(٢) الدر المنثور : ٥٣٩/٤ - ٥٤٠ .

(٣) المحرر الوجيز : ١٢٧/٨ .

ويضيف ابن كثير قائلاً: « قال الجنيد : هو علي بن أبي طالب عليه السلام .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن أبي عباس في إحدى الروايات وعن أبي جعفر محمد بن علي - أي الباقر عليه السلام - نحو ذلك »^(١) .

وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير: « الثالث - القول الثالث :- المنذر النبوي

والهادي علي . قال ابن عباس رضي الله عنهما : وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال : أنا المنذر ، ثم أوماً إلى منكب علي عليه السلام ، وقال أنت الهادي - يا علي - بك يهتدي المهتدون من بعدي »^(٢) .

أبو حيان الأندلسي في «البحر المحيط»: «أورد أيضاً الرواية عن ابن عباس

عن رسول الله صلى الله عليه وآله . وأضاف قائلاً: « وقال القشيري : نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب »^(٣) .

تنبيه بعد تنبيه:

وهكذا قد وقفت على ما أورده العَلَمَان (أبو حيان الأندلسي والأكوسي) حيث ذكرا أنّ القشيري - من أعلام مفسري السُّنَّة - قد نصّ على نزولها في علي بن أبي طالب عليه السلام . ولكن ما نريد أن ننبّه إليه هو: حينما نلاحظ تفسير القشيري الموسوم بـ«لطائف الإشارات» لا نجد لهذا القول عين ولا أثر، بل أكثر من ذلك، إذ الآيات القرآنية قد حُذفت من التفسير بجريرة علي بن أبي طالب عليه السلام!!، فلا نجد تفسيراً للآيات من (٥ - ١٠) من سورة الرعد، وأنها قد حذفت نتيجة حقد الحاقدين .

وفي طبعة الهيئة المصرية، قد وضع الناسخ علامة على سقوط مساحة من النص

(١) تفسير ابن كثير: ٣٧٢/٤ .

(٢) تفسير الفخر الرازي: م/١٩/١٠ .

(٣) تفسير البحر المحيط: ٣٥٤/٦ .

فقال: «ومن المؤسف أنه لا يوجد استدراك لذلك في الهامش ويقع في هذه المساحة تفسير للآيات من (٥ - ١٠) من السورة»^(١)، ولكن في طبعة دار الكتب اكتفى بالإشارة التالية: «إن الآيات من (٥ - ١٠) لم ترد»^(٢).
وعلى اللبيب أن يدرك الأسباب.

الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: فقد أخرج مثله عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، بطرق متعددة، وعن أبي برزة بثلاثة طرق، وعن أبي هريرة، وعن السدي، وعن عمر بن عبد الله بن مرة، عن أبيه، عن جدّه، وعن عبّاد بن عبد الله، بطرق أخرى، وضمن شواهد متعددة^(٣).

روى الإمام أحمد بن حنبل: حدّثني عبد الله، حدّثني عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا مَطْلَب بن زياد، عن السدي، عن عبد خير، عن عليّ في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال: «رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر، والهاد رجل من بني هاشم»^(٤).

أخرج الحاكم في المستدرك: بإسناده عن عبّاد بن عبد الله الأسدي، عن عليّ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال عليّ: «رسول الله المنذر، وأنا الهادي». ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٥).

وأخرج الجويني في فرائد السمطين: بإسناده عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، مثله^(٦).

(١) لطائف الإشارات، للإمام القشيري: م ٢١٨/٢، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٨١م.

(٢) لطائف الإشارات: ١٠١/٢، ط. دار الكتب العلمية - بيروت، سنة ٢٠٠٠م.

(٣) لاحظ شواهد التنزيل: ٣٨١/١ - ٣٩٦، الشواهد [٤٠٥ - ٤١٦].

(٤) المسند: ٣٠٦/٢ ح [١٠٤١]، أخرجه الطبراني في الأوسط [١٣٨٣] أيضاً.

(٥) المستدرك على الصحيحين: ١٤٠/٣ [٢٤٤/٤٦٤٦] ط. دار الكتب العلميّة.

(٦) لاحظ فرائد السمطين - السّمط الأول: ١٤٨، الحديث [١١١ و ١١٢].

الشبلنجي في نور الأبصار: أخرج مثله ^(١).

والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة: أورده أيضاً ^(٢).

المتقي الهندي في كنز العامل: بإسناده عن الديلمي عن ابن عباس ، قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ : أنا المنذر ، وعليّ الهادي ، وبك - يا علي - يهتدي المهتدون من بعدي » ^(٣).

الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان: أخرج مثله عن السدي ، عن عبدالله بن

علي ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٤).

ابن مردويه في (ما نزل من القرآن في علي): (المتوفى سنة ٤١٠ هـ) ، فقد

أخرج مثله بطرق متعدّدة ، عن ابن عباس ، وأبي برزة ، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ^(٥).

أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وبطرق متعدّدة ، فمنها : أخبرنا أبو

طالب ، أخبرنا أبو الحسن ، أنا أبو محمد ، أنا أبو سعيد بن الأعرابي ، أنا أبو العباس

الفضل بن يوسف بن يعقوب بن حمزة الجعفي ، أنا الحسن بن الحسين الأنصاري في

هذا المسجد - مسجد حبة العرنبي - أخبرنا معاذ بن مسلم ، عن عطاء بن السائب ،

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ

هَادٍ ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله : أنا المنذر ، وعليّ الهادي ، بك - يا علي - يهتدي المهتدون » ^(٦).

إلى آخر ما روي في هذا الصدد ، وما ذكرناه كان على سبيل الاستطراد لا الحصر ،

(١) انظر نور الأبصار: ١١٩.

(٢) انظر ينابيع المودة: ٢٩٦/١.

(٣) كنز العمال: ٦٢٠/١١ ، الحديث [٣٣٠١٢].

(٤) انظر الكشف والبيان: ٢٧٢/٥.

(٥) انظر ما نزل من القرآن في عليّ: ٢٦٥ - ٢٦٧ ، الحديث [٤٠٥ - ٤٠٩].

(٦) تاريخ مدينة دمشق: ٣٥٩/٤٢ ، أخرجه بطرق متعدّدة ، وبمضمون واحد.

وفي هذا المقدار كفاية لإثبات المطلوب .

بعد تلك الجولة السريعة في الروايات المفسرة بل الموضحة للمصداق الأكمل ،
والواردة عن النبي صلى الله عليه وآله ، وقد تناقلها الصحابة وأئمة الحديث ، يتجلى لنا بوضوح ،
كون المراد بالهادي علي بن أبي طالب عليه السلام .

ركائز تأسيسية :

وهذا يجعلنا نؤسس عليه مايلي :

أولاً: الهادي خليفة النبي صلى الله عليه وآله

لا يمكن بحال من الأحوال أن تترك الأمة سدى ، دون راعٍ وهادي يقود الأمة نحو
الهداية والرشاد ، ففي زمن وجود النبي صلى الله عليه وآله فهو البشير وهو النذير وهو الهادي
الأمين ، ولكن من بعده لابد من هادٍ يقوم مقامه ليؤدي دور الهداية والرشاد للأمة .
قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ .

ثانياً : دلالة الاقتران بين الإنذار والهداية :

إن الاقتران بين كون النبي صلى الله عليه وآله (منذراً) وعلي (هادياً) ، له دلالاته المعمقة التي
ينبغي أن نفهمها جيداً ، فهو يكشف لنا كون هذا المقام سامياً وعالياً ، اختص به
علي بن أبي طالب دون سائر الأصحاب ، لما يتمتع به من مؤهلات ومميزات ميّزته
عن الآخرين ، بحيث يقتضي كونه هادياً سائر أوقاته على نحو الإطلاق ، فيكون
مؤهلاً لأداء دور خليفة النبي صلى الله عليه وآله فيباشر بالهداية والإرشاد لأُمَّته من بعده ، من دون
دعوة جديدة ، بل السير على هدى دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله . كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله
لعلي عليه السلام : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » ^(١) .

(١) أخرجه مسلم بإسناده عن سعد بن أبي وقاص . لاحظ صحيح مسلم : ٢٤٠٤/١٨٧٠/٤ ، باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام .

ثالثاً : الهادي المرجع الأعلى :

إنّ الآية الشريفة تتحدّث عن (هاد) يرجع النَّاسُ إليه ، ولا يرجع هو إلى أحدٍ منهم ، وإلا لانقلب الحال في الهادي فلا يكون هادياً - بنحو مطلق - لاحتياجه إلى مَنْ يهديه من النَّاسِ ، وهذا ما أشار إليه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله : « يا علي بك يهتدي المهتدون بعدي » ، بمعنى أنّك مرجع الهداة من بعدي .

رابعاً : المصداق الأكمل هو المقصود :

إنّ الآية الشريفة ليست مقصورة على تبيان أصل الهداية وعنوانها فحسب ، بل على كمال الهداية ومراتبها السامية ، وذلك للملازمة الخطيرة بين دور الإنذار ودور الهداية . من هنا لابدّ للهداة أن يكونوا بالدَّرَجَةِ الرفيعة السامية ، التي تؤهّلهم لتبوء هذا المقام السامي والرباني .

خامساً : ضرورة توفّر الهداة في طول الزمان :

قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ، بمعنى أنّ يكون الهادي للقوم على قمّة الهرم القيادي للأمة ، ليقودها نحو الهدى والصّلاح ، وهذا ما ينبغي أن يكون متوفّراً في طول الزمان ، لا في زمان دون زمان ، من هنا يتبادر إلى الذهن السؤال التالي :

مَنْ هم أولئك الهداة الذين أوّلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؟

لاشك ولا ريب أنّهم أئمة الهدى وسفن النجاة ، أئمة أهل البيت عليهم السلام . فهم هداة هذه الأمة وقادتها ، وهذا ما لا ينبغي أن يشك فيه أحد .

نموذجان في التفسير :

ولكي تكتمل هذه الجولة بحثاً ، أودّ الإشارة إلى ما فهمه بعض المفسّرين من حديث النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكتفياً بنموذجين فقط :

النموذج الأوّل : ما قاله أبو حيّان الأندلسي : « وإنّ صحّ ما روي عن ابن عبّاس

- وقد ذكرناه في صدر هذه الآية - فإثماً جعل الرسول صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب مثلاً من علماء الأمة وهداتها إلى الدين فكأنه قال :

أنت يا عليّ هذا وصفك ليدخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم كذلك علماء كل عصر ، فيكون المعنى على هذا : إثماً أنت منذر ولكل قوم في القديم والحديث دعاء هداة إلى الخير»^(١).

أقول :

أولاً : معنى الكلام المتقدم أن علياً عليه السلام ليس له أية خصوصية أو ميزة أو مؤهلات ، أهّلته لهذا المقام السامي ، واختصّ بها دون سائر الأصحاب ، والحال أن هذا ما اعترف به القاصي والداني ، كما أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أشار بهذه الخصوصيات لعليّ ، في الرواية التي أخرجها أبو يعلى عن أبي هريرة ، قال : « قال عمر بن الخطاب : لقد أعطي عليّ ثلاث خصال لئن تكون لي فضيلة منها أحبّ إليّ من أن أعطى حمر النعم ، فسئل : وما هي : قال : تزويج النبي صلى الله عليه وآله ابنته له ، وسكناه المسجد لا يحلّ لأحد فيه ما يحلّ لعليّ ، والراية يوم خيبر»^(٢).

ثانياً : هناك فرق بين ذلك المقام السامي الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وآله بقوله : « أنا المنذر ، وأنت الهادي ، وبك - يا عليّ - يهتدي المهتدون بعدي » وبين أن يكون في الأمة هداة ودعاة إلى الخير يقومون بإرشاد الناس وتوعيتهم ، من أولياء وعلماء ومفكرين وأمثالهم ، وهذا يختلف اختلافاً جوهرياً عن المصداق الأكمل والصورة المثلى والمتسامية ، وذلك لتعبير الآية ﴿ **وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ ، فالآية أشارت إلى كمال

(١) البحر المحيط : ٣٥٥/٦ .

(٢) ينابيع المودة ، للقدوزي الحنفي : ٧٦/٤٠٦/٢ ، انظر الفصل الثاني من الباب الثامن من فضائل عليّ . الصواعق المحرقة : ٣٧٣/٢ . البداية والنهاية ، لابن الأثير : ٣٢٣/٧ ، ط . دار الحديث - القاهرة .

الهداية ومرتبها السامية ، وبنفس الوقت لاينعدم دور المراتب الأخرى في مجال الهداية والإرشاد .

ثالثاً: إذا اختلف الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وآله فمن هو الذي يجب أتباعه والأخذ بقوله والالتزام بأمره ونهيه ؟ وقد حصل ذلك الاختلاف ، الذي وصل إلى حد الحروب الدامية التي راح ضحيتها ألوف المسلمين كالجمل وصفين والنهروان . بل إن ثمرة (الهادي) إنما تتجلى ظهوراً وتزداد وضوحاً عند اختلاف الآراء والمواقف ولا سيما عند الفتن ، وقد ركز علي عليه السلام على (الفتنة) لما لها من خطورة اضطراب الآراء ، وضبابية المواقف واختلاط الحق بالباطل ، حيث يقول عليه السلام : « إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ »^(١) ، وإلا ففي حال الاتفاق قد لا تظهر الثمرة بشكل واضح للبعض ، وقد قال القائل : « الصَّلَاةُ مَعَ عَلِيِّ أْتَمَّ ، وَاللَّقَمَةُ مَعَ مَعَاوِيَةَ أَدَسَمَ » . فقيل له : أمّا إذا اختلفوا وتصارعوا واقتتلوا فقال : « الوقوف على التل أسلم » !!

والنموذج الثاني: ما قاله المراغي في تفسيره : قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ، أي ولكل أمة قائد يدعوهم إلى سبيل الخير . فطره الله على سلوك طريقه بما أودع فيه من الاستعداد له بسائر وسائله وقد شاء أن يبعث هؤلاء الهداة في كل زمان كي لا يترك الناس سدىً ، وأولئك هم الأنبياء الذي يرسلهم لهداية عباده فإن لم يكونوا فالحكماء والمجتهدون الذين يسرون على سننهم ويقتدون بما خلفوا من الشرائع وفضائل الأخلاق وحميد الشمائل ، ويؤيده قوله صلى الله عليه وآله : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »^(٢) .

أقول: في الوقت الذي نأبى لهذا المفسر الجليل صاحب الفضيلة ، أن يفسر الآية

(١) نهج البلاغة : ٨٧ ، الخطبة ٥٠ ، تصنيف : صبحي الصالحي .

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب : باب رقم ٢٦ ، نقلاً عن تفسير المراغي : ٦١/٥ .

الشريفة بهذه الضبابية المعتمة دون الإشارة لا من قريب ولا من بعيد لذكر المصداق الأكمل للهداة. وأعني به عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فلا كلام لنا فيما أشار إليه من المعنى العام، وضرورة توفر الهداة في كل زمان كي لا تترك الأمة سدى، وهو كلام سليم في الجملة، لكن ما يوقفنا ملياً هو استشهاده بحديث «أصحابي...» الذي هو حديث موضوع وباطل سنداً ودلالة. وهذا ما نوّد الإشارة إليه في المقصد اللاحق.

المقصد الخامس: كشف حقيقة حديث «أصحابي كالنجوم...»

وينبغي تبيان ذلك من خلال الأمور التالية:

الأمر الأوّل: في تخريج الحديث

قد أخرجه جملة من رواة الحديث، وأشاروا إلى ضعف إسناده، مع استنكارهم لمضمونه، ومن هؤلاء:

الطريق الأوّل: أخرجه عبد بن حميد في مسنده من طريق حمزة النصيبي عن

نافع عن ابن عمر.

قال ابن حجر العسقلاني: حمزة ضعيف جداً^(١). وقال البخاري: حمزة منكر

الحديث.

الطريق الثاني: رواه الدارقطني في غرائب مالك من طريق جميل بن زيد عن

مالك، عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر.

قال ابن حجر العسقلاني: جميل لا يعرف، ولا أصل له في حديث مالك ولا من

فوقه^(٢).

(١) و (٢) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني:

والغريب في الأمر أنهم يضعون الحديث ويروونه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه محمد الباقر عليه السلام ، كي تنطلي أكذوبة الوضع ، ولكن لا بدّ للحقيقة أن تنكشف .

الطريق الثالث : ذكره البزار من رواية عبدالرحيم بن زيد العمي عن أبيه ،

عن سعيد بن المسيّب عن عمر .

قال ابن حجر : عبدالرحيم كذاب ^(١) . وقال : ومن حديث أنس أيضاً وإسناده واهٍ .

الطريق الرابع : ورواه القضاء في مسند الشهاب له من حديث الأعمش

عن أبي صالح ، عن أبي هريرة .

قال ابن حجر : في إسناده جعفر بن عبدالواحد الهاشمي وهو كذاب ^(٢) .

الطريق الخامس : ورواه أبوذر الهروي في كتاب السنّة من حديث مندل عن

جويبر ، عن الضحّاك بن مزاحم منقطعاً .

قال ابن حجر : وهو في غاية الضعف - أي الضحّاك بن مزاحم ^(٣) .-

وقال أبو بكر البزار : هذا الكلام - حديث أصحابي كالنجوم - لم يصح عن

النبي صلى الله عليه وآله .

وقال ابن حزم : هذا خبر مكذوب موضوع باطل ^(٤) .

هذا هو حال تخريج الحديث والموقف من إسناده ورواته .

الأمر الثاني : مناقشة بعض رجال سند الحديث

ولكي لانطيل البحث عليك - وقد عرفت موقف علماء الرجال وأئمة الحديث

منه - نفتصر على ذكر راوٍ واحد من رواته لتحقيق حالة الاطمئنان النفسي بكون

الحديث موضوع ومصنوع .

(١ - ٥) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافي الكبير ، لابن حجر العسقلاني : ١٩٠/٤ .

روى جعفر بن عبدالواحد الهاشمي القاضي عن وهب بن جرير، عن أبيه، عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله: «أصحابي كالنجوم، من اقتدى بشيء منها اهتدى».

قال الدارقطني: - جعفر بن عبدالواحد - يضع الحديث.

قال أبو زرعة: روى أحاديث لا أصل لها.

وقال ابن عدي: يسرق الحديث... ويأتي بالمناكير عن الثقات. ثم ساق له عدة أحاديث وقال كلها بواطيل، وبعضها سرقة من قوم^(١).

قال سعيد بن عمرو البردعي: ذكرت أبا زرعة بأحاديث سمعها من جعفر بن عبدالواحد، فأنكرها وقال: لا أصل لها، وقال في بعضها: إنها باطلة موضوعة، ثم استرجع^(٢)!!

قال الذهبي: «ومن بلاياه مارواه عن النبي، وهي رواية (أصحابي كالنجوم)، -بالإسناد المتقدم-».

قال ابن حبان: «كان جعفر بن عبدالواحد يسرق الحديث ويقلب الأخبار»^(٣).

ما هو الموقف العلمي لرجال الحديث والعلماء من حديث النجوم؟

قال الإمام أحمد بن حنبل: «لا يصح هذا الحديث»^(٤).

وقال الحافظ أبو بكر البزار: «هذا الكلام - حديث النجوم - لا يصح عن النبي صلى الله عليه وآله،

(١) لسان الميزان: ١٤٨/٢. ميزان الاعتدال: ١٤١/٢. وانظر الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٩٨/٢ وما بعدها.

(٢) لسان الميزان: ١٤٨/٢. ميزان الاعتدال: ١٤١/٢، وقال الذهبي في ديوان الضعفاء والمتروكين: ١٥٠/١: «جعفر بن عبدالواحد ساقط متهم».

(٣) المجروحين، لابن حبان: ٢١٥/١. وانظر كتاب الموضوعات، لابن الجوزي: ٩٦/٢. و: ١٧٢/٣. الكشف الحثيث عمّن رمي بوضع الحديث، لبرهان الدين الحلبي: ١٢٧.

(٤) انظر المنتخب من العلل، لابن قدامة: ١٤٣.

وهو منكر»^(١).

وقال ابن حزم الظاهري : « حديث موضوع وكذب وباطل »^(٢).

وقال أبو حيان الأندلسي : « حديث موضوع لا يصح بوجه من رسول الله صلى الله عليه وآله »^(٣).

قال الذهبي : « هذا الحديث - حديث أصحابي كالنجوم - باطل ومردود »^(٤) ، وجعله من بلايا (جعفر بن عبد الواحد).

الأمر الثالث : في مناقشة دلالة الحديث

هذا الحديث صدره يكذب ذيله ، وهذا ما استعرفه من خلال ما يلي :

أولاً : من هو المخاطب بهذا الحديث ؟

هذا الحديث إما أن يكون قد قاله النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه وغيرهم أو قاله لأصحابه دون غيرهم أو قاله لغير أصحابه ؟

فإن قالوا : إنه قاله للأصحابه وغيرهم ، أو قاله للأصحابه دون غيرهم .

قلنا : فهل يستقيم في الكلام الفصيح الحكيم أن يقول لأصحابه وهو يخاطبهم مشافهة ، ويقول لهم : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ؟ ! ومن المعلوم أن الصحابي هو من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله فضلاً عما سمع منه حديثه^(٥) .

وإن قالوا : إنه قاله لغير أصحابه . نقول : هل يعلم خبر بهذا ، معروف ، مجمع عليه ، أم هو شيء تتخرصونه باستحسان عقولكم وآرائكم ؟ لأن الصحابة هم الذين

(١) انظر جامع بيان العلم ، لابن عبد البر : ٩٢٣/٢ .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم : م ٢٥١/٦/٢ .

(٣) تفسير البحر المحيط : ٥٨٢/٦ ، مورد تفسير آية ٨٩ / النحل .

(٤) ميزان الاعتدال : ١٤١/٢ و : ١٥١/٣ .

(٥) سيأتي - إن شاء الله تعالى - بيان تعريف الصحابي مفصلاً في الجزء الثاني ، فلاحظ .

رووه ، فلو كان قاله النبي صلى الله عليه وآله لغير الصحابة لكان قد ذكروا ذلك الخبر ، ولكانوا يقولون : إن الرسول صلى الله عليه وآله قال لجميع من أسلم غير الصحابة (أصحابي كالنجوم ...) ، ولما لم يكن في النقل شيء من هذا التخصيص ، بطل الادعاء^(١) .

ثانياً : جميع النجوم لا يهتدي بها في الصحاري والبحار؟

إن نجوم السماء لا يهتدي الإنسان بها جميعاً في الصحراء أو البحار وإنما عدد معين يستفاد منها لتشخيص الطريق وقد قال تعالى : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾^(٢) . فكيف يصح من النبي صلى الله عليه وآله هذا التشبيه ؟

ثالثاً : لزوم الانشقاق في وجوب الاقتداء بالمختلفين

كيف يمكن أن يكون تمام الصحابة - على الاختلاف الواسع في تعريف الصحابي - كلهم مورد هداية ؟ والحال قد وقع من قبل بعضهم الانحرافات والمنكر . فوجوب الاقتداء بهم حينئذ يلزم تصدع وحدة الأمة ، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأمرنا بذلك .

شواهد في الاختلاف والانحراف

١ - قدامة بن مظعون : من الصحابة ، شهد بدرأ ، وأحداً ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله^(٣) ومن السابقين في الإسلام وكان عامل الخليفة عمر بن الخطاب على البحرين ، شرب الخمر إلى أن ثمل ، وشهد عليه أبو هريرة أنه رآه سكراناً يتقيأ ، ولما شهدت عليه البيئة ، أقام عمر عليه الحد^(٤) .

(١) انظر إحقاق الحق : ٩٤/٣ .

(٢) النحل : ١٦ .

(٣) الطبقات الكبرى : ٦٠٣/٣ .

(٤) تاريخ الإسلام ، للذهبي : ٥٣٢/٣ . وانظر : سير أعلام النبلاء : ١٠٣/٣ . الاستيعاب ، ↵

٢- بعضهم ارتكب الجناية والقتل وتلطّخت يدها بدماء الأبرياء ، مثلاً : بسر بن أرطاة ، أغار على اليمن ، فتنحّى عنها عامل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وهو عبيدالله بن عباس ، وبلغ عليّاً عليه السلام فجهّز إلى اليمن حارثة بن قدامة السعدي ، فوثب بسر على ولدي عبيدالله بن عباس صبيّين ، فذبحهما بالسكين وهرب ^(١) .

وأورد الذهبي ما نصّه : « قال ابن يونس : بسر بن أرطاة صحابيٌّ شهد فتح مصر ، وله بها دارٌ وحمّام ، ولي الحجاز واليمن لمعاوية ، ففعل قبائح ، ووُسوسٍ في آخر عُمره » ^(٢) .

٣- بعضهم لم ينصروا الحقّ بل قاتلوا الحقّ وأهله ، وواجهوه ووقفوا إلى جنب الباطل ! فلذا شاركوا في القتال إلى جنب الناكثين والقاسطين والمارقين . في

⇨ للقرطبي : ٣/٣٤٠ ، الحديث [٢١٣٢] . الإصابة في تمييز الصحابة : ٥/٣٢٤ [٧١٠٣] . أسد الغابة : ٤/٤١٧ [٤٢٧٧] .

وفي الموافقات : ٣/٢١٦ قال الشاطبي : « لما استدعاه عمر ، وقال له : يا قدامة ، ⇨ لا بدّ أن أقيم عليك حدّ شرب الخمر . فقال قدامة : إنك لا تستطيع أن تقيم عليّ الحدّ ! فقال عمر : لماذا ؟ فقال قدامة : لقوله تعالى : لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٩٣﴾ [المائدة : ٩٣] ، وأنا من مصاديق الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فإنني في موقعة بدر وأحد قد شاركت في الجهاد إلى جانب رسول الله .

فقال عمر : ألا تردّون عليه قوله . فقام ابن عباس ، وقال : إنّ هؤلاء الآيات أنزلن عذراً للماضين وحنة على الباقين ، لأنّ الله يقول : ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة : ٩٠] ، ولو كان ابن مضعون من مصاديق الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومن الذين اتقوا وآمنوا ، فلماذا شرب الخمر بعد أن حرّمها الله ؟ فقال عمر : صدقت .

(١) انظر تأريخ الطبري : ٦/٣٤٥٠ - ٣٤٥٢ ، جنایات بسر بن ارطاة . الكامل في التأريخ :

٤٣١/٢ . تاريخ الإسلام ، للذهبي : ٣/٦٠٧ . سير أعلام النبلاء : ٤/٤٩٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٤/٤٩٢ . وانظر تأريخ دمشق : ٥/١٨٢ .

حين أمرهم النبي صلى الله عليه وآله بقتال أولئك ، حيث روى أبو سعيد الخدري ، قال : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، فقلنا : يا رسول الله صلى الله عليه وآله ، أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من ؟

فقال : مع علي بن أبي طالب ، معه يقتل عمار بن ياسر»^(١) .

وعن علي بن ربيعة ، قال : « سمعت علياً علي منبركم هذا يقول : عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين »^(٢) .

ولذا نجد بعضهم قد ندم على عدم نصرته للحق مع أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . فهذا عبدالله بن عمر يقول : « ما أسى على شيء إلا أنني لم أقاتل مع علي بن أبي طالب الفئة الباغية »^(٣) .

فمع وجود تلك الاختلافات المتضاربة والمتناقضة بين الصحابة فكيف يتعبدنا الشارع بالأمور المتناقضة ؟!

وعليه فلا يمكن قبول تلك الرواية بأي حال من الأحوال ، وذلك للأسباب المتقدمة .

المقصد السادس : نتائج البحث

أولاً: إن الآية الشريفة أشارت إلى نحوين من وظائف القيادة الربانية ، فالوظيفة الأولى هي الإنذار ويلازمها التبشير ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ، وقد خص الله تعالى بها نبيه الكريم . والوظيفة الثانية هي (الهداية) ، وقد أجملها الله تعالى في كتابه ، لكن السنة المطهرة فصلتها ببيان عربي مبين ، وذكرت مصداقها المعاصر لترجع إليه الأمة عند

(١) و (٢) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير : ١٢٤/٤ .

(٣) انظر : الاستيعاب ، للقرطبي : ١٦٣٠/٨٣/٣ ، ترجمة عبدالله بن عمر ، تجد روايات متعددة بهذا المضمون . أسد الغابة : ١٢٤/٤ ، أيضاً .

اختلافها وتضارب آرائها ومواقفها ، بل في كل ما يلتبس عليهم .

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ يدل على أنه لا بد وأن يكون أعلى الهرم القيادي للأمة من يكون هادياً لها ، يقودها نحو الهدى والرشاد ، بحيث يحقق المرجعية السياسية والعلمية معاً ، فترجع الأمة إليه ، ولا يرجع إليها ، وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله : « يا علي ، بك يهتدي المهتدون بعدي » . وبهذا يكون علي عليه السلام مرجع الأمة ومرجع الهداة ، فالكل بحاجة إليه ، وهو عن الكل غني . وهذا دليل على أنه إمام الكل .

ثالثاً : مفهوم (الهداية) مفهوم واسع ، يستوعب الكثيرين ممن تكون مهمتهم هداية أبناء الأمة ونشرواح الشريعة الإسلامية الغراء ، من علماء ، وصلحاء ... ولكن الآية الشريفة أشارت بإجمال إلى المصداق الأكمل والأبرز في عملية الهداية الكبرى للأمة ، ولذا جعلته تراً في كل قوم ، وهذا بحد ذاته له دلالة عميقة ينبغي أن لا تخفى على اللبيب .

رابعاً : قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام : « أنا المنذر وأنت الهادي » ، بمعنى أن علياً يمثل النموذج الأكمل لهذا العنوان ، بقريته كون النبي صلى الله عليه وآله يمثل النموذج الأكمل والأبرز لعنوان الإنذار ، وهذا ما نفهمه من خلال دلالة الاقتران والمعية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أشارت الآية الشريفة ﴿ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ معناه أن الله تعالى لا يترك الأمة سدى من دون هادٍ وراع يقود شراع السفينة نحو الهدى والرشاد ، وهذا يقتضي تكرار ما يماثل النموذج الأكمل في الأزمنة الأخرى ، ليتحقق بهم العنوان الأحادي للهداية ، وهذا ما نجده متوقفاً في أئمة أهل البيت عليهم السلام ، فهم المصداق الأكمل والأبرز لهذا العنوان ولا يدانيهم فيه أحد . ولا بد من توفيقهم على طول مديات الزمان ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا ما نستكشفه من خلال عموم الآية الشريفة ﴿ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ وكذا إطلاقها . هداانا الله وإياكم بهديهم وعصمنا من الزلل .

الآية السابعة:

آية الإطعام

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * يُوفُونَ
بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا
نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَّهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ
نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾^(١)

البركة

هذه الآيات المباركة ترسم لنا لوحة فنيّة رائعة عن معاني العطاء والسمو والإخلاص والإيثار لنفوس ما عاشت في دنياها لحظة واحدة إلا الله تعالى .

إطعام الطعام ، الوفاء بالنذر ، التصدق ، مفردات صالحة وخيرة جذابة في سماء العبودية والطاعة . ورغم كل ذلك ، فإنّها لم تصدر من تلك النفوس العالية ، إلا كونها لله ، وفي سبيل الله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ غاية في العطاء وفي النبل والشرف .

فهذه الآيات بمجموعها تمثّل هتافاً ندياً نحو الطاعة إلى الله تعالى ، وابتغاء رضاه . وهي ترسم سمات أولئك الأبرار في عبارات كلّها رقة وجمال وبأسلوب فني جذاب يعبّر عن غاية الرّغبة للسماء في إكرامهم وتبجيلهم .

تستعرض الآيات صفات أولئك الأبرار ، وتبيّن موقعهم المستقبلي في مقام الجزاء الأخروي ، لتستهوي النفوس الخيرة نحو الاقتداء بهم والرغبة الأكيدة لمعيّتهم ، والفوز برضوان الله الذي حقّوه بتضحياتهم وصبرهم وطاعتهم .
فهذه الآيات تشير إلى واقعة تاريخية حدثت لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله في قصّة (النذر) خالصة لله تعالى ، ولكنّ عالم الغيب المطّلع على ضمائر النفوس ، لم يتركها تمرّ دون أن يسجّلها في لوحه المحفوظ ، وينزلها في قرآنه المجيد ، لتكون درساً بليغاً لأبناء الأمة نحو المعرفة والهداية ، ويكون أهل البيت عليهم السلام مثلاً نموذجية عالية ، وقدوة للمسلمين جميعاً ، بل للإنسانية أجمع ، في مجال الإيثار والعطاء والإخلاص لله تعالى .

فما هي تلك الواقعة ؟ وكيف حدثت ؟

ومن هم مصاديقها ؟

وما هو موقف أئمة الحديث والتفسير منها ؟

وماهي الآراء المخالفة ؟

كل ذلك سنبحثه - بإذن الله - ضمن المقامات التالية :

المقام الأوّل : شأن النّزول

لقد أورد الزمخشري في تفسير هذه الآيات ما نصّه : « عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنّ الحسن والحسين مرضا ، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه ، فقالوا : يا أبا الحسن ، لو نذرت عليّ ولدك . فنذر عليّ وفاطمة وفضة جارية لهما إن برآ ممّا بهما ^(١) : أن يصوموا ثلاثة أيّام ، فشفا وما معهم شيء ، فاستقرض عليّ من شمعون الخيبري

(١) برآ : بمعنى برأ المريض أي : شفي ، وأصبح بارئاً من مرضه أي : معافاً . لسان العرب :

اليهودي ثلاث أصوع^(١) من شعير^(٢)، فطحنت فاطمة صاعاً: واختبرت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطمعوني أطعمكم الله من موائد الجنة، فأثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياماً.

فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم، فأثروه؛ ووقف عليهم أسير^(٣) في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ عليٌّ عليه السلام بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبريل، وقال: خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة^(٤).

أقوال طائفة من علماء التفسير والحديث:

هذه الرواية بلغت مدى واسعاً في الانتشار والشيوع عند أكابر المفسرين وأئمة الحديث، نشير إلى طائفة منهم:

(١) أصوع: جمع صاع، والصاع وحدة وزن تعادل ثلاثة كيلو غرام.

(٢) وروي أنه أخذها ليغزل له صوفاً، كما في رواية أخرى عن الطبرسي في مجمع البيان: ١٦٤/١٠.

(٣) المراد بالأسير هو المشرك كما عن قتادة، وأخرج عبد الرزاق بإسناده عن معمر، ومن طريق آخر بإسناده عن ابن عباس: أن المراد بالأسير هو المشرك في قوله تعالى: ﴿وَأَسِيرًا﴾ انظر تفسير عبد الرزاق: ٣/٣٧٤/٣٤٢٤، ٣٤٢٦. نعم، اختلف المفسرون في معنى (الأسير)، وستعرف الأسباب، فلاحظ.

(٤) الكشاف، للزمخشري: ٦٥٧/٤.

١ - **الثعلبي** (المتوفى سنة ٤٢٧ هـ): أخرج الرواية بإسناده عن مجاهد ، عن ابن عباس^(١) .

٢ - **الحاكم الحسكاني الحنفي** (المتوفى سنة ٤٥٠ هـ): أخرج بإسناده عن الهيثم بن عبدالله الرّماني ، قال : حدّثني عليّ بن موسى الرّضا ، حدّثني أبي : موسى ، عن أبيه جعفر بن محمّد ، عن أبيه محمّد ، عن أبيه عليّ ، عن أبيه الحسين ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب ، قال : ... الخ « الحديث ، ونقل الرواية بتفصيلها . ثمّ أكثر من الشواهد حتّى بلغت تسعة عشر شاهداً وأوردها بطرق متعددة ، من أراد المزيد فليراجعها^(٢) .

٣ - **الماوردي** (المتوفى سنة ٤٥٠ هـ): فقد أورد الرواية بقوله : « الثاني : ما حكاه عمرو عن الحسن أنّها نزلت في علي وفاطمة - رضي الله عنهما - وذلك أن ... الخ » الحديث^(٣) .

٤ - **الواحدي** (المتوفى سنة ٤٦٨ هـ): أخرج بإسناده عن عطاء عن ابن عباس ، الرواية باختصار^(٤) وروى الرواية ذاتها في تفسيره الموسوم بـ (الوسيط في تفسير القرآن المجيد) .

٥ - **الحسين بن مسعود البغوي** (المتوفى سنة ٥١٦ هـ): أورد الرواية عن مجاهد وعطاء عن ابن عباس ، وقال : « إنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وذلك أنّه ... الخ » الرواية^(٥) .

(١) انظر الكشف والبيان : ٩٨/١٠ .

(٢) انظر شواهد التنزيل : ٣٩٤/٢ .

(٣) تفسير الماوردي : ١٦٨/٦ .

(٤) انظر : أسباب النزول : ٣٦٤ ، سورة الدهر . الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ٤٠١/٤ .

(٥) تفسير البغوي : ٣٠٩/٥ .

٦- **الفخر الرازي** (المتوفى سنة ٦٠٤ هـ)، قال: «لم يذكر أحد من أكابر المعتزلة، كأبي بكر الأصم، وأبي علي الجبائي، وأبي القاسم الكعبي، وأبي مسلم الاصفهاني، والقاضي عبد الجبار بن أحمد، في تفسيرهم أن هذه الآيات نزلت في حقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والواحد من أصحابنا ذكر في كتاب البسيط أنها نزلت في حقّ عليّ عليه السلام، وصاحب الكشاف من المعتزلة ذكر هذه القصة، فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما»^(١)، ثمّ أورد الفخر الرواية بتمامها من دون نكارة.

٧- **سبط ابن الجوزي** (المتوفى سنة ٦٥٤ هـ): قد أورد الرواية مفصّلاً وبطريقتين، كما أنّه اعترض على مزاعم جدّه (ابن الجوزي) في كون الرواية لا أصل لها، وأقام الأدلّة على وقوعها، وسنوافيك البيان بتفاصيله^(٢).

٨- **الكنجي الشافعي** (المتوفى قتلاً سنة ٦٥٨ هـ): أورد الرواية ذاتها^(٣).

٩- **القرطبي** (المتوفى سنة ٦٦٨ هـ)، قال: «قال أهل التفسير: إنّها نزلت في عليّ وفاطمة رضي الله عنهما وجارية لهما اسمها فضّة»^(٤).

١٠- **محبّ الدين الطبري** (المتوفى سنة ٦٩٤ هـ): وقد أوردتها في موضعين من كتابه. الأول: فيما نزل في علي من الآيات، والثاني: في ذكر صدقته^(٥).

١١- **أبو البركات النسفي** (المتوفى سنة ٧١٠ هـ) قال مانّصه: «نزلت في عليّ،

(١) التفسير الكبير: م/١٥/٣٠/٢٤٤.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٨١ - ٢٨٤.

(٣) راجع كفاية الطالب: ٣٤٥.

(٤) تفسير القرطبي: ١٢٦/١٩، وممّا يجدر الإشارة إليه أنّ القرطبي ذكر رواية أخرى بتفاصيل أكثر، احتوت أشعاراً لعليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام واليتيم والمسكين.... فلم يقبلها وقال: هذا لم يثبت عندي ولم يصح.

(٥) انظر ذخائر العقبى: ١٦٠، ١٨٣، وأشار إلى قول الحسن وقتادة بكون الأسير من

المشركين.

وفاطمة ، وفضة - جارية لهما - : لما مرض الحسن والحسين - رضي الله عنهم - نذروا صوم ثلاثة أيام ، فاستقرض علي عليه السلام من يهودي ثلاثة أصوع من الشعير ، فطحنت فاطمة - رضي الله عنها - كل يوم صاعاً وخبزت ، فأثروا بذلك ثلاث عشايا على أنفسهم مسكيناً ، ویتيماً ، وأسيراً ، ولم يذوقوا إلا الماء في وقت الإفطار»^(١).

١٢ - الخازن البغدادي (المتوفى سنة ٧٢٥ هـ) : فقد أورد الرواية ذاتها عن ابن

عبّاس^(٢).

١٣ - النيسابوري القمي (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) : فقد ذكر الرواية السالفة ،

وأضاف قائلاً: « يروى أنّ السائل في الليالي جبرئيل أراد بذلك ابتلاءهم بإذن الله سبحانه . ووصفهم الله سبحانه بالخوف من أهوال القيامة في موضعين » ، فذكرهما بالتفصيل ، إلى أن قال : « **إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا** » ، وإذا كان حال أهل البيت عليهم السلام أو حال الأبرار على العموم في الخوف من الله إلى هذه الغاية فغيرهم أولى بالخوف . وأضاف أيضاً : « وأما الضمير في (حبّه) فللطعام ، أي مع اشتهاه والحاجة إليه كقوله تعالى : **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** »^(٣) ، وقوله تعالى : **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** »^(٤) »^(٥).

١٤ - الجويني (المتوفى سنة ٧٣٠ هـ) قال في مقدّمة الباب الحادي عشر ما

نصّه : « فضيلة تنقاد بذكرها كل شامة ، وتشرف من نورها ليالي الأزمان الدامسة في أنّ علياً وأهل بيته عليهم السلام آثروا المسكين واليتيم والأسير على أنفسهم فدفعوا إليهم كل

(١) تفسير النسفي : ٥٧٨/٣ .

(٢) انظر تفسير الخازن : ٣٧٨/٤ .

(٣) آل عمران : ٩٢ .

(٤) الحشر : ٩ .

(٥) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٤١٢/٦ .

ما كان عندهم من الطعام مع حاجتهم إليه وجوعهم ، فأنزل الله تعالى في شأنهم سورة هل أتى» ^(١) . ثمَّ أورد الرواية السابقة .

١٥ - **أبو حيان الأندلسي** (المتوفى سنة ٧٥٤ هـ) قال ما نصّه : « وهذه الآية قيل إنَّها نزلت في عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه » ^(٢) .

١٦ - **القاضي البيضاوي** (المتوفى سنة ٧٩١ هـ) أورد الرواية ذاتها عن ابن عباس ^(٣) .

١٧ - **جلال الدين السيوطي** (المتوفى سنة ٩١١ هـ) : فقد أورد في تفسيره ما نصّه : « وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ الآية ، قال : نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله » ^(٤) .

١٨ - **ابن عجيبة** (المتوفى سنة ١٢٢٤ هـ) : فقد أورد الرواية ذاتها ، ودافع عن صحّة إسنادهما ببيان جميل سنوافيك به عند حديث المناقشة ^(٥) .

١٩ - **محمد بن علي الشوكاني** (المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ) : أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله عليه السلام : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطعام... ﴾ الآية . قال : « نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله » ^(٦) .

٢٠ - **الآلوسي** (المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ) : بعد أن ذكر القصة بتفاصيلها من رواية عطاء عن ابن عباس ، وبَيَّنَّ أنَّ الخبر مشهور بين النَّاسِ ، فأضاف قائلاً : « ذكره

(١) فرائد السمطين - السمط الثاني : ٥٣ - ٥٦ ، الحديث ٣٨٣ .

(٢) البحر المحيط : ٣٦٢/١٠ .

(٣) انظر تفسير البيضاوي : ٤٢٨/٥ .

(٤) الدّر المنثور : ٣٤٣/٨ .

(٥) انظر البحر المديد : ١٩٧/٨ .

(٦) فتح القدير : ٤٢٣/٥ .

الواحد في كتاب البسيط» .

ثم أشار إلى بعض الاعتراضات على القصة المتضمنة للأشعار ، وخلص إلى النتيجة التالية : « وعلى القول بعدم النُّزول فيهما - علي وفاطمة عليهما السلام - لا يتطامن مقامهما ولا ينقص قدرهما ؛ إذ دخولهما في الأبرار أمر جلي ، بل هو دخول أولى فهما وماذا عسى يقول امرؤ فيهما سوى أن علياً مولى المؤمنين ووصي النبي ، وفاطمة البضعة الأحمدية والجزء المحمّدي ، وأمّا الحسنان فالروح والريحان وسيدا شباب الجنان ، وليس هذا من الرفض بشيء بل ماسواه عندي هو الغي » .

ثم أنشد الألوسي قائلاً :

أنا عبد الحق لاعبد الهوى لعن الله الهوى فيمن لعن

وأضاف قائلاً : « ومن اللطائف على القول بنزولها فيهم أنه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين وإنما صرّح عزّ وجلّ بولدان مخلدين رعاية لحرمة البتول وقرّة عين الرسول »^(١) .

وهذه التفاتة من العلامة الألوسي جديرة بالانتباه ، حيث إنّ الله تعالى حينما يذكر نعيم الجنّة ، يشير إلى نساء الجنّة من الحور العين ويذكر بعض صفاتهن ، تشويقاً للمؤمنين بما وعدهم الله تعالى ، وهي من أهمّ ما يذكره عند وصف نعيم الجنّة في سائر آياته ، ولكن في هذه السورة المباركة لم يشر تعالى إلى الحور العين بالمرّة ، رغم أنه وصف الكثير من نعيم الجنّة وخيراتها ، وذكر الولدان المخلدين ووصفهم بالوصف الرائع ، ولكن امتنع عن ذكر الحور العين وهنّ النعيم الكبير لأصحاب الجنّة ، ما ذلك إلا رعاية لحرمة قرّة عين الرسول الزهراء البتول عليها السلام .

(١) روح المعاني : م ٢٦٩/٢٩/١٦ - ٢٧١ . وقد أشار العلامة صاحب تفسير الميزان إلى ما يقرب من هذا المعنى أيضاً ، انظر تفسير الميزان : ١٣١/٢٠ .

٢١ - الإمام البخاري الفنوجي (المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ): فقد أورد رواية ابن عباس بالنص التالي: « عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله » (١).

هذا غيظ من فيض ممن أورد القصة ورواياتها من المحدثين والمفسرين (٢).

المقام الثاني: الاعتراضات

يمكن أن نبين موارد الاعتراض بمايلي:

الاعتراض الأول: كون السورة مكيّة والرواية - لو صحّت - فإنّها مدنيّة ، وهذا مما يوهن صحّة الرواية وأصل صدورهما ، أو أنّ الرواية لاعلاقة لها بشأن نزول الآية .
وفي هذا الصدد قال ابن تيمية ما نصّه : « والدليل الظاهر على أنه كذب : أن سورة (هل أتى) مكيّة باتفاق الناس ، نزلت قبل الهجرة ... » (٣).

الجواب: لقد ذكر الكثير من أعلام التفسير خلاف ذلك تماماً ، وكون السورة

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن : ٤٦٣/١٤ .

(٢) وقد أورد الرواية أيضاً: الخوارزمي في المناقب : ٢٦٨ ، الحديث [٢٥٠ - ٢٥٢] . ابن مردويه في ما نزل من القرآن في عليّ : ٣٤١ . أبو طلحة الشافعي في مطالب السؤل في مناقب آل الرسول : ١٤٦/١ . القندوزي في ينابيع المودة : ٢٧٩/١ ، الحديث [٤] . محبّ الدين الطبري في الرياض النضرة في مناقب العترة : ١٧٩/٤ [١٦١٩] . الشبلنجي في نور الأبصار : ١٧١ . ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد : المجلد ٩٦/٥ ، في احتجاج المأمون على إسحاق بن إبراهيم .

وذكر المجلسي في البحار : ج ٩ ، عن جملة من أعلام التفسير الذين روى الرواية في التفسير : أبو صالح في التفسير ، مجاهد ، الضحاك ، الحسن ، عطاء ، قتادة ، مقاتل ، ليث ، ابن عباس ، ابن مسعود ، ابن جبير ، عمرو بن شعيب ، الحسن بن مهران ، النقاش ، القشيري ، وغيرهم .

(٣) منهاج السنة : ٥٥٣/٨ .

بتمامها مدنيّة ، ونقل عن بعضهم كونها مدنيّة إلا آية أو آيتين نزلتا في مكة ، وإليك البيان مفصّلاً :

١- أخرج الحاكم الحسكاني روايات متعددة وبطرق مختلفة بكون نزول سورة (هل أتى) بالمدينة ، « فعن ابن عباس أنه قال : أول ما نزل بمكة ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، [ثمّ عدّ خمساً وثمانين سورة] .

وأول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ، وآل عمران ، والأنفال ، والأحزاب ، والممتحنة ، الزلزلة ، والحديد ، ومحمّد ، والرّعد ، والرّحمن ، وهل أتى على الإنسان ! ، والطلاق ، ... إلى قوله : فذلك ثمانية وعشرون سورة مما نزل بالمدينة »^(١) .

وساق الحاكم الحسكاني روايات مختلفة نقلها أعلام التفسير ، أوضحوا فيها نزول سورة (هل أتى) بالمدينة^(٢) .

كما أنّ المفسّر الطبرسي قد أورد ما أخرجه الحاكم ، ونقل بعضاً من تلك الشواهد^(٣) .

ولعلّ توهم بعض المفسّرين بكون السورة مكّيّة نظراً لمضمونها المنسجم مع سياق السور المكّيّة !! ولكنّ الاعتماد على المضمون ليس مطّرداً ؛ إذ كثير من السور المدنيّة تذكر مشاهد يوم القيامة لكونه من الأمور العقائديّة وهم بحاجة إلى التذكير بها بصورة دائمة .

٢- نقل أبو حيّان الأندلسي قول مجاهد وقتادة في كون السورة مدنيّة . كما نقل قول الحسن وعكرمة : إنّها مدنيّة إلا آية واحدة فإنّها مكّيّة وهي : ﴿ وَلَا تَطْغَبْ مِنْهُمْ ﴾

(١) شواهد التنزيل : ٤٠٩/٢ ، الحديث [١٠٦٢ و ١٠٦٣ إلى ١٠٧٠] .

(٢) انظر شواهد التنزيل : الأحاديث تحت الأرقام (١٠٦٢ - ١٠٧٠) .

(٣) راجع مجمع البيان : ١٠/١٦٤ .

ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿١﴾ .

وقيل : مدنيّة إلا من قوله : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الخ ، فإنّه مكّي ، حكاه الماوردي ، ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جداً لا تحتاج إلى شرح . انتهى ^(١) .

٣ - لقد ذكر المراغي في تفسيره ما نصّه : « السورة مدنيّة وأنها نزلت بعد سورة الرحمن » ^(٢) .

٤ - السورة تتحدث عن الأسير ، فأين الأجواء المكيّة من الأسرى ؟ مع العلم أنّ الغزوات لم تشرّع بمكة ، ولهذا حاول بعضهم تفسير الأسير بتفاسير أخرى للهرب من هذه القرينة الواضحة ، فلذا أشار بعضهم إلى أن المراد من الأسير هو المشرك ^(٣) . كل ما تقدّم يثبت كون السورة مدنيّة وأنها نزلت بالمدينة وبهذا يُخدش الاحتجاج المدعى في المقام .

الاعتراض الثاني : اعتراض بعض المحدثين بكون الحديث مزوّقاً ومزيفاً ، وذلك لأسباب منها : كيف يصح لعلّي أنّ ينفق طعامه ولم يفضل له منه شيء ؟! وكيف ينفق قوت صبيّه وأمّهما ؟! ألا يعلم عليّ أنّ نفقة العيال واجبة ؟! ... الخ .

وإليك ما ذكره الترمذي في نوادر الأصول ، ما نصّه : « فهذا حديث مزوّق ، وقد تطرّف فيه صاحبه حتّى يشبّهه على المستمعين ، فالجاهل يعصّ على شفّيته تلّهفاً ألا يكون بهذه الصفة ، ولا يدري أنّ صاحب هذا الفعل مذموم ، وقد قال الله تعالى في تنزيله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ ^(٤) ، وهو الفضل الذي يفضل

(١) راجع تفسير البحر المحيط : ٣٥٨/١٠ .

(٢) تفسير المراغي : ٢٧٣/١٠ .

(٣) أخرج المفسّر عبد الرزاق الصنعاني بإسناده عن معمر ، ومن طريق آخر عن ابن عباس ، أنّ المراد بالأسير في الآية هو (المشرك) تفسير عبد الرزاق : ٣/٣٧٤/٣٤٢٤ ، ٣٤٢٦ .

(٤) البقرة : ٢١٩ .

عن نفسك وعيالك ، وجرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله متواترة بأن : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى » و « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » ، وافترض الله تعالى على الأزواج النفقة لأهاليهم وأولادهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » . أفيحسب عاقل أن علياً جهل هذا الأمر حتى أجهد صبياناً صغاراً من أبناء خمس أوست على جوع ثلاثة أيام ولياليهن ؟ حتى تصوّروا من الجوع ، وغارت العيون منهم ، لخلاء أجوافهم حتى ، بكى رسول الله صلى الله عليه وآله مابهم من الجهد . هب أنه أثر على نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له أن يحمل أهله على ذلك ؟ وهب أن أهله سمحت بذلك لعليٍّ فهل جاز له أن يحمل أطفاله على جوع ثلاثة أيام لبلياليهن ؟! ما يروّج هذا إلا على حمقى جهّال^(١) ، انتهى .

وفي هذا الصدد أيضاً أشكل ابن الجوزي ، واعتبر الحديث من الموضوعات ، مشككاً في صدور الشعر - الذي ورد في ضمن بعض الروايات - منهما بركته . وضعف سنده بالأصبغ بن نباته ، كما أنه أظهر ما أظهره الترمذي أيضاً^(٢) .

الجواب : وفي مقام الجواب نقول :

١ - إن هذه التشكيكات التي أبرزها الترمذي ، هي تشكيكات أقلّ مانقول عنها إنها استحسانات تصويرية فاقدة لأي إسناد علمي . وربما نشأت من قياس ما عليه عامة الناس مع سيرة أهل البيت عليهم السلام .

فلو تأملنا الآيات القرآنية - لسورة هل أتى - والتفتنا إلى الهندسة الدقيقة في الخطاب القرآني ، وقوة البلاغة البيانية فيه ، لتنبأنا بلا تردّد بكون المنفقين على درجة عالية من التعلّق بالله تعالى بحيث لا يهتمهم من الدنيا وما فيها ، سوى ما يرضي

(١) نوادر الأصول : ٢٤٦/١ و ٢٤٧ .

(٢) انظر الموضوعات : ٣٩٠/١ - ٣٩٢ .

الله تعالى ، انظر إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرُؤْفَةِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا ﴾ .

إنَّ خوف ذلك اليوم أسهر عيونهم ، وأضماً حواجرهم ، وألهب أكبادهم ، وأضمر بطونهم ، خشية لله تعالى . وأنت تقول : كيف يجوز لعلِّي أن يأخذ طعام صبيي وأمهما وقد أمر بالنفقة على عياله ! هل أهل هذا البيت كغيرهم ؟ أتستكثر على أهل البيت عليهم السلام أن يقوموا بهذا العطاء ، وينزل بهم قرآن ؟ ! فإذا كان أهل هذا البيت كبارهم وصغارهم بمحض اختيارهم يتقدّمون بالعطاء ، والإيثار فهل يبقى للإشكال مورد ومحل ؟ وما تقول فيما فعله النبي صلى الله عليه وآله حينما اصطحبهم وعرضهم للمواجهة في ميدان المباهلة ؟

إنَّه لأمر محير من الحكيم الترمذي أن يعترض بهذه الاعتراضات التي لا منشأ علمي لها أبداً .

٢ - أجاب ابن عجيبة على الاعتراض المذكور ما نصّه : « ويُجاب بأنّ هذا من باب الأحوال ، وللصحابة في الإيثار أحوال خاصّة بهم لشدة يقينهم رضي الله عنهم . وقد خرج الصديق رضي الله عنه عن ماله مراراً وقال : « تركت لأهلي الله ورسوله » ، وكذلك فعل الصحابي ^(١) الذي قال لامرأته : نومي صبيانك ليتعشى ضيف رسول الله صلى الله عليه وآله الذي نزل فيه ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ... ﴾ ^(٢) الآية ، وصاحب الأحوال معذور ، غير أنه لا يقتدى به ^(٣) في مثل تلك الحال ، فإنكار الترمذي بما ذكر

(١) من هو هذا الصحابي ؟ ومن هي المرأة ؟ أجاب الطبرسي عن ذلك في تفسيره : « وأمّا الذي روينا بإسناد صحيح عن أبي هريرة ، أنّ الذي أضافه ونوم الصبية وأطفا السراج عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام . » . مجمع البيان : ٣٣٢/٩ .

(٢) الحشر : ٩ .

(٣) بل يقتدى به ، ويكون هو المثل الأعلى ، ولكن من غير المستطاع الكون بمستوى تضحيته وإيثاره ، ولعلّ هذا هو مقصوده .

غير صحيح»^(١). انتهى .

السبب يفحم جدّه:

وأما ما اعترض به (ابن الجوزي) فنختصر الإجابة بما ردّ عليه سبطه في كتابه تذكرة الخواص فقال: «فإن قيل فقد أخرج هذا الحديث جدك في الموضوعات - بذكر الإسناد وفيه الراوي الأصبغ بن نباتة - ثم قال جدك قد نزه الله ذينك الفصيحين - الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام - عن هذا الشعر الركيك ، ونزّههما عن منع الطفلين - الحسن والحسين - عن أكل الطعام ، وفي إسناد الأصبغ بن نباتة^(٢) ، متروك الحديث .»

فيجيب السبب قائلاً: «أما قوله قد نزه الله ذينك الفصيحين عن هذا الشعر الركيك فهذا على عادة العرب في الرجز كقول القائل : (والله لولا الله ما اهتدينا) ونحو ذلك وقد تمثل به النبي صلى الله عليه وآله .»

«وأما قوله عن الأصبغ بن نباتة فنحن ما روينا عن الأصبغ ، ولاله ذكر في إسناد حديثنا^(٣)، وإثماً أخذوا على الأصبغ زيادة زادوها في الحديث وهي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في آخره اللهم أنزل على آل محمد كما أنزلت على مريم بنت عمران ... الخ». ثم يضيف السبب قائلاً: «والعجب من جدي وانكاره - للحديث - وقد قال في كتاب (المنتخب) يا علماء الشرع أعلمتم لم آثرا [المسكين واليتيم والأسير على أنفسهم] وتركوا الطفلين [الحسن والحسين] عليهما أثر الجوع؟ أتراهما خفي عنهما

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ١٩٨/٨.

(٢) الأصبغ بن نباتة من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، انظر منتهى المقال في أحوال الرجال ، لمحمد بن إسماعيل: ١٠٢/٢ ، وقد روى عهد مالك الأشتر الذي عهده إليه أمير المؤمنين لما ولّاه مصر ، وروى وصية أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه محمد بن الحنفية . انظر الفهرست ، للشيخ الطوسي : ٨٥ .

(٣) فقد أورد سبط ابن الجوزي روايتين بطريقتين لم يرد في إسنادهما الأصبغ بن نباتة .

سرّ « ابدأ بمن تعول » ؟ ما ذلك إلا أنّهما علما قوّة صبر الطفلين وأنّهما غصنان من شجرة « أظل عند ربي » وبعض جملة « فاطمة بضعة مني » وفرخ البط سابح .

ثمّ يقول : « وسمعت جدّي ينشر في مجالس وعظه ببغداد في سنة ست وتسعين وخمسائة بيتين ذكرهما في (تبصرة المبتدي) وهما :

أهوى عليّاً وإيماني محبته كم مشرك دمه من سيفه وكفا

إن كنت ويحك لم تسمع فضائله فاسمع مناقبه من «هل أتى» وكفى»

انتهى (١).

وبهذا يتضح كون الاعتراض المتقدم لا أساس له من الواقعية والعلميّة ، وإنّما أقرب إلى التصور الاستحساني . وأمّا تضعيفه للأصبغ (٢) - وهو ثقة أمين - فهناك طرق أخرى ، ليس في إسنادها (الأصبغ) ، ذكرها الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ، إضافة إلى أنّ أعلام التفسير تسالموا على روايتها واعتبارها في شأن نزول سورة الدهر . فالرواية بلغت من الشهرة حدّ التواتر عند جمهور علماء المسلمين ، فلا يضرّها إن ضُعّف بعض روايتها ، كما هو معروف لدى أهل الحديث . وقد وقفت على ما نقلناه لك من مصادر الحديث والتفسير لعلماء الجمهور .

الاعتراض الثالث : ما نقله بعض المفسّرين من روايات أخرى معارضة لما تواتر

نقله في أسباب نزول الآيات الشريفة - وهو ما ذكرناه - ، ولكن تلك الروايات متضاربة

(١) تذكرة الخواص ، لسبط ابن الجوزي : ٢٨١ .

(٢) أقول : إنّما عابوا على الأصبغ من جهة من روى عنه ، وإلا هو في نفسه ثقة أمين ، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن عديّ ما نصّه : « والأصبغ بن نباتة لم أخرج له ها هنا شيئاً ؛ لأنّ عامّة ما يرويه عن عليّ عليه السلام لا يتابعه أحدٌ عليه ، وهو بين الضعف ، وله عن عليّ أخبار وروايات ، وإذا حدّث عن الأصبغ ثقةً ، فهو عندي لا بأس بروايته ، وإنّما أتى الإنكار من جهة من روى عنه ؛ لأنّ الراوي عنه لعلّه يكون ضعيفاً » . الكامل في ضعفاء الرجال : ١٠٢/٢ .

من جهة ، ولاتناسب مع مضمون الآيات من جهة أخرى - كما ستطلع عليه - .
فمنها : ماورد في تفسير ابن كثير : « روى البيهقي من طريق الأعمش عن نافع ، قال :
مرض ابن عمر فاشتبهى عنباً أول ماجاء العنب ، فأرسلت صفيّة ، يعني امرأته ،
فاشترت عنقوداً بدرهم فاتبع الرسول سائل ، فلمّا دخل به قال السائل : سائل . فقال
ابن عمر : أعطوه إيّاه فأعطوه إيّاه ، فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقوداً فاتبع
الرسول السائل ، فلمّا دخل قال السائل : سائل .

فقال ابن عمر : أعطوه إيّاه .

فأرسلت صفيّة إلى السائل فقالت : والله إنّ عدت لا تصيب منه خيراً أبداً ، ثمّ
أرسلت بدرهم آخر فاشترت به »^(١) .

الجواب : من الواضح أنّ الرواية أعلاه لاعلاقة لها بالآيات النازلة في سورة (هل
أتى) ولاتلتقي مع مضمونها - لو صحّت الرواية - وليس فيها دلالة إلى مايشير إلى
كونها كانت سبباً لنزول الآية .

ولعلّ القارئ اللبيب يمكنه الالتفات إلى الثغرات الكثيرة الموجودة في الرواية
- وهي واضحة - ، ولكننا لسنا بصدد ما دام ابن كثير حينما نقلها لم يذكر أنّها كانت
سبباً لنزول الآية الشريفة .

نعم ، ربما كانت قصّة في واقعة ما - على فرض وقوعها - فلا علاقة لها بما نحن
بصدده .

الاعتراض الرابع : قال القرطبي : « الصحيح أنّها نزلت في جميع الأبرار ، ومن
فعل فعلاً حسناً ، فهي عامة »^(٢) .

(١) تفسير ابن كثير : ٢٩٥/٨ .

(٢) تفسير القرطبي : ١٢٦/١٩ .

الجواب:

- ١ - أدنى تأمل في الآيات الشريفة ينكشف لك كونها تحكي واقعة معينة قد حدثت ، ويريد الغيب أن يسجلها في كتابه ، ليقتدي بها من شاء أن يقتدي .
 - ٢ - ماذا نفسّر الإعراض عن تلك الروايات المتواترة بشأن نزولها ؟ فهل يصح هذا الإعراض ؟! وماذا نفعل بهذا الكمّ من الروايات الحاكية لشأن نزولها ؟
 - ٣ - إنّ الآيات تخبر عن الواقعة عند نزولها ، ولكن هذا لا يمنع أن يقتدي بها آخرون ، فيطعمون الطعام للفقراء والمساكين ، وينالون من الله ما ينالون ، وهذا لا يعارض شأن نزولها .
 - ٤ - كيف يصح للقرطبي أن يقول : « الصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار » والحال هو يذكر ويقول : « قال : أهل التفسير : نزلت في عليّ وفاطمة رضي الله عنهما وجارية لهما اسمها فضة »^(١) ؟
- إننا نأبى لمفسّر القرآن العظيم - القرطبي - أن يكون قد تأثر باعتراضات الحكيم الترمذي وأوردها في تفسيره ، والحال أنّ تلك الاعتراضات - كما وقفت عليها - واهية ، ولا تستند إلى دليل علمي . كيف وقد بلغت هذه الروايات من الذيوع والشهرة حدّ التواتر عند المحدثين والمفسّرين ؟ كما أنّه قد رواها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، نفسه وكثير من الصّحابة بطرق متعددة^(٢) .

مع المأمون العباسي في احتجاجه:

ومن المناسب أيضاً أن نذكر ما احتجّ به الخليفة العباسي (المأمون) على بعض علماء عصره ، كما جاء في العقد الفريد : « قال المأمون العباسي لإسحاق بن

(١) تفسير القرطبي : ١٢٦/١٩ .

(٢) انظر شواهد التنزيل : ٣٩٤/٢ ، الحديث ١٠٤٢ وما بعده .

إبراهيم : يا إسحاق ، هل تقرأ القرآن ؟ قلت : نعم .

قال اقرأ عليّ : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ... ﴾ ، فقرأت منها حتى

بلغت : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ... ﴾ قال : على رسلك ، فيمن أنزلت هذه الآيات - سورة هل أتى - ؟ قلت : في عليّ .

قال : فهل بلغك أنّ عليّاً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال : إنّما نطعمكم

لوجه الله ؟ قلت : أجل .

قال : وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به عليّاً ؟ قلت : لا .

قال : صدقت ، لأن الله جلّ ثناؤه عرف سيرته ^(١) .

٥ - ومن الشواهد التي تؤيد بأنّ القرآن يتحدّث عن واقعة محدّدة قد وقعت ، هو

تقديم المسكين على اليتيم في هذه السورة حسب حدوث الواقعة ، فلو كانت

الآيات تتحدّث عن مفهوم العطاء والإنفاق بشكل عام لقدّمت اليتيم على المسكين ،

كما هو الحال في سائر آيات القرآن الكريم :

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ ^(٢) .

﴿ أَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ ^(٣) .

﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ ^(٤) .

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ

الْمَسْكِينِ ﴾ ^(٥) ؛ وذلك لأنّ مشكلة المسكين هي مشكلة طعام ، أما مشكلة اليتيم

(١) العقد الفريد : م ٩٦/٥ .

(٢) البقرة : ٨٢ .

(٣) البقرة : ١٧٧ .

(٤) الفجر : ١٧ .

(٥) الماعون : ٢ .

فهي مشكلة إكرام ، فلذا نجد القرآن الكريم في سائر الآيات يقدم ذكر اليتيم على المسكين ، إلا في هذه السورة ، مما يكشف لك بضرر قاطع كونها تتحدث عن واقعة حدثت ، ويرغب القرآن بتسجيلها ونقلها حسب ترتيب وقوعها ، فتأمل .

وهكذا اتضح بطلان الاعتراضات السابقة ، لو أنها وضعفها .

فتبقى الروايات والنصوص المفسرة لشأن نزول السورة في حق أهل البيت عليهم السلام من دون معارض ، وهذا ما يؤكد صحتها ويزيد في قوتها .

المقام الثالث: في دلالة الآيات الشريفة والروايات المفسرة

أولاً: قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ... ﴾ الآية ، الوصف القرآني الرائع لأهل البيت عليهم السلام بالأبرار ، يمثل قمة صدقيتهم في التعامل مع الله تعالى ، وعلى كافة المستويات ، فهم عباد أبرار ، بمعنى أنهم أخلصوا لله تعالى كل أعمالهم ، فكان شغلهم الشاغل وهمهم الدائم هو تحقيق رضا الله تعالى ، فلا شيء في الوجود أعلى منه ، فكل التضحيات له ، وكل العطاء له ، دون أن تشوب في أنفسهم شائبة .

ثانياً: قوله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ... ﴾ ، والوفاء بالندرج المنطوق للوفاء بما عاهدوا الله عليه ، وليس (الندرج) إلا مفردة من مفردات الطاعة التي اختاروها لأنفسهم ، كي يعمقوا الارتباط بالله تعالى . والوفاء بالندرج يعكس روح الانقياد المطلق لله عز وجل ، ولون من ألوان التزام العهد في التعامل مع الله تعالى ، فرجع الشكوى إليه ، والاستغاثة به ، والدعاء بتضرع إليه ، والندرج والعهد معه ، حالات تمثل عمق العرفان المطلق لله تعالى ، والتحبب إليه في طاعته .

ثالثاً: ذلك التعامل الصادق مع الله تعالى انعكس بشكل مطرد ومعتمق في لطف تعاملهم مع عباد الله . فزخرت النفوس بروحانية الحب للناس ، وسخت وجادت

الأيدي بالخير والعطاء لليتامى والمساكين ، بل امتدت أيدي العطاء أبعد من ذلك لتشمل مَنْ هو متقاطع عقائدياً ودينيّاً معهم فشملت الأسير ، ليتبين مدى الحنان الإنساني لدى أهل البيت عليهم السلام اتّجاه أهل الفقر والفاقة ، رغم حاجتهم القصوى للطعام خلال ثلاث ليالٍ سوياً ، كل ذلك وفاء لرسالة محمد بن عبد الله عليه السلام التي تُجسّد كلّ المعاني الإنسانية والمعايير الأخلاقية ، فجاء هذا العطاء ليُمثّل مصداقاً عملياً لإنسانية الرسالة المحمّدية .

وابعاً : قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ ، وجه الله هو الغاية القصوى من العمل ، فلم يقدّموا العمل لوجهة أخرى ، وإتّما كان الدافع الأساس للعمل والمنطلق التام هو تحقيق مرضاته تعالى ، والاقتصار عليه مع الإعراض عمّا عند غيره من الجزاء المطلوب .

وهذا يمثل غاية الإخلاص المتمخّض فيهم لله تعالى ، ولذا قالو : ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾ ، فمرجع كون العمل لوجه الله تعالى هو الإتيان بالعمل حبّاً له تعالى ؛ لأنّه هو صاحب الفضل والنعم والجمال على الإطلاق ، بل لأنّه أهل للعبادة والطاعة ، ووجه الله هو الغاية الداعية من وراء الأعمال الصالحة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُو إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ... ﴾ ^(١) .

والجملة القرآنية عن لسانهم ﴿ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ... ﴾ تكشف عن النفوس المهدّبة في التعامل مع الله تعالى ومع الناس ، فهذا الخطاب منهم لمن أطعموه مسكيناً ، ویتيماً ، وأسيراً ، إمّا بلسان الحال أو بلسان المقال ، فإن كان بلسان المقال ، فإنّهم أرادوا به تطيب قلوبهم أن يأمنوا المَن والأذى ، وإن كان بلسان الحال (وهو ما نعتقده) ، فهو ثناء جميل لهم من الله تعالى ، لما يعلمه من ذروة الإخلاص في قلوبهم .

خامساً: قوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا...﴾ ، فهذا الخوف لا خوف استدلال بل خوف تذلل ، ولا خوف إجبار بل خوف انقياد ، ولا خوف معصية بل خوف طاعة وعزٍّ ، ولا خوف جهل وإنما خوف معرفة وعلم ، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم ، فلم يخافوا أي شيء ؛ إذ لم يخافوا الذات وحاجاتها ، ولم يخافوا الطاغوت وجبروته ، وإنما خوفهم لله حياء منه ، وحباً له ، فهم لا يخافون غيره ، كما لا يرجون غيره .

سادساً: الإيثار بدل الاستئثار ، رغم كونهم أهل بيت محمد عليه السلام ، القائد والزعيم والنبي الخاتم ، وهم أهله ولحمته ، وأقرب الناس إليه وأعزهم عليه ، وأحب الخلق إليه وإلى الله تعالى ، فلم يستأثروا بالفيء كما استأثر غيرهم ، وإنما آثروا على أنفسهم وأطفالهم وعبالهم ، الفقراء والأيتام والمساكين ، من أجل تحقيق الرائد الأساس في عملهم ، ألا وهو رضا الله تعالى .

سابعاً: هذه الآيات القرآنية تمثل منظومة أخلاقية متكاملة في العلاقة مع الله تعالى ، والتعامل مع خلق الله تعالى ، وهذا الخطاب الجميل والجذاب للعقول والنفوس ، لم ينسجه القرآن الكريم ليتغزل بـ (أهل البيت عليهم السلام) بما هم أهل البيت عليهم السلام ، وإنما ساق الخطاب - حسب نظرنا القاصر - لتبيان **أمرين مهمين** :

الأمر الأول: هو الاقتداء عند إمكان الاقتداء ، فهم يمثلون الطليعة بل القمة في الإيثار والعطاء فهذا مجال واسع ورحب للأمة للاقتداء بهم . ولو بأي مستوى كان ، ليكون أهل البيت عليهم السلام هم في قمة هرم الإيثار والفداء والعطاء ، ويتسلق الناس في الصعود نحو القمة مقدار ما يقدمون ، وما يستطيعون .

والثاني: إن مواصفاتهم تلك ، تؤهلهم للكون بالموقع الريادي للأمة ؛ لأنهم اجتازوا مراحل الاختبار فاستحقوا المقام بكل جدارة وإكبار ، دون تنازل واستصغار ، لذا انتخبهم واختارهم المولى عز وجل لهذا المنصب ، فجاء على لسان النبي عليه السلام

دون تردّد: « مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجي ، ومن تخلف عنها غرق وهوى »^(١).

هذا ما أردنا أن نسجّله باختصار مقتضب ، في دلالة الآيات الشريفة والله حسبنا ونعم الوكيل ، ولابأس أن نختم البحث - حول الآية - ببيتين من الشعر ذكرهما الألوّسي في تفسيره ونسبهما إلى بعض الشيعة^(٢):

إلى مَ إلى مَ وحتّى متى أعاتبُ في حُبِّ هذا الفتى
وهل زوّجت غيره فاطم وفي غيره هل أتى هل أتى

(١) الأماّلي الخميسية ، للمرشد بالله : ١/١٩٩ ، الحديث ٧٣٦ ، ومصادر أخرى ، وقد تقدّم تخريجه ، وسيأتي .

(٢) راجع تفسير روح المعاني : م١٦/٢٩/٢٧٠ .

الآية الثامنة

آيات السؤال

قوله تعالى : ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتَوْلُونَ﴾^(١)

﴿ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٢)

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلَنَّهِنَّ أجمعِينَ﴾^(٣)

البرخلة

قال تعالى : ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتَوْلُونَ﴾

الآية الشريفة تمثل هويّة يوم الفصل ، والمعالم الرئيسية له ، ففيه تفرق النتائج ويتحدّد المصير ، طبعاً وفق عمل العامل وإجابة المسؤول ، فالامتحان عسير ، والموقف عرصات يوم القيامة ، والناس قد خرجوا من الأجداث كالجراد المنتشر ، واجتمع الخلق وهم سكارى من الهمّ والفرع ، وقد فرّ كل امرئٍ من أخيه ، وأمّه ، وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، فهو في شغل شاغل عنهم جميعاً ، بل في ذهول تام ، فقد هاله المنظر واستوحش من خفاء المصير ، وإلى أين سيؤول أمره ؟ وإذا به يُوقف للتساؤل والاستجواب ... وإذا بالامتحان عسير وهو الامتحان الأكبر ، الذي لا ينجى منه إلا من أتى الله بقلب سليم .

(١) الصافات : ٢٤ .

(٢) التكاثر : ٨ .

(٣) الحجر : ٩٢ .

فما هي أسئلة يوم القيامة ؟

وما هو السؤال الأساس ليوم الفصل ؟

وما هو السؤال المهم الذي تثيره الآية ؟

وفي أيّ زمن يكون ذلك التساؤل ؟

أقبل الحساب يكون السؤال أم بعده ؟

وهل أعددنا للجواب عدته ؟

هذا ما لا بدّ أن نستوضحه ونستجليه خلال البحث ، وعبر البيانات التالية :

البيان الأوّل : في هدى التفسير

قوله تعالى : ﴿ وَفَقَّوْهُمْ ﴾ : أي : احبسوهم ، لماذا ؟ لأنّهم مسؤولون ، بمعنى قفوهم واسئلوهم ، ولكن متى يكون هذا الأمر بالإيقاف ؟ - من خلال السياق نفهم - أنّ الأمر بالإيقاف والسؤال يكون في موقف حرج جداً ، ألا وهو صراط الجحيم ، فهو عذاب آخر ، غير عذاب المصير ، فيقفون للتساؤل ، وتبدأ الملائكة بالاستجواب ، فما هي أسئلتهم ؟

وقبل الإجابة عن السؤال ، لا بدّ أن نتذكر أنّ الله تعالى أكرم عليه من أن يوقف العباد ليسألهم عن الماء البارد ، أو الطعام الطيب ، أو اللذائد ، أو ما يسمى بضروريات الحياة ، إنّه موقف عسير وساعة حرجة ، ولحظات مصير ، فلا بدّ أن يكون التساؤل منسجماً مع ما كان يريدّه الله سبحانه وتعالى من عباده ، وما أرسل له الرّسل وأنزل البينات والكتب ، وعيّن الأوصياء والأئمة ، ليقودوا الناس نحو الطاعة والهدى .

وفي ذلك الجو الملهب وقد عقدت محكمة الله تعالى ، ووضع الميزان بالقسط ، واصطفت الملائكة للمقاضات والاستجواب وإذا بهم يسألونهم عن الماء البارد ! أو الطعام الطيب !

هذا بعيد جداً عن حكمة الله تعالى وعزته .

وبعيد منه تعالى أيضاً أن يتهكم بهم في لحظات الجد والحساب .

فما هي الأسئلة عندئذ ؟

اختلفت كلمات المفسرين فيما هو السؤال عنه .

ف قيل : يُسألون عن التوحيد وقول لا إله إلا الله .

وقيل : يسألون عن البدع التي اختلقوها .

وقيل : يسألون عن أعمالهم القبيحة وأخطائهم .

وقيل : يسألون عن شبابهم وصحتهم وأعمارهم وأموالهم ونحوها .

وقيل : يسألون عن ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . وقد وردت

روايات ذكرها المحدثون - سنشير إليها - .

ومن الطبيعي : أن تلك التفاسير لا يوجد أي تناقص بينها ؛ لأن في ذلك اليوم - يوم

الحساب - يتم السؤال عن كل شيء أراد الله تعالى من العبد في دار الدنيا ، فلا شك

أنه يسأل عن التوحيد ، وعن العقائد ، وعن الولاية ، وعن العمل ، وعن المواهب

التي وضعها الله تعالى في اختيار الإنسان .

فهو يوم طويل جداً ، وعملية الحساب فيه تمر بمراحل ومحطات متعددة ولا بد

للإنسان أن يُوقف عند كل محطة للاستجواب والتساؤل ، وقد أشارت بعض

الروايات إلى كونها خمسين محطة وموقفاً !! وبهذا يُفسر ما أثير من تساؤل : فهلاً

كانوا مسؤولين قبل قوله : ﴿ فَاَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ - الآية السابقة - ؟ حيث

إنهم قد أمر بهم إلى صراط الجحيم فكيف يُوقفون للتساؤل عندئذ ؟

الجواب : لأن هذا توبيخ وتقريع فكان نوعاً من العذاب ، فلذلك صار بعد الأمر

بالعذاب ، وهو موقف آخر غير المواقف السابقة .

ولكن السؤال المهم الذي يثار هنا : ما هي أولى تلك الأسئلة والأقوال ؟

هذا التساؤل يجيب عنه المفسر الآلوسي قائلاً: «أولى هذه الأقوال ، أن السؤال عن العقائد والأعمال ، ورأس ذلك لا إله إلا الله ، ومن أجله ولاية عليّ كرم الله تعالى وجهه» (١).

ويشير إلى السؤال عن ولاية عليّ عليه السلام أيضاً ، الماوردي في تفسيره ، بعد أن استعرض ستة أوجه ، وكان الوجه الثالث منها: «يُسألون عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، حكاه أبو هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري...» (٢).

ومن هنا يتبين أن السؤال عن العقائد هو من أولى الأسئلة المطروحة على العباد يوم القيامة ، وبالعقيدة يتميّز الإنسان عن الحيوان ، وعلى هذا ، فالذي يُنقذ الإنسان من حالة الجهالة إلى حالة العلم والمعرفة ، ومن الضلالة إلى الهداية ، ومن الظلمات إلى النور ، يكون قد أنعم على الإنسان نعمة كبيرة جداً ، وبهذا المعنى ينبغي أن نفسر القاعدة العقلية المسماة بـ (قاعدة اللطف) في مجال بعثة الأنبياء وإرسال الرُّسل ، وعليه فالهداية نعمة كبيرة على الإنسان لو أدرك معناها ، وفي هذا الضوء ينبغي أن نفسر الآية الأخرى الواردة في هذا السياق: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٣).

نعمة الهداية من أكبر النعم الإلهية على الإنسان ولا تدانيها نعمة ، صحيح أن النعم مصاديقها كثيرة جداً ، ولكن من أبرز مصاديقها وأولاها ، هي نعمة الهداية للحق ، وما يؤيد هذا المعنى بل يؤصِّله ويجدِّره ، ماورد في تفسير الآية المباركة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ (٤).

(١) روح المعاني: ١١٨/٢٣/١٣ ، وأضاف أيضاً: «وكذا ولاية إخوانه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين».

(٢) تفسير الماوردي: ٤٤/٥ . تفسير القرآن ، لسلطان العلماء الدمشقي الشافعي: ٥٢/٣ .

(٣) التكاثر: ٨ .

(٤) المائدة: ٣ .

فلقد اتفقت كلمة المفسرين على أن المراد بالنعمة هنا هي نعمة الإسلام والإيمان والولاية، «بل هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة»^(١).

ولكي يتجلى الموقف وضوحاً، نستنطق الروايات المفسرة الواردة في المقام.

البيان الثاني: الروايات المفسرة

الروايات المفسرة في المقام كثيرة ومتنوعة، ولكي يتم استيعاب الممكن منها، والإحاطة الكاملة بالموضوع لا بد من استعراضها بطوائفها المتعددة.

الطائفة الأولى: ما ورد في تفسير ﴿وَقِفْوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾:

أولاً: الماوردي في تفسيره: حكى أبو هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدرى: «أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ﴿وَقِفْوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ عن ولاية علي»^(٢).

ثانياً: ابن حجر الهيتمي في صواعقه - بعد أن يورد الرواية السابقة عن الديلمي - يضيف قائلاً: «وكأن مراد الواحدى بقوله: روى في قوله تعالى: ﴿وَقِفْوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ أي عن ولاية علي وأهل البيت عليهم السلام: لأن الله أمر نبيه أن يُعرّف الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلا المودة في القربى، والمعنى أنهم يُسألون: هل والوهم حق الموالاتة؟ كما أوصاهم النبي صلى الله عليه وآله؟ أم أضاعوها وأهملوها؟ فتكون المطالبة والتبعة»^(٣)، انتهى.

ثالثاً: الخوارزمي في المناقب: «روى أبو الأحوص عن أبي إسحاق في قوله تعالى: ﴿وَقِفْوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ يعني عن ولاية علي»^(٤).

(١) تفسير ابن كثير: ٢٢/٣.

(٢) تفسير النكت والعيون: ٤٤/٥.

(٣) الصواعق المحرقة: ٤٣٧/٢.

(٤) المناقب: ٢٧٥، الحديث ٢٠٦.

وابعاً: أخرج الحاكم الحسكاني الحنفي بإسناده عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ قال : عن ولاية علي بن أبي طالب ^(١) .

وفي هذا القدر من روايات الطائفة الأولى كفاية لمن أراد الاقتناع ، وسنشير إلى المصادر الأخرى في نهاية المطاف .

الطائفة الثانية : الرويات المفسرة لقوله : ﴿ ثُمَّ لَتَسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ ﴾ .

ما ورد في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : « روى أبو نعيم الحافظ بسنده عن جعفر الصادق عليه السلام في هذه الآية ، قال : النعيم ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ! »

أيضاً الحاكم بن أحمد البيهقي ، قال : حدثنا محمد بن يحيى الصوفي ، قال : حدثنا أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل ، قال : حدثني إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب بالأهواز سنة سبع وعشرين ومائتين ، قال : « كنا بين يدي علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما ، إذ قال له بعض الفقهاء : إن النعيم في هذه الآية هو الماء البارد .

فقال له بارتفاع صوته : كذا فسرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب ، فقالت طائفة : هو الماء البارد ، وقال آخرون : هو النوم ، وقال غيرهم : هو الطعام الطيب .

ولقد حدثني أبي ، عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام ، إذ أقوالكم هذه ذكرت عنده فغضب وقال : إن الله عز وجل لا يسأل عباده عما تفضل عليهم به ، ولا يمن بذلك عليهم وهو مستقبح من المخلوقين ، كيف يضاف إلى الخالق جلّت عظمته ما لا يرضى للمخلوقين؟! ولكن النعيم ، حُبنا أهل البيت عليهم السلام وموالاتنا ، يسأل الله عنه بعد التوحيد لله ونبوة رسوله صلى الله عليه وآله ؛ لأن العبد إذا وافى بذلك أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول .

(١) شواهد التنزيل : ١٦٢/٢ ، الحديث ٧٨٨ ، وأخرج شواهد أخرى بالأرقام : ٧٨٥ - ٧٩١ .

قال أبي موسى: لقد حدثني أبي جعفر، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، إن أول ما يُسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنت ولي المؤمنين بما جعله الله وجعلته، فمن أقر بذلك وكان معتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له»^(١).

أيضاً في المناقب عن الأصبع بن نباتة عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «نحن النعيم الذي كان في هذه الآية».

أيضاً عن الباقر عليه السلام، قال: «والله ما هو الطعام والشراب ولكن هو ولايتنا.

أيضاً عن الكاظم عليه السلام، قال: «نحن نعيم المؤمن وعلقم الكافر»^(٢).

الطائفة الثالثة: الروايات المؤيدة

وهي روايات: ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة:

أولاً: أخرج ابن عساكر بإسناده عن أبي الطفيل، عن أبي ذر، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن علمه ما عمل به، وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت، فقيل: يا رسول الله، ومن هم؟ فأوماً بيده إلى علي بن أبي طالب»^(٣).

ثانياً: أخرج الخوارزمي في المناقب بإسناده عن أبي برزة، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله - ونحن جلوس ذات يوم - : والذي نفسي بيده، لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأله الله تبارك وتعالى عن أربع:

عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما كسبه وفيما أنفقه،

(١) و (٢) ينابيع المودة، للقندوزي الحنفي: ٣٣٣/١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٢٥٩/٤٢ و ٢٦٠.

وعن حُبِّنا أهل البيت عليهم السلام . فقال له عمر : فما آية حُبِّكم من بعدكم ؟

قال : فوضع يده على رأس عليّ - وهو إلى جانبه - وقال عليه السلام : «إِنَّ حَبِّي مِنْ بَعْدِي حُبٌّ هَذَا»^(١) .

ثالثاً : الكنجي الشافعي في كفاية الطالب بإسناده عن أبي ذرّ الغفاري ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع ، عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله فيما أنفقه ومن أين كسبه ، وعن حُبِّنا أهل البيت عليهم السلام . فقيل : يا رسول الله ومن هم ؟ فأومى بيده إلى عليّ بن أبي طالب »^(٢) . ولمزيد من الاطلاع على روايات الطوائف الثلاث راجع المصادر المشار إليها في الهامش^(٣) .

الطائفة الرابعة : روايات السؤال عن الكتاب والعترة

فقد وردت ألفاظ السؤال عن الكتاب والعترة ضمن حديث الثقلين المتواتر بين

(١) المناقب : ٧٦ و ٧٧ ، الحديث ٥٩ ، وأيضاً مناقب ابن المغازلي الشافعي : ١٥٧/٩٣ من دون ذكر مقالة عمر .

(٢) كفاية الطالب : ٣٢٤ ، باب ٩١ عنوان بشارة النبيّ لمحَبِّ عليّ بسكنى جنّة عدن .

(٣) نظم درر السمطين ، لمحمد بن يوسف الزرندي الحنفي : ١٠٩ . الأماشي الخميسيّة ، للمرشد بالله : ١٨٩/١ ، الحديث ٧٠٧ . المعجم الكبير ، للطبراني : ٨٣/١١ ، الحديث ١١١٧٧ . كنز العمال ، للمتقي الهندي : ٣٧٩/١٤ ، الحديث ٣٩٠١٣ . المناقب ، للخوارزمي : ٧٦ و ٧٧ ، الحديث ٥٩ و : ٢٧٥ ، الحديث ٢٥٦ . تذكرة الخواص ، لسبط ابن الجوزي : ٢٦ . فرائد السمطين ، للجويني : ٣٨٩/١ ، الحديث ٢٢٨ و : ٢٩٢/١ ، الحديث ٢٣٠ و : ٣٠١/٢ ، الحديث ٥٥٧ . شواهد التنزيل ، للحاكم الحسكاني : ٤٢٣/١ و : ١٦٠/٢ . الديلمي في الفردوس ، نقلا عن ينابيع المودة ، للقندوزي الحنفي : ٣٣٤/١ . جواهر العقدين ، للسهمودي : ٢٥٢/٢ . المناقب ، لابن المغازلي الشافعي : ٩٣ ، الحديث ١٥٧ و : ٩٩ ، الحديث ١٧٢ و : ١٥٩ ، الحديث ٢٨٩ .

المسلمين جميعاً ، ولذا سنكتفي بالإشارة إلى رواية واحدة ، ومن ثمّ نشير إلى طائفة من المصادر التي أوردت الحديث المذكور مع تضمّن فقرة السؤال ، الواردة في الحديث : أخرج الحكيم الترمذي بإسناده عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه ، قال : «لما صدر رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع خطب فقال : أيها الناس : إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لن يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي يليه من قبل ، وإنّي أظن موشك أن أدعى فأجيب ، وإنّي فرطكم على الحوض ، وإنّي سأثلّمكم حين تردون عليّ عن الثقلين . فانظروا كيف تخلفوني فيهما :

الثقل الأكبر كتاب الله تعالى سبب طرفه بيد الله تعالى وطرف بأيديكم ، فاستمسكوا فلا تضلوا ولا تبدلوا .

والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي ، فإنّي قد نبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» ^(١) .

نكتفي بهذا الشاهد ، وفي إيراد الكفاية على المطلوب ، على أنّ لنا العودة إليه في بيان لاحق ، ولكن نشير إلى المصادر الحديثية التي أوردت الحديث المذكور فلاحظ ^(٢) .

(١) نوادير الأصول ، للحكيم الترمذي : ٢٥٨/١ ، الأصل الخمسون في الاعتصام بالكتاب والعترة ، الحديث رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة : ٢٤٠٨/٣٦ بسنده عن زيد بن أرقم . وسيأتي بيانه مفصلاً في الجزء الثاني ، فلاحظ .

(٢) المعجم الكبير ، للطبراني : ١٨٠/٣ ، الحديث ٣٠٥٢ . الفصول المهمة ، لابن الصباغ المالكي : ٤٠ و ٤١ . نظم درر السمطين ، لمحمد بن يوسف الزرندي الحنفي : ٢٣٣ و ٢٣٤ . ينابيع المودة ، للفندوزي الحنفي : ٩٦/١ . فرائد السمطين : ٢٧٤/٢ ، الباب الخامس والعشرون ، الحديث ٥٣٩ . تاريخ دمشق ، لابن عساكر : ٢١٩/٤٢ . الصواعق المحرقة ، لابن حجر : ٤٤١/٢ ، ٦٥٧ . مجمع الزوائد ، للهيثمي : ٢٥٩/٩ و ٢٦٠ ، الحديث ١٤٩٦٦ . مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب ، لابن المغازلي الشافعي : ٢٩ و ٣٠ ، الحديث ٢٣ . وسنوافيك ببقية المصادر في الجزء الثاني - إن شاء الله تعالى - ، فلاحظ .

البيان الثالث : نتائج البحث :

ويمكن توضيح نتائج البحث في النقاط التالية :

أولاً: الطوائف الحديثية الأربع التي ذكرناها آنفاً تمثل بمجموعها منظومة روائية متكاملة و مترابطة ، توّضح معاني التساؤل ليوم القيامة ، ودواعي تلك الأسئلة ، وهذا يعني أنّه لا بدّ من الالتفات والانتباه ملياً لما يريد الله تعالى ورسوله ، حيث قد أودع فينا أهل بيته الأطهار ، بفكرهم وعطائهم وسيرتهم ، فلا بدّ من اقتفاء أثرهم واتّباع تعاليمهم ، استجابة لما أمر به الله ورسوله ، كي يكون الإيجاب جوابنا عند المساءلة في يوم الدين .

ثانياً : إنّ من أهمّ وأولى الأسئلة التي يستجوب بها العباد يوم القيامة ، هي مسائل التوحيد ومسائل العقيدة وفي أولوياتها مسألة الولاية لأهل البيت عليهم السلام ، فالله تعالى سألنا جميعاً عنهم ، وكذلك النبي صلى الله عليه وآله فيما صحّ من روايات حديث الثقلين .

ثالثاً : إنّ القيادة الهادية الربّانية ، تُعدّ أكبر نعمة ينعمها الله تعالى على عباده ، كيف ؟

لأنّ من دونها ضياع ، وتيه ، وظلمات ، وتخبّط ، كالذي يدركه الموج في البحر المتلاطم ، يبحث عن وسيلة نجاة ، فهل تجد غيرهم وسيلة نجاة ؟ فحياتنا كذلك ، تضاربت الأفكار فيها والرؤى والنظريات ، واختلفت المصالح والأهواء والغايات ، وافترت الأمة بمناهجها افتراقاً عجيّباً وكبيراً ، فمن يكون العاصم من هذه الهلكة الحالكة ؟

فالاعتصام بها - أي القيادة الهادية - يحقّق الفوز والفلاح وبذلك يعصم المرء من الغرق والهوى .

رابعاً : لو تأملنا في مفردات التساؤل الأخرى والتي وردت في لسان بعض

الروايات ، فمن ضمنها ، السؤال عن معرفتهم ، وموالاتهم ، ومحبتهم ، واتباعهم ، وعدم التّقدّم عليهم أو التأخّر عنهم ، بل ملازمتهم ، والكون معهم ، والتّبرؤ من أعدائهم ، وغيرها من الموارد .

هذه المفردات لو تأملنا فيها ملياً سوف نكتشف أنّ مسألة (الحبّ) لا تقتصر على العواطف القلبية دون المواقف العملية ، بل يفهم منها كون المواقف العلمية تكون منسجمة تماماً مع ما يريده أهل البيت عليهم السلام ، وتنشأ تلك المواقف بعد أن تتحقّق القناعة التامة والمحبة الكاملة لهم عليهم السلام ، والتي تغمر شغاف القلب وتستقر في كوامن النفس دون تردد أو اضطراب ، وإلا ستكون النتيجة كمقولة الفرزدق للإمام الحسين بن علي عليه السلام حين سأله عن الكوفة وأهلها فأجابه : تركتهم قلوبهم معك ولكن سيوفهم عليك .

أعازنا الله جميعاً من هذا الموقف المخزي في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

الآية التاسعة

آية الولاية

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكْعُونَ ﴾^(١)

الدراسة

الآية الشريفة تعالج موضوعاً من أهمّ الموضوعات العقائدية والحياتية للأمم ، بل وأكثرها حساسية وخطورة في حياة الأمة ومستقبلها ؛ إذ إنّ موضوع الآية يتعلق بالهيكلية القيادية للأمة وزعامتها .

هذا الموضوع الحساس لا بدّ أن يخضعه الشارع لضوابط كثيرة ، وحدود دقيقة ، كي لا تختلط الأوراق على الناس ، فيشرّقون أو يغربّون اجتهاداً ، أو مصلحة ، أو غاية في نفس يعقوب .

والآية أشارت لأولئك الذين يجسّدون الطاعة لله تعالى تجسيداً رائعاً ، بل تكون الطاعة لله تعالى محور حركتهم ومحور تفكيرهم ، ولا يرون في الوجود شيئاً إلّا ما يعمّق من ترسيخ هذا المحور في حياتهم ، فالطاعة لله تعالى تتمثل بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وتحمل أعباء الولاية وأداء أمانتها بكلّ إخلاص ، وغيرها من المفردات .

للآية دلالة دقيقة فيما تعنيه من معنى الولاية بحيث لا يصح تفسيرها إلّا بمعنى واحد ينسجم مع الدقّة الهندسية لتراكيب مفرداتها ، لذا صيغت - الولاية - بصياغة

المفرد ، وبمستوى واحد ، لله والرسول والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون ، فتوحد لفظ (الولاية) يختزن بحد ذاته معانٍ سامية وبليغة ، فلو تعددت (الولاية) للمستويات الثلاثة لاختلف الموضوع تماماً .

تسجيل الوحي المبين لهذه الواقعة - واقعة التصديق بالخاتم - وإقرانها بموضوع الولاية يوحى للمؤمنين والمسلمين ، بكونه لا يريد لها أن يلقها النسيان ، بل لتبقى في ذاكرة الأمة محفورة تتناقلها الأجيال عبر ما يصدق به القرآن الكريم ليلاً ونهاراً حينما يرتلها المرتلون .

وعملية الاقتران بين الموضوعين تستبطن معنى عميقاً بحد ذاته ، وله دلالاته الواضحة .

وحين تلاوتنا للآية الشريفة تثار الأسئلة التالية :

ما معنى الولاية ؟

هل المراد بها التصرف والحاكمية ؟ أم النصر ؟ ...

وهل ﴿ إِنَّمَا ﴾ تفيد الحصر أم لا ؟ وهل يصح لغوياً أن يُصاغ للمفرد صيغة الجمع ؟ ومن هو المقصود من كل ذلك ؟

هذه الأسئلة ومسائل أخرى سنعالجها في هذا البحث ضمن المقامات التالية :

المقام الأول : شأن النزول

لقد اتفقت كلمة المفسرين بشأن نزول الآية الشريفة بحق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، حينما كان يتنقل بركعات في المسجد ، وإذا بسائل يسأل المسلمين ، فلم يحصل على مراده وأصابه اليأس منهم ، إلا أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أوماً إليه بخنصره وهو راع فانتزع الخاتم من يده ، فإذا بالوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله ليخبره الخبر .

ولكي نسلط الضوء على الخبر نستشهد بما أورده الألو سي في تفسيره ، مانصه :
 « أخرج الحاكم وابن مردويه وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بإسنادٍ
 متصل ، قال : أقبل ابنُ سلام ونفر من قومه آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله فقالوا : يا رسول الله ، إن
 منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدّث دون هذا المجلس ، وإن قومنا لمّا رأونا
 آمنّا بالله تعالى ورسوله وصدّقناه رفضونا وآلوا على نفوسهم أن لا يجالسونا
 ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشقّ ذلك علينا .

فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ ، ثمّ إنه خرج إلى المسجد
 والناس بين قائمٍ وراكعٍ فبصر بسائل ، فقال : هل أعطاك أحد شيئاً ؟
 فقال : نعم ، خاتم من فضة .

فقال : مَنْ أعطاكه ؟ فقال : ذلك القائم ، وأوماً إلى علي كرم الله تعالى وجهه .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : على أيّ حال أعطاك ؟

فقال : وهو راعٍ ، فكبر النبي صلى الله عليه وآله ، ثمّ تلا هذه الآية فأنشأ حسّان رضي الله تعالى

عنه يقول :

أبا حَسَنٍ تَفْدِيكَ نَفْسِي وَمُهْجَتِي	وَكُلُّ بَطِيءٍ فِي الْهَدْيِ وَمُسَارِعِ
أَيْذَهَبُ مَذْحِي ^(١) وَالْمُحَبَّرُ ضَائِعاً	وَمَا الْمَدْحُ فِي جَنْبِ الْإِلَهِ بَضَائِعِ
فَأَنْتَ الَّذِي أُعْطِيتَ إِذْ كُنْتَ رَاكِعاً	زَكَاةً فَذَتَكَ النَّفْسُ يَاحَيْرَ رَاكِعِ
فَأَنْزَلَ فِيكَ اللهُ خَيْرَ وِلايَةِ	وَأَثْبَتَهَا أَثْنًا ^(٢) كِتَابِ الشَّرَائِعِ ^(٣)

(١) كذا في شواهد التنزيل ، أمّا في روح المعاني وردت : « مَذْحِيكَ وَالْمُحَبَّرِ » .

(٢) في نسخة أخرى : « وَثَبَّتْهَا مَثْنِي » ، كما في مجمع البيان للطبرسي .

(٣) روح المعاني ، للألو سي : م ٢٤٥ / ٦ / ٤ .

المقام الثاني: رواة الخبر من الصحابة والتابعين

لقد رووا هذا الخبر بأسانيدهم عن جمع من الصحابة والتابعين منهم:

- ١- أمير المؤمنين عليه السلام.
- ٢- المقداد بن الأسود الكندي.
- ٣- عمار بن ياسر.
- ٤- عبدالله بن العباس.
- ٥- أبو ذر الغفاري.
- ٦- جابر بن عبدالله الأنصاري.
- ٧- أبو رافع.
- ٨- أنس بن مالك.
- ٩- عبدالله بن سلام.
- ١٠- حسان بن ثابت - كما جاء في شعره -.
- ١١- محمد بن الحنفية.
- ١٢- عبدالملك بن جريح المكي.
- ١٣- سعيد بن جبيرة.
- ١٤- عطاء بن السائب.
- ١٥- مجاهد.
- ١٦- السدي.
- ١٧- مقاتل.
- ١٨- الضحاك.
- ١٩- مسلمة بن كهيل.
- ٢٠- عتبة بن أبي حكيم^(١).

المقام الثالث: مخرجو الخبر من أعلام التفسير وأئمة الحديث

لقد أخرج الخبر المذكور الكثير من أعلام التفسير وأئمة الحديث وعلماء الإسلام، بشكل غفير جداً، نشير إلى المصادر التفسيرية والجوامع الحديثية، التي أخرجت الخبر، بإشارة مُذكّرة وليست مستوعبة، بل مقتضبة، وكما يلي:

- ١- أخرج ابن جرير (المتوفى سنة ٣١٠هـ) في التفسير: «حدّثني الحارث، قال: حدّثنا عبدالعزيز، قال: حدّثنا غالب بن عبيدالله، قال: «سمعت مجاهداً يقول في قوله تعالى ذكره: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكِعُونَ﴾ الآية.

(١) انظر شواهد التنزيل: ٢٠٩/١ - ٢٤٥، ولاحظ المقام الثالث أيضاً.

قال : نزلت في عليّ بن أبي طالب ، تصدّق وهو راكع ^(١) .

٢ - أخرج الثعلبي (المتوفى سنة ٤٢٧ هـ) في التفسير : بإسناده عن عبادة الربعي ، قال : « بينا عبدالله بن عباس جالس على شفير زمزم إذ أقبل رجل متعمّم بالعمامة فجعل ابن عباس لا يقول ، قال رسول الله ، إلا قال الرجل : قال رسول الله ؟ فقال ابن عباس : سألتك بالله من أنت ؟ قال : فكشف العمامة عن وجهه ، وقال : يا أيّها الناس من عرّفني فقد عرّفني ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البدري ، أبوذر الغفاري : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين وإلا صمّتا ورأيت بهاتين وإلا عميتا يقول : عليّ قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله .

أما إنّي صلّيت مع رسول الله يوماً من الأيام صلاة الظهر ، فدخل سائل في المسجد فلم يُعطه أحد ، فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللهمّ اشهد أنّي سألتُ في مسجد رسول الله فلم يُعطني أحدٌ شيئاً ، وكان عليّ راكعاً فأومى إليه بخنصره اليمنى ، وكان يتختم فيها ، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بعين النبي صلى الله عليه وآله فلما فرغ النبي صلى الله عليه وآله من الصلوة رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهمّ إنّ أخي موسى سألك ، فقال : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ ^(٢) الآية .

فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً ﴾ ^(٣) ، اللهمّ وأنا محمّد نبيك ووصيك اللهمّ فاشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً ، أشدد به ظهري .

قال أبوذر : فوالله ما استتمّ رسول الله الكلمة حتى أنزل عليه جبرئيل من عند الله

(١) تفسير الطبري : ٥٣١/٨ ، أخرج الرواية بطرق متعدّدة .

(٢) طه : ٢٥ - ٣١ .

(٣) القصص : ٣٥ .

فقال : يا محمد ، اقرأ ، فقال : وما اقرأ ؟

قال : اقرأ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ - إِلَى - وَهُمْ رُكُوعُونَ ﴾ ^(١) .

٣ - الزمخشري (المتوفى سنة ٥٤٣ هـ) في تفسيره الكشاف قال : « نزلت في عليّ كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راعع في صلاته فطرح له خاتمه . كأنه كان مرجأ ^(٢) في خنصره ، فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته » ^(٣) .

٤ - أورد الفخر الرازي (المتوفى سنة ٦٠٤ هـ) في التفسير ما نصّه : « روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : « صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد ، فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللَّهُمَّ اشهد أنّي سألتُ في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فما أعطاني أحدٌ شيئاً ، وعليّ عليه السلام كان راععاً ، فأوماً إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم ، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمراى النبي صلى الله عليه وآله . فقال : اللَّهُمَّ إِنَّ أَخِي موسى سألَكَ فقال : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ ، فأنزلت قرآناً ناطقاً ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ﴾ اللَّهُمَّ وأنا محمد نبيك ووصفيك ، فاشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي ، علياً اشدد به ظهري .

قال أبوذر : فوالله ما أتم رسول الله هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال : يا محمد اقرأ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكُوعُونَ ﴾ ^(٤) .

٥ - وأخرج القرطبي (المتوفى سنة ٦٦٨ هـ) في التفسير : عن جابر بن عبد الله

(١) تفسير الكشف والبيان : ٨٠/٤ و ٨١

(٢) قوله : « كأنه كان مرجأ » أي : قلقاً غير ثابت .

(٣) الكشاف : ٦٣٥/١ .

(٤) التفسير الكبير : م/٦٢/٢٨ .

الأنصاري ، قال : « قال عبدالله بن سلام ... » الحديث ، وأورد روايات أخرى بهذا الصدد^(١) .

٦- أخرج ابن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤ هـ) في التفسير ، وبطرق متعددة عن مجاهد . وعن ابن عباس ، وعن سلمة بن كهيل ، مثله^(٢) .

٧- السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) في الدر المنثور: أخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس ، قال : « تصدق عليّ بخاتمه وهو راع ، فقال النبي صلى الله عليه وآله للسائل : من أعطاك هذا الخاتم ؟ قال : ذاك الراكع ، فأنزل الله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ﴾^(٣) .

٨- أخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن الشيخ ، وابن مردويه ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ... ﴾ الآية ، قال : « نزلت في علي بن أبي طالب » .

وأخرج ابن جرير عن السديّ وعتبة بن أبي حكيم ، مثله^(٤) .
وفي هذا المقدار من ذكر الروايات كفاية في المقصود .

مخرجو الخبر في بقية مصادر الجمهور:

٩- ابن أبي حاتم (المتوفى سنة ٣٢٧ هـ) في تفسيره (تفسير القرآن العظيم): ١١٦٢/٤ ، من طريق سلمة بن كهيل ، وأبي جعفر محمد بن علي ، وعقبة بن أبي حكيم .

١٠- الطبراني (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ) في المعجم الأوسط : ١٢٩/٧ ، الحديث

(١) راجع الجامع لأحكام القرآن: ٢١١/٦ و ٢١٢ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير : ١٢٦/٣ .

(٣) و (٤) الدر المنثور: ٩٨/٣ - ١٠٠ ، وقد أورد السيوطي عشر روايات بطرق متعددة بمضامين متقاربة .

٦٢٢٨، عن طريق عمار بن ياسر.

١١ - أبو الليث السمرقندي الحنفي (المتوفى سنة ٣٩٣ هـ) في تفسيره بحر العلوم: ٤٠٠/١، من طريق ابن عباس.

١٢ - وأخرج الإمام ابن أبي زمنين المالكي (شيخ قرطبة)، (المتوفى سنة ٣٩٩ هـ) في تفسيره (تفسير القرآن العزيز): ٣٣/٢ - ٣٤، عن الكلبي.

١٣ - ابن مردويه (المتوفى سنة ٤١٠ هـ) في المناقب (مانزل من القرآن في علي): ٢٣٣، الحديث ٣٣٤ - ٣٣٥، بطرق متعددة عن علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وأبي رافع، وعن ابن عباس بستة طرق.

١٤ - الحاكم الحسكاني (المتوفى سنة ٤٥٠ هـ) في شواهد التنزيل: ٢٠٩/١ - ٢٣٩، الحديث ٢١٦ - ٢٤٠، بطرق متعددة عن ابن عباس، عبدالرزاق، أنس، محمد بن الحنفية، عطاء، عمار بن ياسر، عبد الملك بن جريح المكي، أبوجعفر الباقر، جابر بن عبدالله الأنصاري، المقداد بن الأسود الكندي، أبوذر الغفاري، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

١٥ - الماوردي (المتوفى سنة ٤٥٠ هـ) في (تفسيره النكت والعيون): ٤٩/٢.

١٦ - الواحدي (المتوفى سنة ٤٦٨ هـ) في أسباب النزول: ١٦٨ من طريقين.

١٧ - الإمام حجة أهل السنة والجماعة أبي المظفر السمعاني (المتوفى سنة ٤٨٩ هـ) في تفسيره (تفسير القرآن): ٤٧/٢، فقد أخرج عن طريق مجاهد الرواية السابقة، وقال: أنزلت في علي - ولم يناقش نزولها في علي - وإنما قال: أراد الولاية في الدين لا ولاية الإمارة والسلطنة، وهم فوق كل ولاية.

١٨ - ابن المغازلي الشافعي (المتوفى سنة ٤٨٣ هـ) في مناقب علي بن أبي طالب: ٢٦٠، الحديث (٣٥٤ - ٣٥٨)، بطرق متعددة عن ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، والسدي عن ابن عباس، وأبي صالح عن ابن عباس.

١٩ - الإمام البغوي (المتوفى سنة ٥١٦ هـ) في تفسيره (تفسير البغوي) : ٧٣/٣ .

٢٠ - ابن عطية (المتوفى سنة ٥٤٦ هـ) في تفسيره (المحرر الوجيز) : ٤٩٠/٤ .

٢١ - الخوارزمي (المتوفى سنة ٥٦٨ هـ) في المناقب : ٢٦٤ ، الحديث ٢٤٦ ،

عن ابن عباس ، رواية عبدالله بن سلام .

٢٢ - ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١ هـ) في تاريخ مدينة دمشق : ٣٥٦/٤٢ - ٣٥٧ .

٢٣ - ابن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) في تفسيره (زاد المسير في علم

التفسير) : ٢٢٧/٢ .

٢٤ - ابن طلحة الشافعي (المتوفى سنة ٦٥٢ هـ) في مطالب السئول في مناقب

آل الرسول : ١٤٣/١ بلفظ أبي ذر المذكور .

٢٥ - سبط ابن الجوزي (المتوفى سنة ٦٥٤ هـ) في تذكرة الخواص : ٢٤ ، عن

تفسير الثعلبي ، عن السدي ، وعتبة بن أبي حكيم وغالب بن عبدالله .

٢٦ - الكنجي الشافعي (المتوفى سنة ٦٥٨ هـ) في كفاية الطالب : الباب ٢٢٨/٦١

بإسناده عن أنس .

٢٧ - العزّالدمشقي (المتوفى سنة ٦٦٠ هـ) في تفسيره (تفسير القرآن) : ٣٩٣/١ .

٢٨ - محبّ الدبن الطبري (المتوفى سنة ٦٩٤ هـ) في ذخائر العقبي : ١٥٩ من

طريق الواحدي ، وفي (الرياض النضرة) : ١٧٩/٣ ، الحديث ١٦١٧ من طريق

الواحدي أيضاً .

٢٩ - أبو البركات النسفي (المتوفى سنة ٧١٠ هـ) في تفسيره (تفسير النسفي) :

٤٥٦/١ .

٣٠ - البغدادي الخازن (المتوفى سنة ٧٢٠ هـ) في تفسيره (تفسير الخازن) :

٥٦/٢ .

٣١ - النيسابوري القمي (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) في تفسيره (غرائب القرآن

٣٩٤ معرفة أهل البيت عليهم السلام / الجزء الأول

ورغائب الفرقان): ٦٠٥/٢، فقد أورد الرواية عن أبي ذر، وعطاء، وعن ابن عباس.

٣٢ - الحميوني (المتوفى سنة ٧٣٠ هـ) في فرائد السمطين: ١/١٨٧، باب ٣٩،

الحديث ١٤٩ من طريق الواحدي.

٣٣ - أبوحيان الأندلسي (المتوفى سنة ٧٥٤ هـ) في تفسيره (البحر المحيط):

٣٠٠/٤.

٣٤ - ابن الأثير (المتوفى سنة ٧٧٤ هـ) في جامع الأصول: ٨/٦٦٤، الحديث

٦٥١٥، عن عبدالله بن سلام.

٣٥ - القاضي البيضاوي (المتوفى سنة ٧٩١ هـ) في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار

التأويل): ٢/٣٣٩.

٣٦ - ابن الصباغ المالكي (المتوفى سنة ٨٥٥ هـ) في الفصول المهمة: ١١٧

حديث الثعلبي المذكور.

٣٧ - أحمد المصري الشافعي (المتوفى سنة ١٠٤٨ هـ) في طُرُز الوفا في فضائل

آل المصطفى: ١٢٤.

٣٨ - الشوكاني (المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ) في تفسيره (فتح القدير): ٢/٦٨،

الحديث ٨٦٣.

٣٩ - القندوزي الحنفي (المتوفى سنة ١٢٩٤ هـ) في ينابيع المودة: ١/١٣٦، عن

سليم بن قيس، حديث المناشدة، والإمام عليّ يستشهد بهذه الآية أنها نزلت بحقه.

٤٠ - الإمام البخاري (المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ) في تفسيره (فتح البيان في مقاصد

القرآن): ٣/٤٥٣.

وهذا غيظ من فيض ممن أخرج الخبر من أعلام محدثي الجمهور ومفسريهم،

وما ذكرناه كان عليّ سبيل الاستطراد لا الحصر، ناهيك عما رواه علماء الشيعة.

المقام الرابع : في تفسير الآية

بيان مفردات الآية :

﴿ إِنَّمَا ﴾ : أداة تفيد الحصر والقصر ، بمعنى أنها مخصصة لما أثبتت بعدها ، نافية لما لم يثبت ، كقول القائل : إِنَّمَا أَكَلْتُ رَغِيْفًا ، وَإِنَّمَا لَكَ عِنْدِي دَرَهْمٌ ، بمعنى أَنَّهُ يَنْفِي أَكْلَ أَكْثَرِ مَنْ رَغِيْفٍ ، وَيَنْفِي أَنْ يَكُونَ لَهُ عِنْدَهُ أَكْثَرُ مِنْ دَرَهْمٍ وَهُوَ بِقُوَّةِ قَوْلِهِ : لَيْسَ لَكَ عِنْدِي إِلَّا دَرَهْمٌ ، وَقَدْ ذَهَبَ الْمَفْسَّرُونَ إِلَى كَوْنِ ﴿ إِنَّمَا ﴾ فِي الْآيَةِ تَفِيدُ هَذِهِ الْفَائِدَةَ أَيِّ بِمَعْنَى الْحَصْرِ وَالْقَصْرِ^(١) .

(الوليّ) : قال الراغب الاصفهاني في المفردات : «الْوَلَاءُ - بِالْفَتْحِ - وَالتَّوَالِي : أَنْ يُحْصَلَ شَيْئَانِ فَصَاعِدًا حُصُولًا لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَا لَيْسَ مِنْهُمَا - بِمَعْنَى أَنْ لَا يَكُونُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ شَيْءٌ آخَرُ لَيْسَ مِنْهُمَا ، فَاتِّصَالُهُمَا كَاتِّصَالَ حَلَقَاتِ السَّلْسَلَةِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ - وَيَسْتَعَارُ ذَلِكَ لِلْقُرْبِ مِنْ حَيْثُ الْمَكَانُ وَمِنْ حَيْثُ النِّسْبَةُ وَمِنْ حَيْثُ الدِّينُ وَمِنْ حَيْثُ الصَّدَاقَةُ وَالنُّصْرَةُ وَالْإِعْتِقَادُ .

والوَلَايَةُ (بِالْكَسْرِ) : النُّصْرَةُ وَالْإِعْتِقَادُ .

وَالوَلَايَةُ (بِالْفَتْحِ) : تَوَلَّى الْأَمْرَ .

وقيل : الوَلَايَةُ (بِالْكَسْرِ) وَالوَلَايَةُ (بِالْفَتْحِ) نَحْوُ الدَّلَالَةِ وَالدَّلَالَةِ ، وَحَقِيقَتُهُ تَوَلَّى الْأَمْرَ . انتهى^(٢) .

ويضيف الطبرسي في المجمع : «(الولي) هو الذي يلي النُّصْرَةَ وَالْمَعُونَةَ ، وَالوَلِيُّ هُوَ الَّذِي يَلِي تَدْبِيرَ الْأَمْرِ ، يُقَالُ : فُلَانٌ وَوَلِيٌّ الْمَرْأَةِ إِذَا كَانَ يَمْلِكُ تَدْبِيرَ

(١) راجع : المحرر الوجيز : ٤/٤٨٩ . والكشاف : ١/٦٤٩ . تفسير النسفي : ١/٤٥٦ . تفسير الثعالبي : ٢/٣٩٦ .

(٢) مفردات الراغب : ٥٣٣ .

نكاحها ، ووليّ الدّم من كان إليه المطالبة بالقوّد . والسلطان وليّ أمر الرعية . ويقال لمن يرشّحه لخلافته عليهم بعده وليّ عهد المسلمين . قال الكميت يمدح عليّاً :

ونعمَ وليّ الأمر بعد وليّه ومنتجعُ الثّقوى ونعمَ المؤدّبُ»^(١)

قوله : ﴿ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ** ﴾ : عطف بيان للذين آمنوا ، بمعنى أنّه ليس مطلق (الذين آمنوا) وإنّما بعضهم ممن اتّصف بهذه الصفات ، أو كما يقول الفخر الرازي : المؤمنون الموصوفون بالصفات المذكورة .

مع الوليِّ ومواصفاته :

هذه المواصفات أبرزتها الآية الشريفة كما يلي :

أولاً : يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ : ومن الواضح الفرق بين إقامة الصّلاة وأداء الصّلاة ، «فإقامة الصّلاة تعني أداءها أداءً كاملاً ، تنشأ عنه آثارها التي يقرّرها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾ ... والذي لاتنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يقم الصّلاة ، فلو أقامها لنهاه كما يقول الله تعالى »^(٢) .

ثانياً : وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ : ومن صفتهم إيتاء الزكاة ، « أي : أداء حقّ المال ، طاعة لله وقربى عن رضى نفس ورغبة ، فليست الزكاة مجرد ضريبة مالية ، إنّما هي كذلك عبادة ، أو هي عبادة مالية .

وهذه هي ميزة المنهج الإسلامي ، الذي يحقّق أهدافاً شتى بالفريضة الواحدة ، ليس كذلك الأنظمة الأرضية التي تحقّق هدفاً وتفرّط في أهداف »^(٣) .

والمراد من (الزكاة) هنا المعنى الأعم ، أي : ليس المراد بها الزكاة الفرض المخصوص ، وإنّما مايشمل الصدقة وكل برّ .

(١) مجمع البيان : ٢٧١/٣ .

(٢) و(٣) في ظلال القرآن ، لسيد قطب : ٩٢٠/٢ .

قال الثعالبي : « الزكاة هنا : لفظ عام للزكاة المفروضة والتطوع بالصدقة ولكل أفعال البر ، إذ هي مُنمّية للحسنات ، مطهّرة للمرء من دنس السيئات »^(١) .

ثالثاً : ﴿رُكِعُونَ﴾ : الصفة الثالثة لهم كونهم راعين ، والركوع في الشرع : هو الهيئة المخصوصة في الصلاة ، قال تعالى : ﴿الرُّكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾^(٢) ، وهو ممثّل للخضوع والتذلل لله تعالى « وقد خصّت الركوع بالذكر لأنّه من أعظم أركان الصلاة »^(٣) .

أمّا جملة ﴿وَهُمْ رُكِعُونَ﴾ : فهي جملة حالية والعامل فيها ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ ، بمعنى أنّهم يؤتون الزكاة حال كونهم راعين أي في أثناء الركوع للصلاة يقومون بإتيان الزكاة ، وقد ذهب إلى هذا الرأي الكثير من المفسرين^(٤) .

المعنى : إنّ معنى الآية الشريفة على ما تقدّم من مفردات يكون كما يلي :

قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أي : إنّ الذي يتولّى الأمر ويدبّر أموركم ، وله الحاكمية المطلقة على الخلق والكون هو الله تعالى ، فعلى هذا يكون أصل الولاية والحاكمية لله تعالى بالذات ، ولرسول الله صلى الله عليه وآله بالتبع . وبهذا المستوى اعتبرها الله تعالى لخاصّة المؤمنين ، الذين وصفهم الآية بتلك المواصفات ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكِعُونَ﴾ ، وهذه المواصفات الخاصّة تحدّدت بشخص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام . كما تبين - من خلال الروايات المفسّرة التي بلغت حدّ التواتر .

فمن خلال أفراد الصيغة - وليّكم - يُفهم المعنى المتقدّم ، إذ لو كانت العبارة

(١) تفسير الثعالبي : ٣٩٦/٢ .

(٢) التوبة : ١١٢ .

(٣) البحر المحيط : ٣٠١/٤ .

(٤) انظر : تفسير البيضاوي : ٣٣٩/٢ . تفسير النسفي : ٤٥٦/١ . روح المعاني : م ٤٤٤/٦/٤ .

بصيغة الجمع - أولياؤكم - لاختل المعنى تماماً ، ولم يكن في الكلام أصل وتبع ^(١) .
وقد أشار إلى هذا المعنى بشكل أوضح أبوحيان ، فقال مانصه :

« لأنّ الولاية حقيقة هي لله تعالى على سبيل التأصل ، ثمّ نظم في سلكه من ذكر على سبيل التبع ، ولو جاء جمعاً لم يتبين هذا المعنى من الأصالة والتبعية » ^(٢) .
انتهى .

أقول : وهذه الولاية المتأصلة في الباري تعالى دون غيره هي الحاكمة والأولية وغيرها لايفيد هذا المعنى ، بل إلى البطلان أقرب .

هل الولاية هي الحاكمة أم النصرة؟

ولربّ سائل يقول : لماذا فسرت (الولاية) بمعنى الحاكمة والأولى بالتصرف ، ولمّ لم تفسروها بمعنى النصرة والمحبة ؟

في مقام الجواب نقول : إنّما فسرت (الولاية) بمعنى الحاكمة والأولى بالتصرف لوجود أداة الاختصاص ﴿ إِنَّمَا ﴾ ، فهذه الأداة تفيد الحصر والقصر - كما سلف توضيحه - فهي تقتضي تخصيص الحكم بالمذكورين فقط ، ونفيه عن غيرهم ، وعليه فلا يصح حمل لفظ (الولي) على معنى المحبة والنصرة ؛ لأنّ هذا المعنى لا يختص بالله ، ورسوله ، وخاصّة المؤمنين ، بل هو يعمّ جميع المؤمنين ، وهم مشتركون فيه كما قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ^(٣) .

فعلى المعنى الثاني - أي بمعنى النصرة والمحبة - تصبح أداة الحصر ﴿ إِنَّمَا ﴾ لغواً ولافائدة فيها . فصوّناً لكلام الحكيم عن اللغوية وعدم الفائدة ، من جهة ،

(١) انظر تفسير الكشاف : ٦٣٥/١ .

(٢) تفسير البحر المحيط : ٣٠٠/٤ .

(٣) التوبة : ٧١ .

والتزاماً بقواعد القرآن واللغة من جهة أخرى ، لا بدّ من تفسير الولاية بالمعنى الأول ، وهو الحاكمية وتولي الأمر .

حاصل الكلام:

إنّ الآية الشريفة قد قصرت النّصّ على ولاية الله ورسوله وخاصّة المؤمنين ، فالولاية المنحصرة بهذه المستويات الثلاثة تتعلّق بالحاكمية والإمرة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى قد تضافرت الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله باختصاصها بعلي عليه السلام ، فلذا نستنتج من ذلك كلّهُ ، أنّ الآية الشريفة بمعنيّة السّنة المفسّرة ، والمعتبرة تحقّقان الدّلالة على ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام ، لا في الدين فحسب ، بل ما يعمّ الحاكمية والإمامية ، وقد ظهر لك ذلك من خلال أداة الاختصاص والروايات المتظافرة .

أمّا قوله تعالى : ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكْعُونَ ﴾ فليس المقصود من الركوع هو الخشوع والخضوع ، بل المقصود منه هو ركوع الصّلاة ، وذلك لأن (الواو) في جملة ﴿ وَهُمْ رُكْعُونَ ﴾ تفيد الحال ، فيكون المعنى : ويؤتون الزكاة في حال ركوعهم ، وهذه صفة انطبقت على علي بن أبي طالب بالذّات كما أشارت الروايات المتظافرة إلى ذلك - وقد وقفت عليها - .

ولا يمكن القول إنّ المراد بقوله : ﴿ وَهُمْ رُكْعُونَ ﴾ كونهم هذه شيمتهم وعاداتهم ، فمن عاداتهم أنّهم يعطون الزكاة وهم في خشوع ، كلاً ليس كذلك ، لماذا ؟

وذلك لأنّ قوله : ﴿ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ قد دخل فيه الركوع ، فلو لم يحمل قوله : ﴿ وَهُمْ رُكْعُونَ ﴾ على أنّه حال من ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ وحملناه على من صفتهم الركوع ، كان ذلك كال تكرار غير المفيد ، والتأويل المفيد أولى من البعيد الذي لا يفيد ^(١) .

(١) انظر تفسير مجمع البيان : ٢٧٥/٣ .

المقام الخامس: الاعتراضات وردودها

لقد أشار القاضي المعتزلي (عبدالجبار)^(١) إلى جملة من الاعتراضات حول تفسير الآية الشريفة وتبعه على ذلك بعض المفسرين كالرازي . ونحن نشير إليها باختصار:

الاعتراض الأول: إن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...﴾ بصيغة الجمع ، فلا يمكن أن ينطبق على المفرد - والمقصود به الإمام علي بن أبي طالب - لكونه خلاف ظاهر الآية ، حيث إن ظاهر الآية هو أن صيغة الجمع المستعملة فيها يفيد ما زاد على الاثنین فكيف يمكن حمله بحق شخص واحد كعلي عليه السلام ؟

الجواب:

أولاً: لقد أوضحنا مثل هذا الإشكال في آية المباهلة ، وتمّ الجواب عنه بشكل مفصل ، فراجع .

ثانياً: هناك فرق بين مقامين أحدهما يصحّ والآخر لا يصحّ :

أمّا المقام الذي لا يصحّ هو: إطلاق لفظ الجمع وإرادة المفرد واستعمال صيغة الجمع في المفرد .

فهذا لا يصحّ لغوياً ، بل تأباه اللغة .

أمّا المقام الآخر الذي يصحّ فهو: إعطاء حكم كلي أو الإخبار بمعرّف جمعي في لفظ الجمع لينطبق على من يصح أن ينطبق عليه ، غاية ما في الأمر كون مصداق هذا الحكم الكلي هو فرد واحد ، وهذا ما لا تأباه اللغة بل شيوعه في الاستعمالات ، نظير ما يقوله المناطقة: «كلي منحصر بفرد» . بل وفي استعمالات القرآن الكريم شواهد

(١) انظر المغني ، للقاضي عبد الجبار - الإمامة القسم الأول: ١٣٣ - ١٣٩ .

كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾^(١) ، مع أن القائل هو عبدالله بن أبي^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٣) .

أغلب المفسرين على نزولها في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله إلى بني قريظة فسأله ماذا هو صانع بنا ؟ فأشار بيده إلى حلقه أي إنه الذبح ... قال القرطبي : « الخبر مشهور »^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾^(٥) .

اتفق المفسرون على نزولها في حاطب بن أبي بلتعة ، حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وآله إليهم^(٦) إلى آخره من الآيات الكريمة الواردة بهذا الشأن .

ثالثاً : لقد تعرّض لهذه المسألة علماء علوم القرآن فعقدوا لذلك باباً تحت عنوان (إطلاق الجمع وإرادة المفرد) ، فأشاروا إلى العديد من الآيات الواردة بصيغة الجمع مع أن المقصود منها المفرد بخصوصه^(٧) .

(١) المائة : ٥٢ .

(٢) انظر تفسير الدر المنثور : ١٠٠/٣ .

(٣) الأنفال : ٢٧ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣٧٦/٧ .

(٥) الممتحنة : ١ .

(٦) انظر تفسير الشوكاني : ٢١٥/٥ .

(٧) انظر البرهان في علوم القرآن : ٩٤/٣ .

رابعاً: لقد أجاب الزمخشري عن الاعتراض المذكور - بعد نقل القول - بما نصّه:

« فإن قلت: كيف صحّ أن يكون لعلّي عليه السلام واللفظ لفظ جماعة؟

قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله، فينالوا مثل نواله، ولينبّه على أن سجيّة المؤمن يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان وتفقد الفقراء، حتّى إنّ لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصّلاة لم يؤخّروه إلى الفراغ منها»^(١).

وهكذا قد اتّضح بطلان الاعتراض الأول، وسيأتي مزيد بيان عنه في آية لاحقة،

فلاحظ.

الاعتراض الثاني: ليس المراد من معنى (الولاية) هو تولي الأمر والأولى

بالتصرف والحاكمية، كلا، بل المراد المعنى الآخر وهو النّصرة والمحبة، بقريته السياق.

الجواب:

أولاً: إنّ السياق إنّما يصح التمسك به فيما إذا كان النّصّ متسلسلاً ومتتابعاً في

موضوع واحد، مع عدم ورود ما يعارضه من نصوص، فحينئذٍ يتمسك بوحدة السياق، ولكن ما نحن فيه لم يتوقّر كلا الأمرين، حيث إنّ سورة المائدة لم تنزل جميع آياتها دفعة واحدة، وقد وقفت على ما ذكرناه من بعض أسباب النّزول، ومجرد وقوع الآية بعد الآية لا يعطي دليلاً على وحدة السياق، وقد رأينا ما تقدّم في آية التطهير، بل ربما الآية الواحدة أولها في موضوع، وآخرها في موضوع، ووسطها في موضوع آخر.

أضف إلى ذلك كلّهُ: أنّ الروايات المتظافرة كشفت لنا عن نزول الآية في واقعة

(١) تفسير الكشاف: ٦٣٥/١. وانظر تفسير أبي السعود، للقاضي العمادي الحنفي: ٥٠٠/٢.

معينة ، خارجة عن واقعة نزول السورة . فعليه لا مجال للتمسك بوحدة السياق ، إذ لا موضوع للسياق هنا حتى يتم التمسك به .

ثانياً : إن دلالة السياق في غاية الضعف ، بل في كثير من الأحيان لا يصح التمسك به لكونه يؤدي إلى مغايرة معنى الآية ، فعلى سبيل المثال لو تأملنا في قوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ ^(١) لوجدنا الآيات السابقة واللاحقة ، بل المقطع السابق واللاحق لهذه الآية بالذات ، كلها في بيان موضوع حلية أو حرمة أنواع اللحوم والمأكولات ، فلو تمسكنا بالسياق لزم أن نفسر إتمام النعمة بما ينسجم مع السياق أي في الأكل والشرب والنعم المادية !! ولكنك لا تجد مفسراً ذهب إلى هذا المعنى أبداً ، بل كلهم فسروها بالنعم المعنوية في مجال إظهار الدين وغلبة المؤمنين ، ونصرة العقيدة ، وما في هذا المعنى .

فعليه الاحتجاج بالسياق في غاية الضعف .

ثالثاً : لا يصح حمل (الولاية) على معنى النصرة والمحبة وذلك للزوم اللغوية ومحاذير أخرى . وقد تقدّم الكلام فيه ، في المقام الرابع فراجع .

الاعتراض الثالث : علي بن أبي طالب المعروف بخشوعه في الصلاة كيف يمكن القول بأنه سمع صوت وكلام السائل ؟ ثم إن التصدق في أثناء الصلاة ألا ينافي الصلاة ؟

الجواب :

أولاً : من المعروف عن علي عليه السلام كون محور حركته وأفعاله هو ما تقربه إلى الله تعالى ، وقد اشتهر عنه قوله : « ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه » ، وهذا الالتفات من علي عليه السلام ليس التفاتاً إلى غير الحق ، بل هو التفات تعود نهايته إلى

الحقّ ، بل إنّ أداء الزكاة والتصدّق أثناء الصّلاة يُعدُّ عبادة ضمن عبادة أخرى ، فإنّ التوجّه إلى ما فيه رضا الله تعالى يتلاءم بصورة تامة مع روح العبادة ويؤكدّها .

ثانياً : إنّ مجرّد الإيماء للسّائل بخنصره غير معارضٍ للصّلاة ، بل هو في طولها وليس منافياً لها ؛ لأنّه ليس من الفعل الكثير .

ثالثاً : أجاب الآلوسي عن هذه الشبهة ما نصّه : « بلغني أنّه قيل لابن الجوزي : كيف تصدّق عليّ - كرم الله تعالى وجهه - بالخاتم وهو في الصّلاة ... فأنشأ يقول :

يسفي ويشرب لاتلهيه سكرته عن النديم ولايلهو عن الناس
أطاعه سكره حتى تمكّن من فعل الصّحابة فهذا واحد الناس ^(١)

رابعاً : إنّ الدّوبان في التوجّه إلى الله تعالى ، ليس معناه أنّ يفقد الإنسان الإحساس بنفسه ، ولا أن يكون بدون إرادة ، بل الإنسان بإرادته يصرف عن نفسه التفكير في أيّ شيء لاصلة له بالله ^(٢) ، وما قام به عليّ عليه السلام يمثّل عين الصّلة بالله تعالى .

الاعتراض الرابع : لقد اعترض ابن تيميّة باعتراضات منها قد أجبنا عنها ومنها ضعيفة جداً ، نتجنّب ذكرها ، ولكنّه ادّعى تكذيب الخبر من أصله ليريح نفسه ، فقال : « إنّ قوله - يقصد العلامة ابن المطهر الحلّي : قد أجمعوا أنّها نزلت في عليّ - من أعظم الدّعاوى الكاذبة ، بل أجمع أهل العلم بالنّقل على أنّها لم تنزل في عليّ بخصوصه ، وأنّ عليّاً لم يتصدّق بخاتمته في الصّلاة ، وأجمع أهل العلم بالحديث على أنّ القضية المروية في ذلك ، من الكذب الموضوع » ^(٣) !!

الجواب :

أولاً : لم يذكر لنا ابن تيميّة أسماء أهل العلم بالحديث ممّن ادعوا تكذيب

(١) روح المعاني : م/٤/٦/٢٤٧ و ٢٤٨ .

(٢) انظر الأمثل : ٥١/٤ .

(٣) منهاج السنّة : ١١/٧ .

الخبر ، فضلاً عمّن ادّعى الإجماع على تكذيبه .

ثانياً : لقد وقفت على مَنْ روى الرواية والقصة من الصحابة والتابعين ، ومَنْ أخرج الخبر من أئمة الحديث والتفسير .

ثالثاً : لقد أشار إلى الإجماع المذكور - أعني نزولها في عليّ عليه السلام - جملة من أكابر علماء الجمهور والسنة :

منهم : القاضي عضد الدين الإيجي ، (المتوفى سنة ٧٥٦هـ) في كتابه المشهور : *المواقف في علم الكلام* ، فقد قال في معرض ذكره الاستدلال بالآية : « وأجمع أئمة التفسير أنّ المراد عليّ »^(١) .

وفي معرض اعتراضه على الاستدلال المذكور قال ما نصّه : « والجواب : أنّ المراد هو الناصر وإلا دلّ على إمامته حال حياة الرسول صلّى الله عليه وآله »^(٢) ، انتهى .

أقول : فهو لم يناقش في إجماع أئمة التفسير على نزولها في عليّ عليه السلام ، وهذا بحدّ ذاته يكشف عن قبول القاضي الإيجي بإجماع أئمة التفسير على نزولها بحق عليّ عليه السلام .

ومنهم : الشريف الجرجاني ، (المتوفى سنة ٨١٦هـ) ، فقد قال بشرح *المواقف* مانصّه : « وقد أجمع أئمة التفسير على أنّ المراد بـ ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ رُكْعُونَ ﴾ عليّ ، فإنّه كان في الصلاة راعياً ، فسأله سائل فأعطاه خاتمه ، فنزلت الآية »^(٣) .

(١) و (٢) *المواقف في علم الكلام* ، نقلاً عن شرح *المواقف* ، للجرجاني : ٣٩١/٨ ، وكتاب *المواقف* مكوّن من ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات ، طبع قديماً وعليه بعض الحواشي ، ويعتبر من أهمّ المراجع في علم الكلام للأشاعرة ، وصاحبه عضدالدين الإيجي هو عبدالرحمن بن أحمد توفى سنة ٧٥٦هـ؛ نقلاً عن هامش شرح المقاصد : ١٦٤/٥ .

(٣) شرح *المواقف في علم الكلام* ، للجرجاني : ٣٩١/٨ .

ومنهم: سعد الدين التفتازاني (المتوفى سنة ٧٩٣هـ)، فقد قال في شرح المقاصد مانصه: «نزلت باتفاق المفسرين في علي بن أبي طالب - عليه السلام - حين أعطى السائل خاتمه وهو راکع في صلاته»^(١).

ومنهم: الألويسي في تفسيره قال مانصه: «والآية عند معظم المحدثين نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه»^(٢).

أضف إلى ما تقدّم: فقد «رواها أكثر من تسعين طريقاً بأسانيد متصلة»^(٣) أغلبها من طرق أهل السنة وأسانيدها معتبرة، فأين ما يدّعيه ابن تيمية من الاستنكار.

وفي الختام: من المناسب أن نحكم الجواب بما ذكره صاحب تفسير الميزان، ما نصّه: «وقد اتفق على نقلها من غير ردّ، أئمة التفسير المأثور كأحمد والنسائي والطبري والطبراني وعبد بن حميد وغيرهم من الحفاظ وأئمة الحديث وقد تسلّم ورود الرواية المتكلمون، وأوردها الفقهاء في مسألة الفعل الكثير من بحث الصلاة، وفي مسألة «هل تسمى صدقة التطوع زكاة»، ولم يناقش في صحة انطباق الآية على الرواية فحول الأدب من المفسرين كالزمخشري في الكشاف وأبي حيان في تفسيره، ولا الرواة النقلة وهم أهل اللسان.

فلا يعبا بما ذكره بعضهم: أن حديث نزول الآية في قصة الخاتم موضوع مختلق، وقد أفرط بعضهم كشيخ الإسلام ابن تيمية فادّعى إجماع العلماء على كون الرواية موضوعة؟ وهي من عجيب دعاوى، وقد عرفت ما هو الحق في المقام»^(٤).

(١) شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني: ٢٧٠/٥.

(٢) تفسير روح المعاني: م ٢٧٣/٦/٤ في تفسير الآية ٦٦/المائدة، ذكر ذلك من باب الإشارة.

(٣) سعد السعود - الفصل (٢٠): ١٩٢.

(٤) تفسير الميزان: ٢٥/٦.

المقام السادس : نتائج البحث

يمكن تلخيص نتائج البحث بما يلي :

أولاً: إنّ الآية الشريفة دلّت بشكل دقيق وظريف على كون الولاية بمعنى الحاكمية وولاية الأمر ، بما لا يقبل الشك والتردد ، وذلك من خلال الهندسة البلاغية للآية ، والصياغة اللغوية المتقنة والتركيب الجملي المحكم ، فلا مناص ولا محيص إلا بحملها على المعنى المذكور ، وأمّا حملها على المعنى الآخر يستلزم محاذير متعدّدة ، لا يمكن تجاهلها .

ثانياً: كثرة الروايات المفسّرة الواردة بشأن نزول الآية الشريفة ، واستفاضتها لا يمكننا الإغماض والإعراض عن تلك الروايات تحت ذريعة مخالفتها للسياق أو ذرائع أخرى ، ولو صحّ الإعراض عن مثل هذه الروايات على تكاثرها وتظاferها لم يصح الركون إلى شيء من أسباب النُّزول المأثورة في شيء من آيات القرآن ، وهو خلاف ما عرفت لمواقف أئمة التفسير من أسباب النُّزول .

ثالثاً: دلّت الروايات بشكل قاطع على أنّ المقصود في الآية هو الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وصرّحت بذلك بشكل جليّ ، بل نصّت عليه .

رابعاً: قرنت الآية الشريفة بين ولاية الله سبحانه وتعالى وولاية الرسول صلّى الله عليه وآله بالتبع ، وكذا ولاية خاصّة المؤمنين وهو عليّ بن أبي طالب ، باستعمال صيغة المفرد لكلمة (وليكم) للمستويات الثلاثة .

خامساً: نستنتج من كلّ ما تقدّم ، دلالة الآية على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وولايته بعد عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله .

وهذا ما تؤيّدّه الكثير من الروايات الصّحيحة الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله بهذا المعنى : منها ما رواه بُرَيْدَةَ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « عليّ منّي وأنا منه ،

وهو وليكم بعدي»^(١).

وفي روايات أخرى: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ، وَهُوَ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي»^(٢).

(١) الرواية حسب مسند الإمام أحمد: ١١٧/٣٨ ، الحديث ٢٣٠١٢ ، بإسناده عن بريدة ، قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعثين إلى اليمن ، على أحدهما علي بن أبي طالب ، وعلى الآخر خالد بن الوليد ، فقال: إذا التقيتم فعلي على الناس ، وإن افرقتما فكل واحد منكما على جنده . قال: فلقينا بني زيد من أهل اليمن ، فاقتلنا ، فظهر المسلمون على المشركين ، فقتلنا المقاتلة ، وسبينا الذرية ، فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه .

قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره بذلك ، فلما أتيت النبي صلى الله عليه وآله ، دفعت الكتاب ، فقرأ عليه ، فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت: يا رسول الله ، هذا مكان العائد ، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ، ففعلت ما أرسلت به . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقع في علي ، فإنه مني وأنا منه ، وهو وليكم بعدي ، وإنه مني وأنا منه . وهو وليكم بعدي» .

وفي الحديث ٢٢٩٦١: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كنت وليه ، فعلي وليه» .

وفي الحديث ٢٢٩٤٥ ، ٢٣٠٢٨ ، ٢٣٠٥٧ ، مثله .

وفي الاصابة: ٤/٦٨ عن الترمذي بإسناد قوي ، مثله .

(٢) خصائص النسائي: ١٤٣ ، الحديث ٨٩ بإسناده عن عمران بن حصين ، وفي الرياض

النضرة لمحب الدين الطبري: ١١١/٣ ، الحديث ١٣٤٨ بإسناده عن عمران بن حصين ،

قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وآله ... الرواية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تريدون من علي - ثلاثاً - ؟ إن

علياً مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي» وكذا الحديث ١٣٥٠ ، والحديث ١٣٥٤

قريب منه . ومستدرک الصحيحين: ١٤٤/٣ ، الحديث [٤٦٥٢/٢٥٠] في حديث طويل .

وأخرجه البغوي في معجم الصحابة: ٣٦٣/٤ ، والترمذي في سننه ٧٨/٦ ، الحديث

٣٧١٢ ، والطبراني في المعجم الأوسط: الحديث ٦٠٨٥ ، وفي المعجم الكبير: ١٢٨/١٨

والطيالسي في مسنده: الحديث ٨٢٩ ، وأبو يعلى في مسنده: الحديث ٣٥٥ ، وابن حبان

في صحيحه: الحديث ٦٩٢٩ ، وفي مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ٣/٣٥٦/٦٠٩٠ ،

وانظر: تحفة الأشراف للحافظ المزي: ٨/١٩٣/١٠٨٦١ ، والمسند الجامع: ﴿

وأخرج ابن عساكر بإسناده عن بُرَيْدَةَ ، قال : « بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب وخالد بن الوليد كل واحد منهما وحده ، وجمعهما فقال : إذا اجتمعتما فعليكم عليّ ، قال : فأخذنا يميناً أو يساراً . قال : فأخذ عليّ فأبعد فأصاب سبيّاً ، فأخذ جارية من الخمس .

قال بُرَيْدَةَ : وكنت من أشد الناس بغضاً لعليّ ، وقد علم ذلك خالد بن الوليد ، فأتى رجلٌ خالداً فأخبره أنه أخذ جارية من الخمس ، فقال : ما هذا ؟ ثم جاء آخر ، ثم أتى آخر ، ثم تتابعت الأخبار على ذلك ، فدعاني خالد ، فقال : يا بريدة ، قد عرفت الذي صنع ، فانطلق بكتابي هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره وكتب إليه ، فانطلقت بكتابه حتى دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ الكتاب فأمسكه بشماله ، وكان كما قال الله عزّ وجلّ لا يكتب ولا يقرأ ، وكنتُ رجلاً إذا تكلمت طأطأتُ رأسي حتى أفرغ من حاجتي ، فطأطأتُ رأسي أو تكلمت فوقعتُ في عليّ ، حتى فرغتُ ثم رفعت رأسي ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قد غضب غضباً لم أره غضب مثله قط إلا يوم قَرِيظَةَ والنضير ، فنظر إليّ فقال : يا بُرَيْدَةَ ، إن علياً وليكم بعدي ، فأحبّ علياً فإنه يفعل ما يؤمر .

قال : فقمْتُ وما أحدٌ من الناس أحبّ إليّ منه .

وقال عبدالله بن عطاء : حدّثتُ بذلك أبا حرب بن سويد بن غفلة فقال : كتمك عبدالله بن بُرَيْدَةَ بعض الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : أنا فقت بعدي يا بُرَيْدَةَ ؟» (١) .

وفي الاستيعاب قال ابن عبدالبر : « روى أبو داود الطيالسي ، قال حدّثنا أبو عوانة ، عن أبي بلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال

⇒ ١٤/٢٦٩/١٠٩٠٣ ، ومسنَد الصّحابة للحافظ الروياني (المتوفى سنة ٥٣٠٧هـ) : ١١٩/٦٢/١ .

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١٩١/٤٢ ، وانظر الصفحات ١٨٧ - ٢٤٢ .

لعليّ بن أبي طالب : أنت وليّ كلّ مؤمنٍ بعدي .

قال ابن عبد البر: هذا إسناد لا مطعن فيه لأحدٍ لصحته وثقة نقلته ^(١).

أقول : مهما ذكروا المصطلح (الوليّ) من معانٍ مختلفة ، لكن في هذا المقام وهذا المقال (وليّكم من بعدي) لا يصح فيه إلا معنى واحد وهو الولاية بمعنى المرجعية الدينية والسياسية ، أي بمعنى الحاكمية والإمامة . إذ لا يصح أن يُحمل عليّ معنى الناصر ولا الحليف ولا ابن العم ، ولا عليّ المتولّي لضمان الجريرة ولا ... لماذا ؟ لأنّ تلك المعاني للولاية (الناصر ، الحليف ، ابن العم) هي متوقّرة في عليّ عليه السلام في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله لا بعده ، والحال أنّ الرواية تخبرنا عن الولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلا يبقى مجال إلا القول بهذا المعنى ، هو الحاكمية والإمامة ، وهذا ما يعطينا مؤيداً قوياً بكون الآية الشريفة في هذا المعنى أيضاً ، فتدبّر ^(٢).

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ١٩٨/٣ .

(٢) سيأتي مزيد بيانه في الجزء الثاني ، فلاحظ .

الآية العاشرة:

آيات الغدير

أولاً: آية التبليغ

قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلُّغًا مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١)

الدراسة

الآية الشريفة تستوقف العقلاء وأولي الألباب والباحثين كثيراً ، لكون لحن الخطاب فيها يتسم بالقوة والشدة والنفس الخاص ، بخلاف كثير من آيات التبليغ التي تتسم بالرفق واللين والجدال الحسن :

قال تعالى : ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمِ بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلِّغُ﴾^(٤).

لكن في الآية (مورد البحث) لحن الخطاب يختلف ، وكذا سياقها يختلف عن سياق الآيات السابقة لها أو اللاحقة بعدها ، فلا بدّ إذن من الالتفات الدقيق

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) يس: ١٧.

(٤) الشورى: ٤٨.

لمضمون الآية ومطلبها .

فالأمر جازم من الله تعالى بالتبليغ ، والصيغة شديدة التوكيد ، ولكن ما الذي يبلغه رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

هل الرسالة ؟ وقد فرغ عن تبليغها مدة ثلاث وعشرين سنة ، ولم يفتر لحظة واحدة عن مهمته التبليغية .

إذن ما هو البلاغ الذي تريد الآية إيصاله إلى الناس ؟

لابد أن يكون نوع بلاغ يختلف عما سبقه من تبليغ للأحكام أو تهديد للمكذّبين أو توبيخ للمنافقين أو تحذير لليهود ؛ لأن كل ذلك قد نزل فيه قرآن .

البلاغ شديد ومهم ، ويبلغ من الأهمية ما يساوي الرسالة كلها ، إلى درجة يكون عدم الإفصاح عنه ، وعدم التبليغ به كأن الرسالة بأجمعها لم تُبلّغ ، ومعناه رجوع الأمة إلى حالة الجاهلية الأولى ، يعيشون التّيه العقائدي والضلال ، والانحراف والافتتال .

فما هذا البلاغ السّماوي ؟ الذي يكون كتماناً خطيراً ، وإبلاغه خطيراً ؟ !

كتماناً خطيراً ؛ إذ هو يعدل الرسالة بأجمعها ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ ، وإبلاغه أيضاً خطيراً ؛ إذ توقع النبي صلى الله عليه وآله اعتراض البعض ، أو تفوههم بما لا يليق بشأن النبي ، أو خشيته من ردّتهم ، أو تراجعهم عن دينهم ، أو توغّلهم في النفاق ، فيقول المولى له : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ . وهنا تحسم الآية الموقف دون تردّد ، ﴿ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ، إنها كلمة الحق ، والموقف الحاسم ، ونداء السماء الذي يعلو ولا يُعلَى عليه ، إنّه أمر الله تعالى الحاكم المطلق . فلا بدّ للعقيدة من قوّة ، ولا بدّ للقوّة من سلطة ، ولا بدّ للشريعة من هيبة في النفوس .

إذن فلتكن كلمة الحق حاسمة وقوية وخالية من المداهنة والتلكؤ ، فمن يقبل الحق فهو معه ، ومن لم يقبله فهو على باطل ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

ولذا صدَّعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأمر ، وصدَّعَ بالحقِّ حاسماً خياره اتَّجَاهَ نداء السماء ، فلا مجال لمن لا يرغب بالحقِّ ولا يقبل به ، ولا مجال لمن لا يؤمن بنداء السماء : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ إذاً ففلاية نكات بالغة الأهمية ، لا بدَّ من دراستها وتبيانها .

إثارات

ما هو الأمر السماوي الذي يتحتَّم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبليغه الناس ؟

وكيف يكون عدم تبليغه يساوق عدم تبليغ الرسالة ؟

وما الذي كان يخشاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو القوي الأمين ؟

وهل كان يتوقَّع النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يعترض عليه ، بعد طول تلك المدَّة من دعوته ؟

وماهي دلالات الآية الشريفة بعد كلِّ ذلك ؟

هذا ما نريد تسليط الضوء عليه ومن دون إسهاب ، ضمن البيانات التالية :

البيان الأوَّل : في إثبات نزولها بين مكة والمدينة (وكونها مدنيَّة)

في الوهلة الأولى ، لا بدُّ لنا من حسم مادة النزاع والاختلاف في تفسير معنى (التبليغ) في الآية ، وما المقصود منه ، وهذا إنَّما يتم حسمه من خلال معرفة مكان نزول الآية الشريفة ، إذ لو كانت الآية مكِّيَّة ، فحينئذ يمكن توجيه كلام مَنْ يفسِّر (التبليغ) بمعنى الرسالة كلِّها ، أمَّا لو كانت الآية مدنيَّة ، أو بين مكة والمدينة وفي حجة الوداع ، فلا مجال لتفسير (التبليغ) حينئذ بمعنى الرسالة ، وهكذا بقيَّة الموارد .

هل الآية مكِّيَّة أم مدنيَّة

السورة كلُّها مدنيَّة ؛ هكذا اتَّفَق أهل النقل ، بل « أجمعوا على ذلك إلا قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

ديناً ﴿ فَإِنهَا نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي الْمَوْقِفِ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ ﴾^(١) ، وهي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في أواخر أيام حياته بلا خلاف .

وقد أشار الألويسي إلى هذا المعنى فقال : « فقد أخرج أبو عبيد عن محمد القرظي قال : « نزلت سورة المائدة على رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وهو على ناقته ، فانصدت كتفها ، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك من ثقل الوحي »^(٢) .

وقال القرظي في التفسير : « إن سورة المائدة مدنيّة بإجماع »^(٣) .

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن الربيع بن أنس ، قال : « نزلت سورة (المائدة) على رسول الله صلى الله عليه وآله في المسير في حجة الوداع وهو راكب راحلته ، فبركت به راحلته من ثقلها »^(٤) .

وبهذا يتضح محل نزول آية التبليغ وكذا آية إكمال الدين ، حيث أورد السيوطي في الإتيان عن ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري إن آية : ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ ﴾^(٥) نزلت يوم غدير خم^(٦) ، وإن ناقش فيه .

(١) التفسير القرآني للقرآن ، لعبدالكريم الخطيب : ١٠٢٣/٢ .

(٢) تفسير روح المعاني ، للألويسي : م ٧٢/٦/٤ .

(٣) تفسير القرظي : ٣٣/٦ .

(٤) تفسير الطبري : ٩١/٨ ، وفي الدر المنثور عزاه السيوطي إلى ابن جرير . وانظر تفسير ابن كثير : ٣/٣ .

(٥) المائدة : ٣ .

(٦) الإتيان في علوم القرآن : ٥٨/١ ، قال السندي : « غدیر حُمّ - بضمّ معجمة وتشديد ميم - : غيضة بثلاثة أميال من الجحفة ، عندها غدیر مشهور يضاف إليها ، فهي موضع بين مكة والمدينة .

وعليه فإنَّ كِلا الآيتين الشريفتين قد نزلتا على صدر رسول الله صلى الله عليه وآله في موضع مسيره عند رجوعه من مكة إلى المدينة بعد الفراغ من حجة الوداع ، وتحديداً في موضع يقال له غدِير خُمْ .

البيان الثاني : في التفسير

القسم الأول : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ .

اضطرب مفسرو الجمهور اضطراباً شديداً بين مشرِّق ومغرَّب في تفسير المراد من قوله : ﴿ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ فما هو البلاغ ؟ وما الذي ينبغي أن يبلغه ؟ لانريد استعراض الآراء المختلفة حيث يطول بنا المقام ، ولكن نودُّ الإشارة إلى ما قاله فحول مفسري الجمهور :

قال الفخر الرازي : « أمر الرسول بأن لا ينظر إلى المقتصدین ! وكثرة الفاسقين ولا يخشى مكروههم ، فقال (بَلِّغْ) أي : واصبر على تبليغ ما أنزلته إليك من كشف أسرارهم وفضائح أفعالهم ، فإنَّ الله يعصمك من كيدهم ويصونك من مكرهم ، وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله قال : « إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِرِسَالَتِهِ فَضَقَّتْ بِهَا ذُرْعاً عَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ يَكْذِبُونِي وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَقَرِيشٌ يَخَوْفُونِي ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ زَالَ الْخَوْفُ بِالْكَلِيَّةِ » .

وأضاف الراوي أيضاً : « وروى : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله كَانَ أَيَّامَ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ يَجَاهِرُ بِبَعْضِ الْقُرْآنِ وَيَخْفِي بَعْضَهُ إِشْفَاقاً عَلَى نَفْسِهِ مِنْ تَسَرُّعِ الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَأَيَّدَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ قَالَ لَهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ أَي : لاتراقبن أحداً ، ولاتترك شيئاً مما أنزل إليك خوفاً من أن ينالك مكروه » ^(١) . انتهى .

(١) تفسير الرازي : ٥١/١٢/٦م ، مورد تفسير الآية .

أقول : هذا الكلام باطل لعدة وجوه :

الوجه الأول : إن النبي صلى الله عليه وآله لم يخش أحداً فيما أمر بتبليغ الرسالة وحينما بعث للنبوّة ، فلم يخش المشركين ولا قريشاً ولا غيرهم ، فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (١) .

وهذه سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله - بين أيدينا - فقد واجههم بمواقفه الصلبة رغم قلة العدد وخذلان الناصر ، وقوله صلى الله عليه وآله الثابت الذي يستشهد به القاضي والداني ، حينما منته قريش بأمان جمّة ، فيما أخبره عمّه أبو طالب بذلك فقال صلى الله عليه وآله : « والله يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظهره الله ، أو أهلك دونه » (٢) .

فهو على هذا القدر من التضحية والتفاني والثبات ، بل كان يعيش الأمل البعيد بانتصار الإسلام على قريش والمشركين ، بل تحدّى أكبر امبراطورية عرفت في عصره ، وهي امبراطورية كسرى بن هرمز ، وهو طريد مهاجر وغريب تبحث عنه قريش لتقتله وتنتقم منه ، وتعد بالجوائز الثمينة لمن أعاد محمداً صلى الله عليه وآله إليها ، وهذا ما كشفه صلى الله عليه وآله بقوله لسراقة (٣) : « كيف بك يا سراقة إذا سُورَتْ بِسِوَارِي كَسْرِي » (٤) .

فقد امتدّ بصره صلى الله عليه وآله لتحطيم الجاهلية بأركانها وامبراطورياتها ، لقد كان ينطق عن

(١) الأحزاب : ٣٩ .

(٢) تاريخ الإسلام ، للذهبي : ١٤٩/١ .

(٣) سراقة بن مالك : هو الذي استهوته جائزة قريش المغربية ، فسار يقطع البداء ويبحث في تلاع الصحراء وهضابها في طلب محمداً صلى الله عليه وآله ، وهو يحلم أن يصبح من أثرياء مكة بعد أن يعيد محمداً إلى قريش ، ولكن خابت آماله الباطلة حينما ساخت به فرسه في الأرض ثلاث مرات إلى بطنها ، وذلك ببركة دعاء محمداً صلى الله عليه وآله فأخبره النبي بأمره ، ووعد هو أن لا يخبر قريشاً بمحلّه . انظر الكامل في التاريخ ، وتاريخ الإسلام ، للذهبي : ٣٢٤/١ .

(٤) الكامل في التاريخ : ٥١٨/١ .

لسان الوحي ويتطلع إلى المستقبل الزاهر للأمة الإسلامية .

الوجه الثاني: إنَّ ماجاء به الرازي من تفسير للآية ، لايناسب الأيام الأولى للدعوة ، فضلاً عن الأيام الأخيرة . وقد صرَّح هو بكونها مدنيّة ، بل إنَّها نزلت بعد فتح مكة^(١) ، وقد تحققت للإسلام الانتصارات الكبيرة ، وقد بلغ وفد الحاجِّ مع النبي صلى الله عليه وآله أكثر من مائة وعشرين ألف حاجِّ ، فأين محل الخوف من تبليغ الرسالة ؟

الوجه الثالث: إنَّ أصول رواية الحسن البصري هي في قصّة الغدير ، لا أنَّها تتعلق بالأيام الأولى للرسالة والبعثة ، وإليك ما أخرجه الحاكم الحسكاني بإسناده عن ابن عباس ، عن عبدالله بن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وآله ، [وساق] حديث المعراج إلى أن قال : « وإني لم أبعث نبياً إلا جعلت له وزيراً ، وإنك رسول الله وإن علياً وزيرك .

قال ابن عباس : فهبط رسول الله صلى الله عليه وآله فكره أن يحدث الناس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية ... إلى أن قال : فاحتمل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى إذا كان يوم الثامن عشر ، أنزل الله عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ، ثم إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بلالاً حتى يؤذّن في الناس أن لا يبقى غداً أحد إلا خرج إلى غدير خم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله والناس من الغد ؛ فقال : يا أيها الناس ، إن الله أرسلني إليكم برسالة ، وإني ضقت بها ذرعاً مخافة أن تتهموني وتكذبوني ، حتى عاتبني ربِّي فيها بوعيد أنزله عليّ بعد وعيد ... »^(٢) إلى آخر الرواية .

القسم الثاني: في قوله: ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ .

قال ابن كثير في التفسير: « قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ يعني وإن لم تؤدِّ إلى الناس ما أرسلتك به ، فما بَلَّغْتَ رسالته ، أي : وقد علم ما

(١) تفسير الرازي : م/١١/٦م/١٢٥ أول سورة المائدة .

(٢) شواهد التنزيل : ٢٥٧/١ و ٢٥٨ .

يترتب على ذلك لو وقع .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ يعني إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته «^(١) . انتهى .

ابن كثير يفسر تبليغ الآية بالرسالة الإسلامية

الجواب :

إذا كان المراد من قوله : ﴿ بَلَّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ بمعنى جميع الرسالة ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ بمعنى وإن لم تؤد إلى الناس ما أرسلتك به ، فما بَلَّغْتَ رسالته ، كما هو رأي ابن كثير فيصبح المعنى : إن لم تبلغ رسالته لم تبلغ رسالته . فلا مغايرة بين الشرط والجزاء نظير قول القائل : إن لم يأتك زيد فلم يأتك زيد . وهذا تحصيل للحاصل ، ولا يناسب أن يكون الخطاب موجهاً للنبي صلى الله عليه وآله ، فشناعة عدم تبليغ الرسالة واضحة لكل مسلم فضلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

من هنا حاول الزمخشري أن يصحح هذا التفسير ، بإثارة تساؤل ثم الإجابة عنه ، فقال : « فإن قلت : وقوع قوله : ﴿ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ جزاء للشرط ما وجه صحته ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : إنه إذا لم يمثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولاً ، كان أمراً شنيعاً لا خفاء بشناعته ، فقبل : إن لم تبلغ منها أدنى شيء وإن كان كلمة واحدة ، فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلها ، كما عظم قتل النفس بقوله : ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾^(٢) «^(٣) .

أقول : هذا هو ما رواه ابن كثير عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٤) .

(١) و (٤) تفسير ابن كثير : ١٣٧/٣ .

(٢) المائة : ٣٢ .

(٣) تفسير الكشاف : ٦٤٦/١ .

وهذا هو الذي نبحث عنه في المقام ، ونتساءل : ما هذا الأمر والبلاغ الذي يَعْدُلُ عدم التبليغ به والإعلان عنه ، عدم تبليغ الرّسالة بأجمعها ؟
فلا بدّ أن يكونَ أمراً خطيراً يعادل ثقل الرّسالة بأجمعها ، وعليه فينبغي معرفته واستيضاحه .

القسم الثالث : قوله تعالى : ﴿وَأَلَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

قال القرطبي في تفسيره : « وسبب نزول هذه الآية أنّ النّبِيَّ صلى الله عليه وآله كان نازلاً تحت شجرة فجاء أعرابي فاخترط سيفه وقال للنّبِيَّ صلى الله عليه وآله : من يمنعك مني ؟ فقال : الله ، فذعرت يد الأعرابي وسقط السيف من يده ، وضرب برأسه الشجرة حتّى انتثر دماغه ؛ ذكره المهداوي .

وذكره القاضي عياض في كتاب (الشفاء) ، قال : « وقد رويت هذه القصة في الصحيح ، أنّ غورث ابن الحارث صاحب القصة ، وأنّ النّبِيَّ صلى الله عليه وآله عفا عنه ... » إلى أن يقول : « ومما يدلُّ على أنّ هذه الآية مدنيّة مارواه مسلم في الصحيح عن عائشة قالت : سهر رسول الله صلى الله عليه وآله مقدّمه المدينة ليلة ، فقال : ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة .

قالت : فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح ، فقال : من هذا ؟

قال : سعد بن أبي وقاص .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : ما جاء بك ؟

فقال : وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وآله فجئت أحرسه ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ نام^(١) ، وفي غير الصحيح قالت : فبينما نحن كذلك سمعت صوت

(١) صحيح مسلم - فضائل الصّحابة (باب في فضل سعد بن أبي وقاص) : ١٨٧٥/٤ ، الحديث

السلاح ، فقال : من هذا ؟ فقالوا سعد وحذيفة جئنا نحرسك ، فنام عليه السلام حتى سمعت غطيته ، ونزلت هذه الآية ، فأخرج رسول الله عليه السلام رأسه من قبة آدم وقال : « انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله »^(١).

الجواب : إن روايات مدرسة الخلفاء مضطربة جداً في تفسير هذه الفقرة من الآية الشريفة ، ولكي يتم استيعابها نقسمها إلى طوائف ، ونجيب عن كل طائفة منها .

روايات مدرسة الخلفاء في طوائف :

الطائفة الأولى : حراسة أبي طالب للنبي عليه السلام :

الروايات التي تذكر ما كان يقوم به أبو طالب ، في حراسة النبي عليه السلام هو وغلماؤه إلى أن أخبره النبي عليه السلام بأن الله قد عصمه من الناس ، فنزلت الآية .

جاء في الدر المنثور : أخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله ، قال : « كان رسول الله عليه السلام إذا خرج بعث معه أبو طالب من يكلوه حتى نزلت ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فذهب ليبعث معه فقال : يا عم ، إن الله قد عصمني لا حاجة لي إلى من تبعث »^(٢).

ويرد على هذا :

أولاً : كما عرفت ووقفت بما لا مزيد عليه أن سورة المائدة مدنية ، وأنها نزلت في آخر حياة النبي عليه السلام . والحال أن أبا طالب قد توفي قبل الهجرة في عام الحزن ، ولذا ، قد استنكر القرطبي هذا الرأي ، بما نصه :

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٢٣١/٦ و ٢٣٢ ، أورده ابن كثير في تفسيره ، والواحد في أسباب النزول .

(٢) الدر المنثور : ١١٨/٣ ، وأخرج الطبراني وأبو الشيخ وأبو نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس ، مثله ، كما في الدر المنثور .

« قلت : وهذا يقتضي أنّ ذلك كان بمكة ، وأنّ الآية مكّية وليس كذلك ، وقد تقدّم أنّ هذه السورة مدنيّة بإجماع »^(١) . ثمّ ساق الأدلّة على كونها مدنيّة .

فهذا التفسير للآية لا ينسجم بالمرة مع تأريخ نزولها .

ثانياً : من المعلوم أنّ أبا طالب كان يتابع حركة النبي صلى الله عليه وآله ووجوده ويبعث بني هاشم وغلمانه في حراسة النبي صلى الله عليه وآله واستمر في ذلك إلى آخر حياته ، بل من بعد وفاته استمر بنو هاشم في حراستهم للنبي صلى الله عليه وآله في المدينة وكذا الصحابة والأنصار ، والشاهد المعاصر على ذلك هو وجود اسطوانة الحرس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة .

ثالثاً : الرواية ضعيفة كما أشار الهيثمي في زوائده^(٢) .

ولكلّ ماتقدّم يثبت بطلان ذلك التفسير المتقدّم .

الطائفة الثانية : ما جرى على النبي صلى الله عليه وآله في ذات الرقاع :

الرّوايات التي ذكرت ماجرى على النبي صلى الله عليه وآله في غزوة ذات الرقاع ، وقد نجّاه الله تعالى من محاولة اغتياله من قبل (غورث) أو رجل آخر .

أخرج ابن أبي حاتم في التفسير بإسناده عن جابر بن عبد الله ، قال : « لمّا غزا رسول الله صلى الله عليه وآله بني أنمار نزل على ذات الرقيع^(٣) نخل ، فبينما هو جالس على رأس بئر قد دلي رجله فقال الوارث^(٤) من بني النّجار : لأقتلنّ هذا .

فقال له أصحابه : كيف تقتله ؟

(١) تفسير القرطبي : ٢٣١/٦ .

(٢) انظر : مجمع الزوائد : ٨١/٧ و ٨٢ ، الحديث ١٠٩٨١ . تفسير القرطبي : ٢٣١/٦ .

(٣) في تفسير ابن كثير : « ذات الرقاع » .

(٤) في تفسير ابن كثير : « غورث » .

قال : أقول له : أعطني سيفك ، فإذا أعطانيه قتلته به .

قال : فأتاه فقال : يا محمد ، أعطني سيفك أشيمه ^(١) فأعطاه إياه فرعدت يده حتى سقط السيف من يده .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حال الله بينك وبين ما تريد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(٢) .

يقول ابن كثير : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقصة غورث بن الحرث مشهورة في الصحيح .

ويرد على ما تقدم :

أولاً : إن غزوة ذات الرقاع حدثت في السنة الرابعة للهجرة ^(٣) وإن سورة المائدة قد نزلت في السنة العاشرة للهجرة - كما تقدم - فهذا التفسير لا ينسجم مع تأريخ نزول الآية الشريفة .

من هنا استنكر القرطبي في تفسيره - الرواية السابقة لكونها حدثت في مكة والحال أن الآية مدنيّة - فقال : « قد رويت هذه القصة في الصحيح ^(٤) وأن غورث ابن الحارث صاحب القصة ^(٥) ، ثم إن القرطبي روى هذه القصة عند تبيان شأن نزول آية ﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَنْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ ، كما جاء في تفسيره .

(١) أي : أنظر إليه .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم : ٤/١١٧٣/٤٦٦١٤ .

(٣) انظر سيرة ابن هشام : (٣ - ٤) / ٢٠٣ .

(٤) أي صحيح البخاري . فقد أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ٢٩ غزوة ذات الرقاع ، الحديث ٣٩٠٥ و ٣٩٠٦ .

(٥) تفسير القرطبي : ١١١/٦ .

ثانياً : ومما يؤكد أنّ هذه الواقعة لاعلاقة لها بآية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ما أخرجهُ الواحدي في أسباب النزول في تبيان شأن نزول هذه الآية : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ...﴾^(١) .
 بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري^(٢) : « إن رجلاً من محارب ، يقال له : غَوْرَثُ بن الحارث ، قال لقومه من بني غطفان ومحارب ... إلى أن قال ، قال غورث : يا محمّد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، قال : ألا تخافني وفي يدي السيف ؟

قال عليه السلام : يمنعني الله منك ، ثم أغمد السيف وردّه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله تعالى : ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾^(٣) «^(٤) .

الطائفة الثالثة : روايات (القبة) :

فقد أخرج الذهبي في السيرة النبوية الرواية عن الحارث بن عبيد ، قال : حدّثنا الجريري ، عن عبد الله بن شفيق ، عن عائشة ، قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُحرس حتى نزلت ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وأخرج رأسه من القبة فقال لهم : أيها الناس ، انصرفوا فقد عصمني الله »^(٥) .

ويرد على هذا :

أولاً : لونظرنا إلى رواياتها نظرة سريعة لوجدنا الاضطراب والرّكة فيها ، حيث تجد الاختلاف الكبير بين ما رواه مسلم في الصحيح - كما نقله القرطبي

(١) المائة : ١١ .

(٢) أسباب النزول : ١٦٢ و ١٦٣ .

(٣) المائة : ١١ .

(٤) انظر : الدر المنثور : ٢/٢٦٥ . تفسير الطبري : ١٠/١٠٦ . صحيح البخاري : ٤/١٥١٥/٣٩٠٦ ، باب غزوة ذات الرّقع . تفسير القرطبي : ٦/١١١ . مسند أحمد : ٣/٣٩٠ .

(٥) تاريخ الإسلام ، للذهبي : ١/١٥٠ . دلائل النبوة : ١/٤٣٣ .

ومرّ عليك - (١) حيث لم يُشر إلى الآية ، بل أشار إلى اتّخاذ النبي صلى الله عليه وآله الحرس في المدينة وهذا يؤيّد بطلان الطوائف السابقة من الروايات ، وبين ما ذكره القرطبي في غير صحيح مسلم ، حيث أشار إلى اغتنائه عن الحرس ، ولكن لم يوضّح زمنها وتاريخها . ولكي نطلع على زمنها واختلافها ، حتّى يتبيّن الرشد من الغي ، فاسمح لي أن أقصّ عليك ما ذكره ابن كثير في تفسيره :

قال ابن كثير: « كان النبي صلى الله عليه وآله قبل نزول هذه الآية يُحرس ، كما أخرج الإمام أحمد : حدّثنا يزيد ، حدّثنا يحيى ، قال : سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث أنّ عائشة رضي الله عنها كانت تُحدّث : أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه ، قالت : فقلت ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : لیت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة .

قالت : فبينما أنا على ذلك ، إذ سمعت صوت السلاح ، فقال « من هذا ؟ » فقال : أنا سعد بن مالك - انظر الاختلاف - فقال : « ما جاء بك ؟ » قال : جئت لأحرسك يا رسول الله - هذا الاختلاف الآخر - قالت : فسمعت غطيظ رسول الله صلى الله عليه وآله في نومه . يقول ابن كثير : أخرجاه في الصحيحين من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري به (٢) .

ثمّ يضيف ابن كثير قائلاً : « وفي لفظٍ : سهر رسول الله صلى الله عليه وآله ذات ليلة مقدّمة المدينة - كما هي عبارة القرطبي السابقة - يعني على أثر هجرته بعد دخوله بعائشة رضي الله عنها . وكان ذلك في سنة ثنتين منها (٣) . انتهى .

أقول : وهكذا يتّضح لك أيّها اللبيب الاختلاف والاضطراب في بيان شأن نزول

(١) ورواه أيضاً البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد والسير : ١٠٥٧/٣ ، باب ٦٩ الحراسة في الغزو في سبيل الله ، الحديث ٢٧٢٩ .

(٢) و (٣) تفسير ابن كثير : ١٣٧/٣ و ١٣٨ .

الآية وتفسيرها عند الجمهور ، ففي مسند أحمد يثبت اتخاذ النبي صلى الله عليه وآله للحرس ، ويذكر مجيء سعد بن مالك لحراسة النبي صلى الله عليه وآله ولاشأن لنزول الآية بموضوع الحرس ، وقد ساقها ابن كثير لإثبات كون النبي صلى الله عليه وآله يتخذ الحرس لحمايته ، فما هو وجه الارتباط بين رواية الحرس ، وبين شأن نزول آية العصمة ؟ فلا ترابط بينهما في البين ، كما عرفت .

ثانياً : لو سلّمنا وقلنا بأن رواية أمّ المؤمنين عائشة السابقة التي ذكرها القرطبي أشارت إلى سبب نزول الآية ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ في شأن إلغاء الحرس ، حينئذ نقول : لقد أوضح ابن كثير زمانها ، وهي السنة الثانية للهجرة ، والحال أن سورة المائدة قد نزلت على أقلّ التقادير بعد عام الفتح وعلى الأكثر في السنة العاشرة للهجرة . فعليه يكون هذا الوجه باطلاً تماماً .

ثالثاً : المعروف من سيرة النبي صلى الله عليه وآله أنه استمر إلى آخر حياته يُحرس من قبل بني هاشم والأصحاب ، فقد روى أحمد بإسناده عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله عام غزوة تبوك قام من الليل يُصلّي ، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه ... » الحديث ^(١) !!

وقد كانت غزوة تبوك في آخر سنة من حياته الشريفة صلى الله عليه وآله ، وتأريخها في رجب سنة تسع للهجرة ^(٢) .

رابعاً : وأما ما نقله الذهبي في سيرة النبي صلى الله عليه وآله ، مشيراً إلى نزول الآية ، ففاته أنه

(١) مسند أحمد : ٢/٢٢٢ ، وأورده في كنز العمال : ٤٣٠/١٢ ، عن مسند عبدالله بن عمرو بن العاص : الحديث ٣٥٤٩٤ .

وفي الحديث ٣٥٥٠٢ : عن مسند العرياض ، قال : « كنت أزمُ باب رسول الله صلى الله عليه وآله في الحضر والسفر ، فرأينا ليلة ونحن بتبوك ، وذهبنا لحاجة فرجعنا إلى منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ... » الرواية .

(٢) انظر سيرة ابن هشام : (٣ - ٤) / ٥١٥ .

قد استشهد بها في موردٍ يوضح فيه بداية الدعوة النبوية . حيث عقد فصلاً تحت عنوان « في دعوة النبي صلى الله عليه وآله عشيرته إلى الله وما لقي من قومه »^(١) ، وهذا يعني أنها نزلت في مكة بداية الدعوة النبوية ، والحال أن الآية - محل البحث - قد نزلت في السنة العاشرة للهجرة !! وهذا يؤكد بطلان الرواية .

ومن الجدير بالذكر: أن بعض أئمة التفسير من علماء الجمهور لم يشيروا إلى تلك الرواية أبداً عند تفسيرهم للآية محل البحث ، فالإمام البغوي رغم كونه قد ذكر أربع احتمالات في تفسيرها ، ولكنه لم يشر إلى تلك الرواية أبداً ، مما يؤكد اهمالها وبطلانها ، فقال : « قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعِصَمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ : يحفظك من الناس ، فإن قيل : أليس قد شجَّ رأسه وكسرت رُباعيته^(٢) وأوذي بضروب من الأذى ؟ قيل : معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك . وقيل : نزلت هذه الآية بعدما شجَّ رأسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن . وقيل : والله يخصك بالعصمة من بين الناس ؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله معصوم »^(٣) . انتهى .

هذا وقد اختلف المحدثون بشأن إرسالها ووصلها أيضاً^(٤) .

الأقوال الموافقة :

حان الأوان لفسح المجال لاستعراض الأقوال الموافقة لرأي أهل البيت عليهم السلام :

-
- (١) تاريخ الإسلام ، للذهبي : ١٥٠/١ .
 (٢) الرباعية : إحدى الأسنان الأربع التي تلي الثنايا بين الثنية والنايب تكون للإنسان وغيره . لسان العرب : ١١٩/٥ .
 (٣) تفسير البغوي : ١٦٧/٢ . وانظر : تفسير البيضاوي : ٣٤٨/٢ . تفسير النسفي : ٤٦١/١ .
 الكشاف : ٦٤٦/١ . البحر المحيط : ٣٢١/٤ . ابن زنين : ٣٨/٢ .
 (٤) قال الحافظ في الفتح : « إسناده حسن ، واختلف في وصله وإرساله » . فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، لابن حجر : ١٧٦/٦ .

أخرج الحاكم الحسكاني بإسناده عن محمد بن سليمان النوفلي ، قال : سمعت زياد بن المنذر يقول : « كنت عند أبي جعفر محمد بن علي وهو يحدث الناس ، إذ قام إليه رجلٌ من أهل البصرة يقال له : عثمان الأعشى - كان يروي عن الحسن البصري - فقال له : يا بن رسول ، الله جعلني الله فداك إن الحسن البصري يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل ولا يخبرنا من الرجل ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ .

فقال : لو أراد أن يُخبر به لأخبر به ، ولكنه يخاف . إن جبرئيل هبط على النبي صلى الله عليه وآله فقال له : إن الله يأمرك أن تدل أمتك على صلاتهم ، فدلتهم عليها . ثم هبط فقال : إن الله يأمرك أن تدل أمتك على زكاتهم ، فدلتهم عليها . ثم هبط فقال : إن الله يأمرك أن تدل أمتك على صيامهم ، فدلتهم . ثم هبط فقال : إن الله يأمرك أن تدل أمتك على حجهم ، ففعل . ثم هبط فقال : إن الله يأمرك ، أن تدل أمتك على وليهم على مثل ما دلتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم ؛ ليلزمهم الحجة في جميع ذلك .

فقال رسول الله : يارب إن قومي قريبو عهد بالجاهلية وفيهم تنافس وفخر ، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليهم وإني أخاف . فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ يريد فما بلغت تامّة ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ . فلما ضمن الله له بالعصمة وخوفه - حسب النسخة اليمنية - أخذ بيد علي بن أبي طالب ، ثم قال : يا أيها الناس ، من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه . قال زياد : فقال عثمان : ما انصرفت إلى بلدي بشيء أحب إلي من هذا الحديث»^(١) .

أقول: لا يتصور أحدٌ أن خوف رسول الله صلى الله عليه وآله - كما أشارت الرواية - من تبليغ هذا الأمر، هو الخوف على نفسه أو الخوف من القتل، كلاً، وألف كلا، بل إن الباعث لتخوف رسول الله صلى الله عليه وآله هو أصل الرسالة، فكان يخشى إثارة الفتن والنفاق من قبل المنافقين، بل كان يخشى ارتداد البعض أو تقولهم على رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه حابي ابن عمه، وبالتالي يحصل التمرد على طاعة الرسول ومن ثم طاعة الله تعالى، وهذه أسباب موضوعية، تخلق بحد ذاتها مبرراً كافياً للتخوف، والرواية التالية خير شاهد على ما نقول: أخرج الحاكم الحسكاني: بإسناده عن ابن عباس، قال: «أمر الله محمداً أن ينصب علياً للناس ليخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقولوا حابا ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله بولايته يوم غدير خم»^(١).

البيان الثالث: في شأن النزول

لقد اتضح ممّا تقدّم أنّ شأن نزول الآية الشريفة كان في حقّ عليّ بن أبي طالب. حيث إنّ الله عزّ وجلّ قد أمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقوم بتنصيب عليّ ولياً على الأمة من بعده، ويبلغ المسلمين مجتمعين بهذا الأمر السماوي، كما يطلب منهم أن ينصروه ولا يخذلوه، ويدعوا لمن ينصره، بل ويدعوا على من يخذله، وقد ورد في ذلك روايات جمّة أخرجها أئمة التفسير والحديث من علماء الجمهور.

أقوال المفسرين والمحدثين من أكابر علماء الجمهور:

١ - أخرج ابن أبي حاتم بإسناده: عن أبي سعيد الخدري، قال: «نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في عليّ بن أبي طالب»^(٢).

(١) شواهد التنزيل: ٢٥٥/١، الحديث ٢٤٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٦٦٠٩/١١٧٢/٤.

٢- أخرج الإمام الثعلبي في تفسيره بإسناده عن البراء ، قال : « لَمَّا نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ كُنَّا بِغَدِيرِ خَمٍ فَنَادَى إِنَّ الصَّلَاةَ جَامِعَةٌ ... الْحَدِيثُ ». وأضاف الراوي : « قال : فلقبه عمر فقال : هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة » ^(١).

٣- وأخرج ابن مردويه في كتابه (مانزل من القرآن في عليّ) الرواية بطرق متعدّدة ^(٢).

٤- الواحدي في أسباب النُّزول : عن أبي سعيد الخدري ، قال : « نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ يوم غدير خم في عليّ بن أبي طالب عليه السلام » ^(٣).

٥- الشوكاني في تفسيره (فتح القدير) ، أورد الرواية من طريق ابن مسعود وأبي سعيد الخدري ^(٤).

٦- أخرج الحاكم الحسكاني بإسناده عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ الآية . قال : « نزلت في علي ، أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْلُغَ فِيهِ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » ^(٥).

وقال الحاكم الحسكاني : « وطرق هذا الحديث مستقصاة في كتاب دعاء الهداة

(١) تفسير الكشف والبيان : ٩٢/٤ .

(٢) ما نزل من القرآن في عليّ : ٢٣٩ و ٢٤٠ ، الحديث ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ .

(٣) أسباب النُّزول : ١٧٠ .

(٤) فتح القدير : ٦٠/٢ .

(٥) شواهد التنزيل : ٢٥١/١ ، الحديث ٢٤٥ . ورواه الحاكم بطرق متعدّدة ، عن أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، والكلبي ، وعبدالله بن أبي أوفى ، والنوفلي ، وأبي صالح .

إلى أداء حقِّ الموالاة ، من تصنيفي في عشرة أجزاء»^(١).

٧- وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب)^(٢) وبطرق متعددة وكثيرة.

٨- الفخر الرازي في تفسيره قال مانصّه: «نزلت الآية في فضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، فلقية عمر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولايّ ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة . وهو قول ابن عبّاس والبراء بن عازب ومحمّد بن عليّ»^(٣) - أي الإمام محمّد الباقر عليه السلام .-

٩- العلامة محمّد بن طلحة في كتابه مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، روى عن أبي سالم النصيبي عن أبي سعيد الخدري^(٤).

١٠- النيسابوري في تفسيره (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) ، أورد الرواية عن أبي سعيد الخدري: «إنّ هذه الآية نزلت في فضل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه يوم غدير خم . فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيده وقال: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، فلقية عمر وقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولايّ ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة»^(٥).

ثمّ أضاف: وهو قول ابن عبّاس والبراء بن عازب ومحمّد بن عليّ ، انتهى .

(١) المصدر السابق: ٢٥٢/١.

(٢) تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب: ٢١٦/٤٢ - ٢٣٨.

(٣) التفسير الكبير: م٥٣/١٢/٦. الجدير بالذكر: أنّ الفخر الرازي ذكر وجوهاً متعدّدة لشأن نزول الآية جعل هذا الوجه عاشر الوجوه. ورواه أحمد في مسنده: ٤٣٠/٣٠ (١٨٤٧٩) ، بإسناده عن البراء بن عازب .. ، النسخة المحقّقة.

(٤) انظر مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٧٩.

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦١٦/٢.

١١- أورد السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه عن ابن مسعود ، قال : « كُنَّا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - إِنَّ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ » (١).

أقول : قصد ابن مسعود : نزول الآية بحق عليٍّ وأنهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا هكذا يفسرون الآية ، ويقرؤون تفسيرها في أن عليًّا مولى المؤمنين ، ولم يكن قصده قد وقع التحريف في القرآن ، كلاً ، فهو مصان عن كل تحريف . هكذا وجه علماؤنا رواية ابن مسعود ، فافهم .

١٢- القندوزي الحنفي في ينباع المودة (٢) .

١٣- وأورد الألويسي في روح المعاني ، عن ابن عباس ، الرواية أيضاً ، وبطرق متعدّدة .

وأضاف الألويسي ما نصّه : « وقد اعتنى بحديث الغدير أبو جعفر بن جرير الطبري فجمع فيه مجلدين أورد فيهما سائر طرقه وألفاظه ، وساق الغث والسمين ، والصحيح والسقيم ، على ماجرت به عادة كثير من المحدثين » .

ثم يضيف الألويسي قائلاً : « وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة ، والمعول عليه فيها ما أشرنا إليه » .

وذكر الألويسي أيضاً : « عن الذهبي أن من كنت مولاه فعليٌّ مولاه متواتر يتيقن أن رسول الله صلى الله عليه وآله قاله ، وأما اللهم وال من والاه ، فزيادة قويّة الإسناد » (٣) .

١٤- الإمام البخاري القنوجي في فتح البيان في مقاصد القرآن أورد الرواية عن أبي سعيد الخدري في نزول الآية بحق عليٍّ بن أبي طالب كما ذكر رواية

(١) الدر المنثور : ١٠٩/٣ ، وأورده من طريق أبي سعيد الخدري أيضاً .

(٢) ينباع المودة : ٩٧/١ .

(٣) روح المعاني : م ٢٨٢/٦/٤ - ٢٨٥ .

ابن مسعود التي ذكرناها آنفاً^(١).

وهذه الرواية في شأن نزول (آية التبليغ) ذكرها الكثير من الصحابة، منهم: زيد بن أرقم، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو هريرة، والبراء بن عازب، وحذيفة، وعامر بن أبي ليلي بن ضمرة، وابن مسعود، وقالوا: إنها نزلت في علي عليه السلام في غدير خم. وهذه الروايات لم تُنقل بطريق واحد بل بطرق متعددة عدا رواية زيد بن أرقم. هذا ماورد من طرق جماعة من أعلام السنة. أمّا ماورد من طرق الشيعة، فكثير جداً، لانريد استعراضه هنا، حيث ما أوردناه من طرق السنة يكفي في المعرفة لمن أرادها.

آراء معارضة

أورد الفخر الرازي في تفسيره عدّة وجوه في تبيان سبب نزول الآية الشريفة، حسبما ذكرها المفسرون، وعدّها إلى عشرة وجوه، كان عاشرها، هو نزولها بحق عليّ - كما تقدّم - لكن تلك الوجوه التسعة، بعضها هزيل جداً، وبعضها لايتناسب مع زمن نزول الآية، وبعضها معتمد على روايات ضعيفة، ذكرت سبب ضعفها، كما تقدّم، فلهذا كله آثرت عدم مناقشتها وذكرها، ورعاية للاختصار أيضاً.

البيان الرابع: قصة الغدير

لقد نزلت (آية التبليغ) في غدير خم، وفيما يلي بيان ذلك:

«لما صدر رسول الله صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع^(٢) نزلت عليه في الثامن عشر من

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٩/٤.

(٢) مجمع الزوائد: ١٢٨/٩ - ١٣٧.

ذِي الْحِجَّةِ^(١)، آيَةٌ: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلُّغًا مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ الآية، فنزل غدِير خُمٍّ مِنَ الْجَحْفَةِ^(٢)، وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام، ووقف النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هناك حَتَّى لَحِقَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَرَدَّ مَنْ كَانَ تَقَدَّمَ^(٣)، أَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشَّجَرَاتِ فَقَمَّ مَا تَحْتَهُنَّ مِنَ الشُّوكِ، وَرَشَّ^(٤)، وَنَادَى بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً^(٥)، فَصَلَّى الظُّهْرَ بِهَجِيرٍ^(٦) ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ وَوَعظَ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ.

ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ نَبَأَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَرْ نَبِيٌّ إِلَّا مِثْلَ نِصْفِ عَمْرِ الَّذِي يَلِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَأَنْتِي لِأَظَنَّ أَنَّ يَوْشَكَ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبُ، وَأَنْتِي مَسْئُولٌ وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ^(٧). قالوا: نشهد أنك بلّغت ونصحت فجزاك الله خيراً. قال: أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ جَنَّتَهُ حَقٌّ، وَنَارَهُ حَقٌّ، وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ، وَأَنَّ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ؟ قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: اللَّهُمَّ اشْهَد.

ثُمَّ قَالَ: أَلَا تَسْمَعُونَ؟ قالوا: نعم.

-
- (١) رواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ٢٥٧/١، الحديث ٢٥٠ بإسناده عن ابن عباس.
 (٢) مجمع الزوائد: ١٢٨/٩ - ١٣٧. البداية والنهاية لابن كثير: ١٩٩/٥.
 (٣) تاريخ ابن كثير: ١٩٩/٥.
 (٤) مجمع الزوائد رواه عن زيد بن أرقم، وعزاه للطبراني والبزار، والسمر: نوع من الشجر، قَمَّ: كَنَسَ.
 (٥) مسند أحمد: ٤٣٠/٣٠، الحديث ١٨٤٧٩. سنن ابن ماجه: ٨٢/١، باب فضائل عليّ، الحديث ١١٦. وتاريخ ابن كثير: ١٩٩/٥ و ٢٠٠.
 (٦) مسند أحمد: ٤٣٠/٣٠، الحديث ١٨٤٧٩ و ٢٩/٣٢، الحديث ١٩٢٧٩. سنن ابن ماجه: ٨٢/١، باب فضائل عليّ، الحديث ١١٦. تاريخ ابن كثير: ٢٠٠/٥.
 (٧) تاريخ دمشق لابن عساكر - ترجمة الإمام عليّ: ٢١٩/٤٢.

ثم قال: أيها الناس، إنني فرط، وإنكم واردون عليّ الحوض، وإن عرضة ما بين بصرى^(١) إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإنني سأثلکم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: كتاب الله، طرفه بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لهما ربّي فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فهم أعلم منكم^(٢).

ثم قال: أستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلى يا رسول الله^(٣).

قال: أستم تعلمون - أو تشهدون - أنني أولى بكل مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى يا رسول الله^(٤).

ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب بضبعه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض أبطيها^(٥).

(١) بصرى: اسم قرية بالقرب من دمشق.

(٢) تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ، لابن عساكر: ٢١٩/٤٢. ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٠١/٥.

(٣) مسند أحمد: ٤٣٠/٣٠، الحديث ١٨٤٧٩ و: ٧٣/٣٢، الحديث ١٩٣٢٥. سنن ابن ماجه:

٨٢/١، الحديث ١١٦. ابن كثير: ٢٠١/٥. وورد «نعم» في مسند أحمد: ٥٦/٣٢،

الحديث ١٩٣٠٢. ولدى ابن عساكر: «أولستم تشهدون أنني أولى بكل مؤمن من نفسه».

(٤) مسند أحمد: ٤٣٠/٣٠، الحديث ١٨٤٧٩ و: ٧٣/٣٢، الحديث ١٩٣٢٥ و ١٩٣٢٨.

تاريخ ابن كثير: ١٩٩/٥.

(٥) في رواية الحاكم الحسكاني: ٢٥٢/١: «رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه»،

وفي ص ٢٥٨. منه: حتى رأى الناس بياض إبطيها. والضبع: عضد اليد كلها.

ثم قال : أيها الناس ، الله مولاي وأنا مولاكم ^(١) ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ ،
اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ^(٢) ، وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَأَخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ^(٣) ،
وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ ، وَأَبْغُضْ مَنْ أَبْغَضَهُ ^(٤) .

ثم قال : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ^(٥) ، ثُمَّ لَمْ يَتَفَرَّقَا - رَسُولَ اللَّهِ وَعَلِيٌّ - حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ :
﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ^(٦) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ، ورضا الرب

(١) الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل : ٢٥٨/١ . وعن ابن كثير : ١٩٩/٥ : « وأنا ولي كل مؤمن » .

(٢) مسند أحمد : ٢٦٩/٢ ، الحديث ٩٦١ ، ٦٤١ ، ١٣١١ ، و : ٢٩/٣٢ ، الحديث ١٩٢٧٩ ، ١٩٣٠٢ ، ١٩٣٢٨ ، و : ٤٣٠/٣٠ ، الحديث ١٨٤٧٩ ، و : ٥٤١/٣٨ ، الحديث ٢٣٥٦٣ . سنن ابن ماجه : ٨٢/١ ، الحديث ١١٦ ، عن البراء بن عازب . الحاكم الحسكاني : ٢٥٨/١ . تاريخ ابن كثير : ١٩٩/٥ ، وفيه يضيف الراوي أبو الطفيل : « فقلت لزيد : سمعته من رسول الله ؟ فقال زيد : ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه » .

وأضاف ابن كثير : « قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي : وهذا حديث صحيح » . وفي تاريخ دمشق أخرجه ابن عساكر : ٢١٩/٤٢ . الترمذي في سننه : ٧٩/٦ ، الحديث ٣٧١٣ . الحاكم في المستدرک : ١١٨/٣ ، وقال : « هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » .

(٣) مسند أحمد : ٤٣٠/٣٠ ، الحديث ١٨٤٧٩ ، قال البراء : « فلقبه عمر بعد ذلك ، فقال له : هنيئاً يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة » .

وأخرجه ابن أبي شيبه في المصنّف : ٧٨/١٢ . ابن ماجه في سننه : ٨٢/١ ، الحديث ١١٦ . النسائي في السنن الكبرى : الحديث ٨٤٧٣ بنحوه . الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٣٠/٩ ، الحديث ١٤٦١٤ . شواهد التنزيل : ٢٥٨/١ . ابن كثير في البداية والنهاية : ١٩٩/٥ . تاريخ دمشق : ٢١٩/٢ .

(٤) شواهد التنزيل : ٢٥٥/١ . تاريخ ابن كثير : ٢٠٠/٥ . تاريخ مدينة دمشق : ٢١٩/٤٢ .

(٥) شواهد التنزيل : ٢٥٢/١ . تاريخ مدينة دمشق : ٢٢٣/٤٢ .

(٦) تاريخ ابن كثير : ٢٠٣/٥ . تاريخ مدينة دمشق : ٢٣٣/٤٢ .

برسالتني ، والولاية لعلِّي^(١) من بعدي^(٢) .

فقال حسان بن ثابت : أتأذن لي يارسول الله فأقول في عليّ عليه السلام أبياتاً .

قال عليه السلام : قل بركة الله تعالى .

فقال حسان بن ثابت : يامعشر مشيخة قريش ، اسمعوا شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٣) .

ثم قال :

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ	بِخُمْ وَأَسْمِعْ بِالرُّسُولِ مُنَادِيًا
يَقُولُ : فَمَنْ مَوْلَاكُمْ وَوْلِيَّكُمْ ؟	فَقَالُوا وَلَمْ يُبَدُوا هُنَاكَ التَّعَامِيَا
إِلَهُكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ وَلِيُّنَا	وَلَمْ تَرِ مِنَّا فِي الْوِلَايَةِ عَاصِيَا
فَقَالَ لَهُ قُمْ يَا عَلِيُّ فَاِنِّي	رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَامًا وَهَادِيَا
هُنَالِكَ دَعَا اللَّهَ وَالِ وَلِيَّهِ	وَكُنْ لِلَّذِي عَادَى عَلِيًّا مُعَادِيًا ^(٤)

قال المؤلف : هذا حديث الغدير ، وله طرق كثيرة إلى أبي سعيد الخدري

الأنصاري^(٥) .

وقال الراوي (البراء بن عازب) : فلقبه عمر بن الخطاب بعد ذلك ، فقال له : هنيئاً

يابن أبي طالب ، أصبحت وأمست مولى كل مؤمنٍ ومؤمنة^(٦) .

(١) أخرجه الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري : ٢٥٠/١ ، الحديث ٢٤٤ . وعن ابن

عبّاس : الحديث ٢٤٥ ، وعن عبدالله بن أبي أوفى : الحديث ٢٤٧ .

(٢) و (٣) فرائد السمطين : ٧٤/١ .

(٤) المناقب ، للخوارزمي : ١٣٥ . شواهد التنزيل : ٢٠١/١ ، الحديث ٢١١ ، من دون ذكر

الشعر . فرائد السمطين : ٧٢/١ . الحافظ أبونعيم في ما نزل من القرآن في عليّ . وسبط ابن

الجوزي في تذكرة الخواص : (٣٧ - ٣٩) ، وجاء فيه : « وهذا نص صريح في إثبات إمامته

وقبول طاعته ... الخ » .

(٥) فرائد السمطين : ٧٤/١ و ٧٥ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٤٣٠/٣٠ ، الحديث ١٨٤٧٩ ، بإسناده عن البراء بن عازب . سير

وحديثُ الغدير ممّا تواتر نقله من قبل الصّحابة والتابعين وأئمة الحديث من الفريقين ، فقد روى حديثَ الغدير من الصّحابة مائة وعشرة صحابياً ومن التابعين أربعة وثمانون تابعياً^(١) .

أمّا طبقات رواة حديث الغدير من أئمة الحديث وحفاظه فهم ثلاثمائة وستون شخصاً ، من القرن الثاني إلى القرن الرابع عشر الهجري^(٢) .

الذين قالوا بتواتر حديث الغدير من علماء الجمهور :

لقد بلغت طرق حديث الغدير حدّ التواتر القطعي ، ولم يُختلف في ذلك - كما سنشير إليه - فلذا صرّح كثير من أكابر علماء ومحقّقي أهل السنة بتواتره ، مع اعتقادهم الجازم بصدوره عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالقطع واليقين . وإليك نماذج منهم :

١ - الشيخ جلال الدين السيوطي في كتابه الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة .

٢ - العلامة الجزري في أسنى المطالب ، حيث قال : إنّه حديثٌ صحيح رواه الجَمُّ الغفير عن الجَمِّ الغفير .

٣ - جمال الدين النيسابوري في الأربعين ، حيث قال : حديثُ الغدير عن أمير المؤمنين ، وهو متواترٌ عن النبي صلى الله عليه وآله رواه جَمْعٌ كثير وجَمٌّ غفير من الصّحابة .

٤ - صاحب كتاب السراج المنير في شرح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير .

٥ - ضياء الدين صالح بن المهدي المقبلي في كتاب الأبحاث المسدّدة في

⇒ أعلام النبلاء ، للذهبي : (١ - ٢) / ٦٢٤ .

(١) الغدير ، للأميني : ٣٥ / ١ - ١٠١ .

(٢) الغدير : ١٠٢ / ١ - ١٩٠ .

الفنون المتعددة ، حيث قال بعد ذكر حديث الغدير ما لفظه : وطرقه كثيرة جداً ولذا ذهب بعضهم إلى أنه متواتر لفظاً فضلاً عن المعنى^(١).

٦- شمس الدين الذهبي : حيث إنه بعد معلومية حاله من التسرع في تضعيف الأسانيد حكم بكون هذا الحديث متواتراً وجعل يتكلف في دلالاته ويحمّله على محامل بعيدة .

فقال بعد ذكره لحديث (من كنت مولاه) مانصه : «ومناقب هذا الإمام جمّة أفردتها في مجلد وسميته «فتح المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام»^(٢).

٧- أبو القاسم الحسكاني النيسابوري صنّف كتاباً في حديث الغدير ، كما عرفت .

٨- أبو سعيد مسعود السجستاني وهو من أوثق رجال المذاهب الأربعة ، له كتاب دراية حديث الولاية وهو سبعة عشر جزءاً ، روى فيه نصّ النبيّ عليّ بالخلافة عن مائة وعشرين صحابياً وستّ صحابيات ، وعدد أسانيد هذا الكتاب ألف وثلاثمائة ، على ما في الطرائف^(٣).

٩- ابن كثير الدمشقي قال ما نصّه : «وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه وألفاظه ، وساق الغث والسمين والصحيح والسقيم ، على ما جرت به عادة كثير من المحدثين» .

وأضاف أيضاً : «وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة»^(٤).

(١) انظر إحقاق الحقّ : ٤٢٣/٢ .

(٢) تذكرة الحفاظ : (١ - ٢) / ١٤ .

(٣) انظر إحقاق الحقّ : ٤٢٢/٢ - ٤٢٦ .

(٤) البداية والنهاية : ١٩٨/٥ .

نكتفي بذكر هذا العدد من أكابر علماء السنة الذين ثبت لديهم تواتر حديث الغدير بالقطع واليقين .

المؤلفون في حديث الغدير :

لقد دأب الكثير من علماء الفريقين في تتبع طرق حديث الغدير وأسانيده ، فأكثروا التأليف فيه وصنّفوا لذلك مصنّفات عديدة . ونحن لانريد ان نعدّدهم أو نحصي عددهم ، ولكن نود الإشارة إلى بعضٍ منهم :

١ - أبو جعفر ابن جرير الطبري : لقد ألّف كتابه (الولاية في طرق حديث الغدير) بمجلدين ، ردّاً على من زعم كذب حديث الغدير . وقد أشرنا إلى ما قاله ابن كثير في تأريخه ، آنفاً .

٢ - محمّد بن سعيد المعروف بابن عقّدة : له كتاب الولاية في طرق حديث الغدير ، رواه بمائة وخمسة طرق وقد أكثر النقل عنه ابن الأثير في (أسد الغابة) ، وابن حَجَر في الإصابة ، وقال في تهذيب التهذيب ٣٣٧/٧ ، بعد ذكر حديث الغدير : صحّحه واعتنى بجمع طرقه أبو العباس ابن عقّدة . وقال في فتح الباري بشأن رواية الغدير : وكثير من أسانيدها صحيح وحسان^(١) .

وقد أشار ابن تيميّة إلى مصنف ابن عقّدة بقوله : « وقد صنّف أبو العباس ابن عقّدة مصنّفاً في جمع طرق حديث الغدير »^(٢) .

٣ - أبو بكر محمّد بن عمر البغدادي المعروف بالجعّابي له كتاب (من روى حديث غدير حُمٌّ) .

٤ - أبو طالب عبيد الله الأنباري الواسطي له كتاب « طرق حديث الغدير » .

(١) نقلاً عن الغدير ، للأميني : ١٩٢/١ .

(٢) منهاج السنة : ٨٦/٤ .

٥- أبوغالب الرازي المتوفى ٣٦٨، له جزء في خطبة الغدير.

هذا وقد عدّهم الأميني في كتابه فبلغوا أكثر من خمسة وعشرين مؤلفاً من أكابر علماء الفريقين^(١).

الاحتجاج والمناشدة بحديث الغدير

إن لتواتر خبر الغدير وسعة انتشار نبأه وذيوعه في الآفاق، وماتوقراً من فهم لهذا الحديث، أصبح مجالاً رحباً للاحتجاج به من قبل الصحابة، والمناشدة به في مناسبات متعدّدة، وإنّ أوّل احتجاج وقع بهذا الحديث ما كان من أمير المؤمنين بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته، حيث احتج به الإمام علي عليه السلام لإثبات أحقيّته في الخلافة، وقد ذكر سليم بن قيس في كتابه ذلك الاحتجاج^(٢).

أمّا ما بعدها من المناشدات فنشير إليها باقتضاب:

١- مناشدة أمير المؤمنين بحديث الغدير يوم الشورى:

روى الخطيب الخوارزمي الحنفي في «المناقب»، عن أبي الطفيل عامر بن وائلة، قال: «كنت على الباب يوم الشورى مع عليّ عليه السلام في البيت وسمعتة يقول: لأحتجنّ عليكم بما لا يستطيع عربيتكم ولاعجميتكم تغيير ذلك.

ثمّ قال: أنشدكم الله أيّها النفر جميعاً أفیکم أحدٌ وحَدَّ الله قبلي؟

قالوا: لا، (ثمّ استمر في ذكر مناقبه وفضائله)... إلى أن قال: فأُشَدِّكم بالله هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ

(١) الغدير: ١٩١/١ - ١٩٧.

(٢) ذكر الحديث في أوائل كتابه: ١١١، ط. ٣. كما ذكره الجويني في فرائد السمطين: ٣١٢/١، نقلاً عن سليم بن قيس، مناشدة عليّ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في خلافة عثمان.

مَنْ عَادَاهُ ، وَأَنْصَرَ مَنْ نَصَرَهُ ، لِيَبْلُغَ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ) ، غَيْرِي ؟
قالوا : اللَّهُمَّ لَا ... « الحديث »^(١) .

٢ - مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الرُّحبة سنة (٣٥ هـ) :

ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج ، مانصه : « ناشد علي عليه السلام الناس في
الرحبة في الكوفة : أَيْكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاةً فَعَلَيْ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ
وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ؟

فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها ، وأنس بن مالك في القوم لم يقم ، فقال له :
يا أنس ، ما يمنعك أن تقوم فتشهد ، ولقد حضرتها !
فقال : يا أمير المؤمنين ، كبرت ونسيت .

فقال : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فَارْمِهِ بِهَا بِيضَاءَ لَا تَوَارِيهَا الْعِمَامَةُ .

قال طلحة بن عمر : فوالله لقد رأيتُ الوَصْحَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ أْبْيَضَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ .
وروى عثمان بن مُطَرِّفٍ : « أَنْ رَجُلًا سَأَلَ أَنْسَ بْنَ مَالِكٍ فِي آخِرِ عَمْرِهِ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : إِنِّي آلَيْتُ أَلَّا أَكْتُمَ حَدِيثًا سُئِلْتُ عَنْهُ فِي عَلِيٍّ ، بَعْدَ يَوْمِ الرَّحْبَةِ ،
ذَلِكَ رَأْسَ الْمُتَّقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، سَمِعْتَهُ وَاللَّهِ مِنْ نَبِيِّكُمْ .

(١) المناقب ، للخوارزمي : ٣١٣ ، من الفصل التاسع عشر ، الحديث ٣١٤ ، والرواية يذكرها
الجويني في فرائد السمطين : ٣١٩/١ ، من الباب ٥٨ ، أيضاً .
ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق - ترجمة الإمام علي : ٢٠٧/٤٢ و ٢٠٨ . الذهبي
باختصار في ترجمة الحارث بن محمد ، انظر ميزان الاعتدال : ٢٠٥/١ ، وكذا ابن حجر
العسقلاني في لسان الميزان : ١٥٦/٢ . السيوطي في باب فضائل علي عليه السلام من اللاكئ
المصنوعة : ١٨٧/١ .

حديث الشورى هذا أخرجه الحافظ الدارقطني وينقل عنه بعض فصوله ابن حجر في
الصواعق : ٧٣/١ ، ١٠٦ ، و : ٣٥٥/٢ . وأخرجه ابن عقدة ، وابن أبي الحديد في شرح النهج .
ولمزيد من التفاصيل انظر الغدير : ٢٠٠/١ - ٢٠٤ .

وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص ، والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام علي أنس بن مالك في كتاب « المعارف » في البرص من أعيان الرجال ، وابن قتيبة غير متهم في حق علي عليه السلام ، على المشهور من انحرافه عنه ^(١) .

٣- مناشدات أخرى لعلي في الرحبة :

روى ابن كثير عن عبدالله بن أحمد ، قال : حدثنا أحمد بن عمير الوكيعي ، ثنا زيد بن الحباب ، ثنا الوليد بن عقبة بن ضرار القيسي ، أنبأنا سماك ، عن عبيد بن الوليد القيسي ، قال : « دخلت على عبدالرحمن بن أبي ليلى فحدثني أنه شهد علياً في الرحبة قال : أنشد بالله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشهده يوم غدير خم إلا قام ، ولا يقوم إلا من قد رآه . فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا : قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول : اللَّهُمَّ وَال مَنْ وَالاه ، وَعَاد مَنْ عَاداه . وَأَنْصَرَ مَنْ نَصْرَه ، وَأَخَذَل مَنْ خَذَله . قام إلا ثلاثة لم يقوموا ، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته ^(٢) .

(١) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد المعتزلي : ٢١٧/١٩ و ٢١٨ و : ٧٤/٤ . تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر : ٣٧٥/٩ و : ٢٠٧/٤٢ و ٢٠٨ . المعجم الكبير ، للطبراني : ١٧١/٥ ، ١٧٥ . البداية والنهاية لابن كثير : ١٩٩/٥ - ٢٠٣ ، وقد رواه بطرق متعددة . ابن الأثير في أسد الغابة : ١١٨/٤ ، حيث ذكر أصل مناشدة أمير المؤمنين بإسناده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ... الخطيب البغدادي كذلك ، ولكن بتغيير يسير ، حيث جاء في روايته : « ... فقام اثنا عشر بديراً ، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول : من كنت مولاه ... الرواية » . انظر تاريخ بغداد : ٢٣٩/١٤ .

(٢) البداية والنهاية ، لابن كثير : ٢٠٠/٥ .

وأخرج البلاذري في أنساب الأشراف بإسناده عن شقيق بن سلمة ، مثله ، وأضاف : « وتحت المنبر أنس بن مالك والبراء بن عازب وجريز بن عبدالله ، فأعادها فلم يُجبه أحد منهم فقال علي : اللَّهُمَّ مَنْ كَتَمَ هَذِهِ الشَّهَادَةَ وَهُوَ يَعْرِفُهَا ، فَلَا تَخْرِجْهُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَجْعَلَ بِهِ آيَةً يُعْرَفُ بِهَا .

فقال أبو وائل : فبرص أنس ، وعمي البراء ، ورجع جريز أعرابياً بعد هجرته ، ⇨

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير بإسناده عن أبي سليمان زيد بن وهب ، عن زيد بن أرقم ، قال : « ناشد عليّ النَّاس في الرَّحبة مَنْ سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الذي قال له ؟ فقام ستّة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : اللَّهُمَّ مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه ، اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعَادِ مَنْ عاداهُ . » .

قال زيد بن أرقم : فكنت فيمَن كتم ، فذهب بصري ، [وكان عليّ صلى الله عليه وآله دعا على من كتم] ^(١) .

وروى الإمام أحمد بإسناده عن أبي الطفيل ، قال : « جمع عليّ صلى الله عليه وآله النَّاس في الرَّحبة ثمّ قال لهم : انشد الله كلّ امرئٍ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدیر خُم ما سمع ، لمّا قام . فقام ثلاثون من النَّاس ، وقال أبونعيم : فقام ناس كثير ، فشهدوا حين أخذه (رسول الله صلى الله عليه وآله) بيده ، فقال للنَّاس : أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : نعم يا رسول الله .

قال : من كنت مولاه فعلي مولاه . اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعَادِ مَنْ عاداهُ . » .

قال : فخرجت وكأَنَّ في نفسي شيئاً . فلقيت زيد بن أرقم ، فقلت له : إنني سمعت عليّاً صلى الله عليه وآله يقول كذا وكذا ، قال : فما تنكر ؟ قد سمعت رسول الله يقول ذلك له ^(٢) .

↳ فأتى السّراة فمات في بيت أمّه بالسراة . . أنساب الأشراف : ٦٦ ، الحديث ١٧٣ ، ط . مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة .

(١) المعجم الكبير : ٤٩٨٥/١٧١/٥ . ورواه : الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٣٢/٩ ، الحديث ١٤٦١٩ ، الطبراني في الأوسط : الحديث ٧٨٩١ . وفي المعجم الكبير : ١٧٥/٥ ، الحديث ٤٩٩٦ .

(٢) مسند أحمد : ٥٦/٣٢ ، الحديث ١٩٣٠٢ ، وأخرجه النسائي في الخصائص : ١٧ . إسناده أحمد صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير فطر - وهو ابن خليفة - فهو من رجال أصحاب السنن ، وروى له البخاري مقروناً . وهو ثقة ، نقلاً عن هامش المسند . أقول : أخرجه مطوّلاً ومختصراً النسائي في السنن الكبرى : الحديث ٨٤٧٨ .

٤ - مناشدة عليّ يوم الجمل (عام ٣٦) على طلحة :

أخرج الحافظ الحاكم في المستدرک بأسانيد متّصلة ، قال : حدّثنا رفاعة بن أياس الضبيّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : « كُنّا مع عليّ يوم الجمل فبعث إلى طلحة بن عبيدالله أن ألقني ، فاتاه طلحة فقال : نشدتك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاةً فَعَلَيّْ مَوْلَاةً ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ؟

قال : نعم ، قال : فَلِمَ تقاتلني ؟ قال : لم أذكر ، قال : فانصرف طلحة » (١) .

٥ - حديث الركبان في الكوفة عام ٣٦/٣٧ هـ :

أخرج الإمام أحمد بن حنبل عن يحيى بن آدم ، عن حنش بن الحارث بن لقيط النخعي الأشجعي ، عن رياح بن الحارث ، قال : « جاء رهط إلى عليّ بالرحبة فقالوا : السّلام عليك يا مولانا ! قال : وكيف أكون مولاكم وأنتم عرب ؟ قالوا : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاةً فَعَلَيّْ مَوْلَاةً . قال رياح : فلمّا مضوا تبعتهم فسألت مَنْ هؤلاء ؟ قالوا : نفر من الأنصار فيهم : أبو أيوب الأنصاري » (٢) .

⇒ ابن حبان في صحيحه : الحديث ٦٩٣١ . ابن أبي عاصم في السّنة : الحديث ١٤٠٦ و ١٤٠٨ و ١٤٠٩ . الطبراني في الكبير : الحديث ٤٩٦٨ ، من طرق عن فطر به .

وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٢٩/٩ ، الحديث ١٤٦١٢ . ورواه ابن كثير في البداية والنهاية : ٢٠١/٥ . وأخرج الحاكم في المستدرک أصل الخبر عن زيد بن أرقم بطريقين ، وقال : « هذا حديث صحيح بشرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله » . المستدرک : ١١٨/٣ ، الحديث ٤٥٧٦ و ٤٥٧٧ .

(١) الحاكم في المستدرک : ٤١٩/٣ ، الحديث ٥٥٩٤ في ذكره لمناقب طلحة .

(٢) مسند أحمد : ٥٤١/٣٨ ، الحديث ٢٣٥٦٣ ، إسناده صحيح . وأخرجه بنحوه : ابن أبي شيبة في المصنّف : ٦٠/١٢ . ابن أبي عاصم في السّنة : الحديث ١٣٥٥ . الطبراني : الحديث ٤٠٥٢ و ٤٠٥٣ ، من طريق شريك ، عن حنش بن الحارث بهذا الإسناد نقلاً عن هامش

البيان الخامس : في تفسير آية الغدير الثانية

﴿ أَلْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(١).

في الآية مفردات كبيرة ، في غاية العظمة ، وفي غاية الأهمية ، يبس الكفار ، إكمال الدين ، إتمام النعمة ، رضا الله تعالى بالإسلام دينا ، هذه المفردات ليست عناوين عادية أو سطحية ، أو كون تحققها عملاً سهلاً وبسيطاً ، كلاً ، بل إنها تتعلق بكل الرسالة ومستقبلها ، فلذا لا بد من التأمل والتدقيق في مفادها لنستلهم منها ينابيع المعرفة والحكمة .

منذ تبين الرّفة للكيان الإسلامي ، والدين الحنيف ، مفردات تفند تصورات الكفر بنهاية دين الإسلام بعد موت النبي صلى الله عليه وآله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبِ الْمُتُونِ ﴾^(٢) ، فهذه المفردات والمعاني السامية أعطت الأمة جرعة قوية من الأمل بلغ مدى تأثيرها الدهركله ، ﴿ أَلْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ﴾ لقد تحقق اليأس الكامل للكافرين ، وباءت مخططاتهم العدوانية بالفشل فيما كانوا يراهنون عليه ، ويتمنون لهذا الدين . إنه اليأس الكامل والإحباط التام ، وبالمقابل الرّفة للمسلمين ، والصّلابة والثبات وإكمال الدين ، وإتمام النعمة ورضا الرب .

فمن جهة يأس كامل للكافرين ومن دون بصيص أمل ، ومن جهة أخرى بلوغ

⇒ أقول : وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٢٨/٩ ، الحديث ١٤٦١٠ ، وقد عقد الهيثمي باباً تحت قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ » . فراجع .

ومن أراد مزيد من مناقشات أمير المؤمنين عليه السلام فعليه مراجعة كتاب الغدير للعلامة

الأميني : ١٩٩/١ - ٢٥٧ .

(١) المائة : ٣ .

(٢) الطور : ٣١ .

الذروة في الكمال والقوة بإكمال الدين وإتمام النعمة . اندحار للعدو تماماً ، وهزيمة كبرى للشيطان وجنده في جانب ، وفي الجانب الآخر تحقق النصر العظيم للإسلام وللنبي صلى الله عليه وآله .

فلابد أن نتساءل عن ذلك اليوم العظيم الذي تحققت فيه كل تلك المعطيات السامية ؟ ولا بد أن نتساءل أيضاً : كيف تحقق يئس الكافرين من ديننا ؟
قد يتصور البعض بذكر الله تعالى تحريم بعض اللحوم أو الذبائح أو الميتة ، وحلية البعض الآخر يتحقق يأس الكافرين ! فهل يُقبل هذا التصور ؟

إن جبهة الكفر على اختلاف مكوناتها لا يمكن أن يحصل لها القنوط إلا بتحقيق أمرٍ عظيم يتناسب معه ، لذا فإن الهزيمة إنما تحصل لمعسكر الكفر والنفاق ، حينما يتكامل منهج الدين ، وتتكامل مفرداته المفصلية والتي بها يتحقق دوام استمراره إلى الأبد ، فإكمال الدين بحد ذاته نعمة ، بل من أكبر النعم الإلهية على الأمة ، فأصبحت هذه النعمة تاجاً تتوج النعم الإلهية الأخرى ، وبذلك تحقق إتمام النعمة .

فما هي هذه النعمة ؟

المفسرون ذكروا للنعمة معانٍ متعددة ، والمعاني التي ذكروها ليست مادية ، مما يلفت الانتباه إلى أن الآية الشريفة تروم الإشارة إلى معنى ضخم يتحقق به إتمام النعمة ، إذ رغم كون سياق الآيات في مجال الحلية أو التحريم لبعض اللحوم ، لكن لم يجرؤ أحد من المفسرين على تفسير النعمة ، بالنعم المادية ، بل فسروها بالهداية والإيمان ، والإظهار على العدو وهدم منار الجاهلية ومناسكهم ، وإكمال أمر الدين قد تمت النعمة ، وحينئذ ﴿ رَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ من بين كل الأديان ، وهو المقبول ، وعليه المدار إلى يوم القيامة ، بمعنى أنه بإتمام النعمة قد تحقق إتمام الهداية والتوفيق ، وذلك بإتمام سببها ألا وهو إكمال الدين ^(١) .

(١) انظر: تفسير الزمخشري: ٥٩٣/١ . تفسير زاد المسير: ١٧١/٢ . تفسير الألوسي: ↵

ومن حقنا أن نتساءل عن ذلك الحدث العظيم الذي تحقّق ، وبه تحقّقت كلّ تلك المفردات السامية ، والمعطيات الضخمة ؟ ولكي يتّضح الجواب جلياً لا بدّ أن ندقّق في مفردتين مهمّتين ذكّرتهما الآية المباركة ، وهما : (اليوم) و (اليأس للكافرين).

أيّ يوم هذا ؟ وأي حدثٍ عظيم قد وقع فيه ، فتحقّق يئس الكافرين ؟

ولكي نتحقّق من الجواب لا بدّ من الالتفات إلى ما يلي :

لقد اتفق المفسّرون على نزول الآيات المباركات في حجة الوداع ، ولكن حصل

الاختلاف بينهم في تحديد ذلك اليوم بالضبط !

جمهور علماء السنة ذهبوا إلى كون ذلك اليوم هو يوم عرفة ، أمّا بقية علماء

السنة وجميع علماء الشيعة ذهبوا إلى أنّ ذلك اليوم هو يوم الغدير ، يوم الثامن عشر

من ذي الحجة عام الوداع .

والشواهد التالية تؤيّد ما ذهب إليه الشيعة ، وبعض علماء السنة :

١ - ذكر الفخر الرازي والألوسي في تفسيريهما عند بحثهما للآية الشريفة قالوا : إنّ

النبي صلى الله عليه وآله لم يعيش أكثر من « واحد وثمانين » يوماً بعد نزول هذه الآية !! وهذا أمر يثير

الانتباه والإعجاب ويحتاج إلى مزيدٍ من التأمل ، فإذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ وفاة

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول (حسب روايات مصادر

الجمهور وبعض روايات الشيعة كما في الكافي) نستنتج حينئذٍ أنّ نزول الآية

﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ بالضبط قد تمّ في يوم الثامن عشر من ذي الحجة وهو

يوم الغدير .

٢ - خلال تلك الفترة الزمنية المهمّة التي نزلت فيها سورة المائدة ، لم يحدث

حدث عظيم وخطير بحيث تتوفّر فيه كل تلك المعطيات القرآنية الضخمة (يئس

الكافرين ، إكمال الدين ، إتمام النعمة ، رضا الرّب) بحجم حدّث الغدير الذي يعتبر

يوم الرسالة بأجمعها كما نصّ القرآن على ذلك . فهو يوم الرسالة وقد تحقّق فيه إكمال الرسالة ، وبهذا قد تمت النعمة على الأمة وعندئذٍ رضيَ الرَّبُّ تعالى للأمة دينها المتكامل ، فقام نبيّ الإسلام بتنصيب عليٍّ إماماً وولياً للإمة من بعده . فهذا الحدّث غاية في الأهميّة لكون الرسالة ستحفظ بالقادة الربانيين ، وسيستمر وجود محمّد صلّى الله عليه وآله برسالته وبهم^(١) ، وأمّا ما ذُكر من تأويلات متواضعة وبسيطة - لانرغب بذكرها - لا تناسب بالمرة الآية وضخامة مفرداتها ، وعمق معانيها ، وسموّ عناوينها .

٣- ما رواه علماء الجمهور وأئمة الحديث في هذا الصدد :

لمزيد من التأكيد ، ومزيد من الاطمئنان نذكر الروايات التي أخرجها وأوردها علماء الجمهور بشأن نزول آية إكمال الدين بعد واقعة الغدير ، وهي كما يلي :

آية إكمال الدين وروايات علماء الجمهور :

أولاً : روى ابن جرير الطبري في كتاب «الولاية» بإسناده عن زيد بن أرقم نزول آية (إكمال الدين) يوم غدير خمّ في أمر أمير المؤمنين عليه السلام^(٢) .

ثانياً : روى الحافظ ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى : إنّها نزلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم غدير خمّ حين قال لعليّ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيّْ مَوْلَاهُ ، ورواه عن أبي هريرة ، عن مجاهد أيضاً^(٣) .

(١) من هنا أشاد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بذلك اليوم العظيم فقال : «هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة» حسبما ذكر سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ٣٦ ، وأضاف : إنّ هذه الرواية صحيحة .

(٢) نقلاً عن الغدير : ٢٧٦/١ .

(٣) ما نزل القرآن في عليّ ، لابن مردويه : ٢٣١ ، الحديث ٣٢٩ - ٣٣٤ . وأورده السيوطي في الدرّ المنثور : ٢/٢٥٩ ، ورواه ابن كثير في التفسير : ١٤/٢ ، ورواه مفصلاً في البداية والنهاية وقد تقدّم ذكره ، ورواه ابن عساكر في ترجمة الإمام علي عليه السلام وقد تقدّم ذكره أيضاً .

ثالثاً: روى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل وبطرق متعددة مثله ^(١).

رابعاً: روى الحافظ أبونعيم الاصفهاني في كتابه «مانزل من القرآن في علي» بإسناده عن أبي سعيد الخدري مثله ^(٢).

خامساً: روى ابن المغازلي الشافعي عن أبي بكر أحمد بن محمد بإسناده عن أبي هريرة مثله ^(٣).

سادساً: روى شيخ الإسلام الجويني في «فرائد السمطين» عن أخطب خوارزم بأسانيد متصلة عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري مثله ^(٤).

سابعاً: روى الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في تأريخه: عن عبدالله بن علي بن محمد بأسانيد متصلة، عن أبي هريرة: «من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدیر خم، لما أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي بن أبي طالب فقال: ألسنت ولي المؤمنين؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم، فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ^(٥).

ويمكنك مراجعة كتاب الغدير، فتجد الكثير ممن رووا مثل هذه الأخبار من عيون كبار علماء السنة ^(٦).

(١) شواهد التنزيل: ٢٠٠/١ - ٢٠٨، الحديث ٢١٠ - ٢١٣.

(٢) نقلاً عن الغدير: ٢٧٧/١.

(٣) مناقب أمير المؤمنين: ٣١، الحديث ٢٤.

(٤) فرائد السمطين: ٧٢/١ - ٧٣، الباب الثاني عشر، الحديث ٣٩.

(٥) تأريخ بغداد: ٢٨٤/٨، انظر: ترجمة حبشون بن موسى.

(٦) الغدير: ٢٧٥/١ - ٢٨٤.

البيان السادس: في تفسير الآية الثالثة (آية سؤال العذاب)

قال تعالى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾^(١).

المعنى: معنى قوله: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ أي دعا داع ﴿ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ من قولك: دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه.

قال ابن الأنباري: « وعلى هذا القول تقدير الباء الإسقاط ، وتأويل الآية : سأل سائل عذاباً واقعاً ، فأكد بالباء كقوله تعالى : ﴿ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ ﴾^(٢) . وقال صاحب الكشاف : « لَمَّا كَانَ (سَأَلَ) معناه ههنا دعا لاجرم عدّى تعديته ، كَأَنَّهُ قَالَ دعا بعذاب من الله .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، هو النضر بن الحرث ، قال : إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم^(٣) .

وقال أبو عبيد الهروي مانصّه : « قوله ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ : أي : دعا داع يعني قولهم : ﴿ اَللّٰهُمَّ اِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ اَوْ اَتِنَا بِعَذَابٍ اَلِيمٍ ﴾^(٤) .

والباء في قوله : ﴿ بِعَذَابٍ ﴾ بمعنى عن ، أي : عن عذاب^(٥) .

وذكر الخطيب الشربيني : « أن للآية معنيين :

الأول: دعا داعٍ بعذاب واقع

(١) المعارج : ١ - ٢ .

(٢) انظر: التفسير الكبير: م١٥٠/٣٠/١٢٢ . تفسير الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٧/١٨ .

(٣) الكشاف : ٥٩٦/٤ .

(٤) الأنفال : ٣٢ .

(٥) الغريبين في القرآن : ٨٤٩/٣ .

الثاني: سأل سائل عن عذاب واقع .

ثمّ أضاف قائلاً: « والأول أولى لأنّ التجوّز في الفعل أولى منه في الحرف لقوّته »^(١).

أقول: لقد ذهب الكثير من مفسّري السنّة والشيعة أنّ الآية تشمل العذاب الدنيوي ، وذلك أنّ السائل دعا بالعذاب تحدياً واستهزاءً ، فكأنّه هو استدعى وطلب هذا العذاب بقوله : ﴿ اَللّٰهُمَّ اِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ... ﴾ الآية . ولعلّ هذا هو السبب الذي حدا المفسّرين إلى أنّ يفسّروا الآية بكونها تشمل العذاب الدنيوي لا الأخروي ، والسبب الآخر لمكان (الباء) في قوله : ﴿ بِعَذَابٍ ﴾ إمّا أنّ نقول بمعنى (عن) أو إنّها توكيد ، كما مرّ .

وبعد هذه الإطلالة الموجزة ، نوّد أنّ نشير إلى شأن نزولها ، وهو ما يهّمنا في المقام :

شأن النزول :

ذهب جملة من مفسّري السنّة ومحدّثهم إلى نزولها بشأن الحرث أو الحارث بن النعمان الفهري ، وذلك بعد بيعة الغدير وانتشار خبر تنصيب النّبِيِّ صلى الله عليه وآله عليّاً خليفة وولياً من بعده ، فجاء يتساءل مستنكراً على النّبِيِّ صلى الله عليه وآله هذا الفعل ، هل هو من الله أم منه لكونه ابن عمه ؟ وإليك بيان ذلك :

روى الثعلبي في تفسيره : « سُئِلَ سفيان بن عُيَيْنَةَ عن قول الله سبحانه : ﴿ سَأَلْ سَائِلٌ ﴾ فيمن نزلت ؟ فقال : لقد سألتني عن مسألة ما سألتني أحدٌ قبلك .

حدّثني أبي عن جعفر بن محمّد ، عن آبائه ، فقال : « لَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِغَدِيرِ حُمٍّ ، نَادَى بِالنَّاسِ فَاجْتَمَعُوا ، فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، فَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ .

(١) تفسير السراج المنير : ٢٨٠/٤ .

فشاع ذلك وطار في البلاد ، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله على ناقة له حتى أتى الأبطح ، فنزل عن ناقته وأناخها وعقلها ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وآله وهو في ملأ من أصحابه فقال : يا محمد ، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلناه منك ، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه منك ، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا ، وأمرتنا بالحج فقبلنا ، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلناه ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا وقلت : من كنت مولاه فعلي مولاه . فهذا شيء منك أم من الله تعالى ؟

فقال صلى الله عليه وآله : والذي لا إله إلا هو هذا من الله .

فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقوله حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم ، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله ، وأنزل الله سبحانه : ﴿ سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾ (١) .

لقد أوردت مصادر الجمهور هذه الرواية وقد بلغت تسعة وعشرين مصدراً على ما نقله العلامة الأميني في كتاب الغدير^(٢) ، أشرنا إلى بعضها في الهامش ، فضلاً

(١) تفسير الكشف والبيان : ٣٥/١٠ . وانظر : تفسير الألوسي : م ٥٩/٢٩/٦١ . تفسير القرطبي :

٢٦٧/١٨ . فتح البيان في مقاصد القرآن ، للإمام البخاري : ٣٠٨/٤ . قال : « هو الحرث بن

النعمان الفهري » . تفسير السراج المنير ، للخطيب الشربيني : ٣٨٠/٤ .

وقد أخرج الرواية كثير من محدثي السنة منهم : الزرندي الحنفي في نظم در السمطين :

٩٣ . الشبلنجي في نور الأبصار : ١١٩ . ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة : ٤١ . سبط

ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ٣٧ . وابن مردويه في « ما نزل من القرآن في علي » : ٣٤٠ .

وأخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل بطرق متعددة عن أبي هريرة وحذيفة بن

اليمان ، وعن علي بن أبي طالب : ٣٨١/٢ - ٣٨٥ ، الحديث ١٠٣٠ - ١٠٣٤ . فرائد

السمطين ، للجويني : ٦٣/٨٢/١ .

(٢) الغدير : ٢٨٥/١ - ٢٩٢ .

عن مصادر الشيعة^(١).

الاعتراضات:

لقد اعترض ابن تيمية كعادته على هذه الرواية باعتراضات ، نورد أبرزها رعاية للاختصار:

الاعتراض الأول: بطلان الرواية بسبب إشارتها إلى رجوع النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة ،

وهو لم يحصل :

قال ابن تيمية : « أجمع الناس على أنّ ما قاله النبي صلى الله عليه وآله بغدير خمّ كان حين مرجعه من حجة الوداع... والنبي بعد ذلك لم يرجع إلى مكة ، بل رجع من حجة الوداع إلى المدينة... وفي هذا الحديث يذكر أنّه قال هذا بغدير خمّ وشاع في البلاد ، وجاء الحارث وهو بالأبطح والأبطح بمكة ، فهذا كذب جاهل لم يعلم متى كانت قصة غدير خمّ »^(٢).

الجواب : حصول الخلط بين المفهوم والمصداق :

من قال إنّ النبي صلى الله عليه وآله رجع بعد واقعة الغدير إلى مكة ؟ فهو قدم من مكة إلى المدينة ، ولا يوجد في الرواية ما يشير إلى ذلك ، وإنّما حصل الخلط بين مفهوم (الأبطح) ومصداقه ، ومن المعلوم أنّ مصطلح (الأبطح) غير منحصر بمكة أبداً ، فقد ورد في معنى الأبطح : « مسيل واسع فيه دقائق الحصى ومؤنثه البطحاء وهي الصفات التي طرحت موصوفاتها رأساً كالراكب والصاحب والأورق والأطلس ،

(١) روى فرات الكوفي في تفسيره الرواية بطرق متعدّدة ، عن أبي هريرة ، وابن عباس ، وسفيان بن عيينة ، وسعد بن أبي وقاص . تفسير فرات : ٥٠٣ - ٥٠٧ ، الحديث ٦٦١ -

يقال: تبطح السيل أي: اتسع في البطحاء»^(١).

قال الفيومي: «الأبطح: كل مكان متسع، والأبطح بمكة هو المحصب»^(٢).

قال ابن منظور: «البطحاء: مسيل فيه دقاق الحصى».

وقال ابن فارس: البطحاء: مسيلٌ فيه دُقاق الحصى، فإذا اتسع وعرض سُمِّيَ أبطح»^(٣).

الجوهري: الأبطح: مسيل واسع فيه دُقاق الحصى. ابن سيده: وقيل بطحاء الوادي تراب لئِن مما جرّته السيول، وفي حديث عمر: إنّه أوّل من بطح المسجد، وقال: ابطحوه من الوادي المبارك، أي ألقى فيه البطحاء، وهو الحصى الصغار. قال ابن الأثير: وبطحاء الوادي حصاه اللّين في بطن المسيل، ومنه الحديث:

إنّه صلى الله عليه وآله، صلى بالأبطح؛ يعني أبطح مكة، قال: هو مسيل واديها.

والأبطح: بطن الميثاء والتلعة والوادي، وهو البطحاء، وهو التراب السهل في بطونها مما قد جرّته السيول، يقال: أتينا أبطح الوادي فنمنا عليه. ويطحاؤه مثله، وهو ترابه وحصاه السهل اللّين^(٤).

وإذا عرفت أنّ «الأبطح» اسم لمطلق المسيل الذي فيه دقاق الحصى، وليس اسماً لمكان خاص بمكة المكرّمة، لم يبقَ عندك ريب في صحّة ما جاء في الحديث المذكور، وبطل ما أورده ابن تيميّة من هذه الناحية، إذ لا مانع من إطلاق هذا الاسم على بعض الأودية بالمدينة المنورة، وهي ليست قليلة في المسير من

(١) فرائد السمطين: ٨٣/١ قد ذكره في ذيل روايته للرواية السابقة.

(٢) المصباح المنير: ٢٠.

(٣) معجم المقاييس في اللغة، لابن فارس: ١٣٩، مادة (أبطح).

(٤) لسان العرب، لابن منظور: ٤٢٨/١. الميثاء: الأرض السهلة - كما في الصحاح - والميثاء:

التلعة التي تعظم حتى تكون مثل نصف الوادي أو ثلثيه.

مكة باتجاه المدينة .

وقد أشار إلى هذا المعنى صاحب الميزان ، فقال مانصه : « وأما قوله : [والأبطح بمكة والنبي صلى الله عليه وآله لم يرجع من غدير خم إلى مكة] فهو يشهد على أنه أخذ لفظ الأبطح اسماً للمكان الخاص بمكة ولم يحمله على معناه العام وهو كل مكان ذي رمل ، ولا دليل على ما حمله عليه بل الدليل على خلافه وهو القصة المسرودة في الرواية وغيرها »^(١) .

الاعتراض الثاني : السورة مكية والواقعة مدنية

اعترض ابن تيمية على حديث سفيان بن عيينة بأن سورة ﴿سَأَلْ سَائِلٌ﴾ مكية ، فكيف يُقال بأنها نزلت في شأن الحارث بن النعمان في واقعة غدير خم؟!!

الجواب :

أولاً : آيات مدنية في سورة مكية :

صحيح أن سورة ﴿سَأَلْ سَائِلٌ﴾ مكية حسبما ذهب إلى ذلك المفسرون ، ولكن لا يمنع أن تتضمن السورة المكية بعض الآيات المدنية . وهذا ماقرره علماء علوم القرآن ، وإليك بعض الشواهد :

قال السيوطي في الإتيان : فصل ، في ذكر ما استثنى من المكي والمدني : « ونقل عن ابن حجر في شرح البخاري قوله : قد اعتنى بعض الأئمة ببيان منازل من الآيات بالمدينة في السور المكية - كما فيما نحن فيه - قال : وأما عكس ذلك ، وهو نزول شيء من سورة بمكة ، تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة ، فلم أره إلا نادراً »^(٢) .

ثم رد السيوطي ما ذهب إليه ابن حجر ، فقال مانصه : « وها أنا أذكر ما وقفتُ على

(١) الميزان : ٥٧/٦ .

(٢) الإتيان في علوم القرآن : ٤٣/١ .

استثنائه من النوعين ، مستوعباً مارأيته من ذلك»^(١) ، انتهى .

ويذكر السيوطي عدداً من السور القرآنيّة المكيّة التي وردت فيها آيات مدنيّة ، فمنها : « سورة البقرة - وهي مكيّة - استثنى منها آيتان : ﴿ فَاغْفُورًا وَأَصْفَحُوا ﴾^(٢) ، و ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدْيُهُمْ ﴾^(٣) .

سورة الأنعام - وهي مكيّة - فقد أخرج أبو الشيخ عن الكلبي ، قال : « نزلت الأنعام كلها بمكة إلا آيتين نزلتا بالمدينة في رجل من اليهود ، وهو الذي قال : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ﴾^(٤) .

سورة الأعراف - وهي مكيّة - فقد أخرج أبو الشيخ بن حيّان عن قتادة قال : الأعراف مكيّة إلا آية ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾^(٥) «^(٦) .

وبالعكس أيضاً ، نظير : سورة (الأنفال) - فإنها مدنيّة - استثنى بعضهم قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ... ﴾^(٧) وصحّحه ابن العربي وغيره^(٨) .

سورة (براءة) - فإنها مدنيّة - قال ابن الفرس : مدنيّة إلا آيتين : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ ﴾ إلى آخرها [١٢٨ - ١٢٩] .

وهكذا فقد ورد الكثير من ذلك في القرآن الكريم ، وقد أشار العلماء إليه ، فما يمنع أن تكون سورة ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ مكيّة ولكن هذه الآية نزلت في المدينة ؟

(١) الإتيقان في علوم القرآن : ٤٣/١ .

(٢) البقرة : ١٠٩ .

(٣) البقرة : ٢٧٢ .

(٤) الأنعام : ١٩ .

(٥) الأعراف : ١٦٣ .

(٦) و (٨) الإتيقان في علوم القرآن : ٤٣/١ .

(٧) الأنفال : ٤٦ .

وما الضير في ذلك ؟

ثانياً : لامانع من تكرّر نزول الآية المكيّة في المدينة أيضاً

هب أنّ الآية مكيّة أيضاً ، لكن ماالذي يمنع من تكرّر نزولها ؟ حسب مناسبات شأن النّزول ، أو لأهمّيّتها ولزيادة التأكيد ، أو الرغبة من المولى في تكرار نزولها لإحداث عملية التذكير ، والاعتبار بها ، وقد أشار إلى نظائر ذلك الزركشي في علوم القرآن ، وإليك بعض الأمثلة على ذلك :

قال الزركشي : « قد يُنزل الشيء مرّتين تعظيماً لشأنه ، وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه ؛ وهذا كما قيل في سورة الفاتحة نزلت مرّتين : مرّة بمكة ، وأخرى بالمدينة »^(١).

وأضاف الزركشي : « ما في الصحيحين عن ابن مسعود : في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾^(٢) أنّها نزلت لمّا سأله اليهود عن الروح وهو في المدينة ، ومعلوم أنّ هذا في سورة (سبحان) - أي : سورة الإسراء - وهي مكيّة بالاتفاق ؛ فإنّ المشركين لمّا سألوه عن ذي القرنين ، وعن أهل الكهف قبل ذلك بمكة وأنّ اليهود أمرّوهم أن يسألوه عن ذلك ؛ فأنزل الله الجواب^(٣) كما قد بسّط في موضعه »^(٤).

وقال السيوطي : « والحكمة في هذا كلّهُ أنّه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة

(١) البرهان في علوم القرآن : ١٢٣/١ . وانظر الإتيان في علوم القرآن : ١١٣/١ .

(٢) الإسراء : ٨٥ .

(٣) انظر : صحيح البخاري - كتاب الاعتصام : باب ٣ ، ٨ ، وكتاب العلم : باب ٤٧ ، وكتاب التفسير : سورة ١٧ ، والتوحيد : باب ٢٨ ، ٢٩ ، والأحاديث تحت الأرقام التالية : ١٢٥ ، ٤٤٤٤ ، ٦٨٦٧ ، ٧٠١٨ ، ٧٠٢٤ . صحيح مسلم : ٢١٥٢/٤ - كتاب المناقبين : الحديث ٣٢ . الترمذي في التفسير : سورة ١٧ ، الحديث ٣١٤٠ ، ٣١٤١ . مسند الإمام أحمد : ٢٥٥/١ ، ٣٨٩ ، ٤١٠ ، ٤٤٤ .

(٤) البرهان في علوم القرآن : ١٢٣/١ ، فصل (في ما نزل مكرّراً) .

تقتضي نزول آية ، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها ، فيوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله تلك الآية بعينها ، تذكيراً لهم بها وبأنها تتضمن هذه»^(١).

وهذا عين ما حدث للسائل الذي احتنق غضباً وحقداً من عملية تنصيب عليّ خليفة للمسلمين بأمر من الله تعالى ، فجاء يستنكر على رسول الله صلى الله عليه وآله الصادق الأمين فعله وتبليغه ، وهذا الاعتراض بحد ذاته حدث خطير ، لا بدّ للوحي من أن يسجّل الموقف ، ولا يدع هذه الحادثة تمرّ من دون عقاب ، لأنّ فيها تحدّ للنبي صلى الله عليه وآله ، وتحدّ لمشاعر المسلمين ، وفيها جرأة كبيرة على الله تعالى ، فلذا أراد الله تعالى أن يذكر عباده بها ، وينبّه الآخرين عن أمثال هذه الوسوس الشيطانية والعصبية .

ثالثاً: سورة المعارج تضمنت آيات مدنيّة

لو تأملنا السورة المباركة لوجدنا بعض آياتها مدنيّاً ، فعلى سبيل المثال قوله : ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٢) ، فما هو الحقّ المعلوم في المال ؟

ذهب ابن العربي إلى أنّ المراد به الزكاة المفروضة ومن المعلوم أنّ الزكاة لم تُشرّع إلا بالمدينة بعد الهجرة ، معنى ذلك لا بدّ من القول بمدنيّة الآية .

وإليك بيانه : «والحقّ المعلوم هو الزكاة التي بيّن الشرع قدرها وجنسها ووقتها ، فأما غيرها لمن يقول به فليس بمعلوم ؛ لأنه غير مقدر ولا مجنس ولا مؤقت»^(٣).

هذا وقد استعرض القرطبي عدّة آراء في المسألة ، ومن ثمّ صحّح القول الأول منها ، وهو الزكاة المفروضة أيضاً ، وإليك بيانه :

« يريد الزكاة المفروضة ؛ قاله قتادة وابن سيرين . وقال مجاهد : سوى الزكاة .

(١) الإتيان في علوم القرآن : ١١٤/١ .

(٢) المعارج : ٢٤ و ٢٥ .

(٣) أحكام القرآن ، لابن العربي : ١٧٣٠/٤ . وانظر سورة الذاريات : ١٩ .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : صلة رَجِمَ وَحَمَلُ كَلٌّ .

والأول أصح ؛ لأنه وصف الحق بأنه معلوم ، وسوى الزكاة ليس بمعلوم ، إنما هو على قدر الحاجة ، وذلك يقل ويكثر^(١) . انتهى .

وقد أشار إلى هذا المعنى أيضاً صاحب الميزان ، فقال ما نصّه : « المنقول عن بعضهم أن قوله : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴾ مدني والاعتبار يؤيده لأن ظاهره الزكاة وقد شرّعت بالمدينة بعد الهجرة ، وكون هذه الآية مدنيّة يستتبع كون الآيات الحاقّة بها الواقعة تحت الاستثناء وهي أربع عشرة آية (قوله : ﴿ إِلَّا الْمُضَلِّينَ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فِي جَنَاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾) مدنيّة لما في سياقها من الاتّحاد واستلزام البعض للبعض^(٢) . انتهى .

أقول : لكل ما تقدّم نستنتج أن آية (سأل) قد نزلت بالمدينة أيضاً لوجود ما يناسبها من حدّثٍ ومن دواعٍ مختلفة ، ولا دليل للتمسك بمكيّة الآية حينئذٍ .

رابعاً : المحدثون من علماء الجمهور رَووا هذه الواقعة :

هناك العديد من المحدثين قد رَووا هذه الواقعة بتفاصيلها ومسمياتها وقد تقدّم ذكر ذلك في أثناء تبيان شأن نزول الآية الشريفة ، فلاحظ .
وبهذا تبطل شبهة ابن تيمية الأخرى أيضاً .

نتائج البحث :

يمكن تلخيص النتائج بالنقاط التالية :

أولاً : لقد تبين ممّا تقدّم أن آية التبليغ ، قد نزلت في واقعة الغدير ، تحثُّ النبي صلى الله عليه وآله وتأمّره بأن يبلغ الرسالة الخاصة إلى الناس ، وهي لها من القيمة والثقل

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٢٧٩/١٨ .

(٢) الميزان : ٥/٢٠ - ٦ .

والأهميّة مما يعادل الرّسالة بأجمعها ، لأنّه ، بها يتحقّق امتداد الرّسالة وبقاؤها ، ولا يوجد أمر له من الأهميّة والخطورة بمستوى هذا الأمر ، فلذلك جاء البلاغ في وقت حرج وساعة حرجة ، وظرف حرج ، من أجل أن ينبّه على أهمّيّته وخطورته لو كانوا يعلمون ، فلذلك احتاج النّبي صلى الله عليه وآله إلى الدعم القوي من الله تعالى ليجتاز خطورة الموقف فجاءه النداء ﴿ **وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ ، ولعلّك لاتجد آية في كتاب الله تعالى منذ بداية الدعوة ويوم كان وحيداً فريداً إلى آخر حياته الشريفة ، غير هذه الآية تشير إلى ما سيضمنه الله تعالى لنبيه بعصمته من الناس . يقول تعالى في سورة المزمل : ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴾ (١) .

فرغم هذا التكليف العظيم والثقل ولكنّه لم يرد بعده ضمان منه تعالى في عصمته من الناس أو غير ذلك .

ثانياً : إنّ آية (إكمال الدّين وإتمام النّعمة) اعتبرت ذلك اليوم قد كمل فيه دين محمد صلى الله عليه وآله ، بمعنى أنّ كمال الدين بتوفّر القيادة الرّبانيّة ، وتنصيبها للأمة ومبايعة الأمة لها ؛ لأنّ النّبي صلى الله عليه وآله على وشك الرّحيل ، ولا يمكنه أن يترك الأمة سدى من دون راع ، ولا بدّ للأمة من راع يقودها نحو شاطئ الأمان ، فلكلّ نبيّ وصيّ ، ولا بدّ للوصيّ من أن يُعرّف للأمة ، ومبايعة الأمة له ، وهذا بحدّ ذاته يعتبر يوماً تاريخياً عظيماً عند الله تعالى ، فأراد الله أن يعكس عظمة ذلك اليوم للناس أيضاً ، فبيّن ذلك في كتابه الحكيم ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...** ﴾ ، حيث قد توفّر للأمة تعليمات دينية - أوامر ونواهي وأحكام - وتوفّر أتباع لهذا الدين ، فلا بدّ أن يتوفّر الضلع الثالث لهذا المثلث المتمثّل بالمرجعيّة السياسيّة والدينيّة للأمة ، لتكتمل العقيدة منهجاً وهيكلأً وقيادةً ، وبذلك تتم النّعمة . وحينئذ يحصل القنوط واليأس للمشركين والكافرين والمنافقين .

ثالثاً : إنّ آية (سؤال العذاب) أشارت إلى مفردة من مفردات المعترضين

والمشركين ، بمعنى أنها تريد أن تضع حداً لكل من تسوّل له نفسه بالاعتراض على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله فيما يريد الله تعالى ويأمر به ، وتنبيهه على خطورة عقابه وسوء عاقبته ، في الدنيا فضلاً عن الآخرة ، وهذا الذي حصل .

رابعاً : هذه الآيات الشريفة الثلاث : تمثل منظومة عقائدية وقانونية مترابطة ومتداخلة ، وبعضها يكمل بعضاً ، فحينما يسنُّ الله تعالى قانوناً وشريعةً يُرغَّب عباده بها ويُبَيِّن عظيمها وأهميتها وضرورتها الحياتية لهم وصلاحها لهم ، وصلاحهم بها ، وبعد ذلك يحذّر بالعقوبة الصارمة على المخالف والمعترض والمتمرّد ، وهذا نظير البلاغ الحكومي السائد .

فعليه نجد الترابط والتلاحم بين هذه الآيات الثلاث بشكل فنيٍّ رائع يدعو أصحاب العلم والمعرفة ؛ ليعمّقوا هذا الفهم والإدراك ويستنبطوا من ذلك نتائج تخدم هذا الدين الحنيف ، وتعود بالخير على الأمة .

ونريد أن ننبّه إلى أنّ لنا عودة أخرى - إن شاء الله تعالى - إلى هذا الحديث (حديث الغدير) ، لبيان دلالاته مفصّلاً ، وماورد من اعتراضات وذلك في الجزء الثاني ، فلاحظ .

الآية الحادية عشرة

آية أولي الأمر

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١)

المدخل

هذه الآية الشريفة تتناول موضوعاً خطيراً وحساساً جداً، بل هو الموضوع الأساس في حياة الأمة الإسلامية. إنها تتناول بيان شرط الإيمان وحدّه متمثلاً بالرضوخ التام والانصياع لأوامر الله تعالى في مجال النظام الأساس لهذه الأمة.

فهذه الآية وبعض الآيات اللاحقة لها تبحث عن أهمّ مسألة في شأن الكيان الإسلامي، إذ هي تحدّد المعالم الرئيسية للهيكلية القيادية لهرم السلطة للنظام الإسلامي، وهي تُعدّ الركائز الأساسية لهذا النظام.

الآية تفصّل ماتمّ إجماله في الآية السابقة لها، فبعد أن أمر الله تعالى الناس بأداء الأمانة، والحكم بالعدل، بيّن سبحانه وتعالى في هذه الآية، الطريق الذي تتحقّق به حكومة العدل، ولا يتمّ هذا الطريق إلاّ بتحقّق شرطها الأساس، وهو الطاعة المطلقة، بل الاعتقاد بها أيضاً والالتزام بها عملياً.

الطاعة لمن؟ الطاعة للحقّ المطلق، والحاكم الأزلي للكون، وهو الله تعالى،

وهي متمثلة بالإيمان به وبدينه الحق ، والعمل بأحكامه وشريعته التي أنزلها على رسوله الأمين ، وهذه الطاعة أصل بحد ذاته ، ويتفرع عنها طاعة الرسول صلى الله عليه وآله **﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾** ^(١) ، فهو المبعوث لتبليغ أحكام الله تعالى ، والمأمور لبيان كتابه الحق ، وقد جعل الله تعالى له الولاية العامة ، والحكومة بين الناس ، والقضاء والفصل بينهم بما يراه من المصلحة ، وما ألهمه تعالى من صواب الرأي والحكمة البالغة ، وكذا أمرت الآية الشريفة بطاعة أولي الأمر ثم ردّ المتنازع فيه إلى الله والرسول .

فالآية الشريفة تتولى بيان النظام الأساس لحكومة العدل الإلهية ، في تحديدها للجهة التي تتلقى منها الأمة منهج حياتها ، والطريقة التي تتلقى بها ، والأسلوب الذي تتعامل به ، وتردّ إليه ما تنازعا فيه ، وما يتجدد من مشكلاتها وما يستجد من أمورها الحياتية ، نتيجة التقدم والتطور .

ثم تُبيّن الآية الشريفة أنّ الامتثال لهذه المنظومة القيادية (الله ورسوله وأولو الأمر) هو عين الإيمان بالله وباليوم الآخر، وبه يتحقق كل الخير للأمة في الحاضر والمستقبل ، وبخلافه يتحقق التناحر وينعدم الخير ويضعف الأمل بالمستقبل .

من هنا نفهم أنّ الآية الشريفة تريد أن تُهندس الفكر السياسي والحكومي للأمة المسلمة ، حاضراً ومستقبلاً ، وتريد أن تصنع الأمة صناعة متينة وقوية ، بحيث لا تهتز وتضطرب عند مواجهة التحديات . فعندما يتم البناء الفكري والروحي للأمة من جهة ، ويتوضح أسلوب الامتثال من جهة أخرى ، وتحدد المعالم الرئيسية للقادة الربانيين ، فعندئذ لا يخاف على مستقبل هذه الأمة مهما صعبت التحديات وزادت .

فالآية الشريفة أشارت إلى تلك المعاني الحساسة والدقيقة بشكل ظريف

ولطيف ، فعلينا أن نفهم ماهي مواصفات أولي الأمر ومن هم المصاديق الرئيسية لهذا العنوان ، وماهي الآراء المطروحة في المقام ، هذا ما سنتناوله في هذه الآية الشريفة ضمن الأمور التالية :

الأمر الأول: في بيان التفسير

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ﴾ .

هذه الآية الشريفة غير عادية الارتباط بما تقدّمها من آيات وبما يأتي بعدها ، لمّا فرغ من الندب إلى عبادته وحده لا شريك له ، وذمّ مَنْ يعيب هذا الطريق المحمود ، ثمّ أمر الناس بأداء الأمانة والحكم بالعدل ، بيّن في هذه الآية الشريفة طريق تحقيق ذلك ، وتحقّقه يحتاج إلى رجال صادقين فيما عاهدوا الله عليه ، لذا ابتدأ الخطاب بـ ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ وهذا الخطاب هو من أشرف أنواع الخطابات القرآنية ، إذ مرّة يكون الخطاب ﴿ يَا بَنِي ءَادَمَ ﴾ وأخرى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ ، ولكن حينما يُخاطب المؤمنون بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ، فهذا التّشريف ينبئ عن وجود تكليف لا يتحمّل عهده إلاّ الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان .

وإطاعة الله تعالى ، إنّما يحكم بها العقل ، إذ العقل يحكم بأنّ مولانا خالق الكون ومدبّره ، له القيوميّة المطلقة على الكون كلّّه ، فهذا المولى يحكم العقل بإطاعته ، وهذا ما يعبر عنه بـ (حقّ الطاعة للمولى) ، لافي التكاليف المقطوع بها فحسب ، بل حتّى التكاليف المظنونة والمحتملة ، فمولويّة المولى تقتضي بحكم العقل وجوب الطاعة في الموارد الثلاثة ، إلاّ أن يرخص الشارع في بعضها ، كما ذهب إلى تأسيسه السيد الشهيد محمّد باقر الصدر ، في الأصول^(١) ، فالعقل يحكم بذلك والشرع يرشد إلى حكم العقل . وهذه الإطاعة لله تعالى أصل بالذّات ، بما له ولاية الأمر ذاتاً

(١) دروس في علم الأصول - الحلقة الثانية : ٣١ .

وابتداءً لأنَّه الخالق والمبدع والقيوم ، فوجوب الطاعة يدور مدار الولاية ، ضرورة أنه مع عدم ولاية الأمر على المأمور لا يستحق الطاعة ؛ لأنَّ استحقاقها من شؤون ولاية المولى ، ولذا لا تقوم آية صفة أخرى مقام الولاية مهما كانت الصفة عظيمة كما سيأتي بيانه .

قوله تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ ، لما كانت الولاية لله تعالى ، وهي مطلقة وغير محدودة ، والإطاعة له أصلاً وذاتاً ، جاز له بحكم العقل والشرع أن يتعبّدنا بإطاعة رسوله صلى الله عليه وآله ، ولا ينبغي أن نرتاب في أن الله تعالى لا يريد بإطاعته إلا إطاعة ما يوحيه إلى رسوله من المعارف والأحكام فيبلغنا بها ، وعن هذا الطريق تتحقّق إطاعة الله تعالى ، ولكن هذه الطاعة غير تلك الطاعة ، ولذا أراد أن ينبّه على ذلك فأبرز لها عاملاً آخر ، ولم يعطفها على معمول العامل السابق . لا كما ذكره بعض المفسّرين من أن التكرار هنا يفيد التوكيد ، كلا وإثماً لاختلاف الطاعتين من حيث الجهة ومن حيث الأساس ؛ فالطاعة الأولى ذاتية وهي أصل ، والثانية إفاضية من قبله ، ومتفرّعة عن وجوب طاعته ، وبالتالي هي فرع .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ ^(١) ، طاعة الرسول صلى الله عليه وآله هي طاعة لله تعالى . قال تعالى : ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ ^(٢) ، وهذه الطاعة غير مشروطة بشرط ، فهي تمثّل الطاعة فيما يبلغ من تعاليم ومعارف ، قال تعالى : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ ^(٣) ، وتشمل أيضاً ما يحكم به النبي صلى الله عليه وآله وما يقضي بينهم من قضاء وهو ما يرتبط بولايته التنفيذية والحكومية . قال تعالى : ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي**

(١) النساء : ٦٤ .

(٢) النساء : ٨٠ .

(٣) النحل : ٤٤ .

أَنْفُسِهِمْ حَرْجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴿١﴾ .

قوله تعالى : ﴿ **وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ لاشك ولا ريب أن أولي الأمر لانصيب لهم من الوحي ؛ إذ الرسالة خُتِمت بالنبي صلى الله عليه وآله وقد انقطع الوحي بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله عن دار الدنيا .

ولكنّ الملفت للنظر أن طاعة أولي الأمر مترتبة زماناً على طاعة رسول الله ، أي إنها في طول طاعة الرسول لا في عرضها . وبعبارة أوضح : إن طاعة أولي الأمر غير متفرّعة عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وإنما هي متفرّعة عن طاعة الله تعالى ، نظير ما للرسول صلى الله عليه وآله ، ولكن مجال إجرائها وزمانه وتحقق موضوعها يتم عبر ما يؤمر به رسول الله صلى الله عليه وآله ، فتجنّز بعد رحلته ، لكي لا تتعدّد مصادر القرار والزعامة والولاية في زمن واحد ، فلذا أشار القرآن الكريم إلى هذا الترتّب . (والله العالم) .

ويزداد هذا المعنى وضوحاً بقوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ .

ففي مرحلة التنازع بين المؤمنين أنفسهم - لا أنه بينهم وبين أولي الأمر ؛ لأنه لا يجوز أن نفترض تنازعهم مع أولي الأمر وقد فرض الله طاعتهم - لم تذكر الآية ﴿ **أُولَى الْأَمْرِ** ﴾ وإنما خصّ الله والرسول ، بمعنى أن التنازع أو الاختلاف في الفهم الذي يحصل يقضي به وليّ الأمر ، لكن برجوعه إلى الله تعالى عبر كتابه الكريم ، وإلى الرسول صلى الله عليه وآله عبر سنّته .

« ومن هنا يظهر أن ليس لأولي الأمر هؤلاء - كائنين من كانوا - أن يضعوا حكماً جديداً ، ولا أن ينسخوا حكماً ثابتاً في الكتاب والسنة ، وإلا لم يكن لوجوب إرجاع موارد التنازع إلى الكتاب والسنة والرد إلى الله والرسول معنى » ^(٢) ، وهذا ما يدل

(١) النساء : ٦٥ .

(٢) انظر تفسير الميزان : ٣٨٩/٤ .

عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (١).

قوله تعالى : ﴿ مِنْكُمْ ﴾ ، لما كان الخطاب للمؤمنين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فلا بد أن يكون وليّ الأمر منهم ، بل ممّن بلغ المستوى العالي من الإيمان لا أن يكون شخصاً عادياً من غير مزية ميّزته لهذه المهمة ، من هنا نفهم أن من يتغلب على الأمر ويملك زمام الأمور ولم يكن مؤمناً فغير مقصود وغير داخل ضمن أجواء الآية الشريفة . وعليه فقوله : ﴿ مِنْكُمْ ﴾ يريد به الظرف المستقر أي كائنين منكم نظير قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ (٣).

أمّا قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ هذا الوعيد يحتمل أن يكون عائداً إلى قوله : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ وإلى قوله : ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (٤).

ففي عملية النزاع والاختلاف كثيراً ما تحصل حالات التجاوز على الثوابت الإيمانية ، وبذلك يخرج الإنسان من ربة الإيمان ، فالمولى عزّ وجلّ يؤكّد بل يتوعّدهم إن حصلت حالات النزاع ، فعليكم بالرجوع إلى الكتاب والسنة من خلال من يتفهّم الكتاب ويتفهّم السنة ، وهو وليّ الأمر ، وبخلاف ذلك فلا حقيقة لدعوى الإيمان بالله واليوم الآخر ، فهذا التهديد في غاية الخطورة ، كيف ؟ لأنّ الآية قد ابتدأت بالخطاب للمؤمنين ، فيفترض فيهم قد بلغوا مرحلة سامية لتقبّل التكليف

(١) الأحزاب : ٣٦ .

(٢) الجمعة : ٢ .

(٣) البقرة : ١٢٩ .

(٤) انظر تفسير الفخر الرازي : م ١٥٨/١٠/٥ .

الإلهية ، ولكن كثيراً ما لا يرغب الإنسان بنتائج الحكم خصوصاً حينما لا تكون لصالحه ، هنا تُكتشف معادن الرجال ، فهو نظير قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

وأما قوله تعالى : ﴿ ذَلِك خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ أي : ذلك الذي أمرتكم به في هذه الآية خير لكم ، وأحسن عاقبة لكم لأن التأويل عبارة عما إليه مآل الشيء ومرجعه وعاقبته (٢) .

فلكي يتحقّق الخير في الأمة الإسلامية ، ويتحقّق الفلاح فيها ، عليها بالتزام تعليمات الآية الشريفة ؛ إذ هي تبني أساس الكيان الإسلامي ، وتؤسس لمنهج إسلامي أصيل في مجال آية الحكم ، فهذا المنهج فيه صلاحكم ، وفيه نجاحكم ، وفيه ضمان لمستقبلكم ، بمعنى أنّ المنهج الدستوري ضمن أطر القرآن الكريم لو تحقّق الالتزام به ، ولم يحصل التجاوز عليه ، نتيجةً للهوى والرغبات الأنانية ، لتحقّق الخير كلّ الخير في الأمة وللأمة ، وضمنت مستقبلها في الدنيا وماتوول إليه الأمور في الأخرى .

إذن طاعة الله وطاعة الرسول وأولي الأمر وردّ المتنازع فيه إلى الله والرسول خيرٌ للأمة وأنفع ، وفيه صلاحها وسعادتها ، وبه تتحقّق مصالح الدين ومصالح الأمة في الدارين ، دون ارتياب .

الأمر الثاني: ما هي مواصفات أولي الأمر؟

من خلال نظرة فاحصة للآية الشريفة نستطيع أن نستخلص الصفات الأساسية

(١) النساء: ٦٥ .

(٢) انظر تفسير الفخر الرازي: م ١٥٨/١٠/٥ .

لأولي الأمر ، وهي كما يلي :

الصفة الأولى : العصمة

وهذا ما يمكن استخلاصه من الآية الشريفة بالبيان التالي : لما أمر الله تعالى بطاعة أولي الأمر بشكل مطلق ومن دون قيد أو شرط لا بدّ وأن يكون وليّ الأمر معصوماً ، لماذا؟ لأنّه لو لم يكن معصوماً عن الخطأ ، سيصدر منه الخطأ حتماً ، وعلى فرض صدور الخطأ منه ، لا بدّ للأمة من إطاعة هذا الذي صدر منه ، وهذا يؤدي إلى الأمر بإتيان ذلك الخطأ وارتكابه ، وذلك لوجوب إطاعته مطلقاً ، ومعلوم أنّ ارتكاب الخطأ منهيّ عنه ، فهذا يستلزم اجتماع الأمر والنهي على متعلق واحد في زمان واحد ، نظير قوله : صلّ ولا تصلّ ، أو قول القائل : لا تشرب الخمر ، واشرب الخمر واجتماعهما محال ، وصدورهما من المولى الحكيم محال أيضاً .

فثبت أنّ الله تعالى أمر بطاعة وليّ الأمر على سبيل القطع مطلقاً . وثبت أنّ كلّ من أمر الله بطاعته مطلقاً وعلى سبيل الجزم والقطع ، وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ ، وهذا يثبت كون وليّ الأمر في الآية لا بدّ وأن يكون معصوماً .

وقد ذهب إلى هذا المعنى جملة من أكابر المفسّرين ، نظير الفخر الرازي حيث استنبط هذا المعنى ، فجاء في تفسيره مانصّه : « إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ وأن يكون معصوماً عن الخطأ . إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله تعالى بمتابعته ، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه ، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد ، وأنّه محال . فثبت أنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم ، وثبت أنّ كلّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ ، فثبت قطعاً أنّ أولي الأمر المذكور في هذه الآية

لابد وأن يكون معصوماً»^(١).

شبهة ورد:

لعلّ قائل يقول: إذا أمر وليّ الأمر بالمعصية فلا تجب علينا طاعته، وإنما تجب طاعته، فيما إذا أمر بما هو عدل، وطاعة الله تعالى، لا بما هو معصية له تعالى. وعليه فلماذا تشترطون العصمة؟ ويؤيد ذلك ما أورده الفخر الرازي في الرواية التالية: قال الرازي: «قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: حقّ على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدّي الأمانة، فإذا فعل ذلك فحقّ على الرعيّة أن يسمعوا ويطيعوا»^(٢).

قلت: نحن لم نفترض صدور الأمر من وليّ الأمر بالمعصية، حتّى تقول لا تجب طاعته فيما أمر بمعصية، كلا، وإنما قلنا: قد يصدر الخطأ منه لكونه غير معصوم والخطأ يوقعنا في المعصية بلحاظ كونه خطأ، بل قد يصوّر أكبر معصية لله تعالى أنّها طاعة فيأمر بها^(٣). ولمّا كانت الآية قد أمرت بطاعة وليّ الأمر على سبيل الجزم والإطلاق فلم تكن طاعته مشروطة بشرط أو مقيدة بقيد، كلا، وإنما طاعته مطلقة، فلازم ذلك أن يكون معصوماً ولا تردّد في ذلك.

وأما الرواية التي صدرت من مولانا أمير المؤمنين فهي تعزّز ما نقول، إذ حقّ على الإمام أن يحكم بالعدل ويحكم بما أنزل الله تعالى فلو حكم بالباطل لاطاعة له علينا، وحقّ على الإمام أن يؤدّي الأمانة؛ إذ لو كان خائناً للأمانة لما استوجب الطاعة. فعليه أن يحكم بالعدل وبما أنزل الله وأن يؤدّي الأمانة، ولكن تحقّق هذا على نحو الإطلاق إنّما يتم عند المعصوم، بل ولا يتم عند غيره.

(١) التفسير الكبير: م ١٤٨/١٠/٥. وانظر تفسير غرائب القرآن: ٤٣٤/٢.

(٢) المصدر السابق، ونقل الرواية أيضاً، القرطبي في جامع احكام القرآن: ٢٦٠/٥.

(٣) كما حدث ذلك حينما أصدر يزيد بن معاوية أوامره بقتل الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام

فالتزم شمر بن ذي الجوشن وغيره بها تحت ذريعة لزوم طاعة الأمير!!

الصفة الثانية: أن يكون من أمراء الحق لا من أمراء الجور

إنّ هذا العنوان - عنوان ﴿أُولَى الْأَمْرِ﴾ - إنّما يصدق على مَنْ كان صاحباً للأمر حقيقة وواقعاً وحقاً ، بمعنى أنّ الله تعالى قد نصّب له هذا الموقع ونصّ عليه فاستحقّ الطاعة ، لا من كان متسلّطاً على رقاب الناس بالغلبة والإكراه والظلم ، فهو نظير الغاصب الذي يسرق المال ويدّعي ملكيته له ، فهذه ملكيةٌ بغير حقّ . فـ ﴿أُولَى الْأَمْرِ﴾ مَنْ يثبت له الأمر حقاً وحقيقة ، ومن هنا إنّ أمراء الجور وسلاطين الزمان لا يمكن أن يصدق عليهم هذا العنوان أبداً ، والأمر واضح ، وهذا ما أشار إليه الزمخشري في التفسير ونقله أبوحيان الأندلسي ، فجاء فيه : «المراد بأولي الأمر منكم : أمراء الحقّ لأنّ أمراء الجور ، الله ورسوله بريئان منهم ، فلا يعطفون على الله ورسوله^(١) في وجوب الطاعة لهم»^(٢) .

بمعنى أنّ الآية الشريفة حينما تعطف الأمر بالطاعة لوليّ الأمر على الله ورسوله ، هذا يستوجب أن يكون أميراً بحقّ لا أمير جور وباطل ، لكون الآية قد نصّت على الطاعة لله ورسوله ولأولي الأمر على حدّ سواء . فالمراد بأولي الأمر «... من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية»^(٣) .

الصفة الثالثة: أن يكون مولى بحقّ

إنّ وجوب الطاعة يدور مدار الولاية ، فمتى ما ثبتت الولاية وجبت الطاعة ، والعكس بالعكس فمتى ما لم يكن الأمر وليّاً فهو لا يستوجب الطاعة على الأمور ، وعليه فاستحقاق الطاعة من شوؤن الولاية ، ولذا قلنا : إنّ الله مولانا له حقّ الطاعة بشكل مطلق ، لأنّه له الولاية المطلقة على الكون كلّ ، وهذا ما حكم به العقل ، وقد

(١) تفسير البحر المحيط : ٦٨٦/٣ .

(٢) الكشاف : ٥١٣/١ .

(٣) تفسير فتح القدير : ٦١٨/١ ، وانظر تفسير فتح البيان ، للإمام البخاري القنوجي : ١٥٥/٣ .

أشارت الآية إلى هذا المعنى : ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾ (١).

إذن هذا العنوان وهذا المقام تدور الطاعة مداره ، وأي عنوان آخر وأية صفة أخرى لا يمكن أن تقوم مقام (الولاية) حتى أعظم الصفات - كالعصمة - لا تقوم مقامها ، فإنها توجب تصديق قوله ، وأن ما قاله حق وصدق . نعم ، لو قال المعصوم : إني أولى بالأمر وجب تصديقه بالولاية ، لكونه صادقاً فيما أخبر عنه ، وعليه فتثبت ولايته حسب إخباره . فتجب عندئذ طاعته فيما يأمر وينهى لولايته ، وبعد ثبوت الولاية له لا حاجة إلى إثبات وجوب إطاعته إلى أمر آخر ، ضرورة وجوب إطاعته حينئذ بحكم العقل . وما ورد في الشرع هو إرشاد إلى ما استقل به العقل .

ورسول الله صلى الله عليه وآله هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وعلى هذا آمنوا وبأيعوا ، والقرآن أشار إلى هذا المعنى أيضاً : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (٢) وأولو الأمر كذلك لأنهم استحقوا الطاعة - بنص الآية الشريفة - بشكل مطلق من دون قيد أو شرط ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن مسألة الاقتران بين لزوم طاعة الله ورسوله وأولي الأمر تقتضي أن تكون لأولي الأمر مولوية منسجمة ومتناسبة رتبة ومنزلة مع مولوية الله ورسوله ، فتدبر .

الصفة الرابعة : أن يكون الأعم بالكتاب والسنة

وهذا المعنى الدقيق يفهم من خلال ذيل الآية الشريفة : ﴿فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ، فحينما يحصل التنازع والخلاف بين المؤمنين أنفسهم في أمور دينهم ، فكأن كل واحد ينتزع حجة الآخر ، ولكي يتم وضع حد لهذه النزاعات والتجاذبات والمنع من تداعياتها ، تأمر الآية بالرجوع إلى كتاب الله تعالى

(١) الكهف : ٤٤ .

(٢) الأحزاب : ٦ .

وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله - في حال وجوده - وإلى سنته في حال رحلته ، ولكن من الذي يقوم بانتزاع الحجة من الكتاب والسنة ؟

الجواب: من كان من أولي الأمر ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ^(١) .

وعليه فلا بدّ لوليّ الأمر أن يكون الأعلم بالكتاب والسنة وأحكامهما ، كي يكون قادراً على استنباط الأحكام منهما ، هذا من جهة ، ويكون حكمه في موارد التنازع والتجاذب حاسماً ، من جهة أخرى ، فيتحقّق من خلال أعلميته بموارد الكتاب والسنة قطع النزاع والتجاذبات ، فلا يدع مجالاً لاجتهاد الآخرين أو إعمال آرائهم ، وإلا لحصل التنازع مرّة أخرى بسبب اختلاف الآراء أو الأهواء ، والتبس على الأمة حكم الله تعالى . وقد أشار القرطبي إلى ما قام به عليّ عليه السلام في هذا الصدد ، باستنباط أحكام الله تعالى من الكتاب في موارد حصول النزاع ، فقال مانصّه : « وقد استنبط عليّ عليه السلام مدة أقلّ الحمل - وهو ستة أشهر - من قوله تعالى : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ ^(٣) .

فإذا فصلنا الحولين من ثلاثين شهراً بقيت ستة أشهر ، ومثله كثير ^(٤) .

أقول : هذا الاستنباط من الإمام عليّ عليه السلام حصل في مجال القضاء والحكم عند حصول المنازعة بين رجل وزوجته . عندما جاء الرجل إلى عليّ يقذف زوجته حينما ولدت له مولوداً بعد ستة أشهر من موافقتها ، فاستنبط الإمام الحكم من خلال القرآن ، وحكم بشرعية الولد وبراءة الزوجة . وأمثال هذا كثير عند الإمام كما أشار القرطبي .

(١) النساء : ٨٣ .

(٢) الأحقاف : ١٥ .

(٣) البقرة : ٢٣٣ .

(٤) تفسير القرطبي : ٢٦٣/٥ .

الصفة الخامسة: وليُّ الأمر وترُّ في كلِّ زمان

لكلِّ زمان مصداق واحد من ﴿أولى الأمر﴾ يتلبَّس بوجوب الطاعة له من قبل الأمة، لاشك أن لفظ ﴿أولى الأمر﴾ اسم جمع دلَّ على الكثرة في هؤلاء المسمَّين بـ ﴿أولى الأمر﴾، ولكن هذا لا يلزم منه توفُّرهم في زمن واحد، بل لا يصح توفُّرهم في زمن واحد مع افتراض تلبَّسهم بالطاعة بأجمعهم، لماذا؟

الجواب:

أولاً: قلنا: إن الآية الشريفة دلَّت على الأمر الترتيبي للطاعة بقوله: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرِّسُولَ وَأولى الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، بمعنى أن طاعة أولي الأمر ينبغي أن تكون في مرتبة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وإن كانت هي مفاضة من الله تعالى.

ثانياً: إن وليَّ الأمر إذا كان معصوماً - كما قلنا - فاجتماع معصومين أو أكثر في زمان واحد لا يفرز منهم إلا ولياً واحداً هو المتلبَّس بوجوب الطاعة، دون غيره والمعصوم الآخر يدخل في طاعته أيضاً كي تبقى مرجعية الأمة موحَّدة ومركز القرار مُتحدداً أيضاً، وقد صحَّ ما رواه بُرَيْدَةَ عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قوله: «وليكُم من بعدي علي»^(١) و: «ولي كلِّ مؤمن ومؤمنة من بعدي علي».

وأما إذا كانوا متعدِّدين وغير معصومين - على قول الجمهور - معنى ذلك سنوقع الأمة بالانشقاق والتمزُّق، بلحاظ كون كل واحد منهم تجب طاعته وهو غير منزَّه عن الخطأ لكونه غير معصوم، وهذا يؤدي إلى تعدد القرار بتعدد ولاية الأمور، وبالتالي ستنتقسم الأمة بعدد ولاية الأمر على أقلِّ تقدير، وهذا فاسد فالمقدَّم مثله.

إذن لا يصحَّ تعدُّدهم في زمان واحد مع تلبَّسهم بوجوب الطاعة.

الإشكال اللغوي للفخر الرازي

وقد استشكل الفخر الرازي بإشكال لغوي، ونصّه: «إنه تعالى أمر بطاعة أولي

(١) تقدَّم تخريجه.

الأمر، وأولو الأمر جمع وعندهم - أي عند الشيعة - لا يكون في الزمان إلا إمام واحد، وحمل الجمع على المفرد خلاف الظاهر»^(١)، انتهى .

الجواب :

أولاً: إن هذا الاستعمال شائع في اللغة ، وفي المخاطبات والأوامر ، فلو قال الأمر: أكرم العلماء ، وقد رأيت عالماً ، ألا يجب إكرامه ؟ نعم ، فلو عصيت لعاقبك الأمر ، ولا يصح الاحتجاج عليه ، بأن أمرك بصيغة الجمع ، وهذا مفرد !

ثانياً: هذا الاستعمال شائع في القرآن أيضاً ، وقد مرّ تفصيله في ضمن آية ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ... ﴾ إذن فالذي هو خلاف الظاهر من حمل الجمع على المفرد ، هو أن يطلق لفظ الجمع ويراد به واحد من آحاده ، لا أن يوقع حكم على الجمع بحيث ينحل إلى أحكام متعددة بتعدد الآحاد . نظير ما نحن فيه .

فقوله : ﴿ وَأُولَى الْأَمْرِ ﴾ بمعنى وليّ الأمر في هذا الزمن أطعه ، والولي الآخر في الزمن الآخر أطعه أيضاً وهكذا تجب طاعة وليّ الأمر في كلّ زمن ، وهذا ليس من الحمل على خلاف الظاهر ، بل هو الذي عليه أهل اللغة والنصوص في المحاورات اللغوية والأدبية .

هذه خلاصة ما يمكن خلاصته من صفات أولي الأمر كما أشار النص القرآني .

الأمر الثالث : مَنْ هم أولو الأمر؟

لعلك تجيب باختصار وتقول : هم من تتوفر فيهم الصفات السابقة ، وهذا صحيح ، ولكن السؤال عن تبيان المصاديق الشاخصة ، لكي تتحقّق الطاعة ويتحقّق توحد الأمة ، وعندئذ تحصل السعادة لها في الدارين ، كما وعد الله تعالى .

والأقوال في هذه المسألة كثيرة ومتعدّدة ولا يجمعها جامع ، ولكن نودّ الإشارة

(١) التفسير الكبير: م٥/١٠/١٥١ .

إلى بعضها كما جاء في تفسير الفخر الرازي: بعد أن ذكر الرأي الذي يتبناه وهو كون المراد بـ ﴿أُولَى الْأَمْرِ﴾ أهل الحل والعقد من الأمة، وذلك يوجب القطع بأن إجماع الأمة حجة؛ استعرض الآراء الأخرى للمفسرين، بقوله: «أحدها: إن المراد من أولي الأمر الخلفاء الراشدون.

وثانيها: المراد أمراء السرايا، قال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في عبد الله بن حذافة السهمي إذ بعثه النبي صلى الله عليه وآله أميراً على سرية. وعن ابن عباس إنها نزلت في خالد بن الوليد بعثه النبي صلى الله عليه وآله أميراً على سرية وفيها عمار بن ياسر، فجرى بينهما، اختلاف في شيء، فنزلت هذه الآية، وأمر بطاعة أولي الأمر.

وثالثها: المراد العلماء الذين يفتون في الأحكام الشرعية ويعلمون الناس دينهم، وهو رواية الثعلبي عن ابن عباس وقول الحسن ومجاهد والضحاك.

ورابعها: نقل عن الروافض أن المراد به الأئمة المعصومون، ولما كانت أقوال الأمة في تفسير هذه الآية محصورة في هذه الوجوه، وكان القول الذي نصرتموه خارجاً عنها كان ذلك بإجماع الأمة باطلاً^(١). انتهى.

الجواب: هناك عدة إشكالات ترد على ما ذكره الفخر الرازي في المراد من ﴿أُولَى الْأَمْرِ﴾:

أولاً: من هم أهل الحل والعقد؟ ومن الذي يحدّد هويتهم للأمة في كل زمان؟ وهل نقبل بادعاء كل أحد أنه من أهل الحل والعقد؟

ثانياً: هل يشترط إجماعهم؟ كما هو واضح من خلال استدلاله بأن إجماع الأمة حجة، فإن كان كذلك فهذا محال، ولم يحدث بالتأريخ إلا نادراً! أن اجتمعت الأمة أو اجتمع أهل الحل والعقد على رأي. وعليه فلا يصح أن يتعبّدنا الله تعالى في أمر لا يمكن تحقّقه أو يكون تحقّقه نادراً، ومن المحال أن يأمر الله تعالى بشيء

(١) التفسير الكبير: م ١٥٠/١٠/٥.

لا مصداق له في الخارج .

ثالثاً: إنَّ الدليل الذي ساقه الرازي ، وهو الرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله : « لا تجتمع أمتي على خطأ » ، فلو صحَّ ما نسب إلى النبي ، فهو لا يصلح دليلاً له ، لماذا؟ لأنَّ الرواية لاتنفي اجتماع أهل الحلِّ والعقد منهم على خطأ ، وإئماً تنفي اجتماع الأمة على خطأ ، ومن الواضح أنَّ للأمة معنى ، ولأهل الحلِّ والعقد معنى آخر ، ولا دليل على إرادة هذا المعنى من لفظ (الأمة) ؟

أضف إلى ذلك : أنَّ الرواية لاتنفي الخطأ عن اجتماع الأمة ، بمعنى أنه لو حصل اجتماع للأمة على أمرٍ وكانت مما أجمعت عليه هو خطأ في الواقع - وهو أمر محتمل - فالرواية لاتنفيه ، وإئماً الرواية تنفي أن تُجمع الأمة على خطأ ، بمعنى أن يكون في البين أمر معين (خطأ) ، وهم يعلمون بكونه خطأ ، فهذا محال أن تُجمع الأمة عليه . والفهم العرفي للرواية هو الذي قلناه ، بأنَّ النبي صلى الله عليه وآله قد نفى اجتماع الأمة على أمر يكون خطأ ، وذلك لوجود الأتقياء والأولياء ، فمعهم يستحيل أن يحصل الاجتماع لهم على ما شخَّصوا خطأه ، ولكن هذا لا ينفع المستدلَّ بشيء ، بل الذي ينفعه في عصمة الأمة هو الأوَّل دون الثاني ، والرواية لاتدل عليه ! فافهم ، فإنَّه دقيق .

مناقشة الآراء الأخرى

أمَّا الآراء الأخرى التي ذكرها الفخر الرازي نقلاً عن المفسِّرين ، وهي :

الأوَّل: وهو حصر عنوان أولي الأمر بالخلفاء الأربعة الأوَّل . فهذا يرد عليه :

عدم توقُّر مصداق لأولي الأمر بعد زمانهم إلى يوم القيامة !

أضف إلى ذلك : ما هو الدليل على هذا التخصيص ؟ إذ لا دليل عليه أبداً ، ولم يُظهر المدَّعي أيَّ دليل على ذلك .

الثاني: المراد بهم أمراء السرايا . فهذا باطل أيضاً لما تقدَّم أعلاه . ولما يلي :

الآية الشريفة تأبى أن تجمع مَوْقَعَيْنِ للطاعة في زمنٍ واحدٍ للمتعدِّدينَ ، وذلك لأنَّ طاعة الرسول ﷺ هي بالضرورة طاعة لله تعالى لقوله : ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١) . فعليه الطاعة واحدة .

أمَّا أمراء السرايا أو قادة الجيش أو قادة الألوية فهؤلاء لزوم طاعتهم لاتنفصل بحدِّ ذاتها عن إطاعة رسول الله ﷺ . بمعنى أنه لا يوجد عندنا طاعتان في عرض واحد ، طاعة للرسول في جانب ، وفي عرضها في الجانب الآخر ونفس الزمان طاعة لأمراء السرايا ، هذا باطل .

وإنَّما طاعة أمراء السرايا بما أنَّهم مبعوثون من قبل النبي ﷺ فطاعتهم ملزمة لوجوب طاعة رسول الله ﷺ فهم قد دخلوا ضمن الدائرة الواسعة لظُلِّ طاعة الرسول ﷺ وضمن مداها وإشعاعاتها ، وطاعة هؤلاء ليست مطلقة بل مقيدة ومشروطة ، بالزَّمان والمقام ، والجهة ، وغيرها من القيود ، بخلاف طاعة الرسول وطاعة أولي الأمر فإنَّها مطلقة وغير مشروطة ، كما عرفت .

هل لأولي الأمر وجود في زمن الرسول ﷺ ؟

لعلَّ قائلًا يقول : الجواب أعلاه يستلزم أن لا يكون لأولي الأمر وجود في زمن رسول الله ﷺ ، وعليه فتصبح الآية عبثًا ، لأنَّها غير قابلة للتطبيق !

أقول : لا يبعد أن يكون للرسول ﷺ هذان المقامان . مقام الرسالة والتبليغ فيستوجب الإطاعة ، والمقام الآخر ، هو مقام القائد والزعيم والحاكم وولي الأمر فيستوجب الإطاعة أيضاً ، بمعنى أن هذين المقامين ، والموقعين قد تلبَّسا لرسول الله ﷺ في زمنٍ واحدٍ كي تتوحَّد الطاعة ويتوحَّد موقع القرار ومصدره .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿١﴾ .

أمّا بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله فلا نصيب لأولي الأمر من الوحي ، وإنّما الحكم الذي يستنبطونه من خلال الكتاب والسنة المطهّرة ، والرأي الذي يستصوبونه ، هذا يستوجب الطاعة ، والطاعة كما أشارت الآية مطلقة غير مشروطة .

أمّا الرواية التي أوردتها : فهي على فرض صحتها أقرب للتفسير من تبيان النّزول ، وقد أشار السيوطي إلى هذا المعنى ؛ مانصّه : « كثيراً ما يذكر المفسّرون لنزول الآية أسباباً متعدّدة ، وطريق الاعتماد في ذلك أن ينظر إلى العبارة الواقعة : فإنّ عبّر أحدهم بقوله : نزلت في كذا والآخر : نزلت في كذا ، وذكر أمراً آخر ، أنّ هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النّزول »^(٢) ، انتهى موضع الحاجة .

أضف لكلّ ما تقدّم أنّ أمراء السرايا وقادة الجيش لا تتوفّر فيهم الصفات القرآنية لأولي الأمر التي أبرزناها ، وسقنا لها الأدلّة في المقام .

أمّا القول الثالث : وهو أنّ المراد بهم العلماء الذين يفتون في الأحكام الشرعية ويعلمون الناس دينهم فهذا يرد عليه : إنّه لا يناسب إطلاق الآية ؛ لأنّ العلماء إطاعتهم مشروطة بما لا تكون على خلاف الكتاب والسنة ، فما داموا غير معصومين ، والخطأ منهم محتمل لا تجب طاعتهم بنحو مطلق ، والحال أنّ الآية أشارت إلى إطاعة أولي الأمر بنحو مطلق كما هي طاعة الله ورسوله .

أضف إلى ذلك أنّ لزوم طاعة العلماء ليس لذات العلماء ، وإنّما لزوم آتباع الأحكام التي استنبطوها من الكتاب والسنة ، وعليه فهي ترجع إلى طاعة الله ورسوله ، نعم يمكن القول بأنّ طاعة العلماء متفرّعة عن طاعة أولي الأمر ضمن دائرة ولاية الفقيه . وهذا بخلاف طاعة أولي الأمر - وقد تقدّم بيانها - فإنّ العقل يحكم

(١) الأحزاب : ٣٦ .

(٢) الإتيقان في علوم القرآن : ١٠١/١ .

بوجوب الطاعة للمولى بما هو مولى ، والآية مرشدة إلى حكم العقل . وعليه فالقول الثالث باطل أيضاً .

يبقى القول الرابع وهو: أن المراد بأولي الأمر هم الأئمة المعصومون ، فهل ينطبق هذا العنوان ﴿أولي الأمر﴾ على أئمة المسلمين ، أئمة أهل البيت عليهم السلام ؟
الجواب: نعم ، ينطبق عليهم لغة واصطلاحاً وتنزيلاً وواقعاً . وهذا ما سنتناوله فيما يلي :

أولوا الأمر في المصطلح اللغوي والقرآني

قال ابن منظور: أولوا الأمر: الرؤساء وأهل العلم .

وقال الفيومي : الإمرة والإمارة الولاية بكسر الهمزة يقال أمر على القوم يأمر من باب قتل فهو أمير والجمع الأمراء^(١) . فعليه إن «الإمرة» استعمل في لغة العرب وعرف المسلمين والنصوص الإسلامية بمعنى الولاية على الناس والحكم ، أما : ﴿أولي الأمر﴾ فيصح اعتباره مصطلحاً إسلامياً لمجيئه في القرآن الكريم بمعنى الولاية على الناس في قوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ . والمقصود من ﴿أولي الأمر﴾ في الآية الشريفة : هم أئمة المسلمين ، الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت عليهم السلام ، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الإمام المهدي (عج) .

ماهي الأدلة على ذلك ؟ إن الأدلة على ذلك كثيرة جداً . ولكي لانتعب القارئ الكريم نحاول تبويبها بإيجاز كما يلي :

القسم الأول من الأدلة:

إن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد جسّدوا الصفات القرآنية لـ ﴿أولي الأمر﴾ :

لقد استنبطنا خمس صفات قرآنية لـ ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ من خلال التدبر في أنوار الآية الشريفة ، وبالأدلة المتقدمة . نستعرضها بالترتيب مع تبيان مدى تطابقها وانطباقها على أئمة أهل البيت عليهم السلام مشفوعة بالأدلة العلمية .

الصفة الأولى : العصمة المطلقة ، لقد أثبتت الآيات القرآنية والروايات الشريفة عصمة أهل البيت عليهم السلام . وقد ذكرنا في بحث آية التطهير : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١) كون المراد منها التنزيه المطلق لأهل البيت عليهم السلام ؛ من الوقوع في المعاصي والصفات المشينة من النقائص كالخطأ وغيره . وقد بحثناه بحثاً مفصلاً ، فراجع .

وكذا الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في تبيان شأنهم ومنزلتهم ، إذ استفاد منها العصمة أيضاً ، كما في الحديث المتواتر والمشهور ، والموسوم بحديث الثقلين : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إِنِّي مَخْلُوفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلُ بَيْتِي مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي أَبَدًا ، وَلَقَدْ نَبَأَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضِ ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا»^(٢) .

سيأتي تفصيل دلالاته لاحقاً ، ولكن نوضح دلالاته باختصار :

فما دام الكتاب لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه ، وقد قرن النبي صلى الله عليه وآله أهل بيته بالكتاب ، هذا أولاً ، وأمر بالتمسك بهما مطلقاً ثانياً ، وأنبأ عن اللطيف الخبير عدم افتراقهما ، بمعنى بقاء صلاحهم وطهارتهم من الذنوب والأرجاس إلى يوم القيامة ثالثاً ، فهذه دلالة واضحة على العصمة المطلقة .

الصفة الثانية : أن يكونوا أمراء حق لا أمراء جور ، توفّر هذه الصفة في أهل البيت عليهم السلام لا يختلف عليها اثنان ، ولاتحتاج إلى مزيد بيان ، أمّا عليّ بن أبي طالب

(١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢) تقدّم تخريجه ، وسيأتي تفصيله لاحقاً إن شاء الله تعالى ، فلاحظ .

فهو أمير المؤمنين وإمام المتقين وخليفة المسلمين ومناقبه لا تعد ولا تحصى كثرة وقد قال النبي صلى الله عليه وآله متواتراً: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور حيثما دار»^(١)، وأما بقية الأئمة من ولده فالدلائل على أحقيّتهم متعدّدة، وقد أشار حديث الثقلين السابق إلى ذلك، والرويات على ذلك كثيرة منها حديث الأمان، وحديث السفينة وغيرها من الأحاديث وسيأتي بيانها مفصّلاً.

ومنها ما روي عن أمّ سلمة، قالت: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض»^(٢).

الصفة الثالثة: أن يكون أولى بالمؤمنين من أنفسهم، لقد أوضح النبي صلى الله عليه وآله ذلك بشكل مكثّف وفي مناسبات متعددة. منها حديث الغدير، حيث وردت فيه النصوص التالية:

قال النبي صلى الله عليه وآله: «أست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى.

قال صلى الله عليه وآله: أست أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى.

قال: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيّْ مَوْلَاهُ.»

وفي روايات أخرى قال: «هذا وليّ من أنا وليّه اللّهمّ والٍ منّ وآلاه وعَادٍ منّ عآداه، وأنصر منّ نصره وآخذل منّ خذله»^(٣).

(١) ينابيع المودّة، للقندوزي الحنفي: ٢٧٠/١، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤٤٩/٤٢،

وأضاف: «لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة».

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٨٣/٩، وعزاه إلى الطبراني في الصغير والأوسط،

ورواه الحاكم في المستدرک: ١٢٤/٣ وصحّحه، ووافقه الذهبي.

(٣) المناقب، للخوارزمي: ١٥٥، الحديث ١٨٣. تاريخ ابن عساكر: ١٨٩/٤٢ - ١٩٩. تاريخ

ابن كثير: ١٩٩/٥. مصنّف ابن أبي شيبة - باب فضائل عليّ: ١٣٨/١١ - ١٤٤. مسند

أحمد، وقد تقدّم.

ومنها :

حديث الولاية :

أخرج النسائي في خصائص أمير المؤمنين ، قال : أخبرنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثني جعفر - يعني ابن سليمان - عن يزيد [الرشك] ، عن مطرف بن عبد الله ، عن عمران بن حصين ، قال : « بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب فمضى في السرية . فأصاب جارية ^(١) . فأنكروا عليه ، وتعاقدوا أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا لقينا رسول الله أخبرناه بما صنع . وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدأوا برسول الله صلى الله عليه وآله فسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم ، فلما قدمت السرية سلموا على النبي صلى الله عليه وآله فقام أحد الأربعة فقال : يا رسول الله ، ألم تر إلى علي بن أبي طالب صنع كذا ؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم قام - يعني الثاني - فقال مثل ذلك ، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته ، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا ، فأقبل إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله والغضب في وجهه فقال : « ماتريدون من علي ؟ إن علياً مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي » ^(٢) .

(١) في رواية أحمد : « فأحدث شيئاً في سفره » .

(٢) خصائص أمير المؤمنين ، للنسائي : ١٤٣ ، الحديث ٨٩ ، وهو صحيح ، ورجاله رجال الشيخين ، إلا جعفر بن سليمان فهو من رجال مسلم وحده ، وكلهم ثقات . وأخرجه أحمد في مسنده : ٤٣٧/٤ ، وفي الفضائل (١٠٣٥) . والترمذي في الجامع الصحيح : ٧٨/٦ ، الحديث ٣٧١٢ ، وقال : « حسن غريب » . وابن أبي شيبة في المصنّف : ١٥١/١١ ، الحديث ٣٢٦٥٧ . والحاكم في المستدرک : ١١٩/٣ ، الحديث ٤٥٧٩ ، وصحّحه على شرط مسلم . وأقرّه الذهبي . وأخرجه أيضاً أبو نعيم الاصفهاني في حلية الأولياء : ٢٩٤/٦ . والخوارزمي في المناقب : ١٥٣ ، الحديث ١٨٠ . وابن المغازلي الشافعي في مناقب علي : ١٥٣ ، الحديث ٢٧٦ . والشجري في الأمالي : ١٣٤/١ . وأبو داود الطيالسي في مسنده : ٨٢٩/١١١ . وابن حبان في صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : ٣٧٣/١٥ ، الحديث ٦٩٢٩ ، وأخرج النسائي مثله بإسناده عن بريدة تحت رقم ٩٠ ، وفي السنن الكبرى ⇐

ومنها:

حديث المنزلة

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف في باب فضائل علي عليه السلام: بإسناده عن سعد بن أبي وقاص، قال: «خلف رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال علي: يا رسول الله، تخلفني في النساء والصبيان، فقال صلى الله عليه وآله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (١).

والأهم منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكِعُونَ﴾ (٢).

وقد تقدّم البيان مفصلاً في دلالتها على ولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام فراجع.

الصفة الرابعة: أن يكون الأعلم بالكتاب والسنة، والأدلة على كون أئمة أهل البيت عليهم السلام أعلم علماء الأمة كثيرة، ولاخلاف فيها، ونود أن نشير إليها بإشارة مقتضبة.

أخرج ابن المغازلي الشافعي في المناقب: بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: «أخذ النبي صلى الله عليه وآله بعضد علي فقال: هذا أمير البرّة، وقاتل الكفرة،

⇒ أيضاً: ٨١٤٦/٤٥/٥. وابن عساكر في تاريخ دمشق: ١٨٩/٤٢ - ١٩٩، وأبو يعلى (٣٥٥). وقد تقدّم وسيأتي مزيد بيان في دلالة.

(١) مصنف ابن أبي شيبة - باب فضائل علي بن أبي طالب: ١٣٨/١١، الحديث ٣٢٦١١ - ٣٢٦١٤. تاريخ دمشق: ٤٢/١٥٢ - ١٨٥. الخوازمي في المناقب: ١٣٣.

يقول الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ١٩٥/١: «إن حديث المنزلة هذا، الذي كان شيخنا أبو حازم الحافظ يقول: خرّجته بخمسة آلاف أسناد». والحافظ هو: عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوي المتوفى سنة ٥١٧هـ، ذكر ترجمة حياته مختصرة في هامش شواهد التنزيل: ١٩٥/١.

(٢) المائدة: ٥٥.

منصورٌ من نصره ، مَخْذُولٌ مَن خَذَلَهُ ، ثمَّ مَدَّ بِهَا صَوْتَهُ فَقَالَ : أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بِأَبِهَا فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ» (١) .

وعن ابن عباس : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب » .

أخرج الخوارزمي بإسناده عن سلمان ، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب » (٢) .

وأورد سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : روى أحمد بن حنبل في الفضائل بإسناده عن سلمة بن كهيل ، عن الصنابجي ، عن علي عليه السلام : « قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا مدينة العلم ، وعليٌّ بابها » .

وقوله صلى الله عليه وآله : « أنا مدينة الفقه ، وعليٌّ بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب » .

وقوله صلى الله عليه وآله : « أنا دار الحكمة ، وعليٌّ بابها ، فمن أراد الحكمة فليأت الباب » (٣) .

وأما بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام ، فقد أشار النبي صلى الله عليه وآله في ذيل حديث الثقلين ، كما في الرواية الصحيحة التي ذكرها ابن حجر في الصواعق : « سألت ربي ذلك لهما ، فلا تتقدّموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم » . قال ابن حجر : ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً لاجابة بنا إلى بسطها» (٤) .

(١) ابن المغازلي الشافعي في مناقب علي بن أبي طالب : ٧١ ، الحديث ١٢٠ - ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) المناقب ، للخوارزمي : ٨٢ ، الحديث ٦٧ . الجويني في فرائد السمطين : ٩٧/١ . الكنجي الشافعي في كفاية الطالب : ٣٣٢ .

(٣) تذكرة الخواص ، لسبط ابن الجوزي : ٥١ - ٥٢ . وأخرجه الدارقطني بإسناده عن سويد بن غلفة ، عن الصنابجي ، وابن عساكر في تاريخ دمشق : ٤٢ / ٣٧٨ - ٣٨٦ .

(٤) الصواعق المحرقة ، لابن حجر : ٦٥٣/٢ و ٦٥٤ ، وسيأتي الكلام عن علمهم بشكل مفصل .

والأهم من ذلك كله قوله تعالى : ﴿ فَسئَلُوا أَهْلَ الذُّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقد تقدّم بيان الاستدلال بها في كون المراد منهم أئمة أهل البيت عليهم السلام ، فراجع .

الصّفة الخامسة: لكلّ زمان مصداق واحد من ﴿أولى الأمر﴾ يتلبّس

بوجوب الطاعة: والأدلة على اتّصاف أئمة أهل البيت عليهم السلام بهذه الصّفة متعددة،

منها:

روايات: « خلفاء أمّتي اثنا عشر كلّهم من قريش » .

وروايات: « لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة » .

وقوله صلى الله عليه وآله: « لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة

كلّهم من قريش » (٢) . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، الروايات التي دلّت على

ترتيب إمامة الأئمة واحداً بعد واحد ، كما سيأتي بيانه قريباً ، فيما أورده القندوزي

(١) النحل: ٤٣ .

(٢) هذا الحديث ورد في صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن الترمذي ، وبطرق متكررة .

وروى ابن الأثير في جامع الأصول: عن جابر بن سمرة ، قال: « سمعت النبي صلى الله عليه وآله

يقول: يكون بعدي اثنا عشر أميراً ، فقال: كلمة لم أسمعها ، فقال أبي: إنّه قال: كلّهم من

قريش » .

وفي صحيح مسلم: عن عامر بن سعد ، قال: « كتبت إلى ابن سمرة: أخبرني بشيء

سمعته من النبي صلى الله عليه وآله . فكتب إليّ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الجمعة وعشية رجم

الأسلمي يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلّهم

من قريش » . وقد تقدّم بيانه في الفصل الأوّل ، فلاحظ .

ويذكر القندوزي في ينابيع المودّة ما نصّه: « وفي المودّة العاشرة من كتاب مودّة

القريبى ، للسيّد عليّ الهمداني (قدّس الله سرّه ، وأفاض علينا بركاته وفتوحه) ، عن

عبدالمك بن عمير ، عن جابر بن سمرة ، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: بعدي

اثنا عشر خليفة ، ثمّ أخفى صوته فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال: كلّهم من

بني هاشم » . ينابيع المودّة: ٣١٥/٢ ، الحديث ٩٠٥ - ٩٠٩ .

الحنفي في رواية عيسى بن السري وما رواه الحاكم الحسكاني ، فانتبه .

القسم الثاني من الأدلة : في تبيان شأن النزول للآية الشريفة

لقد ذهب جمع من أكابر علماء السنّة إلى أن المراد بـ ﴿أُولَى الْأَمْرِ﴾ هم أئمة المسلمين ، أئمة أهل البيت عليهم السلام كما تشير الروايات التي وردت عن طرقهم وإليك بعضاً منها :

١- أخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل : بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي ، عن عليّ عليه السلام ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : شركائي الذين قرنهم الله بنفسه وبي وأنزل فيهم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ الآية ، فإن خفتم تنازعاً في أمرٍ فارجعوه إلى الله والرسول وأولي الأمر .

قلت : يا نبي الله ، من هم ؟ قال : أنت أولهم »^(١) .

٢- أورد القندوزي في ينباع المودّة : في المناقب في تفسير مجاهد ، أنّ هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، حين خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة فقال : « يا رسول الله أتخلفني على النساء والصبيان ؟ فقال صلى الله عليه وآله : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، حين قال موسى : اخلفني في قومي وأصلح »^(٢) .

وقال أيضاً في المناقب : عن الحسن بن صالح ، عن جعفر الصادق عليه السلام في هذه الآية قال : « أولو الأمر هم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام »^(٣) .

وأورد القندوزي الحنفي أيضاً في ينباع المودّة ، مافي المناقب بسنده عن

(١) شواهد التنزيل : ١٨٩/١ ، الحديث ٢٠٢ ، وقد أخرج نظيره في الشواهد : الحديث ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢) ينباع المودّة ، للقندوزي الحنفي : ٣٤١/١ ، الحديث ١ .

(٣) المصدر السابق : الحديث ٢ .

عيسى بن السري ، قال : « قلت لجعفر الصادق عليه السلام : حدثني عما ثبت عليه دعائم الإسلام ، إذا أخذت بها زكا عملي ، ولم يضرني جهل ما جهلت .

قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وحق في الأموال من الزكاة ، والإقرار بالولاية التي أمر الله بها ، ولاية آل محمد عليهم السلام .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ، قال الله عز وجل : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ، فكان عليّ صلوات الله عليه ، ثم صار من بعده حسن ، ثم حسين ، ثم من بعده عليّ بن الحسين ، ثم من بعده محمد بن علي ، وهكذا يكون الأمر . إن الأرض لا تصلح إلا بإمام ، ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ، وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه ههنا . وأهوى بيده إلى صدره يقول : حينئذ لقد كان علي أمر حسن ^(١) .

٣ - أخرج الجويني في فرائد السمطين : بإسناد متصل عن سليم بن قيس الهلالي ، قال : « رأيت علياً عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في خلافة عثمان رضي الله عنه وجماعة يتحدثون ويتذاكرون العلم والفقہ ... الخ . الحديث ، هذه الرواية طويلة جداً ، وهي في مناشدة أمير المؤمنين لجمع من المهاجرين والأنصار ، نشير إلى موضع الشاهد فقط :

« قال عليّ : فأنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ وحيث نزلت : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكْعُونَ ﴾ وحيث نزلت : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ ﴾ ؟ ^(٢) .

(١) ينابيع المودة : ٣٥٠/١ ، الحديث ٥ .

(٢) التوبة : ١٦ .

قال الناس : يا رسول الله خاصة في بعض المؤمنين أم عامة لجميعهم ؟
فأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وآله قال أن يعلمهم ولأهله أمرهم وأن يفسر لهم من الولاية ما فسّر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجّهم .

فينصّبني للناس بغدير خم ... إلى أن قال الراوي :

فقام أبو بكر وعمر فقالا : يا رسول الله ، هؤلاء الآيات خاصة في عليّ ؟ قال : بلى فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة .

قالا : يا رسول الله ، بينهم لنا .

قال صلى الله عليه وآله : عليّ أخي ، ووزيري ، ووارثي ، ووصيّي ، وخليفتي في أمّتي ، ووليّ كل مؤمن بعدي ، ثمّ ابني الحسن ، ثمّ الحسين ، ثمّ تسعة من ولد ابني الحسين ، واحد بعد واحد ، القرآن معهم وهم مع القرآن ، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ الحوض .

فقالوا كلّهم : اللهم نعم قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت سواء .

وقال بعضهم : قد حفظنا جلّ ما قلت ولم نحفظه كلّهُ ، وهؤلاء الذين حفظوا أختيارنا وأفاضلنا .

ثمّ ذكر الراوي مناشدة أخرى لعليّ عليه السلام في نفس هذه الرواية ، ترتبط بما نحن فيه : فقال عليّ : أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام خطيباً لم يخطب بعد ذلك ، فقال : يا أيها الناس ، إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فتمسّكوا بهما لن تضلّوا ، فإنّ اللطيف [الخبير] أخبرني وعهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .

فقام عمر بن الخطاب شبه المغضب فقال : يا رسول الله ، أكلّ أهل بيتك ؟ (أي بمعنى هل جميع أقربائك وأهل بيتك ؟)

قال صلى الله عليه وآله : لا ، ولكن أوصيائي منهم ، أولهم أخي ، ووزيري ، ووارثي ، وخليفتي

في أمّتي ، ووليّ كلّ مؤمن بعدي ، هو أولهم ، ثمّ ابني الحسن ، ثمّ ابني الحسين ، ثمّ تسعة من ولد الحسين ، واحد بعد واحد ، حتّى يردوا عليّ الحوض . [هم] (١) شهداء الله في أرضه ، وحبّته على خلقه ، وخزان علمه ، ومعادن حكمته ، من أطاعهم أطاع الله ، ومن عصاهم عصى الله .

فقالوا كلّهم : نشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك ... الحديث (٢) .

٤ - روى ابن مردويه ، عن النعمان بن بشير ، أنّ عليّاً تلاها - يعني :- ﴿أولى الأمر منكم﴾ وقال : «أنا منهم» (٣) .

وروى أيضاً ، عن عبد الغفار بن القاسم ، قال : «سألت جعفر بن محمّد عن أولى الأمر في قوله تعالى : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولى الأمر منكم﴾ . فقال في قوله تعالى : «كان والله عليّ منهم» .

٥ - أخرج الحاكم في شواهد التنزيل : أبو النضر العياشي ، قال : حدّثنا حمدان بن أحمد القلانسي ، قال : حدّثنا محمّد بن خالد الطيالسي ، عن سيف بن عميرة ، عن إسحاق بن عمّار ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر ، أنّه سأله عن قول الله تعالى : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولى الأمر منكم﴾ قال : «نزلت في عليّ بن أبي طالب . إنّ الناس يقولون : فما منعه أن يسمّي عليّاً وأهل بيته في كتابه ؟

فقال أبو جعفر : قولوا لهم : إنّ الله أنزل على رسوله الصّلاة ولم يسمّ ثلاثاً ولا أربعاً حتّى كان رسول الله هو الذي فسّر ذلك ، وأنزل الحجّ فلم يُنزل : طوفوا سبعا حتّى فسّر ذلك لهم رسول الله ، وأنزل : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولى الأمر منكم﴾ ، فنزلت في عليّ والحسن والحسين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أوصيكم بكتاب الله وأهل

(١) قال في الهامش : «أضيفت للتوضيح» .

(٢) فرائد السمطين ، للجويني : ٣١٢/١ - ٣١٨ ، الباب الثامن والخمسون ، الحديث ٢٥٠ .

(٣) ما نزل من القرآن في عليّ ، لابن مردويه : ٢٣٠ ، الحديث ٣٢٧ و ٣٢٨ .

بيتي إني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك»^(١).

٦ - المفسّر الكبير أبو حيان الأندلسي : ذكر شأن نزول الآية الشريفة ، وقال :

«المراد بـ ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام قاله الشيعة ، أو عليّ وحده قالوه أيضاً»^(٢).

واعتبره أبو حيان أحد الأقوال في المسألة .

٧ - العلامة النيسابوري في تفسيره قال : «المراد بهم الأئمة المعصومون»^(٣)

واعتبره أحد الأقوال في المسألة أيضاً .

هذا ماورد من طرق أهل السنة مختصراً . وأما ماورد من طرق الشيعة فكثير جداً

نقتصر فيه ، على ما ورد عن تفسير فرات الكوفي : روى فرات الكوفي (المتوفى سنة

٣١٠ هـ) : حدّثني أحمد بن القاسم معنعناً ، عن أبي مريم ، قال : «سألت جعفر بن

محمد عليه السلام عن قول الله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ،

كانت طاعة عليّ مفترضة ؟

قال عليه السلام : كانت طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة مفترضة لقول الله

تعالى : ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ، وكانت طاعة عليّ بن أبي طالب طاعة

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»^(٤).

(١) شواهد التنزيل ، للحاكم الحسكاني : ١٩١/١ .

(٢) تفسير البحر المحيط : ٦٨٦/٣ .

(٣) تفسير غرائب القرآن : ٤٣٤/٢ .

(٤) تفسير فرات الكوفي : ١٠٨ ، الحديث ١٠٧ ، وقد روى بطرق متعدّدة أحاديث تحت

الأرقام : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ .

وفي تفسير العياشي ، والتبيان ، ومجمع البيان ، وتفسير الصافي ، والمحاسن ،

ودعائم الإسلام ، وعلل الشرائع ، والخصال ، والأمالى للشيخ الصدوق ، وغيرها من

المصادر ، مثله .

الأمر الرابع : في بيان الاعتراضات :

لقد أورد على كون المراد بأولي الأمر أئمة أهل البيت عليهم السلام جملة من الاعتراضات ذكرنا قسماً منها في طيات البحث وأجبنا عنها ، فلا حاجة لإعادة ذكرها ، أمّا ما بقي من الاعتراضات فنذكرها فيما يلي :

الاعتراض الأول : عدم الرجوع إلى أولي الأمر عند التنازع

إذا كان المقصود من ﴿أُولَى الْأَمْرِ﴾ هم الأئمة فلماذا أشار الله تعالى في ذيل الآية إلى مسألة التنازع والاختلاف بين المسلمين بالرجوع إلى الله ورسوله ولم يرشدنا بالرجوع إلى أولي الأمر؟ إذ قال ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ، فإننا لانشاهد هنا أيّ حديث عن «أولي الأمر» بل أشير إلى الله تعالى (كتاب الله - القرآن) والنبي صلى الله عليه وآله (السنة) كمرجع يجب أن يرجع إليه المسلمون عند الاختلاف والتنازع^(١).

الجواب :

أولاً : إنّ هذا الاعتراض لو كان يرد على تفسير الشيعة ، لكان الأولى أن يرد على الآراء الأخرى ، لماذا؟

لأنّ تلك الآراء - بقية التفاسير - لم تعضد بالأدلة الكافية ، وقد بيّنا بطلانها . أمّا هذا التفسير - تفسير الشيعة - فقد دلّت عليه الأدلة الساطعة والتمتينة .

ثانياً : لو تأملنا في الآية الشريفة جيداً ، لوجدنا أنّها قد أشارت إلى مورد التنازع (شيء) وليس التنازع بين المؤمنين وأولي الأمر ، كلا ، ضرورة أنّهم أمروا بطاعتهم ، وإنّما التنازع فيما يستدعي إرجاع المتنازع إلى مصادر التشريع وهما كتاب الله وسنة رسوله ؛ إذ ليس المقصود ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ هو الرد إلى ذات الجلالة

(١) انظر تفسير الأمل : ٢٦١/٣ ، ولكن لم يشر إلى صاحب الاعتراض .

وإنّما المقصود كتاب الله ، وبهذا الاقتران نفهم المقصود بـ (رسوله) هو السنّة المطهّرة ، وحينئذ يتبادر إلى الذهن السؤال التالي : من الذي يقوم بعملية إرجاع المورد المتنازع إلى الكتاب والسنة ؟

لاشكّ أنّ الذي يكون عالماً وعارفاً بأحكام الكتاب ، مُحَكِّمِهِ عن متشابهه ، وناسخه عن منسوخه ، وشأن نزوله ، وغيرها من الموارد وعارفاً بمراد السنّة المطهّرة ، هو أولى من غيره في عملية الاستنباط ، وهؤلاء هم أولو الأمر ، وهم أئمّة أهل البيت عليهم السلام .

ثالثاً : من خلال ما تقدّم نفهم أنّ المراد بـ (مورد التنازع) ليس هو القضايا الجزئية المتعلقة بآيات الحكم وأساليبه ، وإنّما المسائل الكبرى والكلية من الأحكام والقوانين الإسلاميّة ، وهذا ما استدعي إرجاعه إلى الله ورسوله أي : إلى الكتاب والسنّة المطهّرة ، فهما مصدرا التشريع ، وقد ورد في الحديث « حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة ، وحرام محمّد حرام إلى يوم القيامة » .

وعليه فبيان الأئمة المعصومين لتلك المسائل ، إنّما يتم من خلال القرآن الكريم وسنّة النبي صلى الله عليه وآله وما وصلهم من العلوم الخاصّة من طريق النبي صلى الله عليه وآله وهو كثير جداً ، والروايات التالية تشير إلى ذلك : أخرج ابن المغازلي بسنده عن أبي الصباح ، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لمّا صرت بين يدي ربي كَلَّمَنِي وناجاني ، فما علمت شيئاً إلاّ علّمته عليّاً ، فهو باب علمي »^(١) .

أخرج ابن المغازلي الشافعي أيضاً ، بسنده عن محمّد بن عبد الله بسند متصل ، عن عليّ بن أبي طالب ، قال : « علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم ، فانفتح في

(١) انظر ينابيع المودّة ، للقندوزي : ٢١٤/١ ، الحديث ٢١ ، ورواه الخوارزمي في المناقب : ٨٠ وما بعدها ، الفصل السابع : في بيان غزارة علمه وأنه أفضى الأصحاب .

كل واحد منها ألف باب»^(١).

وأخرج ابن عساكر بإسناده عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : « كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فسئل عن عليّ فقال : قُسمت الحكمة عشرة أجزاء ، فأعطي عليّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً»^(٢).

ولعلّ قائلاً يقول : لماذا في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾^(٣) ، أرجع الله تعالى الأمة إلى أولي الأمر ، ولم يرجعها هنا إليهما ؟

الجواب : ليس المقصود به - في هذه الآية - المسائل الكبرى الأساسية للأحكام وإنما المقصود به القضايا الجزئية ، وطريقة تطبيق تلك الأحكام وما ذكرته الآية في مطلعها واضح ؛ إذ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ ﴾^(٤). وهذا ما يتعلق ببعض أساليب العمل والنواقص التي قد تعثر بها ، لا المسائل والأحكام الكلية ، ويؤيده ما بيناه سابقاً .

الاعتراض الثاني : لم يصرّح القرآن بأسمائهم

إنّ ذلك يحتاج إلى تصريح من الله ورسوله بكونهم أئمة أهل البيت عليهم السلام . ولو حدث ذلك لما اختلف في أمرهم اثنان بعد الرسول^(٥).

(١) انظر ينابيع المودة : ٢١٥/١ - ٢٣٢ .

وعن الأصبغ بن نباتة ، قال : « سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّمني ألف باب ، وكل باب منها يفتح ألف باب ، فذلك ألف ألف باب ، حتّى علمت ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، وعلمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب » .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر : ٣٨٤/٤٢ .

(٣) و(٤) النساء : ٨٣ .

(٥) أشار إلى الاعتراض المذكور العلامة في تفسير الميزان : ٣٩٩/٤ ، ولم ينسبه إلى قائله .

الجواب :

أولاً: إنَّ القرآن الكريم لم يشر إلى تفصيلات الأحكام في كثير من المواطن ، وإنما اقتصر على بيان كلياتها ، والنبي صلى الله عليه وآله هو الذي تصدَّى لبيانها ، فعلى سبيل المثال ، لم يذكر القرآن عدد ركعات الصلاة ، ولا عدد الطَّواف ، ولا مقدار الخمس ، ولا مقدار الزَّكاة ، فهنا كذلك ، فقد بيّن أصل الحكم وهو وجوب إطاعة أولي الأمر .

ثانياً: قد مرَّ عليك التصريح بأسمائهم في النُّصوص المفسَّرة للكتاب ، وقد ذكرناها مفصَّلاً ، في آية الولاية ، وآية الذكر ، وآية التطهير ، وآية المودَّة ، وآية المباهلة ، وآية التبليغ ، إضافة إلى النصوص الخاصة التي وردت في بيان حقِّهم ومنزلتهم ، من حديث السَّفينه ، وحديث الثَّقَلَيْن ، وقصَّة الغدير ، وغيرها من النُّصوص ، وسيأتي مزيد تفصيل في بيان الاستدلال بهذه الروايات .

الاعتراض الثالث : عدم معرفتهم

لقد أورد الفخر الرازي الاعتراض المذكور ، فجاء في تفسيره ما نصُّه : « إنَّ طاعتهم مشروطة بمعرفتهم وقدرة الوصول إليهم ، فلو أوجب علينا طاعتهم قبل معرفتهم كان هذا تكليف ما لا يطاق ، ولو أوجب علينا طاعتهم إذا صرنا عارفين بهم وبمذاهبهم صار هذا الإيجاب مشروطاً ، وظاهر قوله (أطيعوا) يقتضي الإطلاق»^(١).

الجواب: هذا الاعتراض في حقيقته ليس إشكالاً . وإنَّما إبراز لشرط من شروط تحقُّق التكليف ، فالطاعة مشروطة بالمعرفة مطلقاً ، فلكي تتنفَّذ عملية إطاعة وليِّ الأمر ، لا بدَّ من معرفته وتشخيصه ، ولا فرق في ذلك سواء كان إماماً معصوماً - كما هو رأي الشيعة - أو كان من أهل الحل والعقد ، أو قائد الجيش ، أو أمير سرية أو غيرهم - على رأي السنة - ، غاية ما في الأمر ، هو أنَّ الإمام المعصوم لا بدَّ من نصِّ سماوي

ينص عليه ، وقد قام النبي صلى الله عليه وآله بتبليغ ذلك إلى الأمة حيث نزلت آية التبليغ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ؛ فأمر بتنصيب عليّ خليفة وإماماً وولياً من بعده ، وهكذا تناقلوا الصحابة الخبر ، حتى بلغ حدّ التواتر بأعلى درجاته ، وأما بقية الأئمة ، فالسابق ينص على اللاحق وهكذا ، علماً أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أخبر في مجالات متعددة بأنّ خلفاء أمته اثنا عشر وكلهم من قريش - كما مر وسيأتي - وفي رواية ، كلهم من بني هاشم .

وهذا نظير معرفتنا للنبي صلى الله عليه وآله حيث تجب إطاعته ، من خلال ما يبرزه من الأدلة والمعاجز التي بها تثبت نبوّته .

إذن المعرفة شرط ، ولكنها ليست من قبيل سائر الشروط كالاستطاعة بالنسبة لوجوب الحج كلاً ، وإنما هي ترجع إلى تحقق بلوغ التكليف ، فلا تكليف من غير معرفة به وبموضوعه ومتعلّقه . وهذا ما يجب على المكلف أن يحصله بنفسه ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةَ جَاهِلِيَّةٍ »^(١) .

وبعبارة أخرى : إنّ وجوب إطاعة « وليّ الأمر » مطلق وغير مقيد بقيد ، ومنجز وغير معلق على شرط ، ولكن مصداق (وليّ الأمر) لابدّ من معرفته ، وهذا ما يستقلّ العقل بوجوبه ، فالعقل يحكم بوجوب معرفته لتحقيق بلوغ التكليف وتنجزه ، فهو نظير شرائط الموضوع والمتعلّق بالنسبة للحكم الفعلي ، كاشتراط الطهارة بالنسبة للصلاة ، مما يجب على المكلف تحصيلها .

وبعبارة أصولية كما أفادها المحقّق الأصولي صاحب الكفاية : « أمّا المعرفة ، فلا يبعد القول بوجوبها ، حتّى في الواجب المشروط قبل حصول شرطه ، لكنّه لا بالملازمة ، بل من باب استقلال العقل بتنجز الأحكام على الأنام بمجرد قيام

(١) ينابيع المودة ، للقندوزي الحنفي : ٣٧٢/١ ، باب ٩١ ، الحديث ٢ .

احتمالها ، إلا مع الفحص واليأس عن الظفر بالدليل على التكليف ، فيستقل بعده بالبراءة»^(١). ولقد أُقيمت الأدلة والبراهين المختلفة على تشخيصهم وتعريفهم للأمة من خلال الروايات الكثيرة التي وردت عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، فلا مجال للبراءة عندئذٍ .

وهكذا اتضح بطلان جميع الاعتراضات المتقدمة ، وبطلان الوجوه السابقة ، فيبقى هذا الوجه وهو كون المراد بـ ﴿أُولَى الْأَمْرِ﴾ أئمة أهل البيت عليهم السلام من دون معارض ، مع قيام الأدلة التامة والكافية المثبتة له .

إذن الآية الشريفة تفيد وجوب إطاعة أولي الأمر المتمثلة بالأئمة المعصومين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على حدّ وجوب إطاعة الله تعالى ووجوب إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله ، ولا حجة لمن ادّعى خلاف ذلك .

والروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله خير شاهد وخير دليل على ذلك ، فمنها : ما أخرجه الحاكم النيشابوري في المستدرک بإسناده عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني»^(٢) .

عصمنا الله وإياكم من الزلل والعصيان

(١) كفاية الأصول : ٩٩ .

(٢) المستدرک على الصحيحين : ١٣٩/٣ الحديث ٤٦٤١ ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

الآية الثانية عشرة آية الأمر باتّباع الصادقين

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١)

البرهان

في هذا النداء السماوي للمؤمنين ، الذين عاشوا الإيمان عقيدة وفكراً وشعوراً ، دعوة مفتوحة للارتقاء إلى سلّم الطاعة لله تعالى لتحقيق التقوى في الفعل ، وفي السلوك ، والمواقف ، وفي كلّ العلائق والارتباطات كي يتحصّن المؤمن بها فيزداد إيماناً وصلابة في ذات الله ، إذ التقوى دار حصن عزيز . فالدعوة من الله تعالى عبر هذا النداء المحبّب للنفوس ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ والمعرب عن وجود تكليف لا يتحمّله إلاّ مَنْ صدق عليه العنوان في الواقع ، واجتاز عقبات الهوى ، فاستعدّ لتقبّل التكليف باتّباع الصادقين ، وهو مرتبة أرقى في سلّم المعتقدات الربانية والمواقف السلوكية . ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ الذين يعيشون الصدق في جميع مجالاته ، الصّدق مع الله ، ومع النفس ، ومع المجتمع ، الذين عاهدوا الله تعالى فصدقوا في عهدهم معه إلى آخر لحظة في حياتهم ، فلم تصدر منهم ما يشوب هذه العلاقة الشّفاقة معه تعالى شائبة ، فبقيت نفوسهم صافية ترتوي من النبع الصافي لنور الإيمان ، رغم كدورة الزمان واحتدام الصراع .

إذن في الآية معنى لطيف ودقيق للكون مع الصادقين ، لبالكينونة الجغرافية والمكانية ، كلاً ، وإنّما تريد الآية إبراز معنى أعمق بكثير ، وحينئذٍ لا بدّ أن نتساءل :

من هم الصادقون ؟ وكيف نكون معهم ؟ وهل حدّدت الروايات مصداقهم ؟
هذا ماستناوله في البحث ضمن الجهات التالية :

الجهة الأولى: في بيان وحي التفسير

الآية الشريفة تخاطب المؤمنين مطلقاً ، وتأمّر بالتقوى عن معاصي الله تعالى والارتقاء في سلّم الإيمان إلى درجة التقوى ، وقد وصف القرآن الكريم المتّقين بالصفات التالية : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾^(١) .

فالتقوى حصن يتحصّن به المؤمن من الوقوع في شرك المعاصي والذنوب فتمهّد النفس لمزيد من الطاعات وصالح الأعمال ، وما ورد في نهج البلاغة عن علي عليه السلام : « التقوى دار حصن عزيز ، والفجور دار حصن ذليل » يلحّص كلّ ذلك المعنى .

ففي الآية إطلاق الأمر بالتقوى ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ مطلقاً ، وكذا إطلاق الأمر بالكون مع الصادقين ﴿ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، وهذا فيه دلالة عميقة لا بدّ من التوقّف عندها .

ما المقصود بقوله : ﴿ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ؟

إنّ الله تعالى قد أمر المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين ، متى ؟ بعد أن اجتازوا مراحل الإيمان والتقوى فاستعدت النفوس للرقى إلى هذه المرتبة ، لكن ليس المقصود به الحضور الخارجي والكينونة الجغرافية بالضرورة ، بل المراد به اتّباعهم في كل ما للكلمة من معنى ، اتّباع يستوعب الأمر المطلق بتمامه ، بمعنى أن يتّبعهم

بالمنهج والسلوك والعقيدة والفكر والعمل وذلك ما يقتضيه الإطلاق .

المعينة تعني الأتباع باتفاق المفسرين

لقد اتفقت كلمة المفسرين على أن المراد بقوله : (كونوا مع الصادقين) هو الأتباع ، وإن اختلفت كلماتهم في التعبير عنه ، ولكي تقف على حقيقة ما نقول ، استعرض جملة من كلماتهم :

١- قال أبو حيان الأندلسي ما نصّه : « و (مع) تقتضي الصّحبة في الحال والمشاركة في الوصف المقتضي للمدح »^(١) .

٢- وقال ابن قيم الجوزية ما نصّه : « بل حقيقة صدقه أتباعه لهم وكونه معهم ، ومعلوم أنّ من خالفهم في شيء - وإن وافقهم في غيره - لم يكن معهم فيما خالفهم فيه ، وحينئذٍ فيصدق عليه أنه ليس معهم ، فتنفي عنه المعينة المطلقة ، وإن ثبت له قسط من المعينة فيما وافقهم فيه ، فلا يصدق أنّه معهم بهذا القسط »^(٢) .

٣- وقال الألوسي ما نصّه : « اتّصفوا بما اتّصفوا به من الصدق وقيل خالطوهم لتكونوا مثلهم فكلُّ قرين بالمقارن يقتدي »^(٣) .

٤- وجاء في تفسير معاني القرآن الكريم : « أي على طريقة الصادقين في أقوالهم وأفعالهم أو بمرافقة الصادقين والمراد بالصدق ضد الكذب : أي الصدق في الإيمان والعمل والقول . أو كونوا مع الصادقين وعلى رأسهم الصادق المصدّق محمد عليه الصّلاة والسّلام ولا تخالفوا أمره ونهيه »^(٤) .

(١) تفسير البحر المحيط : ٥٢١/٥ .

(٢) بدائع التفسير : ٣٨٢/٢ و ٣٨٣ .

(٣) روح المعاني : م٧/١١/٨١ .

(٤) معاني القرآن - الربع الثاني : ١٨٤ .

حاصل الكلام: فالآية تأمر الذين آمنوا بالتقوى ، واتباع الصادقين من خلال الطاعة التامة لهم فيما يعتقدون وفيما يعبدون وفيما ينتهجون من منهج عقائدي وسلوكي ، وهذا أمر في غاية الخطورة والأهمية ، لماذا ؟

لأنَّ الأمر باتباع الصادقين مطلقاً ، يقتضي بحد ذاته كون المتَّبِع (أي : الصادق) على درجة العصمة المطلقة حيث لا يصدر منه الخطأ في الاعتقاد والسلوك وتبليغ الأحكام ، وذلك لقبح صدور الأمر من المولى الحكيم باتباع مَنْ يحتمل صدور مخالفة الأحكام منه خطأً أو عمداً ، إذ يلزم منه نقض للغرض بالضرورة .

لماذا يقبح ذلك ؟ لأنَّه يلزم منه اجتماع الضدين ، أمر باتباعهم مطلقاً ، ونهي عن فعل المحرّم مطلقاً - خطأً أو عمداً - فمن جهة يأمر الله تعالى باتباع الصادقين مطلقاً ، ومن جهة ينهى عن فعل المحرّم وارتكاب المعصية ، وصدور هذا قبيح من المولى الحكيم ، فلا مجال إلا من القول بعصمة الصادقين .

وإلى هذا المعنى ذهب مفسّر القرآن الكريم الفخر الرازي فقال مانصّه : « إنَّ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أمر لهم بالتقوى ، وهذا الأمر إنّما يتناول من يصحّ منه أن لا يكون مُتَّقِياً ، وإنّما يكون كذلك لو كان جائز الخطأ ، فكانت الآية دالة على أنّ من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً بمن كان واجب العصمة ، وهم الذين حكم الله تعالى بكونهم صادقين ، فهذا يدلُّ على أنّه واجب على جائز الخطأ كونه معصوم عن الخطأ حتّى يكون المعصوم عن الخطأ مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ ، وهذا المعنى قائم في جميع الأزمان ، فوجب حصوله في كل الأزمان . »

ثمّ يضيف قائلاً : « نحن نعترف بأنّه لا بدّ من معصوم في كلّ زمان »^(١) .

ولكنّه يختلف في تشخيص المعصوم فهو يرى أنّ المعصوم هو مجموع الأمة ،

والسبب في مخالفته هذه ، لأنه يدّعي عدم معرفته للمعصوم الواحد لكلّ زمان ، ولا يعلم به ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فهو يرى أنّ إجماع الأمة حجّة ، ومادام حجّة فهو معصوم^(١) .

إذن فالآية الشريفة دلّت بإطلاقها على أنّ المراد بالصادقين من اتّصفوا بالعصمة المطلقة ، وإلا لما جاز إطلاق الأمر باتّباعهم .

وفي الآية الشريفة قرينة تؤيّد ما وصلنا إليه - بأنهم معصومون - وهي : وجود الحرف (مع) بدل (من) فلم يأمر الله تعالى بالكون منهم ، وإنّما أمر بالكون معهم ، فهذا يدلّ على أنّ الصادقين هم فئة خاصّة ، أمر الله تعالى باتّباعهم ، وعليه فالمتبوع غير التابع - ولا بدّ أن يتميّز بفعله وسلوكه وأقواله كي يصبح أهلاً للتّابع - وإلا لو كان مفهوم الصادقين في الآية عامّاً وشاملاً لكلّ المؤمنين الملتزمين ، لكان اللازم أن يقول : وكونوا من الصادقين ، لامع الصادقين ، والفرق بينهما كبير ، ولكي تقف على الفرق بينهما أذكر قول صاحب اللوامح ، وهذا نصّه : « (من) أعم من (مع) لأنّ كلّ من كان من قوم فهو معهم في المعنى المأمور به ولا ينعكس ذلك »^(٢) ، بمعنى أنّ الذي يكون معهم لا يصح أن يكون منهم إلا أن يكون بدرجتهم فيتّبع حينئذ .

الهوية القرآنية للصادقين :

ولكي تتضح هوية الصادقين قرآنياً لا بدّ من استعراض صفاتهم القرآنية :

قوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي

(١) لا يخفى ما في الكلام من التهاوت والبطلان ، وقد تقدّمت الإجابة عنه في بحث آية (أولي الأمر) ، وسيأتي قريباً أيضاً .

(٢) نقلاً عن تفسير البحر المحيط : ٥٢٢/٥ .

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
وَأَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ
نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * قَالُوا بَلْ
جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (٤) .

من خلال مجموع هذه الآيات الشريفة نستوحي الصفات التالية للصادقين :

١ - الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، والملائكة والكتب السماوية والأنبياء .

٢ - الإنفاق في سبيل الله تعالى لذوي القربى واليتامى والفقراء والمساكين .

٣ - إقامة الصلاة .

٤ - إيتاء الزكاة .

٥ - الوفاء بالعهد ، مع الله ورسوله ، ومع الناس ، ومع النفس .

٦ - الاستقامة والصمود حين البأس ، وحين المواجهة الحادة ، والجهاد في

سبيل الله .

(١) البقرة: ١٧٧ .

(٢) الحجرات: ١٥ .

(٣) الأحزاب: ٢٣ .

(٤) الحجر: ٦١ - ٦٤ .

٧- الثبات على المبدأ والإيمان به بلا تردد أو مخالفة ، والاستقامة على العقيدة بدون أن تشوبها شائبة .

فهذه الصفات بمراتبها العالية مجتمعة يصعب توفرها دون المعصوم ، وإذا أضفنا إليها ما أشارت إليه الآية وهو إطلاق الأمر بوجوب اتباعهم ، نستكشف العصمة لهم من دون تردد ، هذا وقد وصف الله تعالى وحيه بهذه الصفة كما أشارت (آية الحجر) ، فهي إذن من صفات الوحي أيضاً ، كما هو واضح .

خلاصة الكلام: ليس المراد بالصدق هنا هو مجرد عدم الكذب في الحديث والقول والنقل .

والدليل عليه أمران :

الأول: إطلاق مفهوم الصدق الشامل لجميع مراتبه ومستوياته وأنحاءه .

الثاني: إطلاق الأمر باتباعهم .

إذ كثير من الناس لا يكذبون ومع ذلك لا يجوز الاقتداء بهم في كل شيء .

فعلى هذا: إن المراد بالصدق هنا هو مطلق الصدق في القول ، والفعل ، والعهد ، والإيمان ، والتقوى ، الذي يؤهل صاحبه لإمامة الناس واقتدائهم به ، ولا يصلح هذا المقام ، بل ولا يصلح إلا للمعصوم .

الجهة الثانية: من هم الصادقون؟

بعد أن عرفنا من خلال التدقيق في الآية الشريفة أن المراد بالصادقين هم المعصومون ، للأدلة المتقدمة ، فعليه لا بد من معرفة مصاديقهم ، فهل ورد في النقل ما يوضح ذلك؟

نعم ، قد وردت روايات في كتب الفريقين تفسر الآية ، وتشير إلى مصاديق الصادقين ، وتشخصهم بأسمائهم ، فمنها :

أولاً: ماورد في ينابيع المودة: « أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : « الصادقون في هذه الآية محمد عليه السلام وأهل بيته » .

أيضاً الحافظ أبو نعيم والجويني أخرجاه عن ابن عباس بلفظه .

أيضاً الحافظ أبو نعيم وصاحب المناقب أخرجا عن الباقر والرضا رضي الله عنهما قالا: « الصادقون الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

أيضاً الحافظ أبو نعيم أخرجه عن جعفر الصادق عليه السلام « (١) .

ثانياً: روى الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي ، قال : « قال محمد بن الصلت الأسدي ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد في قوله تعالى : قال : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ محمد وعلي عليهما السلام » (٢) .

ثالثاً: أخرج الحاكم الحسكاني بإسناده عن مالك بن أنس ، عن نافع ، عن عبد الله ابن عمر في [قوله تعالى]: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ، قال : « أمر الله أصحاب محمد بأجمعهم أن يخافوا الله ثم قال لهم : ﴿ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، يعني : محمداً وأهل بيته » (٣) .

رابعاً: ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ، قال : « كان زين العابدين - علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام إذا تلا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ يقول دعاءً طويلاً يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين والدرجات العلميّة ، وعلى وصف المحن ، وما انتحله المبتدعة

(١) ينابيع المودة ، للقندوزي الحنفي : ٣٥٨/١ ، الحديث ١٥ و : ٣٤٨/١ .

(٢) تهذيب الكمال : ٤٢٤/٣ .

(٣) شواهد التنزيل : ٣٤٥/١ ، الحديث ٣٥٧ ، وأخرج الحاكم بإسناد متصلة وبطرق متعدّدة ، عن ابن عباس ، وعن أبان بن تغلب ، وعن أبي جعفر ، وعن جعفر بن محمد تحت الأرقام : ٣٥٠ - ٣٥٣ ، مثل ما تقدّم .

المفارقون لأئمة الدين والشجرة النبوية ، إلى أن يقول : فإلى من يَفْزَعُ خَلْفَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَقَدْ دَرَسْتَ أَعْلَامَ هَذِهِ الْمَلَّةِ ، وَدَانَتْ الْأُمَّةُ بِالْفِرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ ، يَكْفُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَلَا تُكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ^(١) فَمَنْ الموثوق به على إبلاغ الحجة ، وتأويل الحكم إلى أهل الكتاب ، وأبناء أئمة الهدى ، ومصابيح الدجى ، الذين احتجَّ الله بهم على عباده ، ولم يدع الخلق سُدى من غير حجة ، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من قُروع الشجرة المباركة ، وبقايا الصَّفوة الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطَهَّرهم تطهيراً ، وبرأهم من الآفات ، وافترض مودَّتهم في الكتاب ؟ ^(٢) .

خامساً : أخرج شيخ الإسلام الجويني في فرائد السمطين في باب تحت عنوان جوامع فضائل متلائمة الأنوار ولوامع مآثر لمعة الآثار ، بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي ، قال : « رأيت علياً عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في خلافة عثمان رضي الله عنه وجماعة يتحدَّثون ويتذاكرون العلم والفقهِ ، فذكروا قريشاً وفضلها وسوابقها وهجرتها وما قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضل ... » .

في حديث طويل إلى أن يذكر مناشدة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيقول : « ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام : أَنشِدْكُمْ اللَّهُ أتعلمون أن الله أنزل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

فقال سلمان : يارسول الله ، عامَّة هذا أم خاصَّة ؟ قال : أمَّا المؤمنون فعامة المؤمنين أمروا بذلك ، وأمَّا الصادقون فخاصَّة لأخي علي وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة . قالوا : اللهم نعم .

وفي تنمة الرواية توجد مناشدة أخرى لعلي ، تعضد ماقلناه وإن كانت خارج

(١) آل عمران : ١٠٥ .

(٢) الصواعق المحرقة ، لابن حجر : ٤٤٤/٢ .

موضوع الآية الشريفة ، لا بأس بذكرها :

ثم قال علي عليه السلام : « أنشدكم الله أتعلمون أن الله أنزل في سورة الحج : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أٰزَكُّوْا وَاَسْجُدُوْا وَاَعْبُدُوْا رَبَّكُمْ وَاَفْعَلُوْا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ﴾ * [وَجَهِدُوا فِيْ اَللّٰهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اٰجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ اٰبِيكُمْ اِبْرٰهِيْمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ قَبْلُ وَفِيْ هٰذَا لِيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُوْنُوْا شُهَدَآءَ عَلٰى النَّاسِ فَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَاَتُوْا الزَّكٰوةَ وَاَعْتَصِمُوْا بِاللّٰهِ هُوَ مَوْلٰكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ النَّصِيْرُ]»^(١) .

فقام سلمان فقال : (يارسول الله) ، من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس ؟ الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملة إبراهيم ؟ قال عليه السلام : عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصة دون هذه الأمة .

قال سلمان : بينهم لنا يارسول الله .

فقال عليه السلام : أنا وأخي علي وأحد عشر من ولدي .

قالوا (أي : الذين ناشدهم علي ، وهم المجتمعون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار) : اللهم نعم^(٢) .

وأخيراً هناك الكثير من أئمة التفسير والحديث من الفريقين ممن أوردوا الروايات المفسرة للآية بما ذكرناه^(٣) .

(١) الآية : ٧٧ و ٧٨ من سورة الحج ، وما وضعناه من الآية بين المعقوفين لم يكن في أصلي ، وهو مقصود قطعاً كما يفصح عنه سؤال سلمان - نقلاً عن الهامش .

(٢) فرائد السمطين : ٣١٢/١ - ٣١٨ ، الباب الثامن والستون ، الحديث ٢٥٠ . وأورده القندوزي الحنفي في ينابيع المودة : ٣٤٨/١ .

(٣) لاحظ ما ذكره كل من : جلال الدين السيوطي في الدر المنثور : ٢٩٠/٣ . الشوكاني في فتح القدير : ٤١٤/٢ . ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق : ٣٦١/٤٢ ، ترجمة حياة أمير المؤمنين علي عليه السلام . الخوارزمي في المناقب : ٢٨٠ ، الحديث ٢٧٣ . الزرندي الحنفي في نظم

الجهة الثالثة: الآراء المعارضة

الاعتراض الأول: ماتنّبهُ إليه الفخر الرازي من دلالة الآية الشريفة على ضرورة وجود معصوم يجب اتّباعه في كل وقت - كما تقدّم - ولكنه زعم أنّ المعصوم هو مجموع الأمة ، فعليه أنّ الآية تدلّ عنده على حجّية الإجماع^(١).

الجواب:

أولاً: ماذا يقصد من إجماع الأمة ؟ فهل المقصود به إجماع أفراد الأمة فرداً فرداً ، أم المقصود به أهل الحلّ والعقد من أبناء الأمة ؟ فإن كان الأول فهذا واضح البطلان ، بداهة امتناع تحقّقه أو عدم إمكان تيسّره في أي حال من الأحوال . وإن كان الثاني ، فهذا باطل أيضاً ، لعدم إمكان تحصيله ، بل متى تحقّق ؟ وفي أيّ الأزمنة ، على مرّ العصور والأيام ؟

أضف إلى ذلك : نقول من هم أهل الحلّ والعقد ؟ ما هي مواصفاتهم ؟ ومن الذي خوّلهم بذلك ؟ وهل توجد آية أو رواية تحدّد لنا مفهوم أهل الحلّ والعقد ؟ وما المقصود بالإجماع ؟ هل الإجماع المحصّل أم الإجماع المنقول ؟ أم المقصود به الأغلبية ؟ وهل المراد بها الأغلبية المطلقة أم الأغلبية النسبية ؟

هذه كلّها أسئلة لا يوجد جواب شافٍ لها سوى البطلان .

ثانياً: لو كان المقصود بالمعصوم هو اجماع أهل الحلّ والعقد . نسأل فماذا عن زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فهل الآية تأمر باتّباع مجموع أهل الحلّ والعقد مطلقاً

⇒ درر السمطين : ٩١ . ابن مردويه في مناقب علي بن أبي طالب : ٢٥٨ ، الحديث ٣٨٧ - ٣٩٠ . سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ٢٥ . الإمام الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان : ١٠٩/٥ . الجبّري في تفسيره : ٢٧٥ ، الحديث ٣٥ . فرات الكوفي في تفسيره : ١٧٣ ، الحديث ٢٢٠ - ٢٢٥ .

(١) انظر تفسير مفاتيح الغيب : م٨/١٦/٢٢٧ .

ولو في مقابل الرسول صلى الله عليه وآله ؟

فهذا باطل بالضرورة ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (١) .

وأما لو قلت : أن المراد به بعد زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنقول : إذن حصل الفصل بينهما ، والحال أن الآية مطلقة لكل زمان ، وكذا يلزم تعطيلها في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثالثاً : لو كان الدليل على مايقوله الرازي هو الرواية التي تنص على أنه (لا تجتمع أمّتي على خطأ) فقد تقدّم جوابه .

الامتراض الثاني : بعد أن توضح للفخر الرازي وغيره أن المقصود بالصادقين هم محمد صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، أشكل الرازي بما نصّه :

« إن الله تعالى أوجب على كل واحد من المؤمنين أن يكون مع الصادقين ، وإنما يمكنه ذلك لو كان عالماً بأنّ ذلك الصادق من هو ، لا الجاهل بأنّه من هو ، فلو كان مأموراً بالكون معه كان ذلك تكليف ما لا يطاق ، وأنّه لا يجوز... » (٢) .

الجواب :

أولاً : إن معرفة معصوم واحد في كل زمان أيسر بكثير من معرفة (أهل الحل والعقد) الذين لا عدد لهم ولا حصر ، وبالأخص في زماننا .

ثانياً : لقد أقيمت الأدلة الساطعة والقاطعة على تشخيص هوية المعصوم والإمام لكل عصر ، فعلى المكلف وجوب الفحص عنه ليتعرّف عليه كي يتّبعه ، ولم يُترك لكل جاهل عذر .

(١) الأحزاب : ٣٦ .

(٢) تفسير الفخر الرازي : ٢٢٧/١٦/٨م .

ثالثاً: لقد تقدّم الجواب عنه مفصّلاً، في الآية السابقة، فلاحظ.

الاعتراض الثالث: لقد وردت عدة آراء واهية في تفسير المراد بـ (الصادقين) ولعلّ أبرزها هو: مطلق الصحابة من المهاجرين والأنصار، أو خصوص الثلاثة الذين تخلّفوا عن المشاركة في غزوة تبوك^(١).

الجواب:

إنّ هذا الرأي واضح الفساد والبطلان؛ إذ كيف يصح إطلاق الأمر بوجوب اتباع من صدرت منهم المواقف المتفاوتة والمتناقضة، حتّى وصل بهم الأمر إلى القتال! ليس هذا تسبب بارتكاب المعصية؟

وهل يصح أن يُكرّم الله تعالى الذين تخلّفوا عن أوامره وأوامر رسوله صلى الله عليه وآله فيأمر المسلمين إلى يوم القيامة باتباعهم مطلقاً حتّى في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله؟! الله أكبر، إنّ هذه النتيجة أقل ما يقال عنها أنّها واضحة البطلان.

الجهة الرابعة: نتيجة البحث

لقد تلخّص من كلّ ما تقدّم:

أولاً: إطلاق الأمر في الآية يقتضي العصمة

إنّ الآية الشريفة تأمر باتباع الصادقين بنحو مطلق، مما يقتضي عصمتهم عن الزلل والخطأ، وإلّا لزم منه التفرير بارتكاب المعاصي ونقض للغرض. هذا وقد وقفت على الروايات التي شخّصت هويّتهم، وهم محمّد صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، أولهم عليّ بن أبي طالب وآخرهم الإمام المهدي عليه السلام، فهم أهل البيت عليهم السلام الذين

(١) انظر: تفسير الكشاف: ٣١٠/٢. تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن: ٤٢٠/٥. تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٧٨/٣. تفسير روح المعاني: م٧/١١/٦٥.

أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وأوصى بهم النبي صلى الله عليه وآله كثيراً .

ثانياً : لزوم معية الصادقين توجب تميزهم

إنّ ورود حرف الجر (مع) بدل (من) في الآية الشريفة ، يكشف عن أنّ المراد بالصدق مرتبة خاصّة ، وبالصادقين أشخاص مخصوصون ، وأنّ هذه المرتبة هي غاية المراتب لا يشوب المتّصفين بها أيّ نقص أو شائبة ، فلذا استحقّوا أن يأمر المولى عزّ وجلّ عباده باتّباعهم ، وهذه المرتبة ليست إلاّ العصمة والطهارة من كلّ رجس وذنس .

تنبية : لقد ذكر بعض المفسّرين رواية عن عبدالله بن مسعود بقراءة أخرى وهي :

﴿ كُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ ﴾^(١) .

الجواب :

إنّ هذه القراءة مخالفة لرسم المصحف ولا تصح ، فقد ذكر ابن جرير الطبري مانصّه : « إنّ رسوم المصاحف كلّها مُجمِعةٌ على : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ ﴾ ، وهي القراءة التي لا أستجيز لأحدٍ القراءة بخلافها »^(٢) .

نعم ، ربما كان ابن مسعود يتأوّل في صدق الحديث ، كما أشار إلى ذلك أبو حيان الأندلسي^(٣) ، ولكنّ الإمام الثعلبي ذهب إلى كون ابن مسعود كان يقرؤها هكذا

﴿ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ ﴾ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله^(٤) !!

والذي ذكره الزمخشري لم ينسبه لأحد ، بل بناه للمجهول^(٥) . وكذا البيضاوي .

(١) انظر تفسير روح المعاني : م/٧١/٦٤ .

(٢) تفسير الطبري : ٧٠/١٢ .

(٣) تفسير البحر المحيط : ٥٢٢/٥ .

(٤) انظر تفسير الكشف والبيان : ١٠٩/٥ ط . بيروت - دار إحياء التراث .

(٥) انظر : تفسير الكشاف : ٣٠٩/٢ . تفسير البيضاوي : ١٧٨/٣ .

ثالثاً: السُّرُّ الإِعْجَازِي فِي نَظْمِ الْآيَةِ

لو تأملنا هذه الآية الشريفة جيداً لَوَجَدْنَا أَنَّهَا لِعِلَاقَةِ لَهَا بِمَاقِبِلِهَا وَمَابَعْدِهَا مِنْ جِهَةِ السِّيَاقِ ، فَهِيَ آيَةٌ كَأَنَّهَا قَدْ وَضَعَتْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ حِفَاطاً عَلَيْهَا مِنَ التَّحْرِيفِ . وَالْقَرِينَةُ عَلَى ذَلِكَ هِيَ أَنَّهُ لَوْ قَرَأْتَ الْآيَةَ الَّتِي سَبَقَتْهَا مَعَ الَّتِي لِحَقَّتْهَا مِنْ دُونِ قِرَاءَتِهَا ، لَمَا وَجَدْتَ هُنَاكَ اخْتِلافاً فِي السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ :

قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) .

وقد أشار إلى هذا المعنى أبوحيان الأندلسي في تفسيره ، مانصه : « واعترضت هذه الجملة - أي الآية ١١٩ - تنبيهاً على رتبة الصدق ، وكفى بها أنها ثانية لرتبة النبوة في قوله : ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ » انتهى ^(٣) .

فتكون هذه الآية الشريفة نظير آية التطهير وآية إكمال الدين وآية التبليغ ، وهذا يعتبر سرّاً من أسرار الله تعالى ومعجزة قوّة الله تعالى بحفظ مصحفه الكريم ، من أيّ تحريف أو تزوير ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(٤) وبقاء الآيات القرآنية المشيرة إلى أهل البيت عليهم السلام كذلك ، محفوظة .

وأخيراً فإنّ الآيات القرآنيّة الشريفة الواردة في بيان أحقيّة أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم وخصائصهم ، والمثبتة لمرجعيتهم العلميّة والسياسيّة كثيرة جداً ، ولكننا اقتصرنا على هذا القدر رعاية للاختصار ، وبه الكفاية في إثبات المطلوب .

(١) التوبة: ١١٨ .

(٢) التوبة: ١٢٠ .

(٣) تفسير البحر المحيط : ٥٢١/٥ .

(٤) الحجر: ٩ .



الفصل الخامس

آيات بحق عليّ عليه السلام



البرخية

في هذا الفصل نودّ الإشارة إلى بعض الآيات الشريفة التي اختصّ بها أمير المؤمنين عليه السلام ، ونزلت بحقّه ، وبيّنت فضله ، وجهاده ، وسيرته ، وعطاءه .

الآيات التي تمّ اختيارها ، ممّا تسالم المفسّرون على نزولها بحقّ عليّ عليه السلام ، ولكنهم لم يمنعوا شمولها لبقية مصاديقها إنّ توفرّ وجودهم في الخارج ، وهذه الآيات الشريفة تُنبؤك عن منزلة عليّ عليه السلام عند الله تعالى ، وعن شأنه عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما هو عليه من تفانٍ وتضحيةٍ اتّجاه العقيدة الإسلامية .

من خلال استعراضنا لهذه الآيات الشريفة لا نريد التغرّل بهذه الشخصية العملاقة ، وإنّ كان حقّاً ، وإنّما الذي نهدف إليه هو تبيان المنزلة الرفيعة لهذه الشخصية ، كي نكتشف مدى الارتباط الوثيق الحاصل بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله في مجال حماية هذه الرسالة عن الانحراف ، والالتجاء إليه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في صيانتها والحفاظ عليها . وإذا ما تبين ذلك فعندئذٍ نفهم الخطأ الفادح الذي وقع فيه الآخرون في مجال تقييمه بمصافٍ غيره من الصحابة ، بل لا يستوون عند الله تعالى . وهذا ما كشفت عنه الآية الشريفة : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ فالله تعالى نفى المساواة بينهما ، بل نفى إمكان المقايسة بين ما يهدف

إليه عليّ وبين ما يهدف إليه الآخرون ، وذلك لاختلاف الجوهر والمعدن ، والرؤية ، والتوجه . فالذي نريد أن نلفت الأنظار إليه في هذا الفصل هو بيان هذه المعاني السامية التي تجسّدت في سيرة عليّ وسلوك عليّ ومنهج عليّ ، فلذا استحقّ أن يكون في هذا المقام السامي لخلافة النبي صلى الله عليه وآله ، دون أن ينازعه أحد فيها بحق .
وإليك إشارة إلى بعض هذه الآيات الشريفة مع تبيان آراء المفسّرين والمحدّثين من علماء أهل السنّة فيها .

الآية الأولى :

قوله تعالى :

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾^(١)

فقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وسعيد بن منصور، والحاكم الحسكاني، وأبونعيم في حلية الأولياء، والجويني في فرائد السمطين، وابن مردويه في مناقبه - وهم من كبار محدثي السنة - بإسنادهم عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله أمرني أن أدنك ولا أقصيك، وأعلمك لتعي، وأنزلت علي هذه الآية ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ ، فأنت الأذن الواعية لعلمي يا علي » .

وأخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل، وابن المغازلي الشافعي في المناقب، والجويني في فرائد السمطين، وابن عساكر في تاريخ دمشق، بإسنادهم عن أبي الدنيا الأشج، قال : « سمعت علي بن أبي طالب يقول : لما نزلت ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله : سألت الله عز وجل أن يجعلها أذنك يا علي » .

وأخرج الثعلبي، وابن أبي حاتم، وابن جرير الطبري، والواحدي في أسباب النزول، وابن المغازلي، وابن مردويه، وابن عساكر، والحاكم الحسكاني، والكنجي الشافعي في كفاية الطالب، بإسنادهم عن بريدة الأسلمي، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : إن الله عز وجل أمرني أن أدنك ولا أقصيك، وأن أعلمك وأن تعي، وحق الله عز وجل أن تعي . قال : ونزلت ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ » .

وأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره، وابن المغازلي الشافعي في مناقبه،

وابن أبي حاتم ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وابن مردويه في المناقب ،
والخوارزمي في مناقبه ، والحاكم الحسكاني ، بإسنادهم عن مكحول ، قال : « لَمَّا
نزلت ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وُعِيَةٌ ﴾ التفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام فقال : إني سألت الله
أن يجعلها أذنك يا علي » (١) .

قال مكحول : فكان علي عليه السلام يقول : « ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً قط فنسيته
إلا وحفظته » ، ذكره الماوردي (٢) .

(١) المناقب ، للخوارزمي : ٢٨٢ ، وفي إسنادٍ آخر عن ابن عباس مثله . تفسير الطبري :
٢٢٣/٢٣ ، فقد أخرج الطبري روايات متعددة في بيان نزولها بحق علي عليه السلام . أسباب
النزول ، للواحدي : ٣٦١ . شواهد التنزيل ، للحاكم الحسكاني : ٣٦١/٢ ، الحديث ١٠٠٧ -
١٠٢٩ . تفسير القرطبي : ٢٥٢/١٨ . تفسير ابن كثير : ٢٢٧/٨ . الدر المنثور : ٢٤٩/٨ . فتح
القدير ، للشوكاني : ٣٤٣/٥ ، الحديث ٢٧٥٢ . تاريخ مدينة دمشق : ٣٤٩/٣٨ - ٣٥١ و :
٣٦١/٤٢ . ينابيع المودة ، للقندوزي الحنفي : ٢٣/٣٦٠/١ . شرح نهج البلاغة ، لابن أبي
الحديد : ٢٢٠/٧ . كنز العمال ، للمتقي الهندي : ١٧٧/١٣ ، الحديث ٣٦٥٢٦ . تفسير
الماوردي : ٨٠/٦ . أنساب الأشراف ، للبلاذري : ٣٤ ، الحديث ٨٤ .
(٢) تفسير الماوردي : ٨٠/٦ ، وانظر تفسير القرطبي : ٢٥٢/١٨ .

الآية الثانية :

قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(١)

أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق ، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ، والخوارزمي في المناقب ، والجويني في فرائد السمطين ، والكنجي الشافعي في كفاية الطالب ، والسيوطي في الدر المنثور : عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : «كنا عند النبي ﷺ فأقبل عليّ فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ، ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ، فكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل (عليّ) قالوا : جاء خير البرية .»

وفي الدر المنثور : أخرج ابن عدي عن ابن عباس ، قال : «لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ الآية قال رسول الله ﷺ لعليّ : هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين»^(٢) .

(١) البيّنة : ٧ .

(٢) تفسير الدر المنثور ، للسيوطي : ٥٣٨/٨ . تفسير الطبري : ٥٥٦/٢٤ . شواهد التنزيل ، للحاكم الحسكاني الحنفي : ٤٥٩/٢ - ٤٧٤ ، الحديث ١١٢٥ - ١١٤٨ . فتح القدير ، للشوكاني : ٥٨٩/٥ ، الحديث ٢٩٦٠ - ٢٩٦٢ . تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر : ٣٧٤ - ٣٧١/٤٢ . ينابيع المودة ، للقندوزي الحنفي : ١٩٧/١ . نور الأبصار ، للشبلنجي : ١١٩ . شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد المعتزلي : ١٨٨/٢ . نظم درر السمطين : ٩٢ . ما نزل من القرآن في عليّ ، لابن مردويه : ٢٦٥ و ٢٦٦ ، الحديث ٢٤٧ . كفاية الطالب ، للكنجي الشافعي : ٢٤٦ . الصواعق المحرقة ، لابن حجر : ٤٦٨/٢ . فرائد السمطين ،

وأخرج الشبلنجي في نور الأبصار عن ابن عباس أيضاً ، قال : « لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ : أَنْتَ وَشِيعَتُكَ تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَنْتَ وَهُمْ رَاضِينَ مَرْضِيِينَ ، وَيَأْتِي أَعْدَاؤُكَ غَضَابًا مُقْحَمِينَ » .

وفي الدر المنثور أيضاً : أخرج ابن مردويه عن عليّ ، قال : « قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ أَنْتَ وَشِيعَتُكَ وَمَوْعِدِي وَمَوْعِدِكُمُ الْحَوْضُ إِذَا جِئْتُ الْأُمَّمَ لِلْحِسَابِ تَدْعُونَ غَرًّا مُحَجَّلِينَ » .

وفي الدر المنثور أيضاً : أخرج ابن عدي وابن عساكر ، عن أبي سعيد مرفوعاً : « عَلِيُّ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ » .

وقال صاحب النهاية : « وفي حديث عليّ : قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين ، ثمّ جمع يده إلى عنقه ؛ يُريهم كيف الإقماح » .

الإقماح : رَفَعُ الرَّأْسِ وَغَضُّ الْبَصْرِ . يقال : أقمحه الغلُّ : إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه ^(١) .

أقول : الروايات في ذلك كثيرة جداً أشرنا إلى مصادرها فقط رعاية للاختصار .

⇒ للجويني : ١٥٤/١ - ١٥٧ ، الحديث ١١٧ و ١١٨ .

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير الجزري : ٩٣/٤ ، انظر مادة (قمح) .

الآية الثالثة:

قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾^(١)

إنّ الذي هو على بَيِّنَةٍ من ربه ، هو رسول الله ﷺ وإنّ الشاهد منه ، هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

ومعنى (يتلوه): أي الذي يؤيده ، ويتبعه ، ويتبع ذلك البرهان شاهد يشهد بصحته^(٢) . هذا ما أشار إليه المفسرون . أمّا بخصوص شأن النزول فقد وردت الكثير من الروايات في كتب الفريقين توضّح ذلك ، وإليك بعضها:

١ - المتقي الهندي في كنز العمّال: أخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، وأبونعيم في المعرفة ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ .

قال (علي): «رسول الله ﷺ على بَيِّنَةٍ من ربه ، وأنا شاهد منه» .

٢ - وأخرج الحاكم الحسكاني وابن عساكر بإسنادهما ، عن عليّ بن أبي المغيرة ، عن أبي إسحاق ، عن عطاء ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ بن أبي طالب ، قال: «رسول الله على بَيِّنَةٍ من ربه ، وأنا الشاهد منه» .

(١) هود: ١٧ .

(٢) انظر: تفسير الزمخشري ، زاد المسير ، الجامع لأحكام القرآن ، وتفسير الماوردي ، ومجمع البيان ، في مورد تفسيرهم للآية الشريفة .

٣- أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره بإسناده عن محمد بن عمارة الأسدي ، قال : حدثنا رزيق بن مرزوق ، قال : حدثنا صالح الفراء ، عن جابر ، عن عبد الله بن نجيب ، قال : قال علي عليه السلام : « ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان ، فقال له رجل : فأنت فأبي شيء نزل فيك ؟

فقال علي : أما تقرأ الآية التي نزلت في هود : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ ^(١) .

(١) تفسير الطبري : ٣٥٦/١٢ و ٣٥٧ . تفسير القرطبي : ٢٠/٩ . تفسير الماوردي : ٤٦١/٢ . تفسير زاد المسير : ٦٦/٤ . تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان : ١٣٥/٦ . الدر المنثور ، للسيوطي : ٣٦٩/٤ . تفسير الكشف والبيان ، للشعبي : ١٦٢/٥ ، وقال النيسابوري في تفسير غرائب القرآن : ١٢/٤ : « أو شاهد هو بعض محمد يعني علي بن أبي طالب عليه السلام » . تاريخ مدينة دمشق : ٣٦٠/٤٢ . المناقب ، للخوارزمي : ١٩٨ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، الحديث ٢٦٧ ، ٢٧١ . شواهد التنزيل ، للحاكم الحسكاني : ٣٥٩/١ - ٣٦٩ ، الحديث ٣٧٢ - ٣٨٧ . كنز العمال : ٤٣٤/٢ ، الحديث ٤٤٢٩ . نظم درر السمطين : ٩٠ . شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد : ٢٨٧/٢ . ينابيع المودة : ٢٢٥/١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ و ٣٠٨/٢ و ٣٦٤/٣ . تذكرة الخواص ، لسبط ابن الجوزي : ٢٥ ، وقال : « ومعنى ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ أنه أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله » .

الآية الرابعة :

قال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (١)

إن الآية الشريفة نزلت بحق أمير المؤمنين عليؑ ليلة المبيت على فراش النبي ﷺ ، حيث قد فداه بنفسه ، لينجو النبي ﷺ من غدر قريش ومكرهم ، إذ أعدوا لذلك خطة شيطانية للإجهاز على النبي ﷺ وقتله ، فأوحى الله تعالى لنبيه الكريم بمكر قريش ، وأمره بالهجرة إلى المدينة ، فأمر النبي ﷺ علياً أن يبيت في تلك الليلة على فراشه وقال ﷺ لعليؑ : « اتشح ببرد الحضرمي الأخضر » ليعمي على قريش ، ففعل عليؑ ذلك . فأنزل الله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ... ﴾ الآية .

وفيما يلي الشواهد الروائية :

١- أخرج الحاكم الحسكاني بإسناده عن أبي سعيد الخدري ، قال : « لما أسري بالنبي ﷺ يريد الغار ، بات علي بن أبي طالب على فراش رسول الله ﷺ ، فأوحى الله إلى جبرئيل ومكائيل : إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر ، فأيتكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فكلاهما اختارها وأحبها الحياة ، فأوحى الله إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد ﷺ فبات على فراشه يقيه بنفسه ، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه ، فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله ، وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا بن أبي طالب ، الله عز وجل يباهي

بك الملائكة فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

٢ - أورد القندوزي في ينابيع المودة ، الثعلبي في تفسيره ، وابن عقبة في ملحمة ، وأبو السعادات في فضائل العترة الطاهرة ، والغزالي في إحياء العلوم ، بأسانيدهم عن ابن عباس ، وعن أبي رافع وعن هند بن أبي هالة ، ربيب النبي صلى الله عليه وآله : « أوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل : إني آخيت بينكما ... » . الحديث .

٣ - وأخرج الجويني في فرائد السمطين بإسناده عن حكيم بن جبير ، عن علي بن الحسين عليهما السلام ، قال : « إِنَّ أَوَّلَ مَنْ شَرَى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى [هُوَ] عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » ^(١) .

وأورد الجويني شعراً عن الإمام علي عند مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله .

(١) فرائد السمطين ، للجويني : ٣٣٠/١ ، الحديث ٢٥٦ . ينابيع المودة ، للقندوزي الحنفي : ٢٧٤/١ . مسند الإمام أحمد : ٣٣١/١ . تفسير غرائب القرآن ، للنيسابوري : ٥٧٧/١ . تفسير الفخر الرازي : ٢٢٢/٥/٣ م . تفسير أبي حيان الأندلسي : ٣٣٤/٢ . تذكرة الخواص ، لسبط ابن الجوزي : ٤٠ و ٤١ . تفسير الثعلبي : ١٢٦/٢ . مناقب علي بن أبي طالب ، لابن مردويه : ٢٢٣ ، الحديث ٣١٤ (حديث ليلة الهجرة) . وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرک علی الصحیحین : ٥/٣ ، الحديث ٤٢٦٣ و ٤٢٦٤ ، وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وقد رواه الطيالسي وغيره عن أبي عوانة بزيادة ألفاظه ، وحكم الذهبي بصحته . ابن عساكر في ترجمة الإمام علي من تأريخ مدينة دمشق : ٦٧/٤٢ و ٦٨ . أسد الغابة في معرفة الصحابة : ١١٣/٤ . الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل : ١٢٣/١ ، الحديث ١١٣ - ١٤٢ . المناقب ، للخوارزمي : ١٢٥ ، الحديث ١٤٠ و ١٤١ .

الآية الخامسة :

قوله تعالى :

﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ

الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (١)

والمؤذّن - يومئذ - عن الله ورسوله ﷺ عليّ بن أبي طالب ، أذن بأربع :

لا يدخل الجنة إلا مؤمن .

ولا يطوفنّ بالبيت عريان .

ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ أجل فأجله إلى مدته .

ولكم أن تسيحوا في الأرض أربعة أشهر .

لما نزلت الآيات من أوّل سورة براءة دفعها رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وأمره أن

يخرج إلى مكة ويقرأها على الناس بمنى يوم النحر ، فلما خرج أبو بكر ، نزل جبرئيل

على رسول الله ﷺ فقال : « يا محمد لا يؤدّي عنك إلا رجل منك » ، فبعث رسول

الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام في طلبه - على ناقته العضباء - فلحقه بذئ الحليفة (٢) فأخذ

(١) التوبة : ٣ .

(٢) حسب رواية أحمد وآخرين . وذو الحليفة : قرية تبعد عن المدينة ما يقرب من فرسخ (ما

يعادل خمسة أميال) ، وتضمّ مسجد الشجرة ، وهي ميقات من أراد مكة عن طريق المدينة .

وجاء في رواية ابن كثير بدل ذي الحليفة : « الجحفة » ، وهي قرية على طريق مكة ،

على أربع مراحل (ما يقرب من مائة وعشرة كيلومتر) ، وهي ميقات أهل مصر والشام ⇨

منه الآيات فرجع أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، أنزل في شيء؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا، إن الله أمرني أن لا يؤدّي عني إلا أنا أو رجل مني. أقول: لقد اتفقت كلمة كبار أئمة التفسير والحديث على هذا المضمون^(١)، وفلحت كتب الحديث بالروايات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله بشأن نزول الآية الشريفة فيما ذكرناه، نشير إلى بعضها:

الرواية الأولى: أبو بكر بين التبليغ والردّ

أخرج النسائي في الخصائص، والترمذي في الجامع الصحيح، وأحمد في المسند، وابن أبي شيبة في المصنّف، والحسكاني في شواهد التنزيل، والخوارزمي في المناقب، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، بالإسناد عن أنس بن مالك، قال: «بعث النبي صلى الله عليه وآله ببراءة مع أبي بكر، ثمّ دعاه فقال: «لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا عني إلا رجل من أهلي، فدعا علياً فأعطاه إياه»^(٢).

الرواية الثانية: عليٌّ والمهمة الصعبة

أخرج النسائي بإسناده عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن زيد

﴿ إن لم يمرّوا بالمدينة. البداية والنهاية: ٣٨/٥. ﴾

(١) وفي مجمع البيان: ٥/٥: «أجمع المفسرون ونقله الأخبار أنه لما نزلت براءة دفعها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر، ثمّ أخذها منه ودفعها إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام».

(٢) خصائص النسائي: الحديث ٧٥. الجامع الصحيح، للترمذي: ١٦٩/٥، الحديث ٣٠٩٠،

وقال: «هذا حديث حسن غريب من حديث أنس بن مالك». مسند الإمام أحمد بن حنبل:

٢٨٣، ٢١٢/٣. وفي فضائل الصحابة له: ٩٤٦. مسند أبي يعلي الموصلي، للإمام الحافظ

أحمد بن علي التميمي: ٤١٢/٥ (٣٠٩٥). خصائص الوحي المبين، لابن البطريق:

١٣٨، الحديث ١٠١، وأخرج روايات أخرى بهذا المضمون تحت الأرقام: ١٠٢ - ١٠٨.

وانظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي: ٣٧٣/٣.

ابن يشع ، عن عليّ عليه السلام : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث ببراءة إلى أهل مكة مع أبي بكر ، ثم أتبعه بعلي ، فقال صلى الله عليه وآله له : خذ الكتاب ، فامض به إلى أهل مكة .

قال عليّ : فلحقته ، فأخذت الكتاب منه ، فانصرف أبو بكر ، وهو كئيب ، فقال :

يا رسول الله أنزل في شيء ؟

قال صلى الله عليه وآله : لا ، [إلا] إني أمرت أن أبلغه أنا أو رجل من أهل بيتي ^(١) . والروايات

في ذلك كثيرة جداً ، ونودّ الإشارة إلى بعض من أخرجها من أئمة التفسير والحديث ، ولا ندعي استيعابها أبداً ، وإنما استعراض مختصر لمصادرها ^(٢) .

(١) السيوطي في تفسيره الدر المنثور: ١١٤/٤ .

(٢) اشوكاني في تفسيره فتح القدير: ٤٠٦/٢ . المحب الطبري في ذخائر العقبى: ١١٢ وفي

الرياض النضرة: ١١٣/٣ . والطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن:

٣١٧/١١ . النسائي في الخصائص: ٧٦/١١٣ . الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٩٣/٤ . وفي

البداية والنهاية أيضاً: ٣٨/٥ و: ٣٣٩/٧ . الخوارزمي في المناقب: ١٦٤ ، الحديث ١٩٥ .

الجويني في فرائد السمطين: ٦١/١ ، الحديث ٢٨ . الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠٤/٧ ،

الحديث ١١٠٣٩ . الشيخ محمد عبده في تفسير المنار: ١٤٧/١٠ .

وأخرجه أحمد بن حنبل في المسند: ٣/١ ، أو: ١٨٢/١ من مسند أبي بكر حديث ٤ ،

و: ٣٢/٢ ، الحديث ٥٩٤ مسند علي بن أبي طالب . ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق:

٣٤٤/٤٢ - ٣٤٩ . البغوي في تفسيره معالم التنزيل: ٥/٣ ، وأخرجه ابن أبي شيبة في

المصنّف: ١٥٥/١١ ، الحديث ٣٢٦٧١ . سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٤٢ و ٤٣ .

وأخرجه الحاكم الحسكاني بطرق متعدّدة عن أنس بن مالك ، وعن علي ، وعن سعد ،

وعن أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة ، وعن جابر بن عبدالله ، في شواهد التنزيل: ٣٠٣/١

- ٣١٩ ، الحديث ٣٠٧ - ٣٢٧ . الإمام الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان: ٨/٥ .

وأوردها عبدالكريم الخطيب في تفسيره «التفسير القرآني للقرآن: ٦٩٨/٣ . ابن عادل

الدمشقي الحنبلي في تفسيره «اللباب في علوم الكتاب»: ١٠/١٠ ، وأخرجه أبوبكر

أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم في «السنة»: ٩١٨/٢ و ٩١٩ ، الحديث ١٤١٨ بإسناده عن

سعد بن أبي وقاص ، والنیشابوري في تفسيره غرائب القرآن: ٤٢٩/٣ ، وعلي بن

الرواية الثالثة: الأمر النبوي برد أبي بكر

أخرج ابن عساكر بإسناده عن أبي بكر: « أن النبي صلى الله عليه وآله بعثه ببراءة إلى أهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله مدّة فأجله إلى مدّته ، والله عزّ وجلّ بريء من المشركين ورسوله ، قال : فسار بها ثلاثاً ، ثمّ قال النبي صلى الله عليه وآله لعليّ : ألحقه فردّ عليّ أبابكر وبلغها أنت ، قال : ففعل ، فلما قدم أبوبكر على النبي صلى الله عليه وآله بكى ، قال : يا رسول الله ، حدثت فيّ شيء ؟ قال : ما حدثت فيك إلا خيراً ، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني » (١).

وفي هذا المقدار من الروايات غنى وكفاية لإثبات أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام بلا شك وبلا تردّد .

تنبيهان:

التنبيه الأول: في فلسفة الصدى الإعلامي للواقعة

عند التأمل في هذه الروايات يفهم موقف الوحي المقدّس ودقّته ، وحساسيته أنّجاه تبليغ آيات الوحي المبين وبيّناته ، وهذا الأمر يدلّ دلالة واضحة على أنّ الذي يخلف النبي صلى الله عليه وآله في تحمّل هذه الأمانة الكبرى لا بدّ وأنّ تكون السماء قد نصّت عليه ، لتتعلم الأمة وتعي هذا الدرس البليغ في حياتها وتلتزم بملزمات إرادة السماء في ميزان الخلافة والإمامة ، إذ بالإمكان أن يأمر النبي صلى الله عليه وآله عليّاً من الوهلة الأولى ، فلم كان الأمر بهذه الطريقة ؟

⇨ محمّد البغدادي الخازن في تفسيره « لباب التأويل في معاني التنزيل » مورد الآية .

(١) تاريخ مدينة دمشق - ترجمة حياة عليّ بن أبي طالب ، لابن عساكر : ٣٤٨/٤٢ .

مما أدى إلى اكتئاب أبي بكر وبكائه كما تشير الروايات !

ألم يكن يعرف النبي ﷺ أن إنهاء المعاهدة مع قبائل المشركين لابد أن تتم من قبله أو أحد من أقربائه ؟ - كما يحلو للبعض أن يوجه الرواية - فلماذا أرسل أبا بكر أولاً؟

ما هي فلسفة هذا الصدى الإعلامي الضخم لهذه الواقعة ؟ بحيث إنك ما تفتح أي كتاب تفسير قيم إلا وتجده يسرد هذه الواقعة ، وكذا كتب الحديث !
الأمر في غاية الغرابة ! ويحتاج إلى مزيد من التأمل والتفكير ليصل الإنسان إلى هدي الحقيقة ، وربما اجتاز كل العقبات بأدنى تأمل ، وذلك من نور الله قلبه بالإيمان والإخلاص له .

إن هذه الطريقة للوحي المقدس ، وهذه الكثرة من الروايات التي أوضحت الواقعة وبهذا الشكل المكثف والتي وردت من طرق الفريقين ، فهي بحد ذاتها تكشف عن السرّ الإلهي في مسألة التنصيب على الإمامة ، وذو اللب يدرك ذلك جيداً ، وما يقال^(١) من أن النبي ﷺ قد بعث الكثير من المبلغين ولمختلف الأمصار فلماذا هنا أرجع أبا بكر ؟ فهذا الأمر باطل . وعليه فالروايات كلها مدسوسة !

إن هذا الكلام في غاية اللجاجة والعناد ، من قال بأن النبي ﷺ لم يرسل المبلغين إلى الأمصار ؟ ألم يرسل (مصعب بن عمير) إلى المدينة ليعلم الناس القرآن ، ويهيء الأجواء لقدوم النبي ﷺ لها ، وهكذا كان يصنع في بقية الأمصار ، وهو يقول ﷺ :
« كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ، ولكن الاختلاف بين الأمرين كبير .

إذا ائتمان الوحي وتبليغ آياته بنزولها في مورد أمر يتكلفه النبي ﷺ لا غير ، ولكن إرادة السماء تجلت في أن تُبين البلاغ بهذه الطريقة ليتنبه الناس جميعاً : إن من يبلغ

(١) والقائل هو : شيخ الإسلام ابن تيمية .

عهداً من عهود آيات الوحي يستوجب أن يكون نبياً أو وصي نبيّ ، فما بالك بالأمانة الكبرى ، والمسؤولية العظمى ، والعهد الكبير ، فمن يتحمّل أعباء بيعة الأمة وإمامتها ، فهل تصلح لكلّ أحد ؟ وهل يحق للأمة أو كائناً من كان أن يتجاوز إرادة السماء في الحاكمية والإمامة ؟

نحن نضع عقلك السليم مقياساً بين هذين الطريقتين ، وإلى أيّهما يجنح وأياً منهما يتخذها سبيلاً ؟

قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(١) .

التنبيه الثاني : روايات تلخص منزلة عليّ

لقد استعرضنا عدداً يسيراً من الآيات النازلة بحقّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث لا يمكن استيعاب ما نزل من آيات قرآنية بحقّ عليّ ، وبهذه العجالة والاختصار ، ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه ،

ولأجل تحقيق هذا المعنى ، نشير إلى ما ذكره ابن عباس في مجال نزول الآيات القرآنية بحقّ عليّ عليه السلام وهي روايات جمّة نستعرض بعضها :

١ - أخرج الحافظ أبو نعيم بإسناده عن ابن عباس ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما أنزل الله آية فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعليّ رأسها وأميرها »^(٢) .

٢ - أخرج الحافظ ابن عساكر بإسناده عن ابن عباس ، قال : « ما نزل [في] القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعليّ سيدها وشريفها وأميرها ، وما أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلا قد عاتبه الله في القرآن ، ما خلا عليّ بن أبي طالب ، فإنه لم يعاتبه

(١) المزمّل : ١٩ .

(٢) حلية الأولياء : ٦٤/١ .

في شيء منه»^(١).

٣- وعنه أيضاً: «ما ذكر الله في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا و(عليّ) شريفها وأميرها. ولقد عاتب الله أصحاب محمد في آي من القرآن، وما ذكر علياً إلا بخير»^(٢).

٤- وفي ينابيع المودة: أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «نزلت في عليّ عليه السلام أكثر من ثلاثمائة آية في مدحه»^(٣).

أقول: إن هذه الروايات إن دلت على شيء فإنما تدلُّ على أفضليّة عليّ عليه السلام على سائر الصحابة من حيثيتين:

الحيثية الأولى: إن القرآن الكريم اعتبر علياً أميراً للمؤمنين بتفسير النبي ﷺ؛ إذ ما من آية تخاطب المؤمنين إلا وعلي أميرها وشريفها، ولم يدع هذا الفضل أحد من الصحابة مهما بلغت منزلته.

الحيثية الثانية: إن الله تعالى عاتب أصحاب النبي ﷺ عتاباً مرّاً في آيات عديدة، ولكنه لم يذكر علياً إلا بمنقبة وفضل، وهذا هو عين الأفضلية، وهو واضح، ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٤).

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣٦٣/٤٢، والمختصر منه: ١١/١٨. ذخائر العقبى، للطبري: ١٦٠. والرياض النضرة: ١٥٤/٣، الحديث ١٥٠٦، وأضاف: «أخرجه أحمد في الفضائل». نظم درر السمطين: ٨٩. تذكرة الخواص: ٢٣. المناقب، للخوارزمي: ٢٧٩ و ٢٨٠، الحديث ٢٧٢. كفاية الطالب: ١٣٩. نور الأبصار، للشبلنجي: ١٢٣. الآمالي الخميسية: ١٣٣/١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٣٦٣/٤٢.

(٣) ينابيع المودة: ٣٧٧/١.

(٤) ق: ٣٧.

مسك الختام

نستخلص من كل ما تقدّم في مجال معرفة أهل البيت عليهم السلام في ضوء كتاب الله العزيز الحقائق التالية :

١ - عصمة أهل البيت عليهم السلام :

فقد دلّت آية التطهير على هذه الحقيقة ، وأوضحت نزاهتهم من كل رجس وذنس ، فقد تجلّت إرادة المولى عزّ وجلّ في إزاحة الأرجاس والأدناس عنهم مهما صغرت أو كبرت ، وإضفاء صفاء الطهر بكلّ مفرداته العالية والسامية عليهم تطهيراً مبالغاً فيه ، وهذا ما يساوق العصمة بعينها .

٢ - وجوب مودّتهم :

وقد دلّت آية المودّة على ذلك بشكل لا يقبل الشك . وجعل النبي صلى الله عليه وآله هذا الأمر كأجر رسالته ، وهو أجر أخروي وليس دنيوياً ، لما فيه من صلاحنا ولحمتنا في مودّتهم ، فالمودّة لهم ، بالضرورة تترشّح منها المودّة والمحبة ما بين من ودّهم ، إذ حبيب حبيبك حبيب لك ، ولما لهذا الأمر من أثر في الكيان الإسلامي ، ودوام وجوده ، فلذا جعل النبي صلى الله عليه وآله أجر رسالته بمعنى دوامها وبقاء بريق أحكامها لامعاً ، تنبض فيه روح الحيويّة في مودّة أهل بيته ، ضرورة أنّها ليست نزعة عاطفية مجردة وإنّما تتعدى إلى المواقف وما يمتّ إليها بصلة .

٣- امتداد لوجود النبي ﷺ :

لقد دلت آية المباهلة بشكل لا يقبل الشك أن علياً عليه السلام يمثل نفس النبي ﷺ ،
والزهراء عليها السلام بضعته تمثل الكيان الأنثوي بكماله لترفد شخصية النبي ﷺ فيما
تحتاجه من حنان وعاطفة ، ولذا ورد عنه ﷺ بحق الزهراء : «إنها أم أبيها» .

ويمثل الحسنان أبناءه وما للأبناء من دور خطير ، يجسّدون فيه امتداد من
ولدهم ، ولذا قال ﷺ : «حُسينٌ مِنِّي وَأنا مِن حُسين» . إن أهل البيت عليهم السلام يمثلون
خلاصة حركة النبي ﷺ ، بل يمثلون امتداد كيانه بكل أبعاده ، من هنا دعاهم ليهل
بهم أعداءه فيحقّق النصر الأبدي لدينه الحنيف ، ويكشف عن عمق تضحيته بهم في
سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ، رغم ما لهم من وجود عميق في قلبه وفكره وعاطفته .

٤- حبل الله الذي يجب الاعتصام به :

وقد دلت آية الاعتصام على ذلك فهم هبة السماء لأهل الأرض وللأنام جميعاً ،
ليتحقّق نجاحهم ونجاتهم وفوزهم في الدارين حينما ينتهجون ويسيروا على ضوء
تعاليمهم ، ضرورة أنها ذات تعاليم رسول الله ﷺ لا ابتداع فيها ولا تغيير . نعم ، قد
تبدّل من حال إلى حال باختلاف الظروف والأيام والأمكنة ، ولكن في كلّ ذلك
لا اعتماد لهم إلا على ما أسسه رسول الله ﷺ من قواعد وما علّمهم من أحكام
وبيّنات ، فعلى هذا الضوء ، هم يجسّدون الامتداد الرسالي للنبي ﷺ .

من هنا طلب النبي ﷺ مراراً وتكراراً من أمته أن لا يتخلّفوا عنهم ، ولا يتقدّموا
عليهم ، بل يلازموهم ملازمة الاقتداء والاتباع .

٥- أثر فعل الله تعالى في مودّتهم :

إنك تجد ذلك عملياً في حياتك وحياة الآخرين في مجال المودّة لأهل

البيت عليهم السلام ، وكأنَّ النفس تهوهم وتميل إليهم ميلاً طبيعياً ، لا اختيارياً ، نظير الفطرة التي فطر الناس عليها ، فالإنسان مجبول على فطرة الله تعالى ، ونظيره حبّه لأهل البيت عليهم السلام أيضاً . فلذا نجد الكثير من المؤمنين قد تركوا ملاذ الدنيا وما يدرّ معاشهم منها ، لأجل أن لا يقعوا في أجواء معاداتهم ، بل ضحّوا بأموالهم وأنفسهم من أجل البقاء على ولايتهم ومودّتهم ، ولم يُبدوا استعدادهم لأنّ ينسوا بنت شفة سوءاً بمقامهم وبحقّهم . وهذا يعني أنّ السماء قد رعت هذا الأمر بمقدار ونسبة ، والمقدار الأعظم يتعلّق بتأثير المؤمنين بهم نتيجة سلوكهم وسجاياهم وتضحائهم لأجل إعلاء كلمة الله تعالى ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ .

٦- أهل البيت عليهم السلام يمثلون المرجعية العلمية للأمة :

إنّ مهمّة الهداية تحتاج فيما تحتاج إليه إلى المرجعية العلمية التي لها الاطلاع الكامل والشامل على أسس وقواعد المنهج الإلهي بجميع أبعاده ومجالاته وتفريعاته ، وتطبيقاته ، لتكون ميزاناً ومعياراً توزن به الأفكار والعواطف والممارسات ، لمعرفة قربها وبعدها عن تلك الأسس والقواعد .

وهذه المرجعية العلمية قد تجسّدت في أهل البيت عليهم السلام لأنّهم تلقّوا العلم من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله وعنه ، وهو المرجع الأعلى للأمة بعد القرآن الكريم ، بل فهم القرآن يتمّ عن طريق بياناته وأحاديثه ، وأهل البيت عليهم السلام قد تلقّوا العلم كابراً عن كابر ، من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولذا كان علي عليه السلام يقول : « وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ ... » إلى أن يقول عليه السلام : « وَلَقَدْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرًا مِنْهُ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ » ^(١) .

(١) نهج البلاغة : ٤٠٦ ، خطبة ١٩٢ (الخطبة القاصعة) ، طبعة دار الأسوة - طهران .

ومرجعية أهل البيت عليهم السلام العلميّة موضع وفاق بين المسلمين جميعاً منذ الصدر الأول للإسلام بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولذا كان عمر بن الخطاب كثيراً ما يقول :
« لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن علي » . ويقصد مطلق المعضلة علميّة أم فقهية أم اجتماعية أم سياسية ، أو أي معضلة أخرى . فكان عليّ مرجعه فيها .
والدلالة على مرجعيّتهم قد أوضحناها باختصار من خلال الاستدلال بآية أهل الذكر ، وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيد بيان عند دراسة دلالة حديث الثقلين .

٧- هم هداة هذه الأمة وقادتها:

من لطف الله تعالى على الأمة أن لا يتركها بعد رحلة نبيّها سُدّي ، بل لا بدّ له من أوصياء ، ينفون عن هذا الدين ابتداع المبتدعين ، وانتحال الباطلين ، وهم العدول والأمناء على وحي الرُّسل ، فبهم يهتدي المهتدون ، ويسترشد المسترشدون ، فلذا جلّت قدرته لم يترك الأمة دون هاد ، إذ قال : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ، بمعنى أنّه على مرّ الأيام والسنين ينبغي أن يتوفّر للأمة هادٍ تعتصم به الأمة ، يقودها نحو الهدى والرشاد .

٨- هم الصفوة الأبرار والموفون بعهد الله تعالى :

وهذا الأمر لا يحتاج إلى مزيد بيان ، بل ربما بيانه يكون من أشكل المشكلات ، لكونه توضيح الواضحات . وقد دلّت سورة الدّهر على ذلك بلا تردّد .

٩- ولاية أهل البيت عليهم السلام ما تُسأل عنها الأمة غداً:

إنّ أسئلة يوم القيامة كثيرة ، ومواقف ومحطّات القيامة ليست بالقليلة ، والأسئلة متنوعة ، ومن أبرز هذه الأسئلة هي مسائل العقيدة والإيمان ، ولذا اعتبرت نعمة الهداية من أكبر النعم الإلهيّة ، وبالهداية يتميّز الإنسان عن غيره . فعلى هذا لا بدّ لله

تعالى من استجواب عباده يوم القيامة عن هذه النعمة الكبرى ، ومدى التزامهم بها وتفاعلهم معها ، وأهل البيت عليهم السلام يمثلون قطب الرchy فيها ، وماورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن الله سائلكم عنهما (أي القرآن وأهل البيت عليهم السلام) يوم القيامة » فالسؤال عن مدى التقصير عن ولايتهم ، أو التعرض لظلمهم ، وظلم أتباعهم وأوليائهم ، أو التقدّم عليهم أو الغلو فيهم ، وغيرها من الأسئلة ، أجارنا الله وإياكم من خزي يوم القيامة .

١٠ - الولاية لعلي عليه السلام فرض بعد ولاية الله ورسوله :

فالأصل في الولاية لله تعالى لايدانيه فيها أحد فله الحاكمة المطلقة على الكون والخلق ، والولاية بالتبع لرسول الله صلى الله عليه وآله . وأمّا ولاية عليّ فهي ولاية ترتبّة تنتجّز بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله . ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله مراراً وتكراراً : « وليكم بعدي عليّ » ، « عليّ ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي » .

وهذا الحديث الشريف من فم رسول الله صلى الله عليه وآله لا يتحمّل ، بل ولا يحتمل غير معنى الحاكمة والألوية بالتصرف ؛ إذ لو قيل : بأن المراد به الحليف والناصر ، فهذا متحقّق في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله لا من بعده ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ، وهذا تام في زمن رسول الله وبعد رحلته ، فحينما يخبرنا الرسول صلى الله عليه وآله بأنّ الولي من بعده عليّ ، فلا أحد يفهم غير معنى الحاكمة والأولى بالتصرف ، بل لا يتحمّل غير هذا المعنى عند كل منصف ، وسيأتي مزيد بيانه في الجزء الثاني ، فلاحظ .

١١ - إمامة أهل البيت عليهم السلام في النصّ القرآني :

في ظرف حرج ووقت خطير يهبط الأمين جبرئيل ليأمر النبي صلى الله عليه وآله بهذا الأمر الإلهي ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ﴾ ولم يتلکأ رسول الله صلى الله عليه وآله بإبلاغ هذا الأمر إلى

المسلمين ، حيث يأمر ﷺ بالصلاة جامعة في وقت الظهر ليخطب بهم تلك الخطبة المفصلة ، فيقول فيها : ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

فيقول : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَانصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذَلْ مَنْ خَذَلَهُ .

ودلالة هذا البلاغ على تنصيب عليّ خليفة وإماماً للمسلمين بعد رسول الله غير خافية على ذي لبّ ، وهكذا فهمها المسلمون ولذا بادروا بالبيعة لعليّ ، واشتهر القول عنهم :

بَخِ بَخٍ لَكَ يَا عَلِيٌّ أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ الْيَوْمَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ .

وقد حفظ التاريخ لنا هذه الواقعة وثبتتها الرواة ، ولم يعش النبي ﷺ في الحياة بعد هذه الواقعة طويلاً ، سوى إحدى وثمانين ليلة ، (على ما ذكره المفسرون) ، ورحل عن الدنيا بعد أن استكمل الدين منهاجه القويم وتمت هيكلته القيادية ، وتحقق التنصيب الشرعي ، وبذا قد تمت النعمة من الله تعالى على الأمة ، وتحقق اليأس في نفوس الكافرين .

قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ﴾ .

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

وبعد أن طار صيت خبر تنصيب عليّ خليفة لرسول الله ﷺ وذاع شيوخ الخبر ، فانبرى أحد المعاندين لاستنكار هذا الأمر متحدياً بالله تعالى ورسوله ﷺ ، وهو يعلم صدق النبي وإخلاصه لأئمة ، فيقف بكل وقاحة وجفاء أمام نبي الرحمة والإنسانية ، ليتفوه بكلمات لاتصلح أن يواجه بها أبسط إنسان ، فكيف يواجه بها رسول الله ﷺ؟! ويسجل الوحي هذه اللحظات الحاسمة ، ليقطع دابر المتكبرين :

﴿ سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَئِن سَأَلْتَهُ لَدَفَعَ ﴾ ، ويتحقق النصر لله ولرسوله

وتتحقق العزة لدين الله تعالى ، ويُخزى المنافقون .

١٢ - أهل البيت عليهم السلام يمثلون المرجعية السياسية للأمة :

لقد فرض الله تعالى طاعته في كتابه العزيز ، ولقد حكم العقل الإنساني بها لكونه مولى يستحق الطاعة ، إذ العقل يحكم بأن المولى المتّصف بهذه الصفات له حقُّ الطاعة علينا في كلِّ التكاليف المعلومة والمظنونة والمحتملة ، إلا إذا أبدى ترخيصه فيها ، والقرآن يرشد إلى حكم العقل ، وهذا الحقُّ في الطاعة ثابت لرسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً ، حيث يقول تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

وأولو الأمر حقُّهم في الطاعة على الرعية كذلك ، ولا تصلح الرعية بغير الطاعة ، ولكن هذا الحقُّ يتنجّز بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ . ولقد اختلفوا في تفسير أولي الأمر .

ولكنني أقول : مهما فسّرتم أولي الأمر لابدَّ وأن تقعوا في مطبات كثيرة ومخالفات شرعية ، إلا بمثل ما أوضحناه ، فليتأمّل المنصف جيّداً في الآية ويلاحظ ما نقلناه من روايات ومن رؤى مختلفة ، فسوف لا يحيد فكره عمّا توصلنا إليه ، وهو أنّ أولي الأمر هم أئمة أهل البيت عليهم السلام ، لا ينازعهم في هذا المقام أحد إلا متحدّياً لأوامر الله تعالى ونهيه ، بل ولا تنطبق المواصفات القرآنية التي انتزعناها من الآية لأولي الأمر إلا على أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وبهذا تتحقّق المرجعية القيادية والسياسية لهم من دون منازع .

١٣ - وجوب اتباع أهل البيت عليهم السلام :

لقد دلّت الآية السابقة على وجوب طاعتهم لكونهم ﴿ أُولَى الْأَمْرِ ﴾ ، وفي هذا المورد تنصُّ الآية على وجوب اتّباعهم ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ ﴾ ، إذ بلغوا المرتبة العالية ، والذروة للصدق المطلق في تعاملهم مع الله تعالى ، وقد اجتازوا مراحل الامتحان المختلفة ، فتألّقوا سموّاً ورفعة في سماء العبودية لله تعالى ، وصدقوا في

كُلِّ المواقع على الإطلاق ، ولم يسجّل التاريخ - الصحيح - أدنى خدشة بشأنهم ، فتتوجوا بالصدق فكراً ، وسلوكاً ، ومنهجاً ، وعقيدة ، فأمر الله تعالى عباده باتباعهم .
 وفقنا الله تعالى وإياكم لاتباع أهل البيت عليهم السلام ومنهجهم في العقيدة ، والفقهاء ، والحياة ، لنكون قد امتثلنا أوامر الباري تعالى ، وأدينا بكلّ أمانة وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله بحقهم .

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(١) .

١٤ - آيات كثيرة اختصت بعليّ عليه السلام :

لقد اختصّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بآيات عديدة في كتاب الله تعالى ، وقد أشارت الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في تبيان شأن نزولها بحق عليّ عليه السلام خاصة ، وذلك عند حصول وقائع متعدّدة ينجزها عليّ عليه السلام في مجال تفانيه وتضحيته في سبيل الله تعالى من أجل إسناد دعوة النبي صلى الله عليه وآله ، والدفاع عنها .

وقد أخرج ابن مردويه أكثر من خمسين وخمسين آية اختصت بعليّ عليه السلام ، وقد أشار أحمد بن حنبل إلى ذلك بما نصّه : « ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضائل ما جاء لعليّ بن أبي طالب عليه السلام »^(٢) ، هذا وقد عاتب الله تعالى أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله عتاباً مرّاً ، ولم يذكر عليّاً إلا بخير ، وهذا يكشف لكلّ لبيب أفضليّة الإمام عليّ عليه السلام على غيره من الصحابة بلا تردّد .

(١) يوسف : ١٠٨ .

(٢) المستدرک علی الصحیحین : ١١٦/٣ ، أخرج الحاكم الرواية بإسناده عن محمّد بن منصور .

وختاماً:

نسأل الله تعالى العفو والمغفرة من الهفوات ومن زلات اللسان ، وأن يتغمّد المؤمنين برحمته الواسعة ، ويحشرنا مع النبي محمد ﷺ وآله الأبرار الأوفياء ، إنه نعم المولى ونعم النصير! وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

**تمّ الفراغ منه في اليوم الثاني عشر من شهر شوال المكرّم
عام ألف وأربعمائة وخمس وعشرين للهجرة،**

وسيله الجزء الثاني

في معرفة أهل البيت ﷺ في ضوء السنّة المطهّرة

إن شاء الله تعالى

والحمد لله ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم



الملاحق



ملحق رقم (١) آية التطهير

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(١)

هذه الآية نزلت في خمسة ، وهم : محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

توجد في المصادر التالية :

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ٢٤٠/٤ ، ط . مطبعة المشهد الحسيني - مصر .

و : ٢٠٠/٢ ، ط . آخر .

إحقاق الحق للتستري : ٥٠٢/٢ - ٥٤٧ .

الاستيعاب لابن عبد البر (بهامش الاصابة) : ٣٧/٣ ، ط . السعادة .

و : ٣٧/٣ ، ط . مصطفى محمد .

إسعاف الراغبين للصبان (بهامش نور الأبصار) : ١٠٤ - ١٠٦ ، ط . السعيدية .

و : ٩٧ و ٩٨ ، ط . العثمانية .

و : ١٠٥ ، ط . مصطفى محمد - مصر .

الإصابة لابن حجر الشافعي : ٥٠٢/٢ ، و : ٣٦٧/٤ ، ط . مصطفى محمد .

و : ٥٠٩/٢ ، و : ٣٧٨/٤ ، ط . السعادة - مصر .

أحكام القرآن لابن عربي: ١٦٦/٢، ط. مصر.

و: ١٥٢٦/٣، ط آخر - مصر.

أحكام القرآن للجصاص: ٢٣٠/٥، ط. عبد الرحمان محمّد.

و: ٤٤٣، ط. القاهرة.

أسباب النزول للواحدي: ٢٠٣، ط. الحلبي - مصر.

أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الشافعي: ١٢/٢ و ٢٠، و: ٤١٣/٣، و: ٥٢١/٥ و ٥٨٩.

تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفي: ٢٣٣.

ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ١٨٥/١، الأحاديث: ٢٥٠ و ٢٧٢ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢.

التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي: ١٣٧/٣.

تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٣ - ٤٨٥، الطبعة الثانية - مصر.

تفسير الطبري: ٦/٢٢ - ٨، الطبعة الثانية / الحلبي - مصر.

تفسير القرطبي: ١٨٢/١٤، الطبعة الأولى - القاهرة.

التفسير المنير لمعالم التنزيل للجاوي: ١٨٣/٢.

تلخيص المستدرک للذهبي (مطبوع بذيّل المستدرک): عين الصفحات.

خصائص أمير المؤمنين للنسائي الشافعي: ٤، ط. التقدّم العلميّة - مصر، و: ٨، ط. بيروت، و: ٤٩، ط. الحيدرية.

الدّر المنثور للسيوطي: ١٩٨/٥ و ١٩٩.

ذخائر العقبي للطبري الشافعي: ٢١ و ٢٣ و ٢٤.

الرياض النضرة لمحّب الدين الطبري الشافعي: ٢٤٨/٢، الطبعة الثانية.

السيرة النبويّة لزيني دحلان (بهاشم السيرة الحلبيّة): ٣٢٩/٣ و ٣٣٠، ط. المطبعة البهيّة - مصر.

و: ٣٦٥/٣، ط. محمّد عليّ صبيح - مصر.

شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي: ١١/٢ - ٩٢، الأحاديث: ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩.

و ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٤ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨
و ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٣ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٦٨ و ٦٧١ و ٦٧٢
و ٦٧٣ و ٦٧٥ و ٦٧٨ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٦ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٤ و ٧٠٧
و ٧١٠ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧٢٩ و ٧٤٠ و ٧٥١ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦
و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠
و ٧٧٤، الطبعة الأولى - بيروت.

صحيح الترمذي: ٣٠/٥، الحديث ٣٢٥٨ و: ٣٢٨/٥، الحديث ٣٨٧٥، ط. دار الفكر.

و: ٢٠٩/٢ و ٣٠٨ و ٣١٩، ط. بولاق.

و: ٢٠٠/١٣، ط آخر.

صحيح مسلم - كتاب فضائل الصّحابة، باب فضائل أهل بيت النبي: ٣٦٨/٢، ط. عيسى
الحلبي و: ١٩٤/١٥، ط. مصر، بشرح النووي.

الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي: ٨٥ و ١٣٧، ط. الميمنية - مصر.

و: ١٤١ و ٢٢٧، ط. المحمدية - مصر.

عبارات الأنوار - قسم حديث الثقلين: ٢٨٥/١.

العقد الفريد لابن عبد ربه المالكي: ٣١١/٤، ط لجنة التأليف والنشر - مصر.

و: ٢٩٤/٢، ط. دار الطباعة العامرة - مصر.

و: ٢٧٥/٢، ط. آخر.

فتح البيان لصديق حسن خان: ٣٦٣/٧ - ٣٦٥.

فتح القدير للشوكاني: ٢٧٩/٤.

فرائد السمطين للجويني الشافعي: ٣١٦/١، الحديث ٢٥٠، و: ٩/٢، الأحاديث: ٣٥٦

و ٣٦٢ و ٣٦٤.

الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٨.

فضائل الخمسة: ٢٢٤/١ - ٢٤٣.

الكشاف للزمخشري: ١٩٣/١، ط. مصطفى محمد.

و: ٣٦٩/١، ط. بيروت.

كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٥٤ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥، وقد صحّحه.
و: ٣٧٦، ط. الحيدرية.

و: ١٣ و ٢٢٧ و ٢٣٠ و صحّحه، و: ٢٣١ و ٢٣٢، ط. الغري.

المستدرک علی الصحیحین للحاکم: ١٣٣/٣ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٥٨، و: ٤١٦/٢.

مسند أحمد بن حنبل: ٣٣٠/١، ط. الميمنية - مصر.

و: ٢٥/٥، ط دار المعارف - مصر (بسنده صحيح).

مسند أحمد بن حنبل: ٢٥٩/٣ و ٢٨٥، و: ١٠٧/٤، و: ٢٩٢/٦ و ٢٩٦ و ٣٠٤ و ٣٠٦،

ط. الميمنية - مصر.

مشكاة المصابيح للعمري: ٢٥٤/٣.

مصابيح السنة للبغوي الشافعي: ٢٧٨/٢، ط. محمد علي صبيح.

و: ٢٠٤/٢، ط. الخشاب.

مطالب السؤل لابن طلحة الشافعي: ١٩/١ و ٢٠، ط. دار الكتب في النجف.

و: ٨، ط. طهران.

المعجم الصغير للطبراني: ٦٥/١ و ١٣٥.

مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي: ٣٠١، الحديث ٣٤٥، و: ٣٤٨ و ٣٤٩

و ٣٥٠ و ٣٥١.

المناقب للخوارزمي الحنفي: ٢٣ و ٢٢٤.

منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد بن حنبل): ٩٦/٥.

نور الأبصار للشبلنجي: ١٠٢، ط. السعيدية.

و: ١٠١، ط. العثمانية - مصر.

و: ١١٢، ط. مصطفى محمد.

ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ١٠٧ و ١٠٨ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٤٤ و ٢٦٠ و ٢٩٤،

ط. اسلامبول.

و: ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٣٥ و ١٩٦ و ٢٢٩ و ٢٦٩ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٣٥٢ و ٣٥٣،

ط. الحيدرية.

ملحق رقم (٢) اختصاص أهل البيت

بعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام

فقد قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله - مشيراً إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين -:

«اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرُّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً»

وقريب منه ألفاظ أخرى . راجع في ذلك :

الاتحاف للشبراوي الشافعي : ٥ .

إحقاق الحق للتستري : ٢/٩ - ٦٩ .

الاستيعاب لابن عبد البرّ (بهامش الإصابة) : ٣/٣٧ ، ط . السعادة .

إسعاف الراغبين للصبان الشافعي (بهامش نور الأبصار) : ٩٧ ، ط . العثمانية .

و : ١٠٤ ، ط . السعيدية - مصر .

الإصابة لابن حجر العسقلاني : ٢/٥٠٣ و : ٤/٣٦٧ ، ط . مصطفى محمد .

و : ٢/٥٠٩ و : ٤/٣٧٨ ، ط . السعادة .

أسباب النزول للواحدي : ٢٠٣ .

أسد الغابة لابن الأثير : ٢/١٢ و : ٣/٤١٣ و : ٤/٢٦ و ٢٩ و : ٥/٦٦ و ١٧٤ و ٥٢١ و ٥٨٩ .

تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٦٩ .

التاريخ الكبير للبخاري : ١/٦٩ (القسم الثاني) ، تحت رقم ١٧١٩ و ٢١٧٤ ، ط . سنة

١٣٨٢ هـ .

تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفي : ٢٣٣ ، ط . الحيدرية .

و: ٢٤٤، ط. الغري.

ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ٢١/١، الحديث ٣٠
و: ١٨٤، الأحاديث: ٢٤٩ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤.

تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٣.

تفسير الخازن: ٢١٣/٥.

تفسير الطبري: ٦/٢٢ و ٧ و ٨.

تفسير الفخر الرازي: ٧٠٠/٢.

تلخيص المستدرک للذهبي (مطبوع بذييل المستدرک): عين الصفحات.

خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٤ و ١٦، ط. مطبعة التقدم العلمية - القاهرة.

و: ٤٦ و ٦٣، ط. الحيدرية.

و: ٨ و ١٥، ط. بيروت.

الدر المنثور للسيوطي: ١٩٨/٥ و ١٩٩.

ذخائر العقبي لمحَبّ الدين الطبري الشافعي: ٢٣ و ٢٤.

الرياض النضرة لمحَبّ الدين الطبري الشافعي: ٢٤٨/٢، الطبعة الثانية.

السيرة الحلبية لعلّي برهان الدين الحلبي الشافعي: ٢١٢/٣، ط. البهية - مصر.

و: ٢٤٠/٣، ط. محمّد علي صبيح - مصر.

السيرة النبوية لزيني دحلان (مطبوع بهامش السيرة الحلبية): ٣٣٠/٣، ط. البهية - مصر.

و: ٣٦٥/٣، ط. محمّد علي صبيح - مصر.

شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ١: ١٢٤، الحديث ١٧٢، و: ١٦/٢، الأحاديث: ٦٤٧

و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٤ و ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٧٠ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٥

و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٦٨٦ و ٦٨٩ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٦٩٣ و ٧١٨ و ٧١٩ و ٧٢٠

و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٤ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩

و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٣ و ٧٥٤ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٥ و ٧٦٨،

ط. بيروت.

صحيح الترمذي: ٣١٥، الحديث ٣٢٥٨ و: ٣٢٨، الحديث ٣٨٧٥، و: ٣٦١،

الملاحق / الملحق ٢: اختصاص أهل البيت بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .. ٥٤٩

الحديث ٣٩٦٣.

صحيح مسلم - كتاب الفضائل (باب فضائل علي بن أبي طالب): ١٧٦/١٥، ط. مصر بشرح النووي.

و: ٣٦٠/٢، ط. عيسى الحلبي.

و: ١١٩/٢، ط. محمد علي صبيح - مصر.

الصواعق المحرقة لابن حجر: ١١٩ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ٢٢٧، ط. المحمدية.

و: ٧٢ و ٨٥ و ٨٧ و ١٣٧، ط. الميمنية - مصر.

فتح البيان لصديق حسن خان: ٣٦٤/٧ و ٣٦٥.

فتح القدير للشوكاني: ٢٧٩/٤.

فرائد السمطين: ٣١٦/١، الحديث ٢٥٠ و: ٣٦٨، الحديث ٢٩٦ و: ١٤/٢، الحديث

٣٦٠.

الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٨.

كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٥٤ و ١٤٢ و ١٤٤ و ٢٤٢، ط. الحيدرية.

و: ٥٥ و ٥٦ و ١١٧، ط. الغري.

الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء للإمام شرف الدين: ٢٠٣ - ٢١٧، طبع ملحقات مع الفصول

المهمة، ط. النعمان.

مجمع الزوائد: ٩١/٧ و: ١٦٧/٩ و ١٦٩.

مرآة الجنان لليافعي: ١٠٩/١.

المستدرک علی الصحیحین للحاکم: ١٥٠/٢ و ١٥٢ و ٤١٦.

و: ١٠٨/٣ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٥٠ و ١٥٨.

مسند أحمد بن حنبل: ١٨٥/١ و: ٢٥٩/٣ و ٢٨٥ و: ٢٩٨/٦، ط. الميمنية - مصر.

مشكاة المصابيح للعمري: ٢٥٤/٣.

مصابيح السنة للبغوي الشافعي: ٢٧٨/٢، ط. محمد علي صبيح.

و: ٢٠٤/٢، ط. الخيرية - مصر.

مطالب السؤل لابن طلحة الشافعي: ١٩/١ و ٢٠، ط. النجف.

معالم التنزيل للبغوي الشافعي (مطبوع بهامش تفسير الخازن): ٢١٣/٥ .

المعجم الصغير للطبراني : ٦٥/١ .

مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي : ٧٥/١ .

مناقب للخوارزمي الحنفي : ٦٠ .

مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي : ٣٠٢ ، الأحاديث : ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨

و ٣٤٩ و ٣٥٠ .

منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) : ٥٣/٥ و : ٩٦/٥ .

نظم درر السمطين للزرندي الحنفي : ١٣٣ و ٢٣٨ و ٢٣٩ .

ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ١٠٧ و ١٠٨ و ١٩٤ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٤٤ و ٢٨١

و ٢٩٤ ، ط . اسلامبول .

و : ١٢٥ و ١٢٦ و ١٣٥ و ٢٢٩ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٩١ و ٣٣٧ و ٣٥٢

و ٣٥٣ ، ط . الحيدرية .

ملحق رقم (٣) أهل البيت

عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام

بإقرار أمّ سلمة زوج النبيّ وهي خارجة عنهم . راجع :

إسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) : ٩٧ ، ط . العثمانية .

و : ١٠٤ ، ط . السعيدية .

أسد الغابة لابن الأثير : ١٢/٢ و ٤١٣/٣ و : ٢٩/٤ .

تفسير ابن كثير : ٤٨٤/٣ و ٤٨٥ .

تفسير الطبري : ٧/٢٢ و ٨ .

الدر المنثور للسيوطي : ١٩٨/٥ .

ذخائر العقبي للطبري الشافعي : ٢١ و ٢٢ .

الرياض النضرة لمحّب الدين الطبري الشافعي : ٢٤٨/٢ ، الطبعة الثانية .

السيرة النبويّة لزيني دحلان (بهامش السيرة الحلبية) : ٣٣٠/٣ ، ط . الهيئة - مصر .

و : ٣٦٥/٣ ، ط . محمّد علي صبيح .

شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي : ٢٤/٢ ، الأحاديث : ٦٥٩ و ٧٠٦ و ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩

و ٧١٠ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٧ و ٧٢٠ و ٧٢٢ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٩ و ٧٣١

و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٤٠ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٧ و ٧٥٨

و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٨ .

صحيح الترمذي: ٣١/٥، الحديث ٣٢٥٨ و: ٣٢٨، الحديث ٣٨٧٥ و: ٣٦١، الحديث ٣٩٦٣.

فتح البيان لصديق حسن خان: ٣٦٤/٧.

فتح القدير للشوكاني: ٢٧٩/٤.

الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي: ٨.

كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٣٧٢، ط. الحيدرية.

و: ٢٢٧ و ٢٢٨، ط. الغري.

مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ١٩/١، ط. النجف.

مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي: ٣٠٣ الحديث ٣٤٧ و ٣٤٩.

نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ٢٣٨.

ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ١٠٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٩٤، ط. اسلامبول.

*و: ١٢٥ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٣٥٢، ط. الحيدرية.

إقرار عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله أنّ أهل البيت هم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.
راجع:

إحقاق الحقّ للتستري: ١٠/٩.

تلخيص المستدرك للذهبي (بذيل المستدرك).

الدّر المنثور للسيوطي: ١٩٨/٥ و ١٩٩.

ذخائر العقبي للطبري الشافعي: ٢٤.

شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ٣٣/٢، الأحاديث: ٦٧٦ و ٦٧٧ و ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤، وفي هذه الأحاديث الثلاثة اعترفت أنّ الآية لا تشملها.

صحيح مسلم - كتاب الفضائل (باب فضائل أهل البيت): ٣٦٨/٢، ط. عيسى الحلبي - مصر.

و: ١٩٤/١٥، ط. مصر بشرح النووي.

فتح البيان لصديق حسن خان: ٣٦٥/٧.

فتح القدير للشوكاني: ٢٧٩/٤.

كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٥٤ و ٣٧٣ و ٣٧٤، ط. الحيدرية.

و: ١٣ و ٢٢٩ و ٢٣٠ وصححه، ط. الغري.

المستدرک للحاكم: ١٤٧/٣ وصححه.

نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ١٣٣.

الرسول صلى الله عليه وآله يمرّ بباب علي وفاطمة سنة أشهر إذا خرج إلى الصلاة يقول:
**«الصلاة يا أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً﴾»^(١).**

يوجد ذلك في:

أسد الغابة لابن الأثير الشافعي: ٥٢١/٥.

أنساب الأشراف للبلاذري: ١٠٤/٢، الحديث ٣٨.

تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٣ و ٤٨٤.

تفسير الطبري: ٦/٢٢.

تلخيص المستدرک للذهبي (مطبوع بذيّل المستدرک).

الدّر المنثور للسيوطي: ١٩٩/٥.

شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ٢: ١١، الحديث ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤٤

و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٧٧٣.

صحيح الترمذي: ٣١/٥، الحديث ٣٢٥٩.

فتح البيان لصديق حسن خان: ٣٦٥/٧، ط. العاصمة - القاهرة.

و: ٢٧٧/٧، ط. بولاق - مصر.

فصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي: ٨.

مجمع الزوائد للهيثمى الشافعى : ١٦٨/٩ .

مستدرک للحاکم : ١٥٨/٣ وصححه .

مسند أحمد بن حنبل : ٢٥٩/٣ و ٢٨٥ ، ط . الميمنية - مصر .

مطالب السؤل لابن طلحة الشافعى : ١٩/١ .

منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) : ٩٦/٥ .

ينابيع المودة للقندوزى الحنفى : ١٩٣ و ٢٣٠ ، ط . اسلامبول .

و : ٢٢٩ و ٢٦٩ ، ط . الحيدرية .

ملحق رقم (٤) آية المودة

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾^(١).

هذه الآية نزلت في قربي الرسول ﷺ وهم : عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

راجع :

الاتحاف للشبراوي الشافعي : ٥ و ١٣ .

إحقاق الحق للتستري : ٢/٣ - ٢٢ و : ٩٢/٩ - ١٠١ ، الطبعة الأولى - طهران .

إحياء الميّت للسيوطي الشافعي (بهامش الاتحاف) : ١١٠ .

تفسير ابن كثير : ١١٢/٤ .

تفسير البيضاوي : ١٢٣/٤ ، ط . مصطفى محمد - مصر .

و : ٥٣/٥ ، أفست بيروت على ط . دار الكتب العربية - مصر .

و : ٦٤٢ ، ط . العثمانية .

تفسير الطبري : ٢٥/٢٥ ، الطبعة الثانية / الحلبي - مصر .

و : ١٤/٢٥ و ١٥ ، ط . اليمينية - مصر .

تفسير الفخر الرازي : ١٦٦/٢٧ ، ط . عبدالرحمن محمد - مصر .

و : ٤٠٦/٧ - ٤٠٥ .

تفسير القرطبي: ٢٢/١٦.

تفسير الكشاف للزمخشري: ٤٠٢/٣، ط. مصطفى محمد.

و: ٢٢٠/٤، ط. بيروت.

تفسير النسفي: ١٠٥/٤.

تلخيص المستدرک للذهبي (مطبوع بذييل المستدرک) ٣: ١٧٢.

حلية الأولياء: ٢٠١/٣.

الدّر المنثور للسيوطي: ٧/٦.

ذخائر العقبي للطبري الشافعي: ٢٥ و ١٣٨.

شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي: ١٣٠/٢، الأحاديث: ٨٢٢ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥

و ٨٢٦ و ٨٢٧ و ٨٢٨ و ٨٣٢ و ٨٣٣ و ٨٣٤ و ٨٣٨.

الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي: ١٠١ و ١٣٥ و ١٣٦، ط. الميمنية - مصر.

و: ١٦٨ و ٢٢٥، ط. المحمدية - مصر.

عبارات الأنوار - قسم حديث الثقلين: ٢٨٥/١.

الغدير للأميني: ٣١١/٢ - ٣٠٦.

فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان: ٣٧٢/٨.

فتح القدير للشوكاني: ٥٣٧/٤، الطبعة الثانية.

و: ٢٢/٤، الطبعة الأولى - بمصر.

فرائد السمطين: ٢٠/١ و ١٣/٢، الحديث ٣٥٩.

الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١١.

فضائل الخمسة: ٢٥٩/١.

كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٩١ و ٩٣ و ٣١٣، ط. الحيدرية.

و: ٣١ و ٣٢ و ١٧٥ و ١٧٨، ط. الغري.

مجمع الزوائد: ١٠٣/٧ و ١٦٨/٩.

المستدرک للحاكم: ١٧٢/٣.

مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ٨، ط. طهران.

و: ٢١/١، ط. النجف.

مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي: ١/ و ٥٧.

مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي: ٣٠٧، الحديث ٣٥٢.

نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ٢٤.

نور الأبصار للشبلنجي: ١٠٢، ط. السعيدية.

و: ١٠٦، ط. العثمانية - مصر.

ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ١٠٦ و ١٩٤ و ٢٦١، ط. اسلامبول.

و: ١٢٣ و ٢٢٩ و ٣١١، ط. الحيدرية.

و: ١٠٥/١ و: ١٩/٢ و ٨٥، ط. العرفان - صيدا.

ملحق رقم (٥) قصة الإطعام

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ (١).

هذه الآيات نزلت في : عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بمناسبة قصة صيامهم ثلاثة أيام وتصدقهم فيها بطعامهم على المسكين واليتيم والأسير.
راجع ذلك في :

إحقاق الحق للتستري : ١٥٨/٣ - ١٦٩ - و : ١١٠/٩ - ١٢٣ .

الإصابة لابن حجر : ٣٨٧/٤ ، ط . السعادة .

و : ٣٧٦/٤ ، ط . مصطفى محمد - مصر .

أسباب النزول للواحدي : ٢٥١ .

أسد الغابة لابن الأثير الجزري الشافعي : ٥٣٠/٥ - ٥٣١ .

تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفي : ٣١٢ - ٣١٧ .

التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي : ١٦٧/٤ .

تفسير أبي السعود (بهامش تفسير الرازي) : ٣٩٣/٨ ، ط . الدار العامرة .

تفسير البيضاوي : ١٦٥/٥ ، ط . بيروت أنسيت على ط . دار الكتب العربية الكبرى .

و : ٢٣٥/٤ ، ط . مصطفى محمّد .

و : ٥٧١/٢ ، ط . آخر .

تفسير الخازن : ١٥٩/٧ .

تفسير الفخر الرازي : ٢٤٣/١٣ ، ط . البهية - مصر .

و : ٣٩٢/٨ ، ط . الدار العامرة - مصر .

تفسير النسفي : ٣١٨/٤ .

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : ١٣٠/١٩ .

الدرّ المنثور للسيوطي : ٢٩٩/٦ .

ذخائر العقبي : ٨٨ و ١٠٢ .

روح المعاني للألوسي : ١٥٧/٢٩ .

الرياض النضرة لمحّب الدين الطبري الشافعي : ٢٧٤/٢ و ٣٠٢ ، الطبعة الثانية .

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢١/١ و : ٢٧٦/١٣ ، ط . مصر ، بتحقيق محمّد أبو

الفضل .

شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي : ٢٩٨/٢ ، الأحاديث : ١٠٤٢ و ١٠٤٦ و ١٠٤٧

و ١٠٤٨ و ١٠٥١ و ١٠٥٣ و ١٠٥٤ و ١٠٥٥ و ١٠٥٦ و ١٠٥٧ و ١٠٥٨ و ١٠٥٩

و ١٠٦١ .

العقد الفريد لابن عبد ربّه المالكي : ٩٦/٥ ، الطبعة الثانية / لجنة التأليف والنشر - مصر .

و : ٤٥/٣ ، ط . آخر .

الغدير للأميني : ١٠٧/٣ - ١١١ .

فتح القدير للشوكاني : ٣٤٩/٥ ، الطبعة الثانية .

و : ٣٣٨/٥ ، الطبعة الأولى / الحلبي - مصر .

- فرائد السمطين : ٥٣/١ - ٥٦ ، الحديث ٣٨٣ .
فضائل الخمسة من الصحاح الستة : ٢٥٤/١ .
الكشاف للزمخشري : ٦٧٠/٤ ، ط . بيروت .
و : ١٩٧/٤ ، ط . مصطفى محمد - مصر و : ٥١١/٢ ، ط . آخر .
كفاية الطالب للكنجي الشافعي : ٣٤٥ - ٣٤٨ ، ط . الحيدرية و : ٢٠١ ، ط . الغري .
مطالب السؤل لابن طلحة الشافعي : ٨٨/١ .
معالم التنزيل للبعوي الشافعي (بهامش تفسير الخازن) : ١٥٩/٧ .
المناقب للخوارزمي الحنفي : ١٨٨ - ١٩٤ .
مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي : ٢٧٢ ، الحديث ٣٠٢ .
نوادير الأصول للحكيم الترمذي : ٦٤ ، بدون ذكر اسم المطبعة .
نور الأبصار للشبلنجي : ١٠٢ - ١٠٤ ، ط . السعيدية - مصر .
و : ١٠١ - ١٠٢ ، ط . العثمانية - مصر .
ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ٩٣ و ٢١٢ ، ط . اسلامبول .
و : ١٠٧ و ١٠٨ و ٢٥١ ، ط . الحيدرية .

ملحق رقم (٦) آية الولاية

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكْعُونَ ﴾ - ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ^(١).

نزلت في الإمام عليّ حين تصدّق وهو راعٍ . راجع :

إحقاق الحق : ٣٩٩/٢ .

أحكام القرآن للجصاص : ١٠٢/٤ ، ط . عبدالرحمان محمّد .

أسباب النزول للواحدي : ١٤٨ ، ط . الهندية .

و : ١١٣ ، ط . الحلبي - مصر .

أنساب الأشراف للبلاذري : ١٥٠/٢ ، الحديث ١٥١ ، ط . بيروت .

تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفي : ١٨ و ٢٠٨ ، ط . النجف .

و : ١٥ ، ط . الحيدرية .

ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي : ٤٠٩/٢ ، الحديث

٩٠٨ و ٩٠٩ .

- التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي : ١٨١/١ .
 تفسير ابن كثير : ٧١/٢ ، ط . إحياء الكتب .
 تفسير الطبري : ٢٨٨/٦ و ٢٨٩ .
 تفسير الفخر الرازي : ٢٠/١٢ و ٢٦ ، ط . البهية - مصر .
 و : ٤٣١/٣ ، ط . الدار العامرة - مصر .
 تفسير القرطبي : ٢١٩/٦ و ٢٢٠ .
 التفسير المنير لمعالم التنزيل للجاوي : ٢١٠/١ .
 تفسير النسفي : ٢٨٩/١ .
 جامع الأصول : ٤٧٨/٩ .
 الحاوي للفتاوي للسيوطي : ١٣٩/١ و ١٤٠ .
 الدرّ المنثور للسيوطي : ٢٩٣/٢ .
 ذخائر العقبي لمحَبّ الدين الطبري الشافعي : ٨٨ و ١٠٢ .
 الرياض النضرة : ٢٧٣/٢ و ٣٠٢ .
 زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي الحنبلي : ٣٨٣/٢ .
 شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢٧٧/١٣ ، ط . مصر بتحقيق : محمّد أبو الفضل .
 و : ٢٧٥/٣ ، الطبعة الأولى - مصر .
 شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي : ١٦١/١ و ١٨٤ ، الأحاديث : ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨
 و ٢١٩ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣١
 و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ ،
 ط . بيروت .
 مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي : ٣١١ ، الحديث ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦
 و ٣٥٧ و ٣٥٨ .
 الصواعق المحرقة لابن حجر : ٢٤ ، ط . الميمنية .
 و : ٣٩ ، ط . المحمدية .
 الغدير للأميني : ٥٢/٢ و ١٥٦/٣ .

- فتح البيان في مقاصد القرآن : ٥١/٣ .
 فتح القدير للشوكاني : ٥٣/٢ .
 فرائد السمطين : ١١/١ و ١٩٠ ، الحديث ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٣ .
 الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي : ١٠٨ و ١٢٣ .
 الكشاف للزمخشري : ٦٤٩/١ .
 كفاية الطالب للكنجي الشافعي : ٢٢٨ و ٢٥٠ و ٢٥١ ، ط . الحيدرية .
 و : ١٠٦ و ١٢٢ و ١٢٣ ، ط . الغري .
 كنز العمال : ١٤٦/١٥ ، الحديث ٤١٦ و : ٩٥ ، الحديث ٢٦٩ ، الطبعة الثانية .
 لباب النقول للسيوطي (بهامش تفسير الجلالين) : ٢١٣ .
 مجمع الزوائد : ١٧/٧ .
 مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي : ٣١ ، ط . طهران .
 و : ٨٧/١ ، ط . النجف .
 معالم التنزيل (بهامش تفسير الخازن) : ٥٥/٢ .
 المناقب للخوارزمي الحنفي : ١٨٧ .
 منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) : ٣٨/٥ .
 نظم درر السمطين للزرندي الحنفي : ٨٦ - ٨٨ .
 نور الأبصار للشبلنجي : ٧١ ، ط . العثمانية .
 و : ٧٠ ، ط . السعيدية - مصر .
 ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ١١٥ ، ط . اسلامبول .
 و : ١٣٥ ، ط . الحيدرية .
 و : ١١٤/١ و : ٣٧/٢ ، ط . العرفان - صيدا .

أُستفيدت هذه الملاحق من كتاب

سبيل النجاة في تمة المراجعات / الشيخ حسين الراضي



المصادر



١- القرآن الكريم

حرف الألف

٢- «إتحاف بحب الأشراف»:

للشبراوي الشافعي عبد الله بن محمد بن عامر، المتوفى سنة ١١٧٢هـ، تحقيق سامي الغريري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، مجلد.

٣- «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة»:

للبوصيري أحمد بن أبي بكر ابن إسماعيل، المتوفى سنة ٨٤٠هـ، تحقيق أبي عبد الرحمن عادل بن سعد وأبي أسحاق السيد بن محمود، مكتبة الرشيد - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ١٠ مجلدات.

٤- «الإتقان في علوم القرآن»:

للحافظ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، المتوفى سنة ٩١١هـ، تقديم وتعليق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، مجلدان.

٥- «إحقاق الحق وإزهاق الباطل»:

للقاضي التستري نور الله الحسيني المرعشي، أستشهد سنة ١٠١٩هـ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ٣٣ مجلداً مع الملحقات + ٤ مجلدات للفهارس.

٦- «الإحكام في أصول الأحكام»:

لابن حزم الظاهري أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد، المتوفى سنة ٤٥٦هـ، دار الكتب

العلمية - بيروت ، ٨ أجزاء في مجلدين.

٧- «الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» :

لابن عساكر أبي منصور عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله ، المتوفى سنة ٦٢٠هـ ، تحقيق محمد مطيع الحافظ. دار الفكر - دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٨- «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» :

للسوكاني محمد بن علي بن محمد ، المتوفى سنة ١٢٥٠هـ ، تحقيق محمد صبحي ، دار ابن كثير - دمشق - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ، مجلد.

٩- «استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف» :

للحافظ السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، المتوفى سنة ٩٠٢هـ ، تحقيق خالد بن أحمد الصمّي بابطين ، دار البشائر الإسلامية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، مجلدان.

١٠- «الاستيعاب» :

لابن عبد البر القرطبي أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد ، المتوفى سنة ٤٦٣هـ ، تحقيق وتعليق علي محمد معوض وعادل أحمد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ٤ مجلدات

١١- «الإصابة في تمييز الصحابة» :

للحافظ ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ، المتوفى سنة ٨٥٢هـ ، دراسة وتحقيق عادل أحمد ، وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ٨ مجلدات.

١٢- «الأصول من الكافي» :

للكليني الرازي أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق ، المتوفى سنة ٣٢٩ / ٣٢٨هـ ، تصحيح وتعليق الشيخ محمد الآخوندي ، دار الكتب الإسلامية - طهران ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ ، مجلدان.

١٣- «الأم» :

للإمام الشافعي محمد بن إدريس ، المتوفى سنة ٢٠٤هـ ، طبعة جديدة منقحة

مصنّحة ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ٥ مجلّادات.

١٤ - «الأُمالي» :

للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، المتوفى ٣٨١هـ ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة - طهران ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، مجلّد.

١٥ - «الأُمالي الخُميسية» :

للشجري الجرجاني يحيى بن الحسين بن إسماعيل ، المتوفى سنة ٤٩٩هـ ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، مجلّدان.

١٦ - «أحكام القرآن» :

للجصاص أبي بكر أحمد بن عليّ الرّازي ، المتوفى سنة ٣٧٠هـ ، ضبط نصّه وخرّج آياته عبد السلام محمّد علي شاهين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ٣ مجلّادات.

١٧ - «أحكام القرآن» :

لابن العربي أبي بكر محمد بن عبد الله ، المتوفى سنة ٥٤٣هـ ، تحقيق علي محمّد البجاوي ، دار المعرفة - بيروت ، طبعة جديدة ، ٤ مجلّادات.

١٨ - «أسباب النّزول» :

للواحدي النّيسابوري أبي الحسن عليّ بن أحمد ، المتوفى سنة ٤٦٨هـ ، تعليق وتخرّيج مصطفى ديب البُغا ، دار ابن كثير - دمشق - بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، مجلّد.

١٩ - «أسد الغابة في معرفة الصّحابة» :

لابن الأثير الجَزَريّ عز الدّين أبي الحسن علي بن محمد ، المتوفى سنة ٦٣٠هـ ، اعتنى بتصحيحها عادل أحمد الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، طبعة جديدة مصنّحة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ٧ مجلّادات + مجلّد الفهارس.

٢٠- «أنساب الأشراف» :

للبلاذري أحمد بن يحيى بن جابر ، من أعلام القرن الثالث الهجري ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم ، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ ، مجلد.

٢١- «أهل البيت في آية التطهير دراسة وتحليل ن :

للسيد العاملي جعفر مرتضى ، دار الأمير للثقافة والعلوم - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣ - ١٩٩٣ م ، مجلد.

٢٢- «أهل البيت في الكتاب والسنة» :

للشيخ الرّي شهري محمد ، تحقيق دار الحديث مطبعة دار الحديث ، الطبعة الأولى ، مجلد.

حرف الباء

٢٣- «البداية والنهاية» :

لابن كثير الدمشقي أبي الفداء ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، تحقيق أحمد عبدالوهاب ، دار الحديث - القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ١٤ جزءاً في ٧ مجلدات + مجلد الفهارس

٢٤- «البرهان في علوم القرآن» :

للزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، المتوفى سنة ٧٩٤ هـ ، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، وجمال حمدي الذهبي ، وإبراهيم عبد الله الكردي دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ، ٤ مجلدات

حرف التاء

٢٥- «الأساس في التفسير» :

لسعيد حوى ، دار السلام - القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ١١ مجلداً.

٢٦- «الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل» :

للشيخ الشيرازي ناصر مكارم ، مؤسسة البعثة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ /

٢٧- «البحر المحيط في التفسير» :

لأبي حيّان الأندلسي الغرناطي محمد بن يوسف ، المتوفى سنة ٧٥٤هـ ، وطبعة جديدة مُنقّحة مصحّحة ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ١٠ مجلّدات + مجلّد الفهارس .

٢٨- «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» :

لابن عجيبة الحسني أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي المتوفى سنة ١٢٢٤هـ . تحقيق عمر أحمد الرّاوي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ٨ مجلّدات.

٢٩- «البيان في تفسير القرآن» :

للسيد الخوئي أبي القاسم ، مركز التوزيع : دار الثّقيلين / قم ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، مجلّد.

٣٠- «تاج العروس من جواهر القاموس» :

للزبيدي الحنفي محبّ الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى ، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ ، دراسة وتحقيق علي شيري ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ٢٠ مجلّداً.

٣١- «تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» :

للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثانية ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ٤٩ مجلّداً.

٣٢- «تأريخ العرب والشعوب الإسلامية» :

لكلود كاهن (مستشرق كبير على صعيد عالمي - أستاذ في جامعة باريس) ، نقله إلى العربية بدر الدين القاسم ، دار الحقيقة للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

٣٣- «تأريخ بغداد أو مدينة السلام» :

للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي المتوفى سنة ٤٦٣هـ ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ،

١٤ مجلداً + مجلد الفهارس.

٣٤ - «تأريخ الرُّسل والملوك المسمّى تأريخ الطبري»: للطبري أبي جعفر

محمد بن جرير، المتوفى سنة ٣١٠هـ، طبعة اروبا ١٨٩٨م، ١٣ مجلداً.

٣٥ - «التأريخ الكبير»:

للبخاري الجعفي أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، دار

الكتب العلمية - بيروت، ٨ مجلدات + مجلد الفهارس.

٣٦ - «تأريخ مدينة دمشق»:

لابن عساكر الشافعي أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله، المتوفى سنة

٥٧١هـ، تحقيق علي شيري، دار الفكر - بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ٧٠ مجلداً.

٣٧ - «التبيان في تفسير القرآن»:

للشيخ الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن، المتوفى سنة ٤٦٠هـ، تقديم الشيخ آقا

بزرگ الطهراني، المطبعة العلمية في النجف ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م، ١٠ مجلدات.

٣٨ - «تذكرة الحُفاظ»:

للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٧٤٨هـ، وضع حواشيه

زكريّا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ٤ أجزاء في

مجلدين.

٣٩ - «تذكرة الخواص»:

لسبط ابن الجوزي شمس الدين أبي المظفر يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي

المتوفى سنة ٦٥٤هـ، منشورات الشريف الرضي - قم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٤٠ - «تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»:

للقاضي العمادي الحنفي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى سنة ٩٨٢هـ، خرّج

أحاديثه وعلّق عليه محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ

/ ٢٠٠١م، ٦ مجلدات + مجلد الفهارس

٤١ - «تفسير بدائع التفسير»:

لابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المتوفى

سنة ٧٥١هـ ، جمعه ووثق نصوصه يسرى السيد محمد ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية / الدمام ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ٥ مجلدات.

٤٢ - « تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل » :

للقاضي البيضاوي الشيرازي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله أبي عمر بن محمد ، المتوفى سنة ٧٩١هـ ، تحقيق عبد القادر عرفات ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ٥ مجلدات

٤٣ - « تفسير التحرير والتنوير » :

للشيخ ابن عاشور محمد الطاهر ، دار التونسية للنشر ، ٣٠ جزءاً في ١٥ مجلداً.

٤٤ - « تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن » :

لثعالبي المالكي أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، المتوفى سنة ٨٧٥هـ ، تحقيق علي محمد معوض ، وعادل أحمد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ٥ مجلدات .

٤٥ - « تفسير الجبري » :

للجبري الكوفي أبي عبدالله الحسين بن الحكم بن مسلم ، المتوفى سنة ٢٨٦هـ ، تحقيق السيد محمد رضا الحسيني ، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - بيروت ، الطبعة المحققة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، مجلد.

٤٦ - « تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل » :

للخازن البغدادي علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم ، المتوفى سنة ٧٢٥هـ ، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ٤ مجلدات.

٤٧ - « تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم » :

للسمرقندي الحنفي نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث ، المتوفى سنة ٣٩٣هـ ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ٣ مجلدات .

٤٨ - « تفسير الصّافي » :

للفيض الكاشاني محمد محسن بن مرتضى ، المتوفى سنة ١٠٩١ هـ ، مؤسسة الأعلمي للطبوعات - بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ٥ مجلدات.

٤٩ - « تفسير عبد الرزاق » :

للمحدث عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، المتوفى سنة ٢١١ هـ ، دراسة وتحقيق محمود محمد عبده ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ٣ مجلدات.

٥٠ - « تفسير العياشي » :

للعياشي أبي النضر محمد بن مسعود ، المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة - قم ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ، ٣ مجلدات.

٥١ - « تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان » :

للنيسابوري القمي نظام الدين الحسن بن محمود بن حسين ، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، خرّج آياته وأحاديثه زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ، ٦ مجلدات.

٥٢ - « تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن » :

للعامة البخاري القنوجي أبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ ، عنى بطبعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصرية - صيدا ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ١٥ مجلداً.

٥٣ - « تفسير فتح القدير » :

للسوكاني محمد بن علي بن محمد ، المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، ٥ مجلدات + مجلد الفهارس.

٥٤ - « تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب » :

لفخر الدين الرازي محمد بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرّي ، المتوفى

سنة ٦٠٤هـ، تقديم الشيخ خليل محي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت،
الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ٣٢ جزءاً في ١٦ مجلداً + مجلد الفهرس.

٥٥ - « تفسير فُرات الكوفي » :

لأبي القاسم فُرات بن إبراهيم بن فُرات، من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق محمد
الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، مجلد.

٥٦ - « تفسير في ظلال القرآن » :

لسيد قطب، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ٦
مجلدات.

٥٧ - « تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل » :

القاسمي محمد جمال الدين، المتوفى سنة ١٣٢٢هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،
مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ٧ مجلدات + مجلد
الفهارس.

٥٨ - « تفسير القرآن » :

لسلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي
الشافعي، المتوفى سنة ٦٦٠هـ، تحقيق وتعليق عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الوهبي، دار
ابن حزم - الأحساء، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ٣ مجلدات.

٥٩ - « تفسير القرآن » :

لأبي المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي
السلفي، المتوفى سنة ٤٨٩هـ، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم وأبي بلال غنيم بن
عباس، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ٦ مجلدات.

٦٠ - « تفسير القرآن العزيز » :

لابن أبي زَمَين المالكي أبي عبدالله محمد بن عبد الله، شيخ قرطبة، المتوفى سنة
٣٩٩هـ، تحقيق أبي عبدالله حسين بن عكاشة ومحمد مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق
الحديثة - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ٥ مجلدات.

٦١- « تفسير القرآن العظيم » :

للحافظ ابن كثير الدمشقي عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ ، تعليق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ٨ مجلدات + مجلد الفهارس.

٦٢- « تفسير القرآن العظيم مُسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وآله والصَّحابة والتابعين » :

للحافظ ابن أبي حاتم الرّازي عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ، المتوفى سنة ٣٢٧هـ ، تحقيق أسعد محمد الطيّب ، المكتبة العصرية صيدا - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ١٠ مجلدات + ٤ مجلدات الفهارس.

٦٣- « تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار » :

للشيخ محمد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٤٥هـ ، عن دروس استاذه الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣هـ ، تعليق وتصحيح سمير مصطفى رباب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ١٢ مجلداً

٦٤- « تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المُنير » :

للشيخ الخطيب الشربيني محمد بن أحمد ، المتوفى بعد عام ٩٦٨هـ ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثانية ، أعيد طبعه بالأوفسيت عن طبعة بولاق مصر ١٢٨٥هـ ، ٤ مجلدات.

٦٥- « التفسير القرآني للقرآن » :

لعبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ٨ مجلدات.

٦٦- « تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات » :

للقشيري النيشابوري الشافعي أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ، المتوفى سنة ٤٦٥هـ ، تحقيق إبراهيم بسيوني ، الهيئة المصرية العامة - القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨١م ، ٣ مجلدات.

٦٧- « تفسير القمي » :

لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم ، المتوفى سنة ٣٠٧هـ ، تحقيق السيد طيّب

الموسى الجزائري ، دار السُرور - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، مجلّدان.
 ٦٨ - « تفسير الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه
 التأويل » :

للزمخشري أبي القاسم جَار الله محمود بن عمر بن محمّد ، المتوفى سنة ٥٣٨هـ ،
 ترتيب وتصحيح محمد عبدالسلام شاهين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى
 ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ٤ مجلّدات.

٦٩ - « تفسير اللّباب في علوم الكتاب » :

لابن عادل الدمشقي الحنبلي أبي حفص عُمر بن علي ، المتوفى سنة ٨٨٠هـ ، تحقيق
 وتعليق عادل أحمد بن الموجود وعلي محمّد معوّض ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة
 الأولى ١٤١٩ - ١٩٩٨م ، ٢٠ مجلّداً.

٧٠ - « تفسير مجمع البيان » :

للشيخ الطبرسي أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل ، المتوفى سنة ٥٦١هـ ، خرّج
 آياته وشواهد إبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية -
 بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ١٠ مجلّدات.

٧١ - « تفسير المراغي » :

للمراغي أحمد مصطفى ، خرّج آياته وأحاديثه باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية -
 بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ١٠ مجلّدات.

٧٢ - « تفسير مقاتل بن سليمان » :

لمقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي ، المتوفى سنة ١٥٠هـ ، تحقيق
 أحمد فريد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ٣ مجلّدات.

٧٣ - « تفسير من وحي القرآن » :

للسيد فضل الله محمد حسين ، دار الملاك - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ،
 ٢٤ مجلّداً + مجلّد الفهارس.

٧٤ - « تفسير النّسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل » :

للنسفي أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ، المتوفى سنة ٧١٠هـ ، تحقيق يوسف علي بديوي ، دار ابن كثير - دمشق / بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ٣ مجلدات.

٧٥ - « تقريب التهذيب » :

للحافظ ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي ، المتوفى سنة ٧٥٢هـ ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة - بيروت الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، جزءان في مجلد.

٧٦ - « تلخيص الكبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير » :

لابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي ، المتوفى سنة ٨٥٢هـ ، تصحيح وتعليق السيد عبدالله هاشم اليماني المدني ، دار المعرفة - بيروت ، ٤ أجزاء في مجلدين + مجلد الفهارس.

٧٧ - « تلخيص المستدرک » :

لشمس الدين الذهبي محمد بن أحمد ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، المطبوع في ذيل المستدرک على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

٧٨ - « التمهيد في علوم القرآن » :

للشيخ معرفة محمد هادي ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، ٦ مجلدات.

٧٩ - « تهذيب التهذيب » :

للحافظ ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي ، المتوفى سنة ٨٥٢هـ ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ١٢ مجلداً + مجلداً الفهارس.

٨٠ - « تهذيب الكمال » :

للحافظ المزني جمال الدين أبي الحجاج يوسف ، المتوفى سنة ٧٤٢هـ ، مراجعة سهيل زكار ، تحقيق أحمد علي عبید ، وحسن أحمد آقا ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ٢٢ مجلداً + مجلداً الفهارس

٨١- « جامع البيان عن تأويل آي القرآن المشتهر بتفسير الطبري » :

للطبري أبي جعفر محمد بن جرير ، المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م ، ٢٤ مجلداً + مجلداً الفهارس.

٨٢- « الجامع لأحكام القرآن المشتهر بتفسير « القرطبي » » :

للقرطبي أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري ، المتوفى سنة ٦٦٨ هـ ، للقرطبي وتعليق محمد إبراهيم الحفناوي ، دار الحديث - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ، ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلدات + مجلداً الفهارس.

٨٣- « الجواهر في تفسير القرآن الكريم » :

للشيخ طنطاوي جوهرى ، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩١ هـ / ١٤١٢ م ، ٢٦ جزءاً في ١٣ مجلداً.

٨٤- « حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي » :

للقوجوي الحنفي محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى ، المتوفى سنة ٩٥١ هـ ، تصحيح محمد عبد القادر شاهين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ٨ مجلدات.

٨٥- « الدر المنثور في التفسير بالمأثور » :

للحافظ السيوطي عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين ، المتوفى سنة ٩١١ هـ ، طبعة جديدة ، صححها وخرج أحاديثها الشيخ نجدت نجيب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م ، ٨ مجلدات.

٨٦- « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » :

للألوسي البغدادي أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ٣٠ جزءاً في ١٦ مجلداً.

٨٧- « زاد المسير في علم التفسير » :

لابن الجوزي أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ، المتوفى

سنة ٥٩٧هـ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ٨ مجلّدات.

٨٨ - «الضوء المنير على التفسير»:

لابن قَيِّم الجوزية أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٥١هـ، جمعه علي الحمد المحمد الصالحي، مكتبة دار السلام - الرياض، ٦ مجلّدات.

٨٩ - «الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي»:

للتعلبي أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٢٧هـ، دراسة وتحقيق أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ١٠ مجلّدات.

٩٠ - «المحرّر الوجيز، تفسير ابن عطية»:

للقاضي ابن عطية الأندلسي أبي محمد عبد الحق بن غالب، المتوفى سنة ٥٤٦هـ، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٥ مجلّدًا.

٩١ - «معالم التنزيل في التفسير والتأويل»:

للبغوي أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء، المتوفى سنة ٥١٠هـ، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ٥ مجلّدات.

٩٢ - «معاني القرآن الكريم تفسير لغوي موجز»:

لمجموعة من الأساتذة: إبراهيم عبد الله رفيدة، محمد رمضان الجربي، محمد مصطفى صوفية، مصطفى الصادق العربي، وأحمد عمر أبي حجر، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - طرابلس، الطبعة الأولى ١٣٦٩ من وفاة الرسول، ٤ مجلّدات.

٩٣ - «مواهب الرحمن في تفسير القرآن»:

للسيد السبزواري الموسوي عبد الأعلى، مؤسسة المنار - قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، ١٠ مجلّدات، غير كامل ينتهي في تفسير الآية ٥ سورة المائدة.

٩٤ - «الميزان في تفسير القرآن»:

للطباطبائي السيد محمد حسين، مؤسسة إسماعيليان - إيران / قم، الطبعة الأولى

١٤١٢هـ / ١٣٧١ش ، ٢٠ مجلداً.

حرف الجيم

٩٥- «جامع الأصول في أحاديث الرسول» :

لابن الأثير الجزري أبي السعادات المبارك بن محمد ، المتوفى سنة ٦٠٦هـ ، تحقيق وتعليق عبد القادر الأرناؤوط ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ١١ مجلداً + مجلداً الفهارس + مجلداً التتمة.

٩٦- «جامع بيان العلم وفضله» :

لابن عبد البر القرطبي المالكي أبي عمر يوسف بن عبدالله ، المتوفى سنة ٤٦٣هـ ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي - الدمام ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، مجلدان.

٩٧- «الجامع الكبير، المسمى بسنن الترمذي» :

للترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى ، المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٨م ، ٦ مجلدات.

٩٨- «الجرح والتعديل» :

لابن أبي حاتم أبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرّازي ، المتوفى سنة ٣٢٧هـ ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ٩ مجلدات + مجلد الفهرس.

٩٩- «جواهر العقدين» :

للسمهودي نور الدين علي بن عبدالله ، المتوفى سنة ٩١١هـ ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، مجلد.

حرف الحاء

١٠٠- «الحضارة العربية» :

للمستشرق الفرنسي جاك ريسلر ، تعريب الدكتور خليل أحمد خليل ، منشورات

عويدات / بيروت - باريس الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

١٠١ - « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » :

للحافظ أبي نعيم الأصفهاني أحمد بن عبدالله ، المتوفى سنة ٤٣٠هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٠ مجلدات + مجلد الفهارس.

حرف الخاء

١٠٢ - « خصائص أمير المؤمنين » :

للنسائي أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب ، المتوفى سنة ٣٠٣هـ ، تحقيق السيد جعفر الحسيني ، دار الثقلين - قم ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٠٣ - « خصائص الوحي المبين » :

لابن البطريق يحيى بن الحسن الحلبي ، المتوفى سنة ٦٠٠هـ ، تحقيق وتعليق محمد باقر المحمودي ، منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي - طهران ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، مجلد.

حرف الراء

١٠٤ - « الرياض النَّضْرَة في مناقب العشرة » :

لمحبّ الدين الطبري أحمد بن عبدالله ، المتوفى سنة ٦٩٤هـ ، تحقيق عبدالمجيد حلبي ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ٤ أجزاء في مجلد.

حرف الدال

١٠٥ - « دروس في علم الأصول » :

للسيد الشهيد الصدر محمد باقر ، دار الكتاب اللبناني - بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م ، ٤ مجلدات.

١٠٦ - « دلائل النبوة » :

لأبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبدالله ، المتوفى سنة ٤٣٠هـ ، تحقيق محمد رواس وعبد البرّ عباس ، دار النفائس - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، جزءان في مجلد.

١٠٧- « دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة » :

للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ٧ مجلدات .

١٠٨- « ديوان الضعفاء والمتروكين » :

للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، دار القلم - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، مجلدان .

حرف الذال

١٠٩- « ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى » :

لمحبّ الدين الطبري المكي أبي العباس أحمد بن عبدالله بن محمد ، المتوفى سنة ٦٩٤ هـ ، تحقيق وتعليق أكرم البوشي ، مكتبة الصحابة - جدة ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، مجلد .

حرف السين

١١٠- « سعد السُّعود للنفوس » :

لابن طاووس رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد الطاووسي العلوي الفاطمي ، المتوفى سنة ٦٦٤ هـ ، تحقيق فارس الحسون ، انتشارات الدليل - قم ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ / ١٣٧٩ ش ، مجلد .

١١١- « سنن ابن ماجة » :

لابن ماجة ، أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، المتوفى سنة ٢٧٣ هـ ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ٤ مجلدات + مجلد الفهرس .

١١٢- « سنن أبي داود » :

للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ، مراجعة وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر - بيروت ، ٤ أجزاء في مجلدين .

١١٣ - «سُنن الدارمي» :

للدارمي السمرقندي أبي محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي ، المتوفى سنة ٢٢٥ هـ ، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، مجلّدان .

١١٤ - «السُنن الكبرى» :

للنسائي أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب ، المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ، تحقيق عبد الغفار سليمان ، وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ٦ مجلّدات + مجلّد الفهارس .

١١٥ - «السُنن الكبرى» :

للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، دار المعرفة - بيروت ، ١٠ مجلّدات + مجلّد الفهارس .

١١٦ - «سير أعلام النبلاء» :

للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، تحقيق مُحَبِّ الدين أبي سعيد عمر بن غرامة ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ١٧ جزءاً في ١٦ مجلّداً + مجلّداً الفهارس .

١١٧ - «السيرة النبويّة» :

لابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ، المتوفى سنة ٢١٨ هـ ، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبدالحفيظ شلبي ، دار المعرفة بيروت ، ٤ أجزاء في مجلّدين .

حرف الشين

١١٨ - «شرح السُنّة» :

للبنغوي أبي محمد الحسين بن مسعود ، المتوفى سنة ٥١٢ هـ ، تحقيق سعيد محمد اللحام ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ٨ مجلّدات .

١١٩ - «شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنيّة بالمنح المحمديّة

للقسطلاني» :

للزرقاني محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان المصري الأزهري المالكي ، المتوفى سنة ١١٢٢ هـ ، ضبطه وصححه محمد عبدالعزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ١٢ مجلداً.

١٢٠ - « شرح المقاصد في علم الكلام » :

للتفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله ، المتوفى سنة ٧٩٣ هـ ، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، عالم الكتب - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ٥ مجلدات.

١٢١ - « شرح مقدمة التفسير شيخ الإسلام ابن تيمية » :

للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار ، دار الوطن - الرياض ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ هـ / ١٤١٥ م ، مجلد.

١٢٢ - « شرح المواقف » :

للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي ، المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، تأليف السيد الشريف الجرجاني علي بن محمد ، المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، ومعه حاشية السيالكوتي والجلبي على شرح المواقف ، تحقيق محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ٨ أجزاء في ٤ مجلدات.

١٢٣ - « شرح نهج البلاغة » :

لابن أبي الحديد المعتزلي عز الدين أبي حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني ، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلدات + مجلد الفهارس.

١٢٤ - « شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام » :

للكاظم الحاكمني الحنفي الحذاء النيسابوري عبيد الله بن عبد الله بن أحمد ، المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، تحقيق وتعليق محمد باقر المحمودي ، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - طهران ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، مجلدان + مجلد الفهارس.

حرف الصاد

١٢٥- « صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان » :

لابن حبان التميمي البستي السجستاني أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ، المتوفى سنة ٣٥٤هـ . قام بترتيبه ابن بلبان الفارسي علاء الدين علي ، المتوفى سنة ٧٣٩هـ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ١٧ مجلداً + مجلد الفهارس .

١٢٦- « صحيح البخاري » :

للبخاري الجعفي أبي عبدالله محمد بن إسماعيل ، المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، ضبطه ورقمه الدكتور مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير - دمشق ، ودار اليمامة - دمشق . الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ٦ مجلدات + مجلد الفهارس .

١٢٧- « صحيح البخاري بحاشية الإمام السندي » :

للسندي أبي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي ، المتوفى سنة ١١٣٨هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ٤ مجلدات .

١٢٨- « صحيح مسلم » :

للقيشيري النيسابوري أبي الحسين مسلم بن الحجاج ، المتوفى سنة ٢٦١هـ ، تعليق وإشراف محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م ، ٤ مجلدات + مجلد الفهارس .

١٢٩- « الصواعق المحرقة على أهل الرّفص والضلال والزندقة » :

لابن حجر الهيتمي أبي العباس أحمد بن محمد بن علي ، المتوفى سنة ٩٧٣هـ ، تحقيق عبدالرحمن التركي وكامل الخراط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، مجلدان .

حرف الضاد

١٣٠- « الضعفاء الصغير » :

للبخاري محمد بن إسماعيل ، المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار

المعرفة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، مجلد.

١٣١ - «الضعفاء الكبير» :

للعقيلي المكي أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد ، المتوفى سنة ٣٢٢هـ ، تحقيق عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ٤ مجلدات.

١٣٢ - «الضعفاء والمتروكين» :

للنسائي أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، المتوفى سنة ٣٠٣هـ ، تحقيق مركز الخدمات والأبحاث ، مؤسسة الكتب الثقافية. الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، مجلد.

١٣٣ - «الضعفاء والمتروكين» :

لابن الجوزي البغدادي أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، حققه عبدالله القاضي ، دار الكتب العلميّة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، مجلدان.

حرف الطاء

١٣٤ - «طبقات الشافعية الكبرى» :

للسبكي أبي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي ، المتوفى سنة ٧٧١هـ ، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، ١٠ مجلدات.

١٣٥ - «الطبقات الكبرى» :

لابن سعد الهاشمي البصري محمد بن سعد بن منيع ، المتوفى سنة ٢٣٠هـ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ٨ مجلدات + مجلد الفهارس.

١٣٦ - «طُرُزُ الوَفا في فضائل آل المصطفى ﷺ» :

للمصري الشافعي أحمد زين العابدين ابن محمد زين العابدين ، المتوفى سنة ١٠٤٨هـ ، تحقيق سامي الغريري ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، مجلد.

حرف الظاء

١٣٧ - « ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي » :

للدكتور سفرين عبد الرحمن الحوالي ، كلية الشريعة جامعة أمّ القرى ، إشراف محمد قطب ، مكتب الطيب - قاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ، مجلّدان.

حرف العين

١٣٨ - « العُجاب في بيان الأسباب » :

لابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، تحقيق أبي عبد الرحمن فواز أحمد زمري ، دار ابن حزم - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م ، مجلّد.

١٣٩ - « العَقْد الفَرِيد » :

للأندلسي أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه ، المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م ، ٦ مجلّدات + مجلّد الفهارس.

١٤٠ - « علل الشرايع » :

الشيخ الصّدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، المتوفى سنة ٣٨١ هـ ، دار الحُجّة للثقافة - قم ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ، جزآن في مجلّد.

١٤١ - « عيون أخبار الرضا » :

للشيخ الصّدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي ، المتوفى سنة ٣٨١ هـ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، مجلّدان.

حرف الغين

١٤٢ - « الغريبين في القرآن والحديث » :

للهروي أبي عبيد أحمد بن محمّد صاحب الأزهرى ، المتوفى سنة ٤٠١ هـ ، تحقيق أحمد فريد المزيدي ، مكتبة نزار الباز - مكّة المكرّمة ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ٦ مجلّدات.

حرف الفاء

١٤٣- «فتح الباري في شرح صحيح البخاري»:

للحافظ ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ١٥ مجلداً + مجلداً المقدمة والخاتمة.

١٤٤- «فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من

ذريتهم عليهم السلام»:

لشيخ الإسلام الجويني الخراساني إبراهيم بن محمد ابن المؤيد بن عبدالله بن علي بن محمد، من أعلام القرنين السابع والثامن، المتوفى سنة ٧٣٠هـ، تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٦٧٨م، مجلداً.

١٤٥- «الفصول المختارة من العيون والمحاسن»:

للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي، المتوفى سنة ٤١٣هـ، تأليف السيد الشريف المرتضى، المتوفى سنة ٤٣٦هـ، تحقيق السيد علي ميرشرفي، دار المفيد - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، مجلداً.

١٤٦- «الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة»:

لابن الصبّاغ المالكي المكيّ علي بن محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٨٥٥هـ، دار الأضواء - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، مجلداً.

حرف القاف

١٤٧- «قاموس الرجال»:

للشيخ التستري محمد تقي بن كاظم، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، ٩ مجلدات.

حرف الكاف

١٤٨- «الكامل في التاريخ»:

لابن الأثير الشيباني عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم، المتوفى سنة ٦٣٠هـ،

دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٩ م ، ٧ مجلدات + مجلدا الفهارس.

١٤٩ - «الكامل في ضعف الرجال» :

للحافظ ابن عديّ الجرجاني عبد الله بن عدي بن عبدالله بن محمد بن المبارك ، المتوفى سنة ٣٦٥ هـ ، تحقيق عادل أحمد وعلي معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ٩ مجلدات.

١٥٠ - «الكشف الحثيث عمّن رُمي بوضع الحديث» :

للحلي الشافعي برهان الدين إبراهيم بن محمد بن خليل ، المتوفى سنة ٨٤١ هـ ، تحقيق صبحي السامرائي ، مطبعة العاني - بغداد ، مجلد.

١٥١ - «كشف الأستار عن زوائد البزار» :

لليثمي نور الدين عليّ بن أبي بكر المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ٤ مجلدات.

١٥٢ - «كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الأثني عشر» :

لابي القاسم الخزّار الرازي القمي علي بن محمد بن عليّ ، من علماء القرن الرابع الهجري تحقيق عبد اللطيف الحسيني ، مطبعة الخيام - قم ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ، مجلد.

١٥٣ - «كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب» :

للحافظ الكنجي الشافعي محمد بن يوسف ، المقتول سنة ٦٥٨ هـ ، تحقيق محمد هادي الأميني ، دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام - طهران ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ / ١٣٦٢ هـ ش ، مجلد.

حرف اللام

١٥٤ - «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية» :

للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن ، المتوفى سنة ٩١١ هـ ، تحقيق صلاح محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، مجلداً + مجلد الفهارس.

١٥٥ - «لسان العرب» :

لابن منظور محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري ، المتوفى سنة ٧١١ هـ ،

دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ١٧ مجلداً + مجلد الفهارس.

١٥٦ - « لسان الميزان » :

لابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي ، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، تحقيق عادل أحمد وعلي معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ، ٧ مجلدات.

١٥٧ - « لمحات من تأريخ العالم » :

لجواهر لال نهرو ، نقله إلى العربية لجنة من الأساتذة الجامعيين ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بغداد ، الطبعة الثانية ١٩٥٧ م ، مجلد.

حرف الميم

١٥٨ - « البحر الزخار المعروف بمسند البزار » :

للحافظ أبي بكر البزار أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ، المتوفى سنة ٢٩٢ هـ ، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ١١ مجلداً.

١٥٩ - « بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد » :

للحافظ الهيتمي نور الدين علي بن أبي بكر ، المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ، تحقيق عبدالله محمد الدرويش ، دار الفكر - بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ١٠ مجلدات.

١٦٠ - « المجروحين من المحذّثين والضعفاء والمتروكين » :

للحافظ ابن حبان البستي التميمي أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد ، المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار المعرفة - بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ٣ أجزاء في مجلد.

١٦١ - « مجمع البحرين » :

الطريحي فخر الدين ، المتوفى سنة ١٠٨٥ هـ ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة - طهران ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ، ٣ مجلدات.

١٦٢- «مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر» :

لابن منظور محمد بن مكرم ، المتوفى سنة ٧١١هـ ، تحقيق رياض عبدالحميد مراد ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ٢٩ مجلداً + مجلداً للفهارس

١٦٣- «مختصر الكامل في الضعفاء وَعِلَل الحديث لابن عدي» :

للمقرئزي تقي الدين أحمد بن علي ، المتوفى سنة ٨٤٥هـ ، تحقيق أيمن بن عارف ، دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، مجلد.

١٦٤- «مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير» :

جمع وتخرىج حكمت بشير ياسين ، مكتبة المؤيد - الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ٤ مجلدات.

١٦٥- «المُستدرك على الصحيحين» :

للكافظ الحاكم النيسابوري أبي عبدالله محمد بن عبدالله ، المتوفى سنة ٤٠٥هـ ، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ٤ مجلدات + مجلد الفهارس.

١٦٦- «مسند أبي داود الطيالسي» :

للكافظ ابن داود الطيالسي البصري الفارسي سليمان بن داود بن الجارود ، المتوفى سنة ٢٠٤هـ ، دار المعرفة - بيروت ، طبعة مزيده بفهارس ، مجلد.

١٦٧- «مسند أبي يعلى الموصلي» :

للكافظ أبي يعلى الموصلي التميمي أحمد بن علي بن المثنى ، المتوفى سنة ٣٠٧هـ ، تحقيق حسين سليم ، دار الثقافة العربية - دمشق ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ١٣ مجلداً + مجلداً للفهارس.

١٦٨- «مسند الإمام أحمد بن حنبل» :

للإمام أحمد بن حنبل ، المتوفى سنة ٢٤١هـ ، دار فكر - بيروت ، ٦ مجلدات. والطبعة المحققة : تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مُرشد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ٤٥ مجلداً + ٥ مجلدات للفهارس.

١٦٩ - «المسند الجامع لأحاديث الكتب الستة، ومؤلفات أصحابها الأخرى: موطأ مالك، ومسانيد الحميدي، وأحمد بن حنبل، وعبد بن حميد، وسنن الدارمي، وصحيح ابن خزيمة»:

تحقيق د. بشار عواد معروف، محمد النوري، أحمد عبد الرزاق، أيمن إبراهيم، ومحمود محمد خليل، دار الجيل - بيروت، والشركة المتحدة - الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ٢٠ مجلداً.

١٧٠ - «مسند الحميدي»:

للحميدي أبي بكر عبدالله بن الزبير القرشي، المتوفى سنة ٢١٩هـ، تحقيق حسين سليم، دار السقا - دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، مجلدان.

١٧١ - «مسند الصحابة المعروف بمسند الروياني»:

للحافظ الروياني الرازي أبي بكر محمد بن هارون، المتوفى سنة ٣٠٧هـ، تحقيق صلاح بن محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، جزءان في مجلد.

١٧٢ - «مشكل الآثار»:

للحافظ الطحاوي الحنفي المصري أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة، المتوفى سنة ٣٢١هـ، دار صادر - بيروت، أفسيت طبعة دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٣٣هـ، ٤ مجلدات.

١٧٣ - «المصباح المنير (معجم لغوي)»:

للفيومي أحمد بن محمد بن علي، المتوفى سنة ٧٧٠هـ، مكتبة لبنان، المطبوع بتأريخ ١٩٨٧م، مجلد.

١٧٤ - «المصنّف»:

للحافظ ابن أبي شيبة عبدالله بن محمد بن إبراهيم، المتوفى سنة ٢٣٥هـ، تحقيق حمد بن عبدالله الجمعة، ومحمد بن إبراهيم، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ١٤ مجلداً + مجلد الفهارس.

١٧٥- «مطالب السُّؤل في مناقب آل الرّسول» :

لابن طلحة الشافعي كمال الدين محمد بن طلحة ، المتوفى سنة ٦٥٢هـ ، تحقيق ماجد أحمد العطية ، مؤسسة أمّ القرى - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ، جزءان في مجلّد.

١٧٦- «معاني الأخبار» :

للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، المتوفى سنة ٣٨١هـ ، تصحيح علي أكبر الغفاري ، دار التعارف للمطبوعات - بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، مجلّد.

١٧٧- «المعجم الأوسط» :

للطبراني ، تحقيق د. محمود الطّحّان ، مكتبة المعارف - الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ١٠ مجلّدات + مجلّد الفهارس.

١٧٨- «المعجم الصغير» :

للطبراني ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، جزءان في مجلّد.

١٧٩- «المعجم الكبير» :

للحافظ الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب ، المتوفى سنة ٣٦٠هـ ، تحقيق محمدي السلفي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الثانية ٢٥ مجلّدًا.

١٨٠- «معجم مفردات ألفاظ القرآن» :

للاغب الأصفهاني أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضّل ، المتوفى سنة ٥٠٣هـ ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، مجلّد.

١٨١- «معجم المقاييس في اللغة» :

لابن فارس أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، المتوفى سنة ٣٩٥هـ ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، مجلّد.

١٨٢- «المعجم الوسيط - معجم لغوي -» :

إخراج إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، ومحمد علي النّجار ، دار

الدعوة - اسطنبول ، ١٩٨٩م ، جزءان في مجلد.

١٨٣ - « المغني في الضعفاء » :

للحافظ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، تحقيق حازم القاضي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، مجلدان.

١٨٤ - « مفاهيم القرآن » :

للشيخ السبحاني جعفر ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام - قم ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٠ مجلدات.

١٨٥ - « مقتل الحسين عليه السلام » :

للخوارزمي الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم ، المتوفى سنة ٥٨٦هـ ، تحقيق الشيخ محمد السماوي ، دار أنوار الهدى قم ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ، مجلد.

١٨٦ - « المناقب » :

للخوارزمي الموفق بن أحمد بن محمد المكي ، المتوفى سنة ٥٦٨هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم ، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ ، مجلد.

١٨٧ - « مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب » :

لابن المغازلي الشافعي الواسطي علي بن محمد ، المتوفى سنة ٤٨٣هـ ، إعداد المكتب العالمي للبحوث ، دار مكتبة الحياة - بيروت ، مجلد.

١٨٨ - « مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وما نزل القرآن في علي » :

لابن مردويه الأصفهاني أبي بكر أحمد بن موسى ، المتوفى سنة ٤١٠هـ ، ترتيب عبدالرزاق محمد حسين ، دار الحديث - قم ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ١٣٨٠ش ، مجلد.

١٨٩ - « المنتخب من العلل للخلال » :

لابن قدامة المقدسي موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد ، المتوفى سنة ٦٢٠هـ ، تحقيق طارق بن عوض ، دار الراجية - الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، مجلد.

١٩٠ - « المنتخب من مسند عبد بن حميد » :

للحافظ عبد بن حميد أبي محمد ، المتوفى سنة ٢٤٩هـ ، تحقيق صبحي البدري

ومحمود الصعيدي ، عالم الكتب - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، مجلد.

١٩١ - «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» :

لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، ومصطفى عبدالقادر ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ١٨ جزءاً في ١٦ مجلداً + مجلد الفهارس.

١٩٢ - «منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية» :

لابن تيمية الحراني الدمشقي تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ، المتوفى سنة ٧٨٢ هـ ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ٨ مجلدات + مجلد الفهارس.

١٩٣ - «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» :

للنووي محيي الدين ، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ، تحقيق خليل مأمون ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثامنة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م ، ١٨ جزءاً في ٩ مجلدات + مجلد الفهارس.

١٩٤ - «الموافقات في أصول الفقه» :

للحافظ الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى ، المتوفى سنة ٧٩٠ هـ ، تحقيق خالد عبد الفتاح ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، مجلدان في ٤ أجزاء.

١٩٥ - «الموضوعات» :

لابن الجوزي السلفي القرشي ، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ٣ مجلدات.

١٩٦ - «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» :

للحافظ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد ، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، تحقيق علي محمد معوض ، وعادل أحمد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ٧ مجلدات.

حرف النون

١٩٧- «نظم دُرر السِّمطين» :

للزرندي الحنفي محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد المدني ، المتوفى سنة ٧٥٠هـ ، تحقيق د. محمد هادي الأميني ، مكتبة نينوى الحديثة - طهران.

١٩٨- «نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار للسيد حامد اللكهنوي» :

للسيد الميلاني علي الحسيني ، مطبعة مهر - قم ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، ٢٠ مجلدًا.

١٩٩- «نوادير الأصول في أحاديث الرسول» :

للحكيم الترمذي أبي عبدالله محمد بن علي بن بشير بن هارون ، المتوفى سنة ٣٢٠هـ ، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة ، دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ٤ مجلدات.

٢٠٠- «نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار» :

للشبلنجي مؤمن بن حسن بن مؤمن ، ولد سنة نيف وخمسين بعد المائتين والألف ، تحقيق عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، مجلد.

٢٠١- «نهج البلاغة» :

من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي محمد بن الحسن الموسوي ، تحقيق د. صبحي الصالح ، دار الأسوة التابع لمنظمة الأوقاف - طهران ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ، مجلد.

حرف الواو

٢٠٢- «الولاية» :

للحافظ ابن عقدة الكوفي أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد ، المتوفى سنة ٣٣٢هـ ، تحقيق عبدالرزاق محمد حسين ، انتشارات دليل - قم ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ، مجلد.

حرف الياء

٢٠٣ - « ينابيع المودة لذوي القربى » :

للشيخ القندوزي الحنفي سليمان بن إبراهيم ، المتوفى سنة ١٢٩٤ هـ ، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني ، دار الأسوة - طهران ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ ، ٣ مجلدات + مجلد الفهارس.

المختبرات

الإهداء.....	٥
منهج البحث.....	٧
تقديم.....	١١

الفصل الأوّل أهل البيت عليهم السلام في المصطلح القرآني

المدخل.....	١٧
القسم الأوّل: ما معنى كلمة (أهل)؟.....	١٩
أولاً: المعاجم اللغوية.....	١٩
ثانياً: القرآن الكريم.....	٢١
خلاصة البحث.....	٢٨
القسم الثاني.....	٢٩
معنى الرّحمة والبركة والبيت.....	٢٩
المجموعة الأولى: الروايات التي وردت من طرق السُّنّة.....	٣٥
المجموعة الثانية: الروايات التي وردت من طرق أهل البيت <small>عليهم السلام</small>	٤١
دلالات من وحي روايات النبي <small>صلى الله عليه وآله</small>	٤٥

- ٤٧ الخُطَّةُ الإِعلامِيَّةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- ٥٠ نَفَحَاتُ آيَةِ التَّطْهِيرِ:
- ٥١ الدليل الأول: منظومة الروايات الواردة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشأن الأئمة عليهم السلام
- ٥١ الطائفة الأولى: الروايات المشيرة إلى عدد الأئمة من أولاد الحسين
- ٥١ الطائفة الثانية: روايات تشير إلى المهدي في آخر الزمان
- ٥٢ الطائفة الثالثة: روايات (خلفاء أمتي اثنا عشر)
- ٥٣ الدليل الثاني: ما استدلَّ به الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام
- ٥٤ الدليل الثالث: (المورد لا يخصُّص الوارد)

الفصل الثاني دلالات آية التطهير

- ٥٧ المدخل
- ٥٩ آية التطهير: الدلالات الثلاث
- ٦٠ الدلالة الأولى: دلالة المفردات واستلزام العصمة
- ٦٢ آراء المفسرين
- ٦٤ الأمر الأول: إذهاب الرِّجس ومعنى العصمة
- ٦٧ خلاصة المعنى
- ٦٧ الأمر الثاني: آية التطهير ومعنى الإرادة
- ٦٧ ما معنى الإرادة التشريعية؟
- ٦٩ هل الإرادة التشريعية تتعلق بفعل الغير؟
- ٧٠ ما معنى الإرادة التكوينية؟
- ٧١ هل الإرادة في آية التطهير تكوينية أم تشريعية؟
- ٧٣ خلاصة معنى الآية

- ٧٤ هل الإرادة التكوينية توجب سلب الاختيار؟
- ٧٦ هل الإرادة التكوينية في آية التطهير علة تامة؟
- ٧٨ قصة طريفة
- ٧٩ **الدلالة الثانية: مبحث دلالة السياق**
- ٨٠ أولاً: آية التطهير خطاب متميز
- ٨١ ثانياً: اختلاف الضمائر
- ٨١ ثالثاً: عدم الانسجام بين الروايات والسياق
- ٨٢ رابعاً: ضعف الدلالة السياقية
- ٨٢ خامساً: التمسك بالدلالة السياقية اجتهاد مقابل النص
- ٨٣ سادساً: انتفاء الدلالة السياقية
- ٨٣ آية التطهير وأدلة الاستقلال
- ٨٤ الدليل الأول: تظافر الروايات على استقلاليتها
- ٨٥ إشكال سياقي
- ٨٨ خلاصة الكلام
- ٨٩ الدليل الثاني: اختلاف لسان الآية عن غيرها
- ٨٩ الدليل الثالث: انسجام الآيات السابقة واللاحقة، من دونها
- ٩١ لماذا جعلت آية التطهير جزءاً من آية؟
- ٩١ الأول: إرشاد نساء النبي ﷺ إلى التقيد بأخلاق أهل البيت عليهم السلام
- ٩١ الثاني: إلفات نظر المسلمين
- ٩٢ الثالث: اقتضاء الحكمة
- ٩٣ **الدلالة الثالثة: آية التطهير من خلال القرائن الخارجية**
- ٩٣ الأمر الأول: ضرورة دراسة أسباب النزول لفهم النص القرآني
- ٩٦ الأمر الثاني: في تبيان سبب نزول الآية الشريفة

- الحيثية الأولى : الروايات الواردة في تبيان سبب النزول ٩٧
- المجموعة الأولى : روايات قصة الكساء ٩٧
- المجموعة الثانية : الروايات التي صرحت بأسمائهم ١٠٦
- الحيثية الثانية : آراء وأقوال المفسرين ونظرياتهم ١١٦
- الأمر الثالث : الدراسة الموضوعية لآية التطهير ١٢٣
- أولاً : آية المباهلة وآية التطهير ١٢٦
- المصرّحون بعلاقة الآيتين ١٢٨
- قصة المباهلة أسرار خفية ١٢٩
- ثانياً : آية التطهير وآية المودة ١٣٠
- ثالثاً : آية التطهير وآية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ١٣٥
- وجوب الصلاة على النبي منهج الإمام الشافعي ١٣٩
- النهي عن الصلاة البتراء ١٤٠
- الخلاصة ١٤١
- قولان مهمّان ١٤٢

الفصل الثالث

النظريات المعارضة

- المدخل ١٤٧
- النظرية الأولى : نظرية الزوجات ١٤٨
- أدلة هذه النظرية : ١٤٨
- الدليل الأول : السياق القرآني ١٤٨
- المناقشة : ١٤٩
- أولاً : لزوم اللغوية في القرآن الكريم ١٤٩

- ١٥٠ ثانياً: أسلوب الآية يأبى اختصاصها بغير أهل البيت عليهم السلام
- ١٥١ ثالثاً: لزوم تقديم الظاهر على النص
- ١٥١ رابعاً: النصوص المفسرة معارضة للسياق
- ١٥١ الدليل الثاني: الروايات المعارضة
- ١٥٣ المناقشة
- ١٥٣ مقدّمة ضرورية
- ١٥٤ الروايات المعارضة في الميزان العلمي
- ١٦٣ ما ذكره الشوكاني في اختلاف العلماء
- ١٦٥ مَنْ هو مقاتل بن سليمان؟
- ١٦٦ مقاتل وعلم الحديث
- ١٦٩ كلام الشوكاني في الميزان
- ١٦٩ الروايات المعارضة الأخرى:
- ١٧٠ ١- رواية أم سلمة
- ١٧٠ المناقشة:
- ١٧٢ ٢- حديث زيد بن أرقم
- ١٧٥ الدليل الثالث: المراد بالبيت هو بيت السكنى
- ١٧٦ المناقشة
- ١٧٨ النظرية الثانية: أهل البيت: هم الخمسة الأطهار مع زوجات النبي صلى الله عليه وآله
- ١٧٨ نماذج من أقوالهم
- ١٧٩ خلاصة النظرية
- ١٨٠ المناقشة
- ١٨١ النظرية الثالثة: أهل البيت: هم بنو هاشم
- ١٨١ أدلة النظرية:

١٨١ الرواية الأولى: رواية زيد
١٨١ الرواية الثانية: رواية ابن عباس
١٨١ الرواية الثالثة: رواية الصواعق
١٨٢ المناقشة
١٨٤ الملاحظات السندية
١٨٥ رجال السند في ميزان التقييم
١٨٦ ملاحظات في اضطراب متن الحديث
١٨٨ النظرية الرابعة: أهل البيت هم عامة المتقين
١٨٩ المناقشة
١٩٦ خلاصة الفصول الثلاثة

الفصل الرابع: أهل البيت عليهم السلام في ضوء القرآن الكريم

٢٠٣ المدخل
٢٠٤ الآية الأولى: آية المودة
٢٠٥ الأمر الأول: في تبيان سبب النزول
٢٠٥ المورد الأول: مارواه الطبري في تفسيره
٢٠٦ المورد الثاني: ما رواه أبو حمزة الثمالي في تفسيره
٢٠٧ الأمر الثاني: تفسير آية المودة
٢٠٩ هل الاستثناء متصل أم منقطع؟ وهل يختلف المعنى عندئذ؟
٢٠٩ القول الأول: الاستثناء المنقطع
٢١٠ القول الثاني: الاستثناء المتصل
٢١٢ حاصل الكلام

٢١٢ ما معنى المودة؟
٢١٣ ما معنى القربى؟
٢١٤ من هم القربى؟
٢١٥ الأمر الثالث: استعراض النصوص المفسرة
٢١٥ الطائفة الأولى: الروايات المصرحة بأسمائهم
٢١٨ الطائفة الثانية: الروايات التي فسرت القربى بأهل البيت وآل محمد
٢٢٠ الطائفة الثالثة: الروايات المفسرة للقربى بقربى النبي ﷺ
٢٢٢ الطائفة الرابعة: الروايات العامة
٢٢٤ الأمر الرابع: في دلالة آية المودة
٢٢٦ سدرات من الشعر العربي بحق أهل البيت ﷺ
٢٢٨ الأمر الخامس: الآراء المعارضة
٢٢٩ الاعتراض الأول لابن تيمية: آية المودة مكية باتفاق أهل العلم
٢٢٩ أقوال المفسرين من كبار علماء أهل السنة
٢٣١ الاعتراض الثاني لابن تيمية أيضاً
٢٣٢ رجال السند في ميزان التقييم:
٢٣٧ الاعتراض الثالث:
٢٣٨ الأمر السادس: الحصيلة النهائية
٢٤٠ حاصل الكلام:
٢٤٢ الآية الثانية: آية المباهلة
٢٤٢ المدخل
٢٤٤ الأمر الأول: بيان مفردات الآية الشريفة
٢٤٦ ما معنى المباهلة؟
٢٤٨ المفهوم المستفاد من الآية الشريفة:

- ٢٤٨ الأمر الثاني : في بيان تفسير الآية الشريفة
- ٢٥٥ الآية في دقة بيانها
- ٢٥٥ سؤال ظريف مع جوابه :
- ٢٥٧ الأمر الثالث : بيان شأن النزول :
- ٢٥٧ المورد الأول : ما في الدلائل
- ٢٥٨ المورد الثاني : ما في مجمع البيان
- ٢٥٩ العلماء المشاهير المؤيدون لشأن نزولها بحق أهل البيت عليهم السلام :
- ٢٦٨ الأمر الرابع : دلالات الآية الشريفة
- ٢٦٨ القسم الأول :
- ٢٦٩ القسم الثاني :
- ٢٦٩ القسم الثالث :
- ٢٧١ إشكالات :
- ٢٧٣ مناظرة الإمام الرضا عليه السلام :
- ٢٧٤ الأمر الخامس : الروايات المعارضة ومناقشتها
- ٢٧٤ الرواية الأولى : رواية البخاري
- ٢٧٤ الطريق الأول :
- ٢٧٥ الطريق الثاني :
- ٢٧٥ الطريق الثالث :
- ٢٧٥ طرق الرواية في صحيح مسلم :
- ٢٧٥ الطريق الأول :
- ٢٧٥ الطريق الثاني :
- ٢٧٦ الطريق الثالث :
- ٢٧٦ الرواية عند الإمام أحمد بن حنبل :

٢٧٦ الرواية عند ابن ماجة :

٢٧٧ نقد الروايات

٢٧٧ أولاً: المناقشة الدلالية :

٢٧٩ ثانياً: المناقشة السندية :

٢٨١ رواية البخاري وقتل الإمام الحسين عليه السلام :

٢٨٣ الرواية المعارضة الثانية :

٢٨٣ المناقشة :

٢٨٤ المناقشة السندية :

٢٨٤ الأول : سعيد بن عنبة الرازي

٢٨٤ الثاني : الهيثم بن عدي الطائي

٢٨٥ المناقشة الدلالية :

٢٨٦ الأمر السادس : محاولات التّعقيم على أصل الخبر

٢٨٧ الأمر السابع : نتائج البحث

٢٨٩ الآية الثالثة : آية الاعتصام بحبل الله

٢٨٩ المدخل

٢٩٠ الأمر الأول : مفردات الآية

٢٩١ الأمر الثاني : النصوص المفسّرة

٢٩١ الطائفة الأولى : أهل البيت : هم حبل الله :

٢٩٣ الطائفة الثانية : القرآن حبل الله

٢٩٤ الطائفة الثالثة : الإسلام حبل الله

٢٩٤ الأمر الثالث : حصاد جمع النصوص

٢٩٦ الأمر الرابع : في التفسير

٢٩٩ التذكير بنعمة التخلّص من الماضي :

- ٣٠٠ مواقف وأقوال :
- ٣٠٠ مقالة العالم الفرنسي «كلود كاهن»
- ٣٠١ مقالة المستشرق الفرنسي «جاك ريسلر»
- ٣٠٢ «نهرو» العالم والسياسي الهندي الراحل
- ٣٠٤ **الآية الرابعة: آية جعل الودّ**
- ٣٠٤ المدخل
- ٣٠٥ الأمر الأول: تبيان شأن النزول
- ٣٠٥ الطائفة الأولى: نزولها في عليّ خاصّة
- ٣٠٧ الطائفة الثانية: نزولها في عامّة المؤمنين
- ٣٠٨ الطائفة الثالثة: نزولها في عبد الرحمن بن عوف خاصّة
- ٣٠٨ الأمر الثاني: في نقد الروايات
- ٣٠٨ أسباب بطلان الطائفة الثالثة:
- ٣١٢ الأمر الثالث: في بيان تفسير الآية الشريفة
- ٣١٥ **الآية الخامسة: آية أهل الذكر**
- ٣١٥ المدخل
- ٣١٦ السؤال الأول: ما معنى الذكر؟
- ٣١٧ السؤال الثاني: ما هو رأي المفسرين؟
- ٣٢١ السؤال الثالث: من هم أهل الذكر؟
- ٣٢٤ نتائج البحث:
- ٣٢٦ **الآية السادسة: آية ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾**
- ٣٢٦ المدخل
- ٣٢٦ المقصد الأول: في معنى الآية الشريفة
- ٣٢٧ المقصد الثاني: آراء المفسرين

٣٢٧	الرأي الأول: الهادي رسول الله ﷺ
٣٢٧	الرأي الثاني: الهادي الله تعالى
٣٢٨	الرأي الثالث: الهادي نبي
٣٢٨	الرأي الرابع: الهادي القائد
٣٢٩	الرأي الخامس: الهادي علي
٣٢٩	الرأي السادس: الهادي الداعي
٣٣٠	المقصد الثالث: مناقشة الآراء السالفة
٣٣٤	حاصل الكلام:
٣٣٥	المقصد الرابع: المقصود من الآية ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾
٣٤٠	ركائز تأسيسية:
٣٤٠	أولاً: الهادي خليفة النبي ﷺ
٣٤٠	ثانياً: دلالة الاقتران بين الإنذار والهداية:
٣٤١	ثالثاً: الهادي المرجع الأعلى:
٣٤١	رابعاً: المصداق الأكمل هو المقصود:
٣٤١	خامساً: ضرورة توفر الهداة في طول الزمان:
٣٤١	نموذجان في التفسير:
٣٤٤	المقصد الخامس: كشف حقيقة حديث «أصحابي كالنجوم...»
٣٤٤	الأمر الأول: في تخريج الحديث
٣٤٥	الأمر الثاني: مناقشة بعض رجال سند الحديث
٣٤٦	ما هو الموقف العلمي لرجال الحديث والعلماء من حديث النجوم؟
٣٤٧	الأمر الثالث: في مناقشة دلالة الحديث
٣٤٨	شواهد في الاختلاف والانحراف
٣٥٠	المقصد السادس: نتائج البحث

٣٥٢ الآية السابعة: آية الإطعام
٣٥٢ المدخل
٣٥٣ المقام الأول: شأن النزول
٣٥٤ أقوال طائفة من علماء التفسير والحديث:
٣٦٠ المقام الثاني: الاعتراضات
٣٧٠ المقام الثالث: في دلالة الآيات الشريفة والرويات المفسرة
٣٧٤ الآية الثامنة: آيات السؤال
٣٧٤ المدخل
٣٧٥ البيان الأول: في هدى التفسير
٣٧٨ البيان الثاني: الروايات المفسرة
٣٧٨ الطائفة الأولى: ما ورد في تفسير ﴿ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ :
٣٧٩ الطائفة الثانية: الروايات المفسرة لقوله: ﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ... ﴾
٣٨٠ الطائفة الثالثة: الروايات المؤيدة
٣٨١ الطائفة الرابعة: روايات السؤال عن الكتاب والعترة
٣٨٣ البيان الثالث: نتائج البحث:
٣٨٥ الآية التاسعة: آية الولاية
٣٨٥ المدخل
٣٨٦ ما معنى الولاية؟
٣٨٦ المقام الأول: شأن النزول
٣٨٨ المقام الثاني: رواة الخبر من الصحابة والتابعين
٣٨٨ المقام الثالث: مخرجو الخبر من أعلام التفسير وأئمة الحديث
٣٩١ مخرجو الخبر في بقية مصادر الجمهور:
٣٩٥ المقام الرابع: في تفسير الآية

٣٩٥	بيان مفردات الآية :
٣٩٦	مع الوليِّ ومواصفاته :
٣٩٨	هل الولاية هي الحاكمية أم النصره ؟
٤٠٠	المقام الخامس : الاعتراضات وردودها
٤٠٧	المقام السادس : نتائج البحث
٤١١	الآية العاشرة : آيات الغدير
٤١١	أولاً: آية التبليغ
٤١١	المدخل
٤١٣	إثارات
٤١٣	البيان الأول : في إثبات نزولها بين مكة والمدينة (وكونها مدنية)
٤١٣	هل الآية مكية أم مدنية
٤١٥	البيان الثاني : في التفسير
٤٢٠	روايات مدرسة الخلفاء في طوائف :
٤٢٠	الطائفة الأولى : حراسة أبي طالب للنبي ﷺ :
٤٢١	الطائفة الثانية : ما جرى على النبي ﷺ في ذات الرقاع :
٤٢٣	الطائفة الثالثة : روايات (القبة) :
٤٢٦	الأقوال الموافقة :
٤٢٨	البيان الثالث : في شأن التزول
٤٢٨	أقوال المفسرين والمحدثين من أكابر علماء الجمهور :
٤٣٢	آراء معارضة
٤٣٢	البيان الرابع : قصة الغدير
٤٣٧	الذين قالوا بتواتر حديث الغدير من علماء الجمهور :
٤٣٩	المؤلفون في حديث الغدير :

- ٤٤٠ الاحتجاج والمناشدة بحديث الغدير
- ٤٤٥ البيان الخامس: في تفسير آية الغدير الثانية
- ٤٤٨ آية إكمال الدين وروايات علماء الجمهور:
- ٤٥٠ البيان السادس: في تفسير الآية الثالثة (آية سؤال العذاب)
- ٤٥٠ الأول: دعا داع بعذاب واقع
- ٤٥١ شأن النزول:
- ٤٥٣ الاعتراضات:
- ٤٥٩ نتائج البحث:
- ٤٦٢ الآية الحادية عشر: آية أولي الأمر
- ٤٦٢ المدخل
- ٤٦٤ الأمر الأول: في بيان التفسير
- ٤٦٨ الأمر الثاني: ما هي مواصفات أولي الأمر؟
- ٤٦٩ الصفة الأولى: العصمة
- ٤٧٠ الصفة الثانية: أن يكون من أمراء الحق لا من أمراء الجور
- ٤٧١ الصفة الثالثة: أن يكون مولى بحق
- ٤٧٢ الصفة الرابعة: أن يكون الأعلم بالكتاب والسنة
- ٤٧٣ الصفة الخامسة: ولي الأمر وتر في كل زمان
- ٤٧٥ الأمر الثالث: من هم أولو الأمر؟
- ٤٧٧ مناقشة الآراء الأخرى
- ٤٧٨ هل لأولي الأمر وجود في زمن الرسول؟
- ٤٨٠ أولوا الأمر في المصطلح اللغوي والقرآني
- ٤٨٠ القسم الأول من الأدلة:
- ٤٨٧ القسم الثاني من الأدلة: في تبيان شأن النزول للآية الشريفة

٤٩٢	الأمر الرابع : في بيان الاعتراضات :
٤٩٢	الاعتراض الأول : عدم الرجوع إلى أولي الأمر عند التنازع .
٤٩٤	الاعتراض الثاني : لم يصرَّح القرآن بأسمائهم .
٤٩٥	الاعتراض الثالث : عدم معرفتهم .
٤٩٨	الآية الثانية عشر : آية الأمر باتِّباع الصَّادِقِينَ
٤٩٨	المدخل
٤٩٩	الجهة الأولى : في بيان وحي التفسير
٤٩٩	ما المقصود بقوله : ﴿ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ؟
٥٠٠	المعنى تعني الاتِّباع باتِّفاق المفسِّرين
٥٠٢	الهوية القرآنية للصَّادِقِينَ :
٥٠٤	الجهة الثانية : مَنْ هم الصادقون؟
٥٠٨	الجهة الثالثة : الآراء المعارضة
٥١٠	الجهة الرابعة : نتيجة البحث

الفصل الخامس : آياتٌ بحقِّ عليٍّ عليه السلام

٥١٥	المدخل
٥١٧	الآية الأولى :
٥١٩	الآية الثانية :
٥٢١	الآية الثالثة :
٥٢٣	الآية الرابعة :
٥٢٥	الآية الخامسة :
٥٢٦	الرواية الأولى : أبو بكر بين التبليغ والردِّ
٥٢٦	الرواية الثانية : عليٌّ والمهمة الصعبة

- الرواية الثالثة: الأمر النبوي بردّ أبي بكر ٥٢٨
 تنبيهان: ٥٢٨
 التنبيه الأول: في فلسفة الصدى الإعلامي للواقعة ٥٢٨
 التنبيه الثاني: روايات تلخّص منزلة عليّ ٥٣٠

مسك الختام ٥٣٢

- ١- عصمة أهل البيت عليهم السلام ٥٣٢
- ٢- وجوب مودّتهم ٥٣٢
- ٣- امتداد لوجود النبي صلى الله عليه وآله ٥٣٣
- ٤- حبل الله الذي يجب الاعتصام به ٥٣٣
- ٥- أثر فعل الله تعالى في مودّتهم ٥٣٣
- ٦- أهل البيت: يمثلون المرجعية العلمية للأمة ٥٣٤
- ٧- هم هداة هذه الأمة وقادتها ٥٣٥
- ٨- هم الصفوة الأبرار والموفون بعهد الله تعالى ٥٣٥
- ٩- ولاية أهل البيت عليهم السلام ما تُسأل عنها الأمة غداً ٥٣٥
- ١٠- الولاية لعليّ عليه السلام فرض بعد ولاية الله ورسوله ٥٣٦
- ١١- إمامة أهل البيت عليهم السلام في النصّ القرآني ٥٣٦
- ١٢- أهل البيت عليهم السلام يمثلون المرجعية السياسيّة للأمة ٥٣٨
- ١٣- وجوب اتّباع أهل البيت عليهم السلام ٥٣٨
- ١٤- آيات كثيرة اختصّت بعليّ عليه السلام ٥٣٩

الملاحق ٥٤١ - ٥٦٣

- ملحق رقم ١: آية التّطهير ٥٤٣

ملحق رقم ٢: اختصاص أهل البيت بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ٥٤٧

ملحق رقم ٣: أهل البيت: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ٥٥١

ملحق رقم ٤: آية المودة ٥٥٥

ملحق رقم ٥: قصة الاطعام ٥٥٨

ملحق رقم ٦: آية الولاية ٥٦١

المصادر ٥٦٥ - ٥٩٨

المحتويات ٥٩٩ - ٥١٦